الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر — كلية اصول الدين والشريعة

للعلوم الإسلامية قسنطينة — والحضارة الإسلامية

الرقم التسلسلي : ...../2001 — قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل : .....

التأويل عند الغزالي

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة

شعبة العقيدة ومقارنة الأديان

تقديم الطالب : منصور مرحاني

أمام اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس :	د . عمار طالبي	أستاذ	جامعة الجزائر
المقرر :	د . إسماعيل يحيى رضوان	أستاذ محاضر	جامعة باتنة
العضو :	د . سلمان نصر	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو :	د . إسماعيل مرموقي	أستاذ محاضر	جامعة منتوري
العضو :	د . إبراهيم التوهامي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر

نوقشت يوم : 16 ربيع الأول 1422 هـ الموافق لـ 18 جوان 2001

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على رسوله الكريم

الإهداء

إلى صغيريَّ:

- إيمان

- وعبد الجليل

اللذين آنسا سهري، وحولا وحشة ليلي بروحيهما إلى إشراقة نهار ربيعي جميل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني، ووفقني إلى إتمام هذا البحث منذ أن كان مجرد فكرة في الذهن إلى أن اكتمل (واستوى على سوقه) .

وأتقدم بأسنى آيات الشكر والإمتنان إلى كل من مد لي يد العون للقيام بهذا البحث سواء بالمصادر والمراجع، أو بالطباعة والإخراج، أو بالتوجيهات والملاحظات، وأخص بالذكر أستاذي فضيلة الدكتور إسماعيل يحيى رضوان الذي حباني بتوجيهاته القيمة، وخصني بالكثير من وقته الثمين.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد المحترم جرموني عبيد الذي أفادني بقسط كبير من مؤلفات الغزالي.

وإلى القائمين على مكتب الخوارزمي للإعلام الآلي بسكيكدة الذين سهروا وثابروا حتى أخرجوا البحث في هذه الحلة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهدي الله فلا مضل لـــه، ومـــن يضلل فلن تجد له هاديا مرشدا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمـــد -صلى الله عليه وسلم- وبعد:

تحتوي اللغة العربية على عدد محدود من الحروف، تشكل منها كلمات وألفـاظ محـدودة أيضا، ويقابل هذا العدد المحدود من الألفاظ والكلمات كم هائل من المعاني لا حدود ولا نهايـــة له، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى اشتراك عدة معان في لفظ واحد، وعُبر عن المعاني المختلفـــة بجملة واحدة، ولبيان المعاني المرادة من الألفاظ والجمل استعمل العرب القرائن التي تمنع عن اللفظ بعض المعاني، وتثبت بعضها الآخر، كما قسموا التعبير تبعا لذلك إلـــى تعبـير حقيقـي يستعمل اللفظ بأصل معناه الذي وضع له، وآخر مجازي، يعبر باللفظ عن معنى آخر لم يوضع له أصلا، وإنما يعبر عنه بقرينة معيِّنة. فيقول العرب مثلا: حلب فلان الدهرَ أشطرَه أي مـرت عليه صروفه من خيره وشره، والحقيقة أن الدّهر ليس له أشطر، ولا يحلب، وأصله من أخلاف الناقة، ولها شطران، قادمان وآخران، وكل خلفين شطر (1)، ويقولون أيضا لمن رفع صوته "قد رفع عقيرته"، وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخـرى، وصـرخ بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته: قد رفع عقيرته، والعقيرة: الساق المقطوعة (2). ومثال هذا كثير في لسان العرب، ولتمييز المعنى المراد من اللفظ ينظر فإن استقام المعنى بأصل وضعـه فهو أولى، ويكون بذلك اللفظ، قد عبر عن معناه تعبيرا حقيقيا، وإن لم يستقم له ذلك صُرف إلى معنى آخر من معانيه المحتملة، ويتم اختيار المعنى المراد بطريق القرينة أيضا، ونقـول بـأن اللفظ عبر عن هذا المعنى تعبيرا مجازيا، والعملية التي تضم صرف اللفظ عن معناه الحقيقـي إلى معنى آخر مجازي، لقرينة تسمى تأويلا، واللفظ الذي يحتمل معنى واحدا فهو محكـم أمـا الذي يحتمل أكثر من معنى فهو متشابه، والتأويل متعلق بالآخر منهما.

ونصوص الوحي من قرآن وسنة لا تختلف عما اتسمت به ألفاظ وتعابير اللغة العربية من اشتمالها على معان حقيقية وأخرى مجازية، ففي القرآن الكريم والسنة الشريفة ألفاظ وتعـــابير

---

[1] - أدب الكاتب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم تحقيق محمد الدالي -مؤسسة الرسالة بيروت -الطبعة الثانية 1985 ص50.

[2] - أدب الكاتب -المرجع السابق- ص 53.

تحتمل أكثر من معنى، وفيهما ألفاظ أخرى لا تستقيم معانيها بأصل وضعها، وبتعبير قرآني فإن القرآن يحتوي على المحكم وعلى المتشابه بنص قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) (1)، ومن أمثلة النصوص المتشابهة في القرآن الكريم قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (2)، فلفظ القرء يُحمل على الطهر كما يُحمل على الحيض، وتختلف المدة التي تتربصها المرأة باختلاف المعنيين في الآية، ومن المتشابه كذلك صفات الله تعالى التي يوهم ظاهرها بالتشبيه كوصفه تعالى بأن له يدا ووجها واعينا، وقد وقع خلاف شديد بين المفكرين المسلمين بشأن تأويل هذه الصفات والألفاظ. كما توجد في السنة ألفاظ متشابهة كأوصاف القيامة والجنة والنار، وأحوال الناس في اليوم الآخر، وعلى الجملة فإن أكثر العلماء المسلمين يقرون باشتمال القرآن والسنة على المتشابه وعلى المجاز.

وعلى الرغم من وجود المتشابه في نصوص الوحي، فإن الخلاف بشأنه كان هينا في صدر الإسلام فكان الصحابة والتابعون يقرأون هذه النصوص ويمرونها كما جاءت دونما سؤال عنها، ذلك أن النصوص المتشابهة المتعلقة بأفعال المكلفين كالألفاظ المشتركة والمجازات كانوا يفهمون معانيها المرادة دونما اختلاف بينهم، وذلك لمعرفتهم الجيدة باللغة العربية وأساليبها، ولمعرفتهم لأسباب التنزيل ومناسباته وحكمه وأسراره، وأما النصوص المتشابهة الأخرى التي لا تتعلق بها أفعال المكلفين كأوصاف القيامة وصفات ربنا عز وجل، فما كانوا – رضي الله عنهم– يهدرون أوقاتهم الثمينة في أمور لم يكلفوا بفهمها ولا البحث فيها، فكانوا رجال جد وأفعال لا رجال جدل وأقوال، بل إنهم كانوا ينهون عن الخوض في هذه الأمور، بل وصل الأمر بعمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى أن ضرب "صبيغا" ونفاه من المدينة لأنه كان يسأل عن بعض متشابه القرآن، ومع هذه الصرامة في التعامل مع النصوص المتشابهة فلا ننفي أنه كانت هناك اختلافات بسيطة تقع هنا وهناك، ولم يكن لها أثر يذكر.

وقد تحول الاختلاف إلى خلاف في زمن الفتنة، وبدأت آثاره الفعلية والعملية تبرز وذلك إثر خروج الحرورية وكلامهم في قضية التحكيم، ثم اتسع الخلاف بعد ذلك بعد ظهور الفرق السياسية والكلامية، فكما كان لكل فرقة مقاتلوها، كان لها مفكرون ومتكلمون أيضا مهمتهم الوحيدة الجدل والكلام والدفاع عن معتقدات الفرقة، وكانت الوسيلة المستعملة بالإضافة إلى الوضع في الحديث لدى بعض الفرق تأويل النصوص القرآنية والسنية بما يتفق مع أقوالهم

1- آل عمران: 07.

2- البقرة: 226.

ومبادئهم، وانقسم بسبب هذه التطورات علماء السنة والجماعة إلى فريقين، فريق اهتم بالسنة وكانت مهمته تنقيتها من الأحاديث الموضوعة والمنحولة، وهم علماء الحديث، وظهر على أيديهم علم مصطلح الحديث، وفريق اهتم بمعاني النصوص سواء كانت قرآنية أو سنية، وعمل على حملها على المعاني الحقيقية المرادة لها وهم علماء الكلام. وإذا كانت مهمة رجال الحديث وعلمائه قد انتهت مبكرا بتدوين السنة ووضع علم مصطلح الحديث، فإن مهمة علماء الكلام كانت شاقة فعلا، ذلك أن تأويل النصوص كان من الجميع، من الفرق السياسية والكلامية، والمذاهب الفقهية، ومن الأفراد، ووقع الخلاف الشديد بين علماء هذه الفرق والمذاهب حتى وصل إلى حد التكفير، وقد وصف الغزالي حال الفرق بقوله "فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما أنه كذب الرسول -صلى الله عليه وسلم- في إثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعما أنه مشبه، وكذب الرسول في أنه "ليس كمثله شيء" والأشعري يكفر المعتزلي زاعما أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات تكثير للقدماء، وتكذيب للرسول في التوحيد (1).

والفرق التي ذكرها الغزالي في هذه الكلمة إنما هي مجرد نموذج لأسباب اختلاف الفرق، ذلك أن الفرق التي خاضت في التأويل أكثر من ذلك بكثير، فلأهل السنة بمذاهبهم الفقهية المعروفة تأويلات، وللأشاعرة تأويلات، وللخوارج والشيعة بفرقهم المختلفة تأويلات، وللفلاسفة تأويلات، وللصوفية تأويلات أيضا، وكل فريق يدعي أن تأويله وفهمه هو الصواب، ولا يمكن لأحد أن يجمع بين هذه الآراء المختلفة مالم يكن مطلعا على أسرار كل مذهب، ومبادئ كل فرقة.

وقد اجتمع في الإمام الغزالي من الصفات التي تؤهله للحكم على تلك التأويلات ما لم يجتمع لغيره وذلك لسعة اطلاعه، وتشعب تخصصاته، فهو فقيه مع الفقهاء، ألف في الفقه وعرف ما فيه، وأصولي مع الأصوليين، وكتبه في الأصول من المراجع المعتمدة، ومتكلم مع المتكلمين وله في الكلام كتب كثيرة، كما كتب الغزالي في الفلسفة، ومارس التصوف، واطلع جيدا على أفكار الفرق المنحرفة كالباطنية وشرح معتقداتهم ورد عليها، وفي هذه الدراسة المتواضعة سنحاول جاهدين إبراز مواقف الفرق الإسلامية من النصوص المتشابهة، وأسباب سلوكها لتأويلاتها المختلفة، كما نبين موقف الغزالي من تلك التأويلات وكيف حكم عليها، وما

1- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة -أبو حامد الغزالي -تحقيق الدكتور سليمان دنيا -الطبعة الأولى 1381هـ، 1961م -دار إحياء الكتب العربية ص175

هو الصواب في نظـــره، وكيف كانت نظرة المتأخرين للغزالي كما نشير إلى مواقف حديثه من التأويل ونبين علاقتها بتأويلات الفرق السياسية والكلامية السابقة، كما نوضح علاقة التأويل بما يحدث داخل بعض البلاد الإسلامية من فتن واضطرابات.

وقد دفعني إلى البحث في هذا الموضوع "التأويل عند الغزالي" سببان رئيسيان، أولهمـــا: الفهم السيء أو الخطأ لنصوص الوحي من طرف جهات رسمية في البلاد الإسلامية، وجهـــات أخرى تمثل الثقافة وتبحث في الشؤون الإسلامية، فالبلاد الإسلامية في مجملها تحكمها حكومات أهملت الكثير جدا من تعاليم الإسلام خصوصا في المعاملات، وهي في نفـــس الوقـــت تدعـــي احترامها للإسلام، وإذا تعرضت لبعض النصوص أولتها تأويلا غير صحيح، بل وصل الأمـــر إلى تأويل المحكمات، وكتاب "الإسلام السياسي" لمؤلفه سيد عشماوي طافح بتلـــك التـــأويلات، وهي مبنية على أساس أن الإسلام عقيدة فحسب وأما الشريعة والتشريع فهي للنـــاس يضعونـــه حسب ما يرونه مصلحة، وما ورد فيه إنما هو متعلق بالإسلام في صدره الأول فهذا هو السبب الأول الذي دفعني إلى اخـــتيار موضوع التأويل، وأما السبب الثاني وهو الـــذي دفعنـــي إلـــى اختيار التأويل عند الغزالي فهو راجع إلى ما كتبه الغزالي عن التأويل، فهو لم يكتف -كما فعل غيره- ببيان بعض النصوص المتشابهة وتأويلها أو الرد على الفـــرق المنحرفـــة، بـــل درس التأويل دراسة متخصصة تقوم على بيان معناه، ووضع شروطه، وضوابطه وأهدافه، وخصـــه بكتاب خاص هو "قانون التأويل"، كما درسه بتوسع في "إلجام العوام عن علم الكلام" و"فيصـــل التفرقة بين الإسلام والزندقة" و"الاقتصاد في الاعتقاد"، وفي كتب أخرى له، وفوق هذا كله فلا تخلو مؤلفات الغزالي من تأويلات وردود على مختلف الفرق.

وتبعا لما قدمناه فإن هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نوجزهـــا فيمـــا يلي:

1- معرفة مدى اشتمال القرآن الكريم على المتشابه والمجاز، فقد أثير خلاف شـــديد ولا يزال حول هذه القضية، حيث ذهب بعض الباحثين إلى أن القرآن كله محكم لا مجاز فيه، فكـــل ألفاظه تعبر عن معانيها الأصلية، بينما ذهب فريق آخر إلى أن القرآن يشـــتمل علـــى المحكـــم وعلى المتشابه والمجاز وتولد عن اختلافهما في المحكم والمتشابه، اختلاف في حكم التأويل.

2- تعرفنا هذه الدراسة بحكم التأويل، ومدى الحاجة إليه فـــي فهـــم بعـــض النصـــوص المتشابهة ويكون ذلك بضرب بعض الأمثلة لنصوص أدركت بالتأويل.

3- تكشف هذه الدراسة عن الحجج التي بنت عليها الفرق المنحرفة، وأصحاب الأهواء قديما وحديثا -آراءها ومبادئها، وتفضح نواياهم وأهدافهم الحقيقية.

4- ونعالج في هذه الدراسة قضية الكفر والتكفير ونبين علاقة التأويل بكل ذلك.

5-كما تهدف هذه الدراسة إلى فتح نافذة على فترة قصيرة من التاريخ الإسلامي، كانت فيها الفرق في أوج نشاطها الفكري، ومن خلالها سنتعرف على أوضاع الأمة في تلك الفترة، وأبرز رجالها علماء وحكاما ومنحرفين، كما تعرفنا هذه الدراسة بكيفية تعامل الغزالي الذي كان من أبرز العلماء مع تأويلات الفرق المختلفة.

وقد عملنا على تحقيق هذه الأهداف بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة أبواب رئيسية، وقد عالجنا في الباب الأول الذي قسمناه إلى فصلين، الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في عصر الغزالي وذلك حتى نعرف الإطار العام لحياة الغزالي، ثم تناولنا بعد ذلك بالتفصيل حياة الغزالي بمراحلها المختلفة وتعرضنا إلى أهم المؤثرات التي رسمت تقاسيم شخصيته، كما تعرضنا إلى آرائه في بعض المسائل، وبينا رأي المتأخرين فيه وفي مؤلفاته، وقسمناهم إلى مادحين وقادحين، وبينا وجه الحق والعدل في كل ذلك، كما أبرزنا في هذا الباب مؤلفات الغزالي وآراء بعض العلماء فيها، والحقيقة أن هذا الباب كان تمهيدا يفسر ما يصدر عن الغزالي من أقوال وآراء بشأن التأويل، والفرق التي خاضت فيه.

وأما الباب الثاني فقد خصصناه لدراسة التأويل بصفة عامة، وفيه بينا دواعي وجود التأويل، وهو انقسام نصوص الوحي إلى محكم ومتشابه، فعرفنا كليهما وأعطينا نماذج لورودهما في النصوص، وعرفنا التأويل، وبينا آراء بعض العلماء فيه، وختمنا هذا الباب بمواقف الفرق الإسلامية من التأويل، وفيه تناولنا أولا موقف أهل السنة بسلفهم وخلفهم، ومواقف الفرق الأخرى من معتزلة وباطنية وشيعة وفلاسفة ومتصوفة، وغرضنا من ذلك معرفة المدرسة التي ينتمي إليها الغزالي في تأويله وآرائه.

وختمنا الدراسة بباب ثالث وهو الأساس بينا فيه التأويل عند الغزالي بعد أن بيناه بصفة عامة، وكشفنا فيه عن موقف الإمام الغزالي من المتشابه والتأويل وكذا موقفه من تأويلات سابقيه، واتضح لنا أن الإمام يوافق أهل السنة، ويدعو إلى مذهب السلف على وجه الخصوص، ثم ختمنا هذا الباب بدراسة في تأويلات الغزالي، بينا من خلالها منهجه في التأويل ورأينا أنه يستعمل طرقا مختلفة في تأويلاته لا يحيد عنها، كما تعرضنا لبعض تأويلات

الغزالي وفيها بينا موقفه من صفات الذات المقدسة، وصفات الفعل، وبعض الصفات الخبرية، وتبين لنا أن الإمام لم يلتزم بأقوال السلف الداعية إلى عدم الخوض في المتشابه، بل إنه قد خاض فيه وأول كما أول غيره للضرورة التي عرفها عصره، من كثرة التأويلات المغرضة للنصوص، من طرف بعض الفرق وأصحاب الأهواء.

وأما خاتمة البحث فقد خصصناها لنتائج هذه الدراسة التي أوجزناها في أربع نقاط أساسية أتبعت ببعض التوصيات عن التأويل عموما، وعن فكر الغزالي خصوصا.

وقد اعتمدنا في دراستنا لهذه المواضيع على عدة مجموعات من المصادر والمراجع نلخصها فيما يلي:

أ- المصادر والمراجع التاريخية، وكتب التراجم، وقد استفدنا منها خصوصا في الباب الأول وذلك في الترجمة للإمام الغزالي، والتأريخ لعصره وبيئته، ويزيد عددها على خمس وأربعين كتابا منها كتاب المنتظم لابن الجوزي، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.

ب-المصادر السنية المتمثلة في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم مثل الصحاح الستة، وسنن الدارمي ومسند الامام أحمد ومعاجم الطبراني وغيرها. واستفدنا منها في تخريجنا للأحاديث والآثار والأخبار.

ج-مؤلفات الغزالي وقد اعتمدنا عليها في الترجمة له كما هو الشأن في المنقذ، وكذلك في استجلاء بعض أقواله وآرائه وتأويلاته، والجمع بينها، ثم استخراج القاعدة التي يسير عليها والمنهج الذي يتبعه في تأويله، ومن ضمن المؤلفات الغزالية الكثيرة استطعنا الحصول على 43كتابا استفدنا منها بالإشارة أو بالعبارة في هذه الدراسة وهذه المؤلفات هي:
1- الحكمة في مخلوقات الله 2- معراج السالكين 3- روضة الطالبين وعمدة السالكين 4- قواعد العقائد في التوحيد 5- خلاصة التصانيف في التصوف 6- القسطاس المستقيم 7- منهاج العارفين 8- الرسالة اللدنية 9- فيصل التفرقة 10- رسالة أيها الولد
11 - مشكاة الأنوار 12- رسالة الطير 13- الرسالة الوعظية 14- إلجام العوام 15- المضنون به على غير أهله 16- المضنون الصغير 17- بداية الهداية 18- الأدب في الدين 19- كيمياء السعادة 20- القواعد العشرة 21- الكشف والتبيين 22- سر العالمين 23- الذرة الفاخرة 24- المنقذ من الضلال 25- المواعظ في الأحاديث القدسية 26- قانون التأويل 27- الاقتصاد في الاعتقاد 28- تهافت الفلاسفة 29- الفصول في الأسئلة وأجوبتها 30- رسالة التوحيد

31- ميزان العمل 32 - المقصد الأسنى 33- منهاج العابدين 34- جواهر القرآن 35- كتاب الأربعين 36- معارج القدس 37- مكاشفة القلوب 38- المستصفى 39- معيار العلم 40- المنخول 41-إحياء علوم الدين 42 - الإملاء على إشكالات الإحياء 43 - فضائح الباطنية.

د-مصادر ومراجع مختلفة مثل القواميس اللغوية، وكتب التفسير وكتب شرح السنة، وكتب حديثة اهتمت بدراسة الغزالي وفكره مثل كتاب الغزالي ليوحنا قمير، وكتاب الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي لزكريا بشير إمام وكتاب الفيلسوف الغزالي لعبد الأمير الأعسم، والأخلاق عند الغزالي لزكي مبارك، وكتاب أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، وهو يتضمن مجموعة من البحوث والمقالات المختلفة حول الإمام الغزالي، وكذا بعض التعليقات والمقدمات لكتب الغزالي مثل مقدمات سليمان دنيا لفيصل التفرقة وغيره.

وقد اعترضنا في دراستنا وقيامنا بهذا البحث جملة من الصعوبات بعضها يتعلق بالبحث ذاته من حيث المراجع والموضوع، وبعضها يتعلق بظروفنا الخاصة.

أما الصعوبات المتعلقة بالبحث، فبالنسبة لمؤلفات الغزالي الكثيرة والتي تعتبر الأساس في دراسته لم نتمكن من الحصول سوى على أقل من نصفها، وهو عدد غير كاف لإصدار حكم صحيح جازم على تأويلات الغزالي وأفكاره، ثم إن المراجع التي ذكرته قديما وحديثا اختلفت في تقويم فكره إلى درجة التناقض بين مقدس معظم، وبين مكفر مقزم، وهذا ما جعلنا نبحث في الأسباب التي دفعت هؤلاء الباحثين إلى ما ذهبوا إليه، والموازنة بينها بدقة، واستخلاص الحق والعدل من بين تلك الأحكام المضطربة. وأما موضوع التأويل عند الغزالي ففي صعوبته وجهان: أولهما أن التأويل موضوع واسع جدا واختلافات العلماء حوله لا تنتهي، وثانيهما أن الغزالي ليس كغيره من العلماء الذين يملكون رأيا واحدا في المسألة فالغزالي قد يعطي ثلاثة أقوال في القضية الواحدة تبعا لأحوال المخاطبين حتى رماه البعض بالتناقض، ومنه كان لازما علينا أن نبحث عن طبيعة قوله في كل مسألة ومعرفة مراده منها.

وأما الصعوبات المتعلقة بظروفنا الخاصة فذلك راجع إلى مهنتي غير المستقرة التي حرمتني من ارتياد بعض المكتبات، وأجبرتني على القراءة في الثلث الأخير من الليل.

ونعتقد أن ما بذلناه من جهد في سبيل الكشف عن التأويل عند الإمام الغزالي، وعند غيره من الفرق الإسلامية قديما وحديثا لا يخلو من فائدة، وإن كنا على يقين أن ما توصلنا إليه ليس هو النهاية في البحث، وأن البحث ما يزال في حاجة إلى إضافات على ضوء ما يجد من دراسات حول الإمام الغزالي، وما يصلنا من كتب أخرى له، كما نعتقد أن ما قدمناه لا يخلو من خطإ وتقصير، ونأمل من كل من يقف عليها إرشادنا إلى الصواب وإلى الأحسن خدمة للحق

والعدل والعلم.

ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا، ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

سكيكدة في 12 ذي الحجة 1420هـ

الموافق ل 18مارس 2000.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول
عصر الغزالي وحياته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : عصر الغزالي

المبحث الأول : الحياة السياسية والاجتماعية

كان المشرق الإسلامي في عصر الغزالي في غاية الفوضى والاضطراب بسبب ازدواج الخلافة، وضعف الخلفاء أمام نفوذ السلاطين والملوك والأمراء، فلم يكن للخلفاء إلا السلطة الدينية والروحية، وأما تسيير شؤون الدولة وتكوين الجيوش وفتح البلدان، فذلك إنما كان من اختصاص السلاطين والملوك وحتى الأمراء وقد كان الصراع حادا بين الخلافة الفاطمية في مصر والخلافة العباسة في بغداد، وكل خليفة يسعى إلى إفشال الطرف الآخر إما عن طريق التشكيك في أهليته للخلافة، وإما عن طريق الحروب والدسائس، وتشجيع الفتن والثورات، كما كان كل واحد يسعى إلى تحقيق فتوح في أراضي الطرف الأخر، ومما يدل على ذلك التنافس والصراع على الخلافة ما فعله القادر[1] في سنة 402هـ حيث أصدر محضرا رسميا موقعا بأسماء كبار الفقهاء والقضاة، وبعض زعماء الشيعة، مثل الشاعر العلوي الشريف الرضي[2]، وأخيه المرتضى [3] يطعن فيه في نسب الخليفة الفاطمي، ومما جاء في هذا المحضر:(...والفاطميون منسوبون إلى ديصان بن سعيد[4] الخرّمي إخوان الكافرين ... أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، وأن ذلك باطل وزور... وأن هذا الناجم بمصر، الملقب بالحاكم[5] -حكم الله عليه بالبوار والخزي – هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس

---

[1] القادر بالله أمير المؤمنين، أعاد للخلافة العباسة هيبتها بعد أن طمع فيها الديلم والأتراك، كان حليما، كريما، حسن الاعتقاد صنف في إعتقاده كتابا على مذهب أهل السنة، توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر، ودامت خلافته إحدى وأربعين سنة – الكامل في التاريخ لابن الأثيردار الكتاب العربي بيروت– الطبعة الخامسة 1985. ج 7 ص 354.

[2] – هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الشريف الرضي أبو الحسن العلوي ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، فكان نقيب الطالبيين ببغداد، حفظ القرآن، وعرف من الفقه والفرائض طرفا قويا،كان عالما فاضلا، وشاعرا مترسلا عفيفا، عالي الهمة متدينا، جوادا سخيا، وهو من نسل علي بن أبي طالب توفي سنة ست وأربعمائة.
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا–مصطفى عبد القادر عطا – راجعه وحققه نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج 17 ص 125.

[3] – علي بن الحسين بن موسى بن محمد، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، كان يلقب بالمرتضى، وكان يقول الشعر الحسن ويميل إلى الاعتزال ويظهر مذهب الإمامية، وله تصانيف على مذهب الشيعة، توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم– لابن الجوزي– –المرجع السابق– ج 15 ص 294.

[4] –ديصان بن سعيد هو والد ميمون القداح أحد مؤسسي الباطنية،وسيأتي ذكره .
– الفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي –دار المعرفة بيروت– لبنان ص 282.

[5] – المستنصر : أبو تميم معد بن أبي الحسن العلوي، صاحب مصر والشام، دامت خلافته ستين سنةوأربعة أشهر، توفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة وعمره سبعا وستين سنة.
– الكامل في التاريخ – المرجع السابق– ج 8 ص 172

الأنجاس، كفار، فساق فجار زنادقة [1]، ولما ولي القائم[2] (422-467هـ) أصدر في سنة 444هـ محضرا آخر ضد الفاطميين يتضمن نفس المطاعن التي أثارها أبوه من قبل[3]، كما شجع المستنصر الفاطمي ثورة البساسيري[4] وأمده بالمال، وأرسل إليه أحد دعاته، فكان الذي وصل من المستنصر إلى البساسيري من المال خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوف ومن الرماح والنشاب شيء كثير[5] . واستولى البساسيري على بغداد سنة 450هـ بعد استيلائه على الموصل، وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي، وخطب في الجمعة من وصوله بجامع الرصافة له أيضا، وأذن بحي على خير العمل، وجرى بينه وبين جند القائم حروب في أثناء الأسبوع، وكان العامة قد مالوا إلى البساسيري، أما الشيعة فللمذهب، وأما السنة فلما فعله بهم الأتراك، ثم سار البساسيري إلى واسط والبصرة فملكهما، وأخرج الخليفة القائم من بغداد، وكان قد استذم بقريش بن بدران[6] على نفسه وأهله وأصحابه وبقي الخليفة بعيدا عن بغداد مدة سنة كاملة[7] وذلك حتى عام 451هـ حين قضى السلطان طغرلبك[8] على ثورة البساسيري وقتله. ولم يكن هذا الذل من نصيب الخليفة القائم وحده، فبعد سنوات قليلة من ثورة البساسيري نال المستنصر نفس الذل وذلك عندما وقعت الفتنة والحرب في بلاده بين العبيد والأتراك، وتمكن ناصر الدولة ابن

1- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ج 4 ص 229 -230

2- هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أبو العباس أحمد بن الأمير اسحاق بن المقتدر بالله، تولى الخلافة العباسية من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة إلى سنة سبع وستين وأربعمائة وداست أربعا وأربعين سنة، توفي عن ست وسبعين سنة.
- الكامل في التاريخ - -المرجع السابق- ج 8 ص 120.

3- في التاريخ العباسي والفاطمي للدكتور أحمد مختار العبادي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت طبعة 1971 ص 352

4- أبو الحارث أرسلان البساسيري، كان رأس الأتراك البغدادية، وكان يتحكم على القائم بأمر الله إلى أن خرج عليه، ينتسب إلى بلدة بفارس يقال لها بسا وبالعربية فسا، قتله طغرل بك سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.
- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - مؤسسة الكتب الثقافية -دار الجنان بيروت الطبعة الأولى 1988 ج 1 ص 346

5- -النجوم الزاهرة - -المرجع السابق- ج 5 ص 11

6- أبو المعالي قريش بن بدران بن المقلد صاحب الموصل ونصيبين، أصابه خروج الدم من فمه وأنفه وعينيه وأذنيه فتوفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج 8 ص 91

7- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت مجلد 6 ج 12 ص 79

8- هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق، كان عاقلا حليما، محافظا على الصلوات يصوم الإثنين والخميس، كما كان مظلوما مغشوما، فكان عسكره يغصبون أموال الناس ليلا ونهارا، توفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وهو مؤسس الدولة السلجوقية.
- الكامل في التاريخ -المرجع السابق ج 8 ص 95

حمدان[1] من بسط سيطرته على مصر، وراسل الخليفة القائم في الخطبة له، وأذل المستنصر وأتباعه، حتى اجتمع بعض قادة الأتراك واغتالوه، وهذا بعد أن كان قد قطع الميرة [2] على مصر برا وبحرا[3] ونشير إلى أن البساسيري كان في وقت مضى من أنصار وأتباع الخليفة القائم، كما أن ناصر الدولة ابن حمدان كان هو الآخر من أنصار المستنصر، وخروجهما عنهما يدل على أن موالاتهما السابقة لهما إنما كانت قائمة على المصالح لا على الاقتناع بأحقية الخلافة، وفي سنة 469هـ حاصر اقسيس[4] ملك الرملة مصر بعد استيلائه على دمشق وبيت المقدس، وخطب للخليفة القائم ،وتكررت الحروب بينهما في مناطق التماس وخصوصا في دمشق وحلب، وفلسطين، وبيت المقدس، وكانت الخطبة لأحدهما مرهونة بقوته ونفوذه. ففي سنة 462هـ قطعت الخطبة في مكة للمصري وجعلت للقائم و لألب أرسلان[5](455-465هـ)، وفي سنة 479هـ قطعت الخطبة في الحرمين للمصري وجعلت للمقتدي[6] (467-487هـ). وهذه الحروب والصراعات بينهما أدت إلى إنهاك أوصال الدولة الإسلامية كلها، فوقفت عاجزة أمام هجومات الصليبيين فيما بعد، وكانت الفرقة وسوء الحال وعدم الغيرة على الدين أمرا ظاهرا غير خاف على أحد حتى أنه في سنة 504هـ ورد رسول ملك الروم إلى السلطان يستنفره على الفرنج ويستحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد، فلم يفعل، فورد أهل حلب بعد ذلك على السلطان يقولون له : أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام حتى قد أرسل إليك في جهادهم[7]. وهذه الأوضاع السياسية الأليمة قد ألقت بظلالها على الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للناس، فوقعت عدة مجاعات بسبب الحروب، كما حدث في مصر عندما حاصرها

---

[1]- هو أبو علي الحسن بن حمدان من الأتراك الذين أقاموا بدولة المستنصر في مصر قاد الأتراك في حربهم مع العبيد، حاصر مصر، وأذل المستنصر وأرسل إلى الخليفة العباسي ليخطب باسمه قتل سنة خمس وستين وأربعمائة.
- الكامل في التاريخ-المرجع السابق ج 8 ص 115

[2]- الميرة = الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار أهله من باب باع.
- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي. -دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر الطبعة الرابعة 1990 ص 405

[3]-الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج 8 ص 116-117

[4]- الإقسيس، هكذا يذكر اسمه الشاميون، والصحيح - كما قال ابن الأثير - أتسز بن أوق الخوارزمي، وهو اسم تركي، كان من أمراء السلطان ملكشاه استولى على الرملة ودمشق، وحاول الاستيلاء على مصر لكنه انهزم سنة تسع وستين وأربعمائة، وكان ملكا ظالما.
- الكامل في التاريخ -لابن الأثير - المرجع نفسه ج 8 ص 110

[5]-هو محمد بن داود تغري بك بن ميكائيل بن سلجوق لقب بسلطان العالم لاتساع ملكه، كان رحيم القلب، رفيقا بالفقراء قتل سنة خمس وستين وأربعمائة، دام ملكه أربع عشرة سنة.
- الكامل في التاريخ-المرجع نفسه-ج 8 ص 113

[6]- هو المقتدي بأمر الله عبد الله محمد بن الذخيرة (ذخيرة الدين) بن القائم بأمر الله، تولى الخلافة بين سنتي سبع وستين وسبع وثمانين وأربعمائة، توفي وعمره ثمان وثلاثون سنة.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع نفسه - ج 8 ص 170

[7]- الكامل في التاريخ -المرجع نفسه-ج 8 ص 262

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر — كلية اصول الدين والشريعة

للعلوم الإسلامية قسنطينة — والحضارة الإسلامية

الرقم التسلسلي : ...../2001 — قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل : .....

التأويل عند الغزالي

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة

شعبة العقيدة ومقارنة الأديان

تقديم الطالب : منصور مرحاني

أمام اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس :	د . عمار طالبي	أستاذ	جامعة الجزائر
المقرر :	د . إسماعيل يحيى رضوان	أستاذ محاضر	جامعة باتنة
العضو :	د . سلمان نصر	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو :	د . إسماعيل مرموقي	أستاذ محاضر	جامعة منتوري
العضو :	د . إبراهيم التوهامي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر

نوقشت يوم : 16 ربيع الأول 1422 هـ الموافق لـ 18 جوان 2001

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على رسوله الكريم

الإهداء

إلى صغيريَّ:

- إيمان

- وعبد الجليل

اللذين آنسا سهري، وحولا وحشة ليلي بروحيهما إلى إشراقة نهار ربيعي جميل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني، ووفقني إلى إتمام هذا البحث منذ أن كان مجرد فكرة في الذهن إلى أن اكتمل (واستوى على سوقه) .

وأتقدم بأسنى آيات الشكر والإمتنان إلى كل من مد لي يد العون للقيام بهذا البحث سواء بالمصادر والمراجع، أو بالطباعة والإخراج، أو بالتوجيهات والملاحظات، وأخص بالذكر أستاذي فضيلة الدكتور إسماعيل يحيى رضوان الذي حباني بتوجيهاته القيمة، وخصني بالكثير من وقته الثمين.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى السيد المحترم جرموني عبيد الذي أفادني بقسط كبير من مؤلفات الغزالي.

وإلى القائمين على مكتب الخوارزمي للإعلام الآلي بسكيكدة الذين سهروا وثابروا حتى أخرجوا البحث في هذه الحلة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهدي الله فلا مضل لـــه، ومـــن يضلل فلن تجد له هاديا مرشدا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمـــد -صلى الله عليه وسلم- وبعد:

تحتوي اللغة العربية على عدد محدود من الحروف، تشكل منها كلمات وألفـاظ محـدودة أيضا، ويقابل هذا العدد المحدود من الألفاظ والكلمات كم هائل من المعاني لا حدود ولا نهايـــة له، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى اشتراك عدة معان في لفظ واحد، وعُبر عن المعاني المختلفـــة بجملة واحدة، ولبيان المعاني المرادة من الألفاظ والجمل استعمل العرب القرائن التي تمنع عن اللفظ بعض المعاني، وتثبت بعضها الآخر، كما قسموا التعبير تبعا لذلك إلـــى تعبـير حقيقـي يستعمل اللفظ بأصل معناه الذي وضع له، وآخر مجازي، يعبر باللفظ عن معنى آخر لم يوضع له أصلا، وإنما يعبر عنه بقرينة معيِّنة. فيقول العرب مثلا: حلب فلان الدهرَ أشطرَه أي مـرت عليه صروفه من خيره وشره، والحقيقة أن الدّهر ليس له أشطر، ولا يحلب، وأصله من أخلاف الناقة، ولها شطران، قادمان وآخران، وكل خلفين شطر (1)، ويقولون أيضا لمن رفع صوته "قد رفع عقيرته"، وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخـرى، وصـرخ بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته: قد رفع عقيرته، والعقيرة: الساق المقطوعة (2). ومثال هذا كثير في لسان العرب، ولتمييز المعنى المراد من اللفظ ينظر فإن استقام المعنى بأصل وضعـه فهو أولى، ويكون بذلك اللفظ، قد عبر عن معناه تعبيرا حقيقيا، وإن لم يستقم له ذلك صُرف إلى معنى آخر من معانيه المحتملة، ويتم اختيار المعنى المراد بطريق القرينة أيضا، ونقـول بـأن اللفظ عبر عن هذا المعنى تعبيرا مجازيا، والعملية التي تضم صرف اللفظ عن معناه الحقيقـي إلى معنى آخر مجازي، لقرينة تسمى تأويلا، واللفظ الذي يحتمل معنى واحدا فهو محكـم أمـا الذي يحتمل أكثر من معنى فهو متشابه، والتأويل متعلق بالآخر منهما.

ونصوص الوحي من قرآن وسنة لا تختلف عما اتسمت به ألفاظ وتعابير اللغة العربية من اشتمالها على معان حقيقية وأخرى مجازية، ففي القرآن الكريم والسنة الشريفة ألفاظ وتعـــابير

---

[1] - أدب الكاتب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم تحقيق محمد الدالي -مؤسسة الرسالة بيروت -الطبعة الثانية 1985 ص50.

[2] - أدب الكاتب -المرجع السابق- ص 53.

تحتمل أكثر من معنى، وفيهما ألفاظ أخرى لا تستقيم معانيها بأصل وضعها، وبتعبير قرآني فإن القرآن يحتوي على المحكم وعلى المتشابه بنص قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) (1)، ومن أمثلة النصوص المتشابهة في القرآن الكريم قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (2)، فلفظ القرء يُحمل على الطهر كما يُحمل على الحيض، وتختلف المدة التي تتربصها المرأة باختلاف المعنيين في الآية، ومن المتشابه كذلك صفات الله تعالى التي يوهم ظاهرها بالتشبيه كوصفه تعالى بأن له يدا ووجها واعينا، وقد وقع خلاف شديد بين المفكرين المسلمين بشأن تأويل هذه الصفات والألفاظ. كما توجد في السنة ألفاظ متشابهة كأوصاف القيامة والجنة والنار، وأحوال الناس في اليوم الآخر، وعلى الجملة فإن أكثر العلماء المسلمين يقرون باشتمال القرآن والسنة على المتشابه وعلى المجاز.

وعلى الرغم من وجود المتشابه في نصوص الوحي، فإن الخلاف بشأنه كان هينا في صدر الإسلام فكان الصحابة والتابعون يقرأون هذه النصوص ويمرونها كما جاءت دونما سؤال عنها، ذلك أن النصوص المتشابهة المتعلقة بأفعال المكلفين كالألفاظ المشتركة والمجازات كانوا يفهمون معانيها المرادة دونما اختلاف بينهم، وذلك لمعرفتهم الجيدة باللغة العربية وأساليبها، ولمعرفتهم لأسباب التنزيل ومناسباته وحكمه وأسراره، وأما النصوص المتشابهة الأخرى التي لا تتعلق بها أفعال المكلفين كأوصاف القيامة وصفات ربنا عز وجل، فما كانوا – رضي الله عنهم– يهدرون أوقاتهم الثمينة في أمور لم يكلفوا بفهمها ولا البحث فيها، فكانوا رجال جد وأفعال لا رجال جدل وأقوال، بل إنهم كانوا ينهون عن الخوض في هذه الأمور، بل وصل الأمر بعمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى أن ضرب "صبيغا" ونفاه من المدينة لأنه كان يسأل عن بعض متشابه القرآن، ومع هذه الصرامة في التعامل مع النصوص المتشابهة فلا ننفي أنه كانت هناك اختلافات بسيطة تقع هنا وهناك، ولم يكن لها أثر يذكر.

وقد تحول الاختلاف إلى خلاف في زمن الفتنة، وبدأت آثاره الفعلية والعملية تبرز وذلك إثر خروج الحرورية وكلامهم في قضية التحكيم، ثم اتسع الخلاف بعد ذلك بعد ظهور الفرق السياسية والكلامية، فكما كان لكل فرقة مقاتلوها، كان لها مفكرون ومتكلمون أيضا مهمتهم الوحيدة الجدل والكلام والدفاع عن معتقدات الفرقة، وكانت الوسيلة المستعملة بالإضافة إلى الوضع في الحديث لدى بعض الفرق تأويل النصوص القرآنية والسنية بما يتفق مع أقوالهم

1- آل عمران: 07.

2- البقرة: 226.

ومبادئهم، وانقسم بسبب هذه التطورات علماء السنة والجماعة إلى فريقين، فريق اهتم بالسنة وكانت مهمته تنقيتها من الأحاديث الموضوعة والمنحولة، وهم علماء الحديث، وظهر على أيديهم علم مصطلح الحديث، وفريق اهتم بمعاني النصوص سواء كانت قرآنية أو سنية، وعمل على حملها على المعاني الحقيقية المرادة لها وهم علماء الكلام. وإذا كانت مهمة رجال الحديث وعلمائه قد انتهت مبكرا بتدوين السنة ووضع علم مصطلح الحديث، فإن مهمة علماء الكلام كانت شاقة فعلا، ذلك أن تأويل النصوص كان من الجميع، من الفرق السياسية والكلامية، والمذاهب الفقهية، ومن الأفراد، ووقع الخلاف الشديد بين علماء هذه الفرق والمذاهب حتى وصل إلى حد التكفير، وقد وصف الغزالي حال الفرق بقوله "فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما أنه كذب الرسول -صلى الله عليه وسلم- في إثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعما أنه مشبه، وكذب الرسول في أنه "ليس كمثله شيء" والأشعري يكفر المعتزلي زاعما أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات تكثير للقدماء، وتكذيب للرسول في التوحيد (1).

والفرق التي ذكرها الغزالي في هذه الكلمة إنما هي مجرد نموذج لأسباب اختلاف الفرق، ذلك أن الفرق التي خاضت في التأويل أكثر من ذلك بكثير، فلأهل السنة بمذاهبهم الفقهية المعروفة تأويلات، وللأشاعرة تأويلات، وللخوارج والشيعة بفرقهم المختلفة تأويلات، وللفلاسفة تأويلات، وللصوفية تأويلات أيضا، وكل فريق يدعي أن تأويله وفهمه هو الصواب، ولا يمكن لأحد أن يجمع بين هذه الآراء المختلفة مالم يكن مطلعا على أسرار كل مذهب، ومبادئ كل فرقة.

وقد اجتمع في الإمام الغزالي من الصفات التي تؤهله للحكم على تلك التأويلات ما لم يجتمع لغيره وذلك لسعة اطلاعه، وتشعب تخصصاته، فهو فقيه مع الفقهاء، ألف في الفقه وعرف ما فيه، وأصولي مع الأصوليين، وكتبه في الأصول من المراجع المعتمدة، ومتكلم مع المتكلمين وله في الكلام كتب كثيرة، كما كتب الغزالي في الفلسفة، ومارس التصوف، واطلع جيدا على أفكار الفرق المنحرفة كالباطنية وشرح معتقداتهم ورد عليها، وفي هذه الدراسة المتواضعة سنحاول جاهدين إبراز مواقف الفرق الإسلامية من النصوص المتشابهة، وأسباب سلوكها لتأويلاتها المختلفة، كما نبين موقف الغزالي من تلك التأويلات وكيف حكم عليها، وما

1- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة -أبو حامد الغزالي -تحقيق الدكتور سليمان دنيا -الطبعة الأولى 1381هـ، 1961م -دار إحياء الكتب العربية ص175

هو الصواب في نظـــره، وكيف كانت نظرة المتأخرين للغزالي كما نشير إلى مواقف حديثه من التأويل ونبين علاقتها بتأويلات الفرق السياسية والكلامية السابقة، كما نوضح علاقة التأويل بما يحدث داخل بعض البلاد الإسلامية من فتن واضطرابات.

وقد دفعني إلى البحث في هذا الموضوع "التأويل عند الغزالي" سببان رئيسيان، أولهمـــا: الفهم السيء أو الخطأ لنصوص الوحي من طرف جهات رسمية في البلاد الإسلامية، وجهـــات أخرى تمثل الثقافة وتبحث في الشؤون الإسلامية، فالبلاد الإسلامية في مجملها تحكمها حكومات أهملت الكثير جدا من تعاليم الإسلام خصوصا في المعاملات، وهي في نفـــس الوقـــت تدعـــي احترامها للإسلام، وإذا تعرضت لبعض النصوص أولتها تأويلا غير صحيح، بل وصل الأمـــر إلى تأويل المحكمات، وكتاب "الإسلام السياسي" لمؤلفه سيد عشماوي طافح بتلـــك التـــأويلات، وهي مبنية على أساس أن الإسلام عقيدة فحسب وأما الشريعة والتشريع فهي للنـــاس يضعونـــه حسب ما يرونه مصلحة، وما ورد فيه إنما هو متعلق بالإسلام في صدره الأول فهذا هو السبب الأول الذي دفعني إلى اخـــتيار موضوع التأويل، وأما السبب الثاني وهو الـــذي دفعنـــي إلـــى اختيار التأويل عند الغزالي فهو راجع إلى ما كتبه الغزالي عن التأويل، فهو لم يكتف -كما فعل غيره- ببيان بعض النصوص المتشابهة وتأويلها أو الرد على الفـــرق المنحرفـــة، بـــل درس التأويل دراسة متخصصة تقوم على بيان معناه، ووضع شروطه، وضوابطه وأهدافه، وخصـــه بكتاب خاص هو "قانون التأويل"، كما درسه بتوسع في "إلجام العوام عن علم الكلام" و"فيصـــل التفرقة بين الإسلام والزندقة" و"الاقتصاد في الاعتقاد"، وفي كتب أخرى له، وفوق هذا كله فلا تخلو مؤلفات الغزالي من تأويلات وردود على مختلف الفرق.

وتبعا لما قدمناه فإن هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق مجموعة من الأهداف نوجزهـــا فيمـــا يلي:

1- معرفة مدى اشتمال القرآن الكريم على المتشابه والمجاز، فقد أثير خلاف شـــديد ولا يزال حول هذه القضية، حيث ذهب بعض الباحثين إلى أن القرآن كله محكم لا مجاز فيه، فكـــل ألفاظه تعبر عن معانيها الأصلية، بينما ذهب فريق آخر إلى أن القرآن يشـــتمل علـــى المحكـــم وعلى المتشابه والمجاز وتولد عن اختلافهما في المحكم والمتشابه، اختلاف في حكم التأويل.

2- تعرفنا هذه الدراسة بحكم التأويل، ومدى الحاجة إليه فـــي فهـــم بعـــض النصـــوص المتشابهة ويكون ذلك بضرب بعض الأمثلة لنصوص أدركت بالتأويل.

3- تكشف هذه الدراسة عن الحجج التي بنت عليها الفرق المنحرفة، وأصحاب الأهواء قديما وحديثا -آراءها ومبادئها، وتفضح نواياهم وأهدافهم الحقيقية.

4- ونعالج في هذه الدراسة قضية الكفر والتكفير ونبين علاقة التأويل بكل ذلك.

5-كما تهدف هذه الدراسة إلى فتح نافذة على فترة قصيرة من التاريخ الإسلامي، كانت فيها الفرق في أوج نشاطها الفكري، ومن خلالها سنتعرف على أوضاع الأمة في تلك الفترة، وأبرز رجالها علماء وحكاما ومنحرفين، كما تعرفنا هذه الدراسة بكيفية تعامل الغزالي الذي كان من أبرز العلماء مع تأويلات الفرق المختلفة.

وقد عملنا على تحقيق هذه الأهداف بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة أبواب رئيسية، وقد عالجنا في الباب الأول الذي قسمناه إلى فصلين، الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في عصر الغزالي وذلك حتى نعرف الإطار العام لحياة الغزالي، ثم تناولنا بعد ذلك بالتفصيل حياة الغزالي بمراحلها المختلفة وتعرضنا إلى أهم المؤثرات التي رسمت تقاسيم شخصيته، كما تعرضنا إلى آرائه في بعض المسائل، وبينا رأي المتأخرين فيه وفي مؤلفاته، وقسمناهم إلى مادحين وقادحين، وبينا وجه الحق والعدل في كل ذلك، كما أبرزنا في هذا الباب مؤلفات الغزالي وآراء بعض العلماء فيها، والحقيقة أن هذا الباب كان تمهيدا يفسر ما يصدر عن الغزالي من أقوال وآراء بشأن التأويل، والفرق التي خاضت فيه.

وأما الباب الثاني فقد خصصناه لدراسة التأويل بصفة عامة، وفيه بينا دواعي وجود التأويل، وهو انقسام نصوص الوحي إلى محكم ومتشابه، فعرفنا كليهما وأعطينا نماذج لورودهما في النصوص، وعرفنا التأويل، وبينا آراء بعض العلماء فيه، وختمنا هذا الباب بمواقف الفرق الإسلامية من التأويل، وفيه تناولنا أولا موقف أهل السنة بسلفهم وخلفهم، ومواقف الفرق الأخرى من معتزلة وباطنية وشيعة وفلاسفة ومتصوفة، وغرضنا من ذلك معرفة المدرسة التي ينتمي إليها الغزالي في تأويله وآرائه.

وختمنا الدراسة بباب ثالث وهو الأساس بينا فيه التأويل عند الغزالي بعد أن بيناه بصفة عامة، وكشفنا فيه عن موقف الإمام الغزالي من المتشابه والتأويل وكذا موقفه من تأويلات سابقيه، واتضح لنا أن الإمام يوافق أهل السنة، ويدعو إلى مذهب السلف على وجه الخصوص، ثم ختمنا هذا الباب بدراسة في تأويلات الغزالي، بينا من خلالها منهجه في التأويل ورأينا أنه يستعمل طرقا مختلفة في تأويلاته لا يحيد عنها، كما تعرضنا لبعض تأويلات

الغزالي وفيها بينا موقفه من صفات الذات المقدسة، وصفات الفعل، وبعض الصفات الخبرية، وتبين لنا أن الإمام لم يلتزم بأقوال السلف الداعية إلى عدم الخوض في المتشابه، بل إنه قد خاض فيه وأول كما أول غيره للضرورة التي عرفها عصره، من كثرة التأويلات المغرضة للنصوص، من طرف بعض الفرق وأصحاب الأهواء.

وأما خاتمة البحث فقد خصصناها لنتائج هذه الدراسة التي أوجزناها في أربع نقاط أساسية أتبعت ببعض التوصيات عن التأويل عموما، وعن فكر الغزالي خصوصا.

وقد اعتمدنا في دراستنا لهذه المواضيع على عدة مجموعات من المصادر والمراجع نلخصها فيما يلي:

أ- المصادر والمراجع التاريخية، وكتب التراجم، وقد استفدنا منها خصوصا في الباب الأول وذلك في الترجمة للإمام الغزالي، والتأريخ لعصره وبيئته، ويزيد عددها على خمس وأربعين كتابا منها كتاب المنتظم لابن الجوزي، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.

ب-المصادر السنية المتمثلة في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم مثل الصحاح الستة، وسنن الدارمي ومسند الامام أحمد ومعاجم الطبراني وغيرها. واستفدنا منها في تخريجنا للأحاديث والآثار والأخبار.

ج-مؤلفات الغزالي وقد اعتمدنا عليها في الترجمة له كما هو الشأن في المنقذ، وكذلك في استجلاء بعض أقواله وآرائه وتأويلاته، والجمع بينها، ثم استخراج القاعدة التي يسير عليها والمنهج الذي يتبعه في تأويله، ومن ضمن المؤلفات الغزالية الكثيرة استطعنا الحصول على 43كتابا استفدنا منها بالإشارة أو بالعبارة في هذه الدراسة وهذه المؤلفات هي:
1- الحكمة في مخلوقات الله 2- معراج السالكين 3- روضة الطالبين وعمدة السالكين 4- قواعد العقائد في التوحيد 5- خلاصة التصانيف في التصوف 6- القسطاس المستقيم 7- منهاج العارفين 8- الرسالة اللدنية 9- فيصل التفرقة 10- رسالة أيها الولد
11 - مشكاة الأنوار 12- رسالة الطير 13- الرسالة الوعظية 14- إلجام العوام 15- المضنون به على غير أهله 16- المضنون الصغير 17- بداية الهداية 18- الأدب في الدين 19- كيمياء السعادة 20- القواعد العشرة 21- الكشف والتبيين 22- سر العالمين 23- الذرة الفاخرة 24- المنقذ من الضلال 25- المواعظ في الأحاديث القدسية 26- قانون التأويل 27- الاقتصاد في الاعتقاد 28- تهافت الفلاسفة 29- الفصول في الأسئلة وأجوبتها 30- رسالة التوحيد

31- ميزان العمل 32 - المقصد الأسنى 33- منهاج العابدين 34- جواهر القرآن 35- كتاب الأربعين 36- معارج القدس 37- مكاشفة القلوب 38- المستصفى 39- معيار العلم 40- المنخول 41-إحياء علوم الدين 42 - الإملاء على إشكالات الإحياء 43 - فضائح الباطنية.

د-مصادر ومراجع مختلفة مثل القواميس اللغوية، وكتب التفسير وكتب شرح السنة، وكتب حديثة اهتمت بدراسة الغزالي وفكره مثل كتاب الغزالي ليوحنا قمير، وكتاب الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي لزكريا بشير إمام وكتاب الفيلسوف الغزالي لعبد الأمير الأعسم، والأخلاق عند الغزالي لزكي مبارك، وكتاب أبو حامد الغزالي، دراسات في فكره وعصره وتأثيره، وهو يتضمن مجموعة من البحوث والمقالات المختلفة حول الإمام الغزالي، وكذا بعض التعليقات والمقدمات لكتب الغزالي مثل مقدمات سليمان دنيا لفيصل التفرقة وغيره.

وقد اعترضنا في دراستنا وقيامنا بهذا البحث جملة من الصعوبات بعضها يتعلق بالبحث ذاته من حيث المراجع والموضوع، وبعضها يتعلق بظروفنا الخاصة.

أما الصعوبات المتعلقة بالبحث، فبالنسبة لمؤلفات الغزالي الكثيرة والتي تعتبر الأساس في دراسته لم نتمكن من الحصول سوى على أقل من نصفها، وهو عدد غير كاف لإصدار حكم صحيح جازم على تأويلات الغزالي وأفكاره، ثم إن المراجع التي ذكرته قديما وحديثا اختلفت في تقويم فكره إلى درجة التناقض بين مقدس معظم، وبين مكفر مقزم، وهذا ما جعلنا نبحث في الأسباب التي دفعت هؤلاء الباحثين إلى ما ذهبوا إليه، والموازنة بينها بدقة، واستخلاص الحق والعدل من بين تلك الأحكام المضطربة. وأما موضوع التأويل عند الغزالي ففي صعوبته وجهان: أولهما أن التأويل موضوع واسع جدا واختلافات العلماء حوله لا تنتهي، وثانيهما أن الغزالي ليس كغيره من العلماء الذين يملكون رأيا واحدا في المسألة فالغزالي قد يعطي ثلاثة أقوال في القضية الواحدة تبعا لأحوال المخاطبين حتى رماه البعض بالتناقض، ومنه كان لازما علينا أن نبحث عن طبيعة قوله في كل مسألة ومعرفة مراده منها.

وأما الصعوبات المتعلقة بظروفنا الخاصة فذلك راجع إلى مهنتي غير المستقرة التي حرمتني من ارتياد بعض المكتبات، وأجبرتني على القراءة في الثلث الأخير من الليل.

ونعتقد أن ما بذلناه من جهد في سبيل الكشف عن التأويل عند الإمام الغزالي، وعند غيره من الفرق الإسلامية قديما وحديثا لا يخلو من فائدة، وإن كنا على يقين أن ما توصلنا إليه ليس هو النهاية في البحث، وأن البحث ما يزال في حاجة إلى إضافات على ضوء ما يجد من دراسات حول الإمام الغزالي، وما يصلنا من كتب أخرى له، كما نعتقد أن ما قدمناه لا يخلو من خطإ وتقصير، ونأمل من كل من يقف عليها إرشادنا إلى الصواب وإلى الأحسن خدمة للحق

والعدل والعلم.

ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا، ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

سكيكدة في 12 ذي الحجة 1420هـ

الموافق ل 18مارس 2000.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الأول
عصر الغزالي وحياته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : عصر الغزالي

المبحث الأول : الحياة السياسية والاجتماعية

كان المشرق الإسلامي في عصر الغزالي في غاية الفوضى والاضطراب بسبب ازدواج الخلافة، وضعف الخلفاء أمام نفوذ السلاطين والملوك والأمراء، فلم يكن للخلفاء إلا السلطة الدينية والروحية، وأما تسيير شؤون الدولة وتكوين الجيوش وفتح البلدان، فذلك إنما كان من اختصاص السلاطين والملوك وحتى الأمراء وقد كان الصراع حادا بين الخلافة الفاطمية في مصر والخلافة العباسة في بغداد، وكل خليفة يسعى إلى إفشال الطرف الآخر إما عن طريق التشكيك في أهليته للخلافة، وإما عن طريق الحروب والدسائس، وتشجيع الفتن والثورات، كما كان كل واحد يسعى إلى تحقيق فتوح في أراضي الطرف الأخر، ومما يدل على ذلك التنافس والصراع على الخلافة ما فعله القادر[1] في سنة 402هـ حيث أصدر محضرا رسميا موقعا بأسماء كبار الفقهاء والقضاة، وبعض زعماء الشيعة، مثل الشاعر العلوي الشريف الرضي[2]، وأخيه المرتضى [3] يطعن فيه في نسب الخليفة الفاطمي، ومما جاء في هذا المحضر:(...والفاطميون منسوبون إلى ديصان بن سعيد[4] الخرّمي إخوان الكافرين ... أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، وأن ذلك باطل وزور... وأن هذا الناجم بمصر، الملقب بالحاكم[5] -حكم الله عليه بالبوار والخزي – هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس

---

[1] القادر بالله أمير المؤمنين، أعاد للخلافة العباسة هيبتها بعد أن طمع فيها الديلم والأتراك، كان حليما، كريما، حسن الاعتقاد صنف في إعتقاده كتابا على مذهب أهل السنة، توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر، ودامت خلافته إحدى وأربعين سنة – الكامل في التاريخ لابن الأثيردار الكتاب العربي بيروت– الطبعة الخامسة 1985. ج 7 ص 354.

[2] – هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد الشريف الرضي أبو الحسن العلوي ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، فكان نقيب الطالبيين ببغداد، حفظ القرآن، وعرف من الفقه والفرائض طرفا قويا،كان عالما فاضلا، وشاعرا مترسلا عفيفا، عالي الهمة متدينا، جوادا سخيا، وهو من نسل علي بن أبي طالب توفي سنة ست وأربعمائة.
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا–مصطفى عبد القادر عطا – راجعه وحققه نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج 17 ص 125.

[3] – علي بن الحسين بن موسى بن محمد، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، كان يلقب بالمرتضى، وكان يقول الشعر الحسن ويميل إلى الاعتزال ويظهر مذهب الإمامية، وله تصانيف على مذهب الشيعة، توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم– لابن الجوزي– –المرجع السابق– ج 15 ص 294.

[4] –ديصان بن سعيد هو والد ميمون القداح أحد مؤسسي الباطنية،وسيأتي ذكره .
– الفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي –دار المعرفة بيروت– لبنان ص 282.

[5] – المستنصر : أبو تميم معد بن أبي الحسن العلوي، صاحب مصر والشام، دامت خلافته ستين سنةوأربعة أشهر، توفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة وعمره سبعا وستين سنة.
– الكامل في التاريخ – المرجع السابق– ج 8 ص 172

الأنجاس، كفار، فساق فجار زنادقة [1]، ولما ولي القائم[2] (422-467هـ) أصدر في سنة 444هـ محضرا آخر ضد الفاطميين يتضمن نفس المطاعن التي أثارها أبوه من قبل[3]، كما شجع المستنصر الفاطمي ثورة البساسيري[4] وأمده بالمال، وأرسل إليه أحد دعاته، فكان الذي وصل من المستنصر إلى البساسيري من المال خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوف ومن الرماح والنشاب شيء كثير[5] . واستولى البساسيري على بغداد سنة 450هـ بعد استيلائه على الموصل، وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي، وخطب في الجمعة من وصوله بجامع الرصافة له أيضا، وأذن بحي على خير العمل، وجرى بينه وبين جند القائم حروب في أثناء الأسبوع، وكان العامة قد مالوا إلى البساسيري، أما الشيعة فللمذهب، وأما السنة فلما فعله بهم الأتراك، ثم سار البساسيري إلى واسط والبصرة فملكهما، وأخرج الخليفة القائم من بغداد، وكان قد استذم بقريش بن بدران[6] على نفسه وأهله وأصحابه وبقي الخليفة بعيدا عن بغداد مدة سنة كاملة[7] وذلك حتى عام 451هـ حين قضى السلطان طغرلبك[8] على ثورة البساسيري وقتله. ولم يكن هذا الذل من نصيب الخليفة القائم وحده، فبعد سنوات قليلة من ثورة البساسيري نال المستنصر نفس الذل وذلك عندما وقعت الفتنة والحرب في بلاده بين العبيد والأتراك، وتمكن ناصر الدولة ابن

1- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ج 4 ص 229 -230

2- هو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أبو العباس أحمد بن الأمير اسحاق بن المقتدر بالله، تولى الخلافة العباسية من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة إلى سنة سبع وستين وأربعمائة وداست أربعا وأربعين سنة، توفي عن ست وسبعين سنة.
- الكامل في التاريخ - -المرجع السابق- ج 8 ص 120.

3- في التاريخ العباسي والفاطمي للدكتور أحمد مختار العبادي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت طبعة 1971 ص 352

4- أبو الحارث أرسلان البساسيري، كان رأس الأتراك البغدادية، وكان يتحكم على القائم بأمر الله إلى أن خرج عليه، ينتسب إلى بلدة بفارس يقال لها بسا وبالعربية فسا، قتله طغرل بك سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.
- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - مؤسسة الكتب الثقافية -دار الجنان بيروت الطبعة الأولى 1988 ج 1 ص 346

5- -النجوم الزاهرة - -المرجع السابق- ج 5 ص 11

6- أبو المعالي قريش بن بدران بن المقلد صاحب الموصل ونصيبين، أصابه خروج الدم من فمه وأنفه وعينيه وأذنيه فتوفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .
- الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج 8 ص 91

7- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت مجلد 6 ج 12 ص 79

8- هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق، كان عاقلا حليما، محافظا على الصلوات يصوم الإثنين والخميس، كما كان مظلوما مغشوما، فكان عسكره يغصبون أموال الناس ليلا ونهارا، توفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وهو مؤسس الدولة السلجوقية.
- الكامل في التاريخ -المرجع السابق ج 8 ص 95

حمدان[1] من بسط سيطرته على مصر، وراسل الخليفة القائم في الخطبة له، وأذل المستنصر وأتباعه، حتى اجتمع بعض قادة الأتراك واغتالوه، وهذا بعد أن كان قد قطع الميرة [2] على مصر برا وبحرا[3] ونشير إلى أن البساسيري كان في وقت مضى من أنصار وأتباع الخليفة القائم، كما أن ناصر الدولة ابن حمدان كان هو الآخر من أنصار المستنصر، وخروجهما عنهما يدل على أن موالاتهما السابقة لهما إنما كانت قائمة على المصالح لا على الاقتناع بأحقية الخلافة، وفي سنة 469هـ حاصر اقسيس[4] ملك الرملة مصر بعد استيلائه على دمشق وبيت المقدس، وخطب للخليفة القائم ،وتكررت الحروب بينهما في مناطق التماس وخصوصا في دمشق وحلب، وفلسطين، وبيت المقدس، وكانت الخطبة لأحدهما مرهونة بقوته ونفوذه. ففي سنة 462هـ قطعت الخطبة في مكة للمصري وجعلت للقائم و لألب أرسلان[5](455-465هـ)، وفي سنة 479هـ قطعت الخطبة في الحرمين للمصري وجعلت للمقتدي[6] (467-487هـ). وهذه الحروب والصراعات بينهما أدت إلى إنهاك أوصال الدولة الإسلامية كلها، فوقفت عاجزة أمام هجومات الصليبيين فيما بعد، وكانت الفرقة وسوء الحال وعدم الغيرة على الدين أمرا ظاهرا غير خاف على أحد حتى أنه في سنة 504هـ ورد رسول ملك الروم إلى السلطان يستنفره على الفرنج ويستحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد، فلم يفعل، فورد أهل حلب بعد ذلك على السلطان يقولون له : أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام حتى قد أرسل إليك في جهادهم[7]. وهذه الأوضاع السياسية الأليمة قد ألقت بظلالها على الأوضاع الاجتماعية والمعيشية للناس، فوقعت عدة مجاعات بسبب الحروب، كما حدث في مصر عندما حاصرها

---

[1]- هو أبو علي الحسن بن حمدان من الأتراك الذين أقاموا بدولة المستنصر في مصر قاد الأتراك في حربهم مع العبيد، حاصر مصر، وأذل المستنصر وأرسل إلى الخليفة العباسي ليخطب باسمه قتل سنة خمس وستين وأربعمائة.
- الكامل في التاريخ-المرجع السابق ج 8 ص 115

[2]- الميرة = الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار أهله من باب باع.
- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي. -دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر الطبعة الرابعة 1990 ص 405

[3]-الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج 8 ص 116-117

[4]- الإقسيس، هكذا يذكر اسمه الشاميون، والصحيح - كما قال ابن الأثير - أتسز بن أوق الخوارزمي، وهو اسم تركي، كان من أمراء السلطان ملكشاه استولى على الرملة ودمشق، وحاول الاستيلاء على مصر لكنه انهزم سنة تسع وستين وأربعمائة، وكان ملكا ظالما.
- الكامل في التاريخ -لابن الأثير - المرجع نفسه ج 8 ص 110

[5]-هو محمد بن داود تغري بك بن ميكائيل بن سلجوق لقب بسلطان العالم لاتساع ملكه، كان رحيم القلب، رفيقا بالفقراء قتل سنة خمس وستين وأربعمائة، دام ملكه أربع عشرة سنة.
- الكامل في التاريخ-المرجع نفسه-ج 8 ص 113

[6]- هو المقتدي بأمر الله عبد الله محمد بن الذخيرة (ذخيرة الدين) بن القائم بأمر الله، تولى الخلافة بين سنتي سبع وستين وسبع وثمانين وأربعمائة، توفي وعمره ثمان وثلاثون سنة.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع نفسه - ج 8 ص 170

[7]- الكامل في التاريخ -المرجع نفسه-ج 8 ص 262

ناصر الدولة بن حمدان، وقطع عنها الميرة برا وبحرا فمات الكثير من الناس جوعا حتى كان يموت أهل البيت كلهم في ليلة واحدة[1]، ولما خرّب عسكر السلطان سنجر [2] وأخوه محمد[3] ما قد روا عليه من البلاد في دامغان (قرب جرجان)عمّ الغلاء حتى أكل الناس الميتة و الكلاب وأكلوا بعضهم بعضا[4]. كما أن هذه الاهتمامات الخاصة من الخلفاء والسلاطين قد أنستهم واجب الإصلاح الاجتماعي الذي جاء به الإسلام، وأصبحت للفتوحات معنى أخر، بحيث أصبحت تقام في أرض الإسلام، وكان كل واحد يعتبر استيلاءه على ما في يد أخيه فتحا، كما كثر الفساد، وعادت بعض العادات الجاهلية كالغارة والأخذ بالثأر، كما حدث في سنة 486هـ حيث نهب أمير مكة بعض الحجيج وقتل منهم خلقا كثيرا[5]، وفي عام 499هـ وقعت حرب بين قبيلتي عبادة وخفاجة بسبب الأخذ بالثأر ووقع فيها قتلى وجرحى وسبي وغنائم وغير ذلك[6]. بل لقد وصلت الكراهية بين الدولتين إلى أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الإفسيس إلى مصر وحصرها خافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين[7] ولتصوير الأوضاع السياسية والاجتماعية بأوضح صورة، حتى نأخذ فكرة صحيحة جيدة عن ملامح العصر يحسن بنا أن نتناول أوضاع كل دولة على حدة.

---

[1]- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- ج 8 ص 116-117

[2]- أبو الحارث سنجر بن ملكشاه، سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، سمي سنجر لولادته بظاهر مدينة سنجار، خطب له بالعراقين وأذربيجان وأرمينيا والشام والحرمين، وضربت السكة باسمه في الخافقين، ولد سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وتوفي في سنة اثنين وخمسين وخمسمائة.
وفيات الأعيان لابن خلكان- دار صادر بيروت-تحقيق إحسان عباس ج 2 ص 427-428

[3]- أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، الملقب غياث الدين كان على خلاف مع اخيه بركياروق ولما مات صفت له الدنيا توفي سنة إحدى عشرة وخمسمائة بأصبهان وعمره 37سبع وثلاثون سنة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج 5 ص 71-72-73

[4]- الكامل في التاريخ المرجع السابق ج 8 ص 197

[5]- الكامل في التاريخ المرجع نفسه - ج 8 ص 92

[6]- الكامل في التاريخ -المرجع نفسه- ج 8 ص 231

[7]- الكامل في التاريخ - المرجع نفسه - ج 8 ص 186

1- الدولة الفاطمية في مصر :

عاصر الغزالي خليفتين فاطميين هما المستنصر (428-487هـ) والمستعلي[1] (487هـ) وقد استمر حكم المستنصر ستين سنة، وهي مدة طويلة لم يلبثها حاكم في الإسلام قبله ولا بعده، والدولة الفاطمية كانت قوية، وذلك حين كان الخلفاء هم المسيطرون والمتولون كل شؤون الدولة، وفي أواسط حكم المستنصر تغير الأمر وأصبح الحكم الفعلي للوزراء، بحيث أصبح الخليفة يفوض إلى الوزير جميع أمور الدولة لتصريف شؤونها بينما يبقى هو كالمحجور عليه، كما حدث سنة 467هـ حين تولى أمير الجيوش بدر الجمالي[2] الوزارة، وعلى هذا الأساس قسم المؤرخون هذه الدولة إلى عهد الخلفاء ثم عصر الوزراء، فبعد أن كانت الوزارة وزارة تنفيذ أصبحت وزارة تفويض[3] وفي عهد المستنصر شهدت هذه الدولة اقتطاع أجزاء واسعة من أطرافها، فقد انفصلت تونس من طرف المعز بن باديس[4] سنة 438 هـ، وانتزع السلاجقة القدس وفلسطين ودمشق من سيادتها سنة 469 هـ، أما حالة مصر الداخلية فكانت في غاية الارتباك والاضطراب فالجيش الفاطمي كان متكونا من عدة أجناس وطوائف، كالمغاربة والأتراك والسودان ثم الأرمن، وكانت المنازعات قائمة بينهم، كما حدث بين السود والترك في عهد المستنصر حيث كانت أم المستنصر السوداء تعطف على السود وتمدهم سرا بالمال والسلاح[5] ولم يستطع الخليفة إخماد هذه الفتنة التي انتصر فيها الترك وأخرج السود إلى جنوب مصر، إلا بعد استنجاده بحاكم دمشق الأرمني بدر الجمالي وجنوده الأرمن[6] وهذه الفتن والاضطرابات التي شهدتها مصر أدت إلى عدم الاستقرار السياسي، كما أدت إلى وقوع مجاعات كبيرة، فعندما حاصر ناصر الدولة بن حمدان مصر قطع الميرة عنها برا وبحرا فبقيت

---

[1]- هو المستعلي بالله العلوي، الخليفة المصري، ولد سنة سبع وستين وأربعمائة ودامت خلافته سبع سنين وكان الأمير لدولته الأفضل، توفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة.
- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- ج 8 ص 205

[2]- هو أمير مصر، نفى عن مصر والقاهرة كل من وقعت عليه سيماء العلم بعد أن قتل خلقا كثيرا من العلماء، وحمل الناس على أن يكبروا خمسا على الجنائز، وأن يسدلوا أيمانهم في الصلاة، وأن يختموا في الأذان وأن يثوبوا في صلاة الفجر "حي على خير العمل" وحبس أقواما رووا فضائل الصحابة.
- المنتظم - المرجع السابق- ج 16 ص 241-242

[3]- في التاريخ العباسي والفاطمي تأليف الدكتور أحمد مختار العبادي - المرجع السابق - ص272 - 273.

[4]- هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري صاحب إفريقيا وما والاها من بلاد المغرب، لقبه الحاكم صاحب مصر بشرق الدولة، حمل أهل المغرب على التمسك بمذهب مالك، وحسم مادة الخلاف في المذهب، قطع الخطبة للمستنصر وخطب للقائم بأمر الله خليفة بغداد، ولد سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، وتوفي بالقيروان سنة أربع وخمسين وأربعمائة رحمه
- وفيات الأعيان -المرجع السابق ج 5 ص 233 -234.

[5]- في التاريخ العباسي والفاطمي - -المرجع السابق- ص 301 .

[6]- في التاريخ العباسي والفاطمي- المرجع نفسه -ص 268.

المواصلات مقطوعة لكثرة قطاع الطرق من البدو والجنود، كما أن الحرب الأهلية بين الأتراك والعبيد أدت إلى موت كثير من الفلاحين أو فرارهم فتعطلت الزراعة، ووقعت مجاعة كبرى استمرت لمدة سبع سنوات من سنة 457هـ إلى 464هـ فحدث الغلاء الذي ما عهد بمثله منذ زمان يوسف -عليه السلام- حتى أكل الناس بعضهم بعضا، حتى قيل : أنه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا، وحتى إن المستنصر بقي بركب وحده وخواصه ليس لهم دواب يركبونها، وإذا مشوا سقطوا من الجوع... وفي سنة 460هـ نزحت أم المستنصر وبناته إلى بغداد خوفا من أن يمتن جوعا[1] ويصورلنا صاحب كتاب " النجوم الزاهرة " بالتفصيل حالة مصر أثناء هذه المجاعة فيقول: ... فإنه مات أكثر أهل مصر، وأكل بعضهم بعضا، وظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان والنساء وأكل لحومهم، وباعها بعد أن طبخها، وأكلت الدواب بأسرها، فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة، وبيع الكلب بخمسة دنانير، والسنور بثلاثة دنانير، ونزل الوزير أبو المكارم[2]، وزير المستنصر على باب القصر عن بغلته وليس معها إلا غلام واحد، فجاء ثلاثة وأخذوا البغلة منه ولم يقدر الغلام على منعهم لضعفه من الجوع فذبحوها وأكلوها وصلبوا، فأصبح الناس فلم يروا إلا عظامهم أكل الناس في تلك الليلة لحومهم، ودخل رجل الحمام، فقال له الحمامي من تريد أن يخدمك سعد الدولة أو عز الدولة أو فخر الدولة؟ فقال له الرجل : أتهزء بي ؟ فقال له : لا والله، انظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام لكونهم باعوا جميع موجودهم في الغلاء واحتاجوا إلى الخدمة... وباع المستنصر حتى ثياب جواريه وتخوت المهود، وكان الجند يأخذون ذلك بأقل ثمن، وباع رجل دارا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق، وبيعت البيضة بدينار، والأردب القمح بمائة دينار في الأول ثم عدم وجود القمح أصلا، وكان السودان يقفون في الأزقة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها، واجتازت امرأة بزقاق القناديل بمصر وكانت سمينة، فعلقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها، فخرجت من الدار واستغاثت، فجاء الوالي فكبس الدار فأخرج منها الوفا من القتلى، وقتل السودان واحتاج المستنصر في هذا الغلاء حتى أنه أرسل فأخذ قناديل الفضة والستور من مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام، وخرجت امرأة من القاهرة في هذا الغلاء ومعها

1- النجوم الزاهرة -المرجع السابق- ج5 ص 2.

2- هو الشريف بن أسعد وزير الوزراء

مد جوهر فقالت : من يأخذ هذا ويعطيني عوضه دقيقا أو قمحا ؟ فلم يلتفت إليها أحد، فألقته في الطريق وقالت : هذا ما ينفعني وقت حاجتي فلا حاجة لي به بعد اليوم، فلم يلتفت إليه أحد وهو مبدد في الطريق[1] . ولم نورد هذه القصص عن مجاعة مصر قصد التهويل والطرافة، وإنما هي حقائق عرفها الناس في ذلك العصر وعاشوها، ولم تكن تلك المجاعات مقصورة على مصر وحدها، فقد مست المجاعة مناطق أخرى ومنها حاضرة الخلافة العباسية بغداد سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال ابن الجوزي واصفا لها : في العشر الأخير من المحرم، بلغت الكارة الدقيق تسعة دنانير... وأكلت الكلاب والميتات، ومات من الجوع في كل يوم خلق كثير، وشوهدت امرأة معها فخذ كلب حيث قد اخضر وجاف وهي تنهشه، ورمي من سطح طائر ميت فاجتمع عليه خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه، ورؤي رجل قد شوي صبية في أتون فأكلها فقتل، وسدت أبواب دور مات أهلها وكان الانسان يمشي في الطريق فلا يرى إلا الواحد بعد الواحد[2]، وبغض النظر عن هذه التفاصيل ومدى صحة حدوثها كما وردت فإن مؤدّى هذه القصص يفيد أن المجاعات كانت متفشية والحاجة إلى الغذاء كانت ماسة. ولما وقعت هذه المجاعة أي مجاعة مصر دخل ابن الفضل[3] على القائم بأمر الله العباسي ببغداد، وأنشده في معنى الغلاء الذي شمل مصر قصيدة منها :

و قد علم المصري أن جنوده ۞ سنو يوسف منها وطاعون عمواس

أحاطت به حتى اشراب بنفسه ۞ وأوجس منها خيفة أي إيجاس[4]

و هذه الأبيات تدل على التشفي بما وقع لأهل مصر، وهي تدل في مجملها على أن الروابط الإسلامية في ذلك الوقت كانت واهية أو منعدمة، وإذا قارنا موقف المسلمين في هذه المجاعة بموقف الصحابة والمسلمين عموما في مجاعة عهد عمر بن الخطاب، نعرف مدى البون الشاسع بين إسلام وسياسة هؤلاء وإسلام وسياسة أولئك.

---

[1]- النجوم الزاهرة -المرجع السابق -ج 5 ص 15، 16، 17

[2]- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم -المرجع السابق -ج 16 ص 50

[3]- هو علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب المعروف بصرّ در الشاعر لقب أبوه صرّ بمر لشحه، ولقب هو صرّ در لجودة شعره، توفي سنة خمس وستين وأربعمائة.

- تاريخ ابن الوردي لزين الدين عمر بن الوردي إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي -دار المعرفة -بيروت لبنان-الطبعة الأولى 1970 ج1 ص 367

- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- ج 8 ص 108

2- الدولة العباسية :

لم يكن حال الخلافة العباسية في بغداد أحسن حالا من الخلافة الفاطمية في هذا العصر، فقد عمت الفوضى والاضطربات، والفتن، ولم يكن للخلفاء العباسيين أمام سلاطين بني بويه ثم السلاجقة من الأمر شيئ سوى الخطبة لهم، وكذا السلطة الدينية، بحيث كان السلاطين يفتحون البلدان بقواتهم ثم يطلبون من الخلفاء تفويضا بالحكم لإضفاء الشرعية الدينية على حكمهم، ولم يكن للخليفة بد من الموافقة، ومما يدل على مكانة الخليفة أمام السلطان ما وقع للخليفة، القائم عام 450 حين استنجد بقريش بن بدران لما دخل البساسيري بغداد، ثم أخرج منها وبقي بعيدا عن خلافته مدة سنة كاملة، ولم يستطع الرجوع إلا تحت حماية السلطان طغرلبك الذي قضى على ثورة البساسيري، ولما خطب السلطان طغرلبك ابنة الخليفة انزعج الخليفة من ذلك ولم تكن له سلطة الرفض، وإنما طلب الاستعفاء فإن أعفاه السلطان وإلا تمم على أن يحمل السلطان 300 ألف دينار، وبسلم واسطا وأعمالها[1]، والحقيقة أن الأمثلة التي تدل على تضاءل مكانة الخليفة الفعلية والواقعية أمام السلطان كثيرة. ونشير هنا إلى أن الخلافة العباسية في هذا العصر قد عايشت دولتين مختلفتين، الأولى هي دولة بني بويه الشيعيّة، وقد كانت العلاقة بينهم وبين الخليفة وعامة الشعب وهم سنيون سيئة للغاية، بسبب اختلاف المذهب، بل لقد فكر بعض سلاطين بني بويه في القضاء نهائيا على الخلافة العباسية، ومبايعة الفاطميين لولا أن خاف من انقلاب ذلك الفعل على سلطانه بالسوء، وأما على الصعيد الخارجي فلم تكن العلاقة بين الخلافتين في بغداد ومصر سيئة جدا، إذ لم تقع بينهما صدامات بسبب التفاهم بين الخليفة الفاطمي وسلاطين بني بويه، وفي عام 447هـ ظهرت دولة السلاجقة، وقضت على الملك الرحيم آخر سلاطين بني بويه [2] وقد كان التفاهم قائما بين هؤلاء السلاطين والخلفاء وعامة الشعب لأن الجميع كانوا سنيين، بيد أن هذا التفاهم لم يحقق من الاستقرار شيئا، فقد كانت الثورات والفتن تملأ البلاد رعبا وأهوالا، وأدى ذلك إلى عموم البؤس الاجتماعي، ووقوع مجاعات وكوارث، وفي عهد القائم بأمر الله ازدادت الحالة سوءا وأصبح النهب والغصب جهارا، حتى كانت العمائم تخطف عن الرؤوس، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر الطباع

---

[1]- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- ج 8 ص 92

[2]- الكامل في التاريخ - المرجع نفسه - ج 8 ص 92

وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة[1]. وكانت سلطنة بني سلجوق في بداية أمرها قوية وذلك في عهد طغرليك وألب أرسلان وملكشاه[2]، بحيث فتحت بلادا جديدة في آسيا الصغرى، وانتصرت على ملك الروم في معركة ملاز كرد سنة 463 هـ[3]، بل أصبحت القسطنطينية مهددة بخطر احتلالها، وبعد موت ملكشاه وقعت خلافات وحروب بين أفراد البيت السلجوقي، وعلى رأسهم السلطان محمد وأخيه السلطان بركياروق[4] فبدأ أفول هذه السلطنة التي كانت تمتد من بلاد الصين إلى سواحل الشام شرقا وغربا، ومن بلاد القوقاز إلى اليمن شمالا وجنوبا. والمتأمل في الحالة والأوضاع الداخلية للدولة العباسية يجد أنها لم تكد تنعم بالاستقرار والسلم عاما واحدا بسبب كثرة الحروب والفتن، وقد أثر ذلك على قدرات الدولة فلم تستغل كامل طاقاتها أحسن استغلال، وأدت تلك الفتن بالإضافة إلى ما لحق الدولة من جوائح وكوارث طبيعية إلى وقوع مجاعات وبؤس إجتماعي عام، ففي عام 467هـ وقع حريق مهول في بغداد، احترق من السوق فيها مائة وثمانون دكانا سوى الدور، ثم وقعت النار في أماكن أخرى منها دار الخليفة [5] وفي سنة 482هـ كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير[6] وفي سنة 487هـ وقعت بالشام زلازل كثيرة متتابعة، وفي سنة 492هـ وقع بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات، ودام سنتين، وكان سببه أن البرد أهلك الزروع جميعها، ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم [7] وفي سنة 493 هـ إرتفعت الأسعار ببغداد وانقطعت الأمطار ويبست الأنهار وكثر الموت، حتى عجزوا عن دفن الموتى، فحمل في بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد وعدمت الأدوية والعقاقير[8] ولما خرّب عسكر السلطان سنجر وأخيه محمد ما قدروا عليه من البلاد في دامغان

---

[1]- الكامل في التاريخ - المرجع السابق- ج 8 ص 79

[2]- ملكشاه أحد سلاطين السلاجقة، ولد عام سبع وأربعين وأربعمائة، وتوفي عام سبع وثمانين وأربعمائة هـ، وكان من أحسن الناس صورة خطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن .
- الكامل في التاريخ- المرجع نفسه - ج 8 ص 163

[3]- الكامل في التاريخ-المرجع نفسه -ج 8 ص 109

[4]- بركياروق بن ملكشاه لميز حكمه باضطراب الأحوال، مات بمرض السل والبواسير سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وعمره خمس وعشرون سنة -
- الكامل في التاريخ- المرجع نفسه -ج 8 ص 223-224

[5]- الكامل في التاريخ لابن الأثير-المرجع نفسه- ج 8 ص 121

[6]- الكامل في التاريخ - المرجع نفسه -ج 8 ص 150

[7]- الكامل في التاريخ - المرجع نفسه -ج 8 ص 192

[8]-الكامل في التاريخ -المرجع نفسه -ج 8 ص 125

قرب جرجان عمّ الغلاء حتى أكل الناس الميتة والكلاب، وأكلوا بعضهم بعضا[1]، وبعد هذه الفتن والمحن وما تبعها من آثار سيئة فإن الأمة ابتليت بابتلاء آخر أشد وأخطر وهو ظهور الباطنية[2] أو طائفة الحشاشين الذين زرعوا الرعب في البلاد، وأكثروا من الاغتيالات حتى أصبح من تخلف عن داره أقام عليه أهله العزاء، فحذر الناس بعضهم بعضا من الانفراد وقد طالت أيديهم عددا من رجال الدولة فضلا عن عامة الناس، وبالجملة فإن الأوضاع السياسية والاجتماعية للدولة الإسلامية في هذا العصر كانت مناسبة لدخول الصليبيين، واستيلائهم على بيت المقدس سنة 492هـ.

1- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- ج 8 ص 197

2- باطنية هم الاسماعيلية، وكانوا قديما يسمون قرامطة، وفي الباب الثاني يوجد كلام مفصل حول هذه الطائفة.

3- الكامل في التاريخ - المرجع نفسه - ج 8 ص 200

المبحث الثاني : الحياة الفكرية والثقافية

لقد عاش الغزالي في عصر كان من أبرز خصائصه صراع الأفكار وتنافس المذاهب والحروب العقائدية، ويعود ذلك إلى اتساع العالم الإسلامي، واحتوائه على طوائف متعددة، وشعور هذه الطوائف بنوع من الحرية في ظل الفوضى السياسية التي كانت سائدة آنذاك، بفعل تعدد الخلافة من جهة والعداوة القائمة بين القاهرة وبغداد من جهة أخرى، وكذلك الحروب الداخلية بين السلاطين والملوك والأمراء، وخصوصا أواخر الدولة السلجوقية، فالصراع الفكري والتنافس المذهبي كان قائما وبشدة، بين المذاهب السنية وغيرها من المذاهب، وكذا بين المذاهب السنية فيما بينها، خصوصا مع الحنابلة الذين كانت خلافاتهم لا تكاد تنتهي مع بقية المذاهب السنية خصوصا الشافعية، بل وصل ذلك الصراع إلى التقاتل في أكثر من مرة، فقد ذكر ابن الجوزي أن في شوال من سنة 470هـ وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية، وحمي لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلا وجرح آخرون[1]، وفي سنة 475هـ وقعت فتنة أخرى في بغداد بين الشافعية والحنابلة حيث ورد إلى بغداد الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب فوعظ بالمدرسة النظامية، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول : " وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا "[2] والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا، ثم أنه قصد دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني[3] في شهر القلانين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة، وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى[4] فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ، فيشنع به عليهم وجرى له منهم فتن وخصومات[5]. ومما زاد في تغذية الصراع بين الحنابلة وبين غيرهم هو الإسراف في تأويل بعض المتشابهات، حيث كان بعض الحنابلة ببغداد يؤولون الاستواء بالقعود، حتى وقعت بسبب ذلك فتنة بينهم وبين

1- الكامل في التاريخ -المرجع السابق -(الهامش) ج 8 ص 125

2- البقرة 101

3- هو قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغاني ولي القضاء ببغداد مدة وكانت ولادته بالدامغان سنة أربعمائة، ووفاته في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .
- الأنساب للسمعاني - المرجع السابق - ج 2 ص 446

4- أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن أحمد بن الفراء، فقيه فاضل مناظر من أصحاب أحمد بن حنبل، من بغداد،و له تصانيف درّس وأفتى، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وكانت ولادته سنة ثمانين وثلاثمائة.
- الأنساب - المرجع نفسه - ج 4 ص 351-352

5- الكامل في التاريخ - -المرجع السابق- ج8 ص 131

القشيري[1]، وقتال مات فيه قوم وذلك حين عقد القشيري مجلسا للذكر، وقرأ القارئ "الرحمن على العرش إستوى" [2]، فقام الحنابلة وقالوا بأرفع صوت قاعد قاعد، فثار إليهم أهل السنة من أصحاب القشيري والحاضرين ووقع ما وقع وعزوا ذلك التأويل إلى الإمام أحمد[3]، قال ابن العربي[4] واصفا حال الحنابلة في ذلك الوقت : "وأخبرني من أثق به في مشيختي أن أبا يعلي محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة ببغداد كان يقول : " إذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذه الظواهر في صفاته، يقول ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة، وأنتهى بهم القول إلى أن يقولوا : إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه فإنه ليس بعينه، إلا أن الله منزه على الآفات قديم لا أول له، لا يفنى، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- إن الله خلق آدم على صورته [5] وفي رواية :"على صورة الرحمن"، وهي صحيحة فله الوجه بعينه لا ننفيه ولا نتأوله إلى محالات لا يرضى عنها ذو نهى وذكر ابن العربي أن لهذه الطائفة رؤوسا بالشام (دمشق) وبيت المقدس بنواحي نابلس وبديار مصر قال: ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن يعلى الفراء، وكل منهم ذو أتباع من العوام[6] وفي عهد السلطان طغرلبك ابتلى الشافعية بفتنة شديدة من طرف الوزير عميد الملك[7] الذي كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان طغرلبك في لعن الرافضة على منابر خراسان، فأذن في ذلك فأمر بلعنهم، وأضاف إليهم الأشعرية، فأنف من ذلك أئمة خراسان، ومنهم القشيري والجويني وغيرهما ففارقوا خراسان إلى أن انقضت دولة هذا الوزير فلما جاءت

---

[1] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد ابو القسم القشيري النيسابوري ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة، قدم بغداد وحدث بها، وكان حبس الموعظة، يعرف الاصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي كان في علم الفروسية واستعمال السلاح وما يتعلق به من أفراد العصر، أخذ التصوف من أبي علي الدقاق توفي سنة خمس وستين وأربعمائة

- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي- دار الكتاب العربي بيروت لبنان -الطبعة الثالثة 1984 ص 287

[2] - طه : 04

[3] - آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية للدكتور عمار الطالبي-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة الثانية 1981 ج2 ص 282، والكامل في التاريخ -المرجع السابق ج 8 ص 124

[4] -أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف ابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة رحل إلى المشرق مع أبيه فحج وزار بغداد والإسكندرية، والتقى بجماعة من العلماء من آثاره عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

- وفيات الأعيان -المرجع السابق ج 4 ص 296-297

[5] - ورد هذا الحديث بعدة روايات، وسيأتي تخريجه وشرحه لاحقا

[6] - آراء أبي بكر بن العربي الكلامية -المرجع السابق- ج 2 ص 283-284

[7] - هو منصور بن محمد بن الكندري أبو نصر، قبض عليه السلطان ألب أرسلان سنة ست وخمسين وأربعمائة، وأخذ ماله واعتقله.

- المنتظم -المرجع السابق- ج16 ص 86

الدولة النظامية أحضر نظام الملك من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن إليهم[1]، ثم أصبح للشافعية بعد ذلك الظهور على سائر المذاهب، بفعل ظهورهم في مناظراتهم، وتدريسهم في المدرستين النظاميتين اللتين أنشئتا من أجل نصرة المذهب السني ضد المذهب الشيعي خصوصا ولم تكن هذه الفتن التي أشرنا إليها خاصة بالحنابلة، فقد امتدت إلى فئات أخرى، كما حدث في سنة 488 هـ حيث وقعت الفتنة بنيسابور، بين الكرامية [2] وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة حيث اتفقت الشافعية مع الحنفية على الكرامية، وكان الظفر لهما عليها -أي على الكرامية- فخربت مدارسهم وقتل الكثير منهم[3]. ولعل الشيئ الذي زاد في حدة التوتر والخلافات بين هذه المذاهب هو تدخل العوام في المناقشات، وحضورهم القوي في المناظرات، وذلك من شأنه أن ينقل الصراع من الأفكار إلى الأطراف والسيوف، بل لقد كانت للعوام كلمتهم وخطرهم، فقد يكفرون بأدنى شبهة تحصل لهم، ويقاتلون على ذلك، وهذا مادفع ببعض العلماء إلى كتمان بعض أفكارهم، ولم يبوحوا بها إلا إلى صنف خاص من تلاميذهم، أو يودعوها في ثنايا بعض كتبهم بأسلوب يسمو عن إدراك العامة، كما فعل الغزالي الذي قال متمثلا بقول علي زين العابدين بن الحسين:

إني لأكتم من علمي جواهره ❁ كي لا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا

و قد تقدم في هذا أبو حسن ❁ إلى الحسين ووصى قبله الحسنا

يارب جوهر علم لو أبوح به ❁ لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا

و لا استحل رجال مسلمون دمي ❁ يرون أقبح ما يأتونه حسنا[4]

قال ابن العربي : ولقد أخبرني غير واحد عن أبي حامد بن أبي طاهر الإسفراييني[5] أنه خرج يوما على أصحابه مسرورا فسألوه، فقال : ناظرت اليوم عاميا فظهرت عليه، فقيل له وأنت تظهر على الأيمة فكيف تفرح بالظهور على العوام؟ فقال : العالم يرده علمه، وعقله

1- الكامل في التاريخ المرجع السابق- ج8 ص 97

2- فرقة تنتسب إلى زعيمها محمد بن كرّام الذي دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه.
- الفرق بين الفرق- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي - المرجع السابق- ص 215-216 .

3- الكامل في التاريخ -المرجع السابق -ج 8 ص 177-178

4- منهاج العابدين للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي -مكتبة الجندي 1994 ص 2.

5- أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الفقيه الإسفراييني، قدم بغداد وهو حدث فدرس فقه الشافعي وأقام ببغداد مشغولا بالعلم حتى صار أوحد وقته، وإنتهت إليه الرياسة، ذكر أنه كان يحضر درسه سبعمائة متفقه، ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ومات سنة ست وأربعمائة
6 - الأنساب- المرجع السابق- ج 1 ص 144، 145

ودينه، والعامي لا برده فهم، ولا يردعه دين، فغلبته نهزة وتاذرة[1].و الإمام الغزالي عندما ألف كتابه إلجام العوام عن علم الكلام، لم يكن بعيدا عما يحدث، ولا جاهلا به، بل لعل هذه الاحداث هي الدافعة إلى تأليف الكتاب.

و بالإضافة إلى المذاهب السنية المعروفة فقد كان مذهب الاعتزال متفشيا بالعراق وبخراسان، حتى قال ابن العربي : وما رؤي قط بخراسان ولا بالعراق حنفي إلا معتزليا، أو كراميا، خلا ما وراء النهر فإنهم إلى منقطع المعمور سنية على أوفى طريقة في الحق[2]. وكذلك مذاهب القدرية والشيعة، والأفكار الفلسفية الممتزجة بعقائد وثنية شديدة الانتشار، وكان التكفير منتشرا بين المذاهب السنية فضلا عن غيرها، وقد وصف الإمام الغزالي ذلك بقوله : فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما أنه كذب الرسول-صلى الله عليه وسلم-في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعما أنه مشبه، وكذب الرسول في أنه ليس كمثله شيئ، والأشعري يكفر المعتزلي زاعما أنه كذب الرسول-صلى الله عليه وسلم-في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات تكثير للقدماء، وتكذيب للرسول في التوحيد[3]. ومن أعظم البلاء في هذا العصر وبالضبط في عهد ملكشاه هو ظهور وانتشار دعوة الباطنية حيث عقدوا أول اجتماع لهم بعد صلاتهم صلاة العيد في ساوة [4]، ثم بدأوا بعد ذلك في التحصن والاغتيالات، فزرعوا الرعب والهلع في البلاد طولا وعرضا، حتى أصبح من تخلف عن داره أقام عليه أهله العزاء فحذر الناس بعضهم بعضا من الانفراد[5].

أما على المستوى الرسمي، فإن كلا من الخليفتين العباسي والفاطمي كان يسعى إلى توطيد حكمه وذلك إنما يتأتى ويتيسر بانتشار المذهب، ومن هنا كان الاهتمام بالعلماء والدعاة، فقد بنى الوزير نظام الملك المدرستين النظاميتين في بغداد ونيسابور، وأكثر من الإنفاق على المدارس فلما لامه ملكشاه على ذلك قال: أنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل،

---

[1]- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - المرجع السابق- ج 2 ص 285

[2]- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية -المرجع نفسه-ج 2 ص 287

[3]- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة لأبي حامد الغزالي-تحقيق الدكتور سليمان دنيا-الطبعة الأولى 1381ه- 1961م دار إحياء الكتب العربية ص 175

[4]- ساوة مدينة بين الري وهمذان، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخا.
- معجم البلدان لياقوت الحموي -تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. -دار الكتب العلمية -بيروت -الطبعة الأولى 1990 ج 3 ص 201

[5]- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- ج 8 ص 200

إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدي ربهم، فأرسلوا دموعهم، واطلقوا ألسنتهم ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك، فإنك وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون[1]. وعتاب ملكشاه لوزيره هذا لا يعني أنه لم يكن مهتما بتنشيط الحياة الفكرية والثقافية بل لقد شجع العلم ونشر الحضارة، وحفر الترع، وأقام الجسور، وحصن المدن كما ولع بالفلك وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية، وفي سنة 467هـ أسس المرصد وعين فيه جملة من أعيان المنجمين[2]، وفي هذا العصر نظمت ونشطت المناظرات التي كانت تقام بالمدارس النظامية أو في محاضر السلطان والوزراء وحتى الخليفة، وكان العلماء يُختارون للتدريس وقد يُكلفون بالتأليف أو الرد على الخصوم، كما طلب الخليفة من الغزالي أن يؤلف كتابا يرد فيه على الباطنية، فألف كتاب المستظهري، ونظرا لاتساع الدولة، فقد ازدهرت كل العلوم من فقه وتصوف، وتفسير، وأصول، وعلم الكلام، وكذا علم الفلك، وحتى المنطق والفلسفة، والكيمياء والهندسة والطب، وشهد هذا العصر نبوغ علماء كثيرين في شتى أنواع العلوم ابتداءً من إمامنا الغزالي وشيخه الإمام الجويني صاحب البرهان، وأبو اسحاق الشيرازي[3] والفرّاء الحنبلي، وابو بكر بن العربي، وأبو بكر الشاشي[4] والخطيب البغدادي [5] صاحب الإبانة، وابن سينا، والفارمدي، والمقدسي[6]، كما شهد بروز أفكار جديدة

---

[1] - الغزالي ليوحنا قمير ضمن سلسلة فلاسفة العرب -دار المشرق بيروت 1983- ص08.

[2] - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن -دار الجيل بيروت -مكتبة النهضة المصرية القاهرة -الطبعة الثالثة عشر 1991ج 4 ص 31.

[3] - أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، سكن بغداد وسمع الحديث بها، درس بالمدرسة النظامية ببغداد وهو شافعي في الفقه أشعري في الكلام، من آثاره كتاب المهذب، والتنبيه (في المذهب) والنكت (في الخلاف) واللمع (في أصول الفقه) توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة
- تبيين كذب المفتري -المرجع السابق ص 276-277-278.

[4] - الشاشي هو محمد بن أحمد بن الحسين، تفقه على الشيخ أبي اسحاق الشيرازي وغيره وكان معيدا له وولي التدريس بالمدرسة النظامية وغيرها ببغداد، وإليه انتهت الرياسة لأصحاب الشافعي ببغداد له تصانيف كثيرة حسنة توفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة.
- تبيين كذب المفتري -المرجع نفسه ص 306-307.

[5] - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، كان أحد الأعيان معرفة وإتقانا وحفظا وضبطا لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و تفننا في علله وأسانيده...و لم يكن للبغداديين بعد الدار قطني من يجري مجراه، من آثاره تاريخ بغداد، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة.
- تبيين كذب المفتري -المرجع نفسه- ص268 - 269-270.

[6] - أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي، تفقه بصور، رحل في طلب العلم ودرس ببيت المقدس وفي غيره، قال بعض أهل العلم ممن صحب الجويني وأبي اسحاق الشيرازي بأن طريقته في التدريس أحسن من طريقتيهما توفي سنة تسعين وأربعمائة بدمشق، و لم يقدر على دفنه من الظهر حتى قربا من المغرب لكثرة الناس.
- تبيين كذب المفتري -المرجع السابق- ص 286-287.

كان لها أثر كبير في العالم الإسلامي، ففيه ظهر الحسن ابن الصبّاح[1]، ودعا إلى الباطنية كما شهد ميلاد دولة الموحدين على يد تلميذ الغزالي المهدي ابن تومرت[2] .

و في مصر الفاطمية اهتم المستنصر بنشر مذهبه القائم على التشيع و الرفض و السب، وعلم الدعاة، وبثهم في البلاد. وخلاصة القول أن الحياة الفكرية في عصر الغزالي كانت نشطة متنوعة، ولكنها لم تكن موجهة توجيها سليما يخدم الدين و الدولة، ويتجلى نشاطها في تلك المناظرات و المخاصمات المذهبية، وتشجيع الحكم للمناظرات، وحضور الناس بقوة فيها، وأما تنوعها فهو يتجلى في مختلف العلوم التي كانت سائدة، فبالإضافة إلى المذاهب الفقهية

و اختلافاتها، كانت المذاهب الكلامية في أوج نشاطها، وكانت تنافسها بعض الأفكار و الآراء الفلسفية المبنية على الفلسفة اليونانية بوثنيتها، وكان يُستدل بها في العقائد أيضا، وكان يُنظر إلى بعض أصحابها على أنهم الصفوة، ومن جهة أخرى فقد كانت بعض العادات و الأفكار المنحرفة الوافدة من بلاد فارس وديانتها القديمة أو من جهة أخرى كالهند تطبع بعض الاتجاهات والأفكار، خصوصا المذاهب الصوفية التي تقول بالاتحاد و الحلول و الوحدة و الفناء، فكثيرها كان يغرف من البوذية و البرهمية وغيرها، ومن جهة ثالثة فإن الأفكار الباطنية كانت تنتشر بسرعة فائقة، بحيث تمكنت هذه الطائفة المنحرفة من الانتشار و التقوّي في وقت وجيز، ولم تنفع ردود العلماء في أول الأمر، حتى طلب الخليفة من الغزالي الرّد عليهم، ففعل ذلك في خمس كتب، منها المستظهري، و القسطاس المستقيم، و المنقذ من الضلال، وبالإضافة إلى هذا كله فإن الثقافة المسيحية و اليهودية كانت هي الأخرى تنشط وتتحرك في سكون خصوصا في بلاد الشام وهي التي مهدت لقدوم الصليبيين، ولم تكن هذه النشاطات الفكرية و الثقافية موجهة لأنها لم تأت بالثمار التي كان يمكن أن تؤتيها والتي تعود على الدولة الإسلامية بالخير، ولو أحسن استغلال ذلك النشاط لما وقع ما وقع للمسلمين ولو تظافرت جهود الحكام مع جهود العلماء في القضاء

---

[1] -كان زعيما للباطنية وأصله من مرو، كان كاتبا في صباه، ثم سار إلى مصر وتلقى من دعاتهم المذهب وعاد داعية للقوم، وكان لا يدعو إلا غبيا لا يفرق بين يمينه وشماله، استطاع أن يقنع أتباعه حتى أطاعوه طاعة عمياء، قال لشاب معه أقتل نفسك ففعل، وقال لآخر ألق نفسك من القلعة ففعل فتمزق، أدعى أن عنده من أمثالهم عشرون ألف.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم -المرجع السابق- ج 17 ص 63-64

[2] -أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي المرغي صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب وكان ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، نشأ بالمغرب ثم رحل إلى المشرق فحج واجتمع بالغزالي والطرطوشي وغيرهما كان مقبلا على العبادة فصيحا شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع ولد سنة خمس وثمانين وأربعمائة وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة هجرية.
وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج 5 ص 45

على الأفكار والعادات المنحرفة سواء عند الصوفية أو عند الفرق الأخرى، واهتموا بتوحيد الصفوف، ونشر الإسلام الصحيح، لما فكر الصليبيون في غزوهم، ولو فعلوا لسقطوا على أم رأسهم، خصوصا أن الصليبيين في أول حملة لهم، كانوا يتساقطون من الجوع، وكانت الفرقة سائدة بينهم، ومع ذلك فقد وصلوا ونجحوا في الدخول وإلحاق الهزائم بالمسلمين.

و بالجملة فإن الغزالي قد نشأ وعاش في وسط مضطرب كله يبعث على الحيرة والشك، بسبب كثرة المذاهب، وتضارب الأفكار، واختلاف الأدلة، وكل منها يدعي التفرد بالصواب عن غيره، ولكل دليله، وكان من المناسب لباحث متعطش لدرك الحقائق كما هي لا كما يصورها الدعاة والخصوم أن يمر بمرحلة شك في جميعها قبل أن يستقر على إحداها وذلك ما فعله الغزالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : ببليوغرافيا(1) حياة الغزالي

لم يحظ عالم من علماء الإسلام بالدراسة والترجمة له كما حظي الإمام الغزالي، ولم يات ذلك عرضا وصدفة، وإنما جاء نتيجة أسباب ومميزات ميزت الغزالي عن غيره، وأول تلك المميزات معرفته الموسوعية المتنوعة، بحيث أنه لم يترك فنا من العلم إلا ولج فيه، وادلى فيه بدلوه، فهو فقيه مع الفقهاء ألف في الفقه الوجيز والوسيط والخلاصة، وأصولي مع الأصوليين حيث كتب المنخول والمستصفى، ومفسر مع المفسرين، وهو صاحب كتاب جواهر القرآن، ومتكلم مع المتكلمين حيث كتب إلجام العوام وقواعد العقائد، والاقتصاد في الاعتقاد، وهو أيضا فيلسوف كبير هدم قواعد الفلسفة اليونانية، وكتب في الفلسفة كتاب مقاصد الفلاسفة، ثم تهافت الفلاسفة، وهو منطقي كذلك من خلال كتابه محك النظر ومعيار العلم، وهو كذلك من شيوخ الصوفية البارزين، فهو الذي هذب الكثير من أفكارهم، والتمس تبريرات وتفسيرات لأقوال لهم كان لها خطر كبير في العقيدة، وفي التصوف كتب مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، وكذا كتاب معارج القدس، وبالإضافة إلى هذا فهو صاحب كتاب إحياء علوم الدين الذي أحدث ضجة في العالم الإسلامي، وانقسم فيه الناس فريقين، فريق يقول : كاد الإحياء أن يكون قرآنا، وفريق يكفر صاحبه ويحرق كتابه، كما أن الغزالي تميز بردوده القوية القائمة على الحجج والبراهين التي يسلم بها الخصوم، فقد " رد على الباطنية في كتابه المستظهري والقسطاس المستقيم، وهو الذي رد على الفلاسفة، وأوقف زحف الفلسفة لعدة قرون، حتى قال وول ديورانت : ولما توفي سنة ١١١١م كانت موجة الإلحاد قد ردت على أعقابها، واطمأنت جميع قلوب المؤمنين المتمسكين بالدين بل إن رجال الدين المسيحيين أنفسهم قد أثلج صدورهم ما وجدوه في كتبه، بعد أن ترجمت إلى اللغات الأجنبية من دفاع حار عن الدين وعرض بليغ لقواعد التقى والصلاح لم يروا له نظيرا بعد أيام أوغسطين، واختفت الفلسفة منذ أيامه" (2) ولهذا كله فليس عجيبا أن نجد ذكره وترجمته في كتب الفلاسفة وفي كتب

---

1 - كلمة ببليوغرافيا مأخوذة عن اللغة اليونانية القديمة، وكانت تعني كتابة الكتب، وبعد عام واحد وستين وسبعمائة وألف، أصبحت تطلق على من يؤلف أو ينسخ الكتب، وفي عام ثلاث وستين وسبعمائة والف، اصبحت تطلق على الكتابات التي تصف الكتب وهي لا تزال تستعمل بهذا المعنى أي وصف الكتب أي أنها تعني إعداد قوائم الكتب ومعرفة مؤلفيها وموضوعاتها

- المرشد في كتابة الأبحاث تأليف الدكتور حلمي محمد فودة والدكتور عبد الرحمن صالح عبد الله دار الشروق--الطبعة الرابعة 1983 ص 119-120.

2-قصة الحضارة وول ديورانت -دار الجيل بيروت ج 13 ص 364-365.

المتكلمين و الأصوليين، وفي الكتب الدارسة للتصوف وغير ذلك من الفنون، ونحن إذا استقرأنا كل الكتب التي تحدثت عن الغزالي أو أشارت إليه فإننا لا نستطيع الإحاطة بجميعها وذلك لكثرتها، وفقدان بعضها، كما أن ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة، وإنما سوف نتحدث وباختصار غير مخل عن الكتب التي اهتمت بترجمته ودراسته بصفة أساسية، وأول تلك الكتب، كتاب الغزالي نفسه، المنقذ من الضلال وهو كتاب أساسي في معرفة مراحل حياته الفكرية، وفهم الأزمات الفكرية التي مر بها مثل الشك والعزلة، ولا يمكن لأي دارس أن يستغني عن هذا الكتاب إذا أراد أن يعطي صورة مشرقة عن أهم جوانب حياة الغزالي، وهي حياته الفكرية، وعن أهمية هذا الكتاب مع التهافت والإحياء. يقول الدكتور عبد الحليم محمود : " ولو لم يؤلف الإمام الغزالي غيرها، لبقي هو الغزالي العملاق والصوفي والفيلسوف بطابعه وسماته وشخصيته لا ينقص شيئا... ولكنه لو لم يؤلفها لما كان هو الإمام الغزالي صاحب الأثر الخالد على الدهر "[1] وبعد وفاة الإمام الغزالي، كان أول من ترجم له خطيب نيسابور عبد الغفار الفارسي[2] (ت 529هـ) في كتابه "السياق لتاريخ نيسابور"، وهذا الكتاب ضائع ولا وجود له اليوم فيما نعلم، وما تبقى منه هو ما نقله ابن عساكر الدمشقي[3] وعنه نقل باقي المترجمين له، وبعد خطيب نيسابور نجد تلميذ الغزالي أبو بكر بن العربي الذي ترجم لشيخه في مواضع متفرقة من كتابه " العواصم من القواصم "، وفيه تحدث ابن العربي عن بعض أفكار الإمام وإنجازاته الفكرية، وبعض أحواله الخاصة، وفيه ناقش بعض الأفكار التي طرحها أستاذه، وخالفه في بعضها، وبعد ابن العربي ترجم له ابن عساكر (ت 571 هـ) في كتابيه تبيين كذب المفتري، وتاريخ دمشق، وفيها نقل كما أسلفنا عن عبد الغفار الفارسي، ثم جاء أبو الفرج ابن الجوزي[4]، وترجم له في كتابه المنتظم، ونشير هنا إلى أن ابن الجوزي قد تعرض لنقد الغزالي في كتابه تلبيس إبليس، وفي كتابه إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء وعلى الرغم من ذلك فقد كان

---

[1] - جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي -منشورات دار الآفاق الجديدة -بيروت الطبعة الرابعة 1979، المقدمة ص 23.

[2] - هو أبو الحسن عبد الغفار بن اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي الحافظ ولد سنة إحدى وخمسين وأربعمائة قرأ القرآن الكريم وتفقه على إمام الحرمين، وهو سبط القشيري، خرج من نيسابور إلى خوارزم، وغزنة والهند، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابة بها من آثاره: السياق لتاريخ نيسابور، توفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة
- وفيات الأعيان -المرجع السابق -ج3 ص 225.

[3] - هو الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر الدمشقي الملقب ثقة الدين، كان محدث الشام في وقته ومن أعيان الفقهاء الشافعية، رحل وطوّف، وكان حافظا ديناً، من آثاره التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلدة ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وتوفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.
- وفيات الأعيان- المرجع نفسه- مجلد 3 ص 309-310-311.

[4] - أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد ينتهي نسبه الى أبي بكر الصديق كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ من آثاره زاد المسير في علم التفسير والمنتظم، توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة،
- وفيات الأعيان -المرجع السابق ج3 ص 140-141-142.

معجبا به إلى درجة شرحه لكتاب الإحياء، وبعده جاء ياقوت الحموي (ت626 هـ)[1] وترجم له في كتابه معجم البلدان، ثم تلاه سبط ابن الجوزي[2] (ت654 هـ) في كتابه مرآة الزمان، ثم تبعه النووي[3] (ت676 هـ) في كتابه الطبقات، ثم ابن خلكان[4] (ت681 هـ)في وفيات الأعيان ثم الذهبي[5] (ت748هـ) في كتاب سير أعلام النبلاء، فاليافعي[6](ت768 هـ) في مرآة الجنان، ثم السبكي[7] (ت 771هـ) في الطبقات الكبرى والوسطى، وفيه تحدث عن مولده ونشأته، وطلبه للعلم، ورده عن الطاعنين والقادحين فيه، كما تحدث عن مؤلفاته، والرواية عنه، وبعض الأحاديث الواردة في الإحياء، وقد كتب فيه ما يربو على ثمانين صفحة، ثم جاء ابن كثير[8] (ت 774 هـ) فترجم له أيضا في البداية والنهاية، ثم الواسطي[9] (ت776 هـ) في الطبقات العلية

---

[1] - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس، الحموي المولد، الملقب شهاب الدين ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة أسر من بلاده صغيرا وبيع ببغداد، اشتغل في مبداه بالنسخ والتجارة، طوف كثيرا من البلدان، كان متعصبا على علي بن أبي طالب من آثاره : معجم البلدان، معجم الأدباء، معجم الشعراء، توفي سنة ست وعشرين وستمائة ه.
- وفيات الأعيان - المرجع السابق- ج 6 ص 127 وما بعدها

[2] - هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي الواعظ المشهور ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ببغداد حنفي المذهب وله صيت وسمعه في مجالس وعظه، وقبول عند الملوك وغيرهم، من آثاره مرآة الزمان، توفي سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق.
- وفيات الأعيان - المرجع نفسه ج 3 ص 142

[3] - الإمام الفقيه الحافظ محي الدين أبو زكريا، يحي بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، كان إماما بارعا حافظا متقنا، شديد الورع والزهد آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، من آثاره شرح مسلم- شرح المذهب - المنهاج-الأذكار، مات سنة ست وستين وستمائة ولم تتم ج.
- طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق علي محمد عمر-مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثانية 1994 ص 477-478

[4] - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي ولد سنة ست وستمائة هـ، سمع البخاري، وتفقه بالموصل وبالشام، وسكن مصر توفي سنة إحدى وثمانين وستمائة هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي -دار إحياء التراث العربي بيروت ج 5 ص 371

[5] - هوشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وتوفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق، من آثاره الكبيرة - تاريخ الإسلام - التاريخ الأوسط سير أعلام النبلاء -طبقات الحفاظ الملخصة في هذا الكتاب للسيوطي.
- طبقات الحفاظ - المرجع السابق- ص 517-518

[6] - عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي الشافعي اليمني، ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث أخذ باليمن عن جماعة من العلماء، ونشأ على خير وصلاح، حج وجاور بمكة وتزوج بها ورحل إلى دمشق والقدس ومصر ثم جاور بالمدينة من آثاره مرآة الجنان، توفي سنة ثمان وستين وسبعمائة.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني. مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر بالقاهرة - الطبعة الأولى 1348 هـ ج 1 ص 378.

[7] - تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي، شيخ الإسلام، إمام العصر، ولد سنة ثلاث وثمانين وستمائة صنف أكثر من مائة وخمسين مصنفا، ولي قضاء الشام، وولي دار الحديث الأشرفية، من آثاره طبقات الشافعية الكبرى- توفي بمصر سنة ست وخمسين وسبعمائة.
- طبقات الحفاظ - المرجع السابق- ص 522

[8] - عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير البصروي، ولد سنة سبعمائة، من آثاره تفسير القرآن العظيم- التاريخ -طبقات الشافعية- البداية والنهاية، مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة.
- طبقات الحفاظ-المرجع نفسه- ص 529-530

[9] - محمد بن الحسن بن عبد الله الواسطي الشافعي، ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة، درس بالصارمية وأعاد بالشامية البرانية، وكتب الكثير نسخا وتصنيفا، من آثاره مجمع الأحباب، ومختصر ابن الحاجب، توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة.
-طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد الداودي-تحقيق علي محمد عمر.- مطبعة الاستقلال الكبرى الطبعة الأولى 1972 ج 2 ص 125-126.

في مناقب الشافعية، ثم ابن الملقن[1] (ت 790 هـ) في كتاب العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ثم ابن قاضي شهبة[2] في كتاب طبقات الشافعية، وتلاه العيني[3] (ت 855 هـ) في كتاب عقد الجمان، كما ترجم له الجامي[4] (ت 898هـ) في نفحات الأنس ثم طاشكبري زاده[5] (ت 962 هـ) في مفتاح السعادة ثم الصفدي[6] (ت964 هـ) في الوافي بالوفيات، ثم ترجم له المناوي[7] (ت 1031 هـ) في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وبعده جاء العيدروسي[8] (ت1038هـ) وترجم له في كتابه المطبوع على حاشية الإحياء، " تعريف الأحياء بفضائل الإحياء " وأكثره مدائح وأقوال مشيدة بكتاب إحياء علوم الدين ومؤلفه،

---

[1]- عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله السراج الأنصاري الأندلسي، المصري الأصل الشافعي المعروف بابن الملقن، ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بالقاهرة، كان أصل أبيه من الأندلس، كفله الشيخ عيسى المغربي وكان يلقن القرآن، فنسب إليه؛ تفقه بالتقي السبكي وابن جماعة من أثاره طبقات الفقهاء الشافعية، شرح المنهاج، مات سنة أربع وثمانمائة هـ.
- البدر الطالع. -المرجع السابق- ج 1 ص 508-509-510-511

[2] أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن ذوبين شرف المعروف بابن قاضي شهبة، الدمشقي الشافعي ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة، وأخذ العلم عن جماعة كالسراج البلقيني، له مصنفات منها: الذيل على تاريخ ابن حجر، وطبقات الشافعية، وشرح المنهاج وشرح التنبيه، مات سنة إحدى وخمسين وثمانمائة.
- البدر الطالع للشوكاني - المرجع نفسه ج 8 ص 164.

[3]-محمود بن أحمد بن موسى بن حسين بن يوسف بن محمد البدر الحلبي الأصل، القاهري الحنفي المعروف بالعيني ولد سنة إثنتين وستين وسبعمائة، برع في علوم كثيرة، وانتقل إلى حلب ودمشق، وبيت المقدس، وحج، واستقر بالقاهرة، ودرّس وتولى القضاء بها له تصانيف كثيرة منها (عمدة القاري) شرح صحيح البخاري، توفي سنة خمس وخمسين وثمانمائة ودفن بالقاهرة.
- البدر الطالع -المرجع نفسه- ج 8 ص 294-295.

[4]- عبد الرحمن بن أحمد الجامي ولد بجام من قصبات خراسان، اشتغل بالعلوم حتى برع في جميع المعارف، ثم صحب مشايخ الصوفية، فنال من ذلك حظا وفيرا، استدعاه السلطان بايزيد خان إلى مملكته فاعتذر من مصنفاته، شرح الكافية، شواهد النبوة، نفحات الأنس بالفارسية توفي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة.
- البدر الطالع -المرجع نفسه ج 1 ص 327

[5]- أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي المعروف بطاشكبري، ولد سنة إحدى وتسعمائة وقرأ على جماعة من علماء الرّوم في عدة فنون وتولى القضاء بمدينة بروسا إحدى مدائن الروم، ثم بالقسطنطينية، من آثاره الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، وقد ترجم لنفسه في أخرها، وذكر أنه عمى عام إحدى وستين وتسعمائة.
- البدر الطالع-المرجع نفسه -ج 1 ص 121.

[6]- خليل بن أيبك بن عبد الله المعروف بصلاح الدين الصفدي، الأديب المشهور، ولد سنة سبع وتسعين وثمانمائة أخذ عن الشهاب محمود ابن سيد الناس وابن نباتة، من آثاره الوافي بالوفيات، وشرح لامية العجم، مات بدمشق سنة أربع وستين وتسعمائة هجرية .
- البدر الطالع - المرجع نفسه- ج 1 ص 243-244

[7]- عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير، شرحه شرحا بسيطا،و شرحا مختصرا، وشرح الشهاب وشرح آداب القضاء، وطبقات الصوفية وغير ذلك توفي سنة تسع وعشرين وألف، أولى التي بعدها.
- البدر الطالع-المرجع نفسه ج 1 ص 375.

[8]- عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس، مؤرخ، باحث من أهل اليمن سكن حضر موت، وإنتقل إلى الهند، فتوفي فيها من كتبه- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء، ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وألف.
- الأعلام -خير الدين الزركلي- دار العلم للملايين-بيروت لبنان-الطبعة الخامسة 1980 مجلد 4 ص 39.

ولم يبعد عنه في المضمون الزبيدي[1] (ت 1205 هـ) في كتاب " إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين..." وهذه الكتب التي ذكرناها احتوت على معلومات تتصل بسيرة ومؤلفات الغزالي دون غيرها من مئات المصادر التي اهتمت بذكره في كل مناسبة وقضية وشأن مما له علاقة بتعدد جوانب نشاطه العام، ومكانته في الفكر والحضارة [2]، والغزالي يمكن أن نجد إسمه في مصادر أخرى مثل المصادر التاريخية كالكامل لابن الأثير[3]، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي[4] وغيرهما، وإنما اقتصرنا على المصادر المترجمة له أساسا، وللمزيد من النصوص القديمة المتعلقة بحياة ومؤلفات الغزالي يمكن الرجوع إلى كتاب " سيرة الغزالي، وأقوال المتقدمين فيه " لمؤلفه عبد الكريم العثمان[5] .

و أما حديثا فقد ظهرت كتب كثيرة أيضا تهتم بجوانب حياة الغزالي المختلفة في كل فنون العلم التي أسهم فيها، وقد انقسم فيه الباحثون أيضا إلى مادحين وقادحين ومن يدعي الاعتدال، ولعل أول الدراسات المعاصرة، كتاب الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك، وقد اعتبره بعض الباحثين رائد المدرسة الحديثة في دراسة الإمام الغزالي وفي نقده بلا منازع[6]، ثم تلاه باحثون كثيرون مثل محمد عبد الهادي أبوريده الذي كتب دراسة عن الغزالي بالألمانية عام 1945 ونال شهادة الدكتوراه، ثم نشرها في مدريد سنة 1951 وقبله ألف أحمد فريد الرفاعي كتابه عن الغزالي عام 1936 ثم عبد الدائم أبو العطا البقري في كتابه تفكير الغزالي الفلسفي القاهرة سنة 1940ثم تلاه بكتاب آخر هو اعترافات الغزالي عام 1943وفي سنة 1945 ألف طه عبد الباقي سرور كتابه الغزالي، ثم تلاه الدكتور سليمان دينا عام 1947 في كتابه الحقيقة في نظر الغزالي، ثم كتب الأب فريد جبر جملة دراسات بالفرنسية عن

---

[1] محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث، والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، أصله من واسط، ومولده بالهند سنة خمس وأربعين ومائة وألف ومنشؤه في زبيد باليمن، من آثاره تاج العروس في شرح القاموس، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، توفي بالطاعون في مصر سنة خمس وستين وألف هجرية.
الأعلام خير الدين الزركلي المرجع السابق ج 7 ص 70

[2] الفيلسوف الغزالي الدكتور عبد الأمير الأعسم - دار الأندلس - بيروت الطبعة الثانية 1981 ص 12.

[3] أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري ولد بالجزيرة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونشأ بها، وسكن الموصل وقدم بغداد، ثم رحل إلى الشام والقدس، كان إماما في حفظ الحديث ومعرفته حافظا للتواريخ، وخبيرا بأنساب العرب وأخبارهم من آثاره الكامل في التاريخ " توفي سنة ثلاثين وستمائة هجرية.
وفيات الأعيان المرجع السابق ج 3 ص 348 349

[4] عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح مؤرخ فقيه، عالم بالأدب ولد في دمشق سنة اثنتين وثلاثين وألف، وأقام في القاهرة مدة طويلة، ومات بمكة حاجا، من آثاره شذرات الذهب في أخبار من ذهب، توفي سنة تسع وثمانين وألف.
– الأعلام– المرجع السابق ج 3 ص 290

[5] – الفيلسوف الغزالي للأعسم –المرجع السابق– ص 18

[6] – الفلسفة القرآنية عند الغزالي – الدكتور زكريا بشير إمام مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت– الطبعة الأولى 1989 ص 18

الغزالي أبرزها بحثه في سيرة ومؤلفات الغزالي الذي نشر عام 1934 . وفي عام 1961 أقيم بدمشق مهرجان الغزالي، وقد نشرت أبحاثه في مؤلف ضخم. وبعد هذه الكتب ظهرت مجموعات أخرى من الكتب تهتم بدراسة الغزالي منها كتاب " الامام الغزالي و علاقة اليقين بالعقل " للدكتور محمد ابراهيم الفيومي، والغزالي و علماء المغرب، للطاهر المعموري، ومنها كتاب "الغزالي" لبوحنا قمير ضمن سلسلة فلاسفة العرب، وكتاب مع الغزالي في منقذه من الضلال لأبي بكر عبد الرازق، وكتاب الامام الغزالي لسميح عاطف الزين، ومنها كتاب الجانب الإلهي في فكر الغزالي لأستاذي الدكتور طه الدسوقي. وفي عام 1988 أقيمت سلسلة من الندوات في المغرب حول الغزالي طبعت في كتاب بعنوان "أبو حامد الغزالي دراسات في فكره و عصره وتأثيره".

أما مؤلفات الغزالي فقد حظيت هي الأخرى بدراسات خاصة تجاوزت العشرات أفضلها عمل الأب بويج ثم أعقبه عبد الرحمن بدوي بعمله النقدي الممتاز[1]، واختلف الباحثون واجتهدوا في وضع الأسس التي من شأنها أن تساعد في ترتيب تلك المؤلفات و استبعاد الدخيل منها كما فعل المستشرق مونتغمري واط الذي وضع لذلك ثلاث أسس.

[1]-الفيلسوف الغزالي - المرجع السابق-ص 18.

المبحث الثاني : مراحل حياة الغزالي

المطلب الأول : من الميلاد إلى التخرج

نسبه ومولده :

هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الطوسي المعروف بالغزالي، الفقيه الشافعي[1] وورد في وفيات الأعيان : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في اخر عصره مثله.[2] وقال السبكي : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل، أبو حامد الغزالي[3] ولد سنة 450 هـ ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن كل المترجمين نسبوا الغزالي إلى طوس التي هي ثاني مدينة بعد نيسابور في خراسان القديمة وهي – أي طوس – مدينة مشهد المقدسة في إيران اليوم، وتضم إلى جانب قبر الغزالي قبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضي، كما أن المترجمين للغزالي اختلفوا في هذه النسبة أي الغزالي–هل هي إلى قرية غزالة، ومنها يكون الغزالي بتخفيف الزاي، أو هل هي منسوبة إلى مهنة والده أي غزل الصوف، فتكون بتشديد الزاي:

أولا : القائلون بالتخفيف : منهم ابن الصلاح، وقالوا بأن الغزالي لقب بذلك نسبة إلى قرية غزالة مسقط رأسه، ذلك أن طوس كانت تتألف من ألف قرية إحداها قرية غزالة التي ولد فيها الإمام، وقد نقل ابن الصلاح رواية عن الغزالي نفسه في ذلك وهي قوله : الناس يقولون لي الغزّالي (بتشديد الزاي) ولست الغزّالي وإنما أنا منسوب إلى قرية يقال لها غزالة[4] وذهب هؤولاء إلى أن هذه النسبة صحيحة لغويا بخلاف نسبته إلى مهنة والده، فالذي يغزل الصوف لا يسمى غزّاليا وإنما يسمى غزّالا، ونقل الدكتور محمد إبراهيم الفيومي نسبة أخرى للتخفيف حيث قال بانه منسوب إلى غزالة ابنة كعب الأخبار فإنها جدته [5] ونقل يوحنا قمير عن

---

1. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر -للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور تحقيق إبراهيم صالح-دار الفكر -الطبعة الأولى 1988 ج21 ص197.
2. وفيات الأعيان – المرجع السابق – ج1 ص 216.
3. طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الإسلام تاج الدين ابن تقي الدين السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الثانية مجلد 4 ص 101.
4. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-مؤسسة الرسالة تحقيق شعيب الأرناؤوط-الطبعة الأولى 1984 ج 19 ص 343.
5. الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل للدكتور محمد إبراهيم الفيومي –دار الفكر العربي– القاهرة ص 23.

السمعاني[1] وقد ولد في طوس نفسها بعد وفاة الغزالي بسنتين وكتب كتابا شهيرا في الألقاب قوله : إن اسم الغزالي مشتق من غزالة، وهي قرية قريبة من طوس، وإنا نعرف رجلا آخر بهذا الإسم، يدعى الغزالي الأكبر قد يكون عم الغزالي هذا أوجده، وإذن زاي الغزالي مخففة، ولم يلقب بهذا الإسم لأن أباه كان يغزل الصوف، ناهيك عن أن غازل الصوف يدعى غزّالا لا غزّاليا[2]

ثانيا : القائلون بتشديد الزاي ومنهم ابن خلكان وابن العماد الحنبلي قال: والغزالي هو الغزّال وكذا العطاري والخبازي على لغة أهل خراسان[3]، فهو ينسب إلى مهنة والده وهي غزل الصوف، واستبعدوا نسبته إلى قرية غزالة خصوصا أن ياقوت الحموي ذكر أنه لم يسمع بغزالة عندما زار طوس، وبناء على ذلك فتكون رواية ابن الصلاح التي ذكرها الذهبي عن الغزالي بنسبته إلى قرية غزالة رواية مشكوك فيها ومنحولة أصلا، وممن ذهب من الباحثين هذا المذهب عبد الأمير الأعسم[4].

و نحن إذا تأملنا أقوال الفريقين، وبحثنا في نسبة الغزالي سنلاحظ أن كلي النسبتين صحيحة، ونقول بأن نسبته إلى قرية غزالة لا يمكن نفيها بمجرد قول الحموي أنه لما زار طوس لم يسمع بغزالة، لاحتمال أنها كانت قرية صغيرة خبأت شهرتها بعد وفاة الغزالي هذا فضلا عن معارضة هذه الرواية برواية السمعاني وهو أقرب من الحموي إلى الغزالي زمنا وموطنا وهو مؤلف كتاب الأنساب، وهو رحالة جاب أقصى البلاد (ت 510 هـ) بينما توفي ياقوت سنة (626هـ)، وفوق هذا كله فإن هناك غزاليا آخر لعله عم الغزالي أو جده، وسمي بهذا الإسم قبل اشتغال والد الغزالي بغزل الصوف، وهو أحمد بن محمد المعروف بالغزالي القديم الكبير الفقيه الشافعي المكنى بأبي حامد وقد وافق حجة الإسلام في النسبة والكنية واسم الأب، وترجم له السبكي في الطبقات الكبرى للشافعية في الطبقة الرابعة فيمن توفي بين الأربعمائة والخمسمائة ولم يقف على سنة وفاته، وقال أنه قد دفن بطوس وقبره مشهور بين

---

[1]- هو أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي، برع في الأدب والفقه والخلاف، وزاد على أقرانه بعلم الحديث، ومعرفة الرجال والأنساب والتاريخ مات سنة عشر وخمسمائة عن ثلاث وأربعين سنة.
- طبقات الحفاظ- المرجع السابق- ص 459- 460.

[2]- الغزالي ليوحنا قمير -المرجع السابق- ص 07.

[3]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب -المرجع السابق- ج 4 ص 10،11.

[4]- الفيلسوف الغزالي للأعسم -المرجع السابق- ص 28.

أهلها، وانهم يسمونه الغزالي الماضي[1]، وهو من شيوخ الزاهد أبي علي الفارمدي شيخ الغزالي وبناء على هذا كله فلا يمكن استبعاد نسبته إلى القرية لمجرد روايته، وفي الوقت نفسه لا يمكن استبعاد نسبته الى مهنة والده بتشديد الزاي، مادامت لغة أهل خراسان كذلك، وقد وجدنا في الشعراء من يذكره بالتشديد ومنهم تقي الدين الطبيب[2] الشاعر، المتوفى سنة 925هـ حيث قال:

وهفهف قسم الملاحة ربها ❁ فيه وأبدعه بغير مثال

فلحده النعمان روح شقائق ❁ ولثغره النظام عقد لآلي

ونطرفه الغزال إحياء الهوى ❁ وكذلك الإحياء للغزالي

وقال محي الدين بن عبد الظاهر[3]

يا من رأى غزلان رامة هل رأى ❁ بالله فيهم مثل طرف غزالي

أحيا عيون العاشقين بلحظة ❁ الغزال والإحياء للغزالي[4]

وهنا نلاحظ أن الشعرين جاءا على بحر الكامل ولو نطقنا لفظ الغزالي بالتخفيف لما استقام الوزن وعليه فتكون القراءة هنا بالتشديد هي الصواب، ونقول في النهاية أن لقب الغزالي يحتمل التشديد والتخفيف معا، ولعل الذين نسبوه إلى التخفيف أولا إنما فعلوا ذلك تمييزا له عن غزالين اخرين إذ لم تكن حرفة غزل الصوف وبيعه مقصورة على والده، ولا شك أن نسبته الى قريته كفيل بأن يميزه عمن مارس نفس الحرفة، كما أن ناسبيه إلى حرفة والده قد يكونون فعلوا ذلك تمييزا له عن آخرين من أهل قريته غزالة، فما كل من كان في تلك القرية كان يغزل الصوف، ولكن كلهم كان يصدق عليه نسبته الى القرية، هذا هو سبب الاختلاف في لقبه، وكلا النسبتين صحيحة.

---

1 الإمام الغزالي وعلاقة الدين بالعقل - المرجع السابق - ص 24

2 تقي الدين طبيب الأديب البارع الشاعر المفلق الطبيب الكحال، عارض قصيدة بانت سعاد بقصيدة منها:

بعد كبا الوهم عن إدراك غايته ❁ ورد عقل الورى وهو معقول

ماوى لطيبة بل طوبى لكل فتى ❁ له يطيب ثراها الجعد تقبيل

توفي سنة خمس وتسعين وستمائة هجرية

شذرات الذهب - المرجع السابق، ج 5 ص 429

3 عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، سمع من جعفر الهمداني وعبد الله بن اسماعيل وجماعة، وكتب عنه الغزالي وابن سيد الناس كان بارع الكتابة، ولد سنة عشرين وستمائة وتوفي سنة إثنين وتسعين وستمائة.

فوات الوفيات والذيل عليها تأليف محمد بن شاكر الكتبي تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة بيروت ج 2 ص 222

4 فوات الوفيات والذيل عليها المرجع نفسه ج2 ص 100

أما والده محمد بن محمد بن أحمد فقد كان رجلا فقيرا صالحا لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف، وكان يطوف على المتفقهة ويجالسهم ويقوم على خدمتهم، يجد في الإحسان إليهم والنفقة بما يمكنه عليهم، وأنه كان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع وسأل الله أن يرزقه ابنا ويجعله فقيها، ويحضر مجالس الوعظ فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أن يرزقه ابنا واعظا، فاستجاب الله دعوته، أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه وإمام أهل زمانه وفارس ميدانه، كلمته شهد بها الموافق والمخالف وأقر بحقها المعادي والمخالف وأما أحمد فكان واعظا بليغ الصمت الصخور عند سماع تحذيره، وترعد فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره[1] واستمر والده على هذه الحال من خدمة أهل العلم والعبادة ومصاحبتهم، فلما حضرته الوفاة وصى بولديه محمد وأحمد صديقا له متصوفا من أهل الخير، وقال له: إن لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما ولاعليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلفه لهما، فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما: إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما أن تلجا إلى مدرسة فإنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك، وكان الغزالي يحكي ذلك ويقول طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله[2] وهذه العبارة منه كانت سببا من أسباب انتقاده من طرف معارضيه، والذي رأيناه مما تقدم نفهم منه أن طلب العلم في ذلك الوقت كان متيسرا، فحلقات الفقهاء ومجالس المتصوفة والعباد كانت في نشاط مستمر يحضرها كل من شاء، كما أن المدارس القائمة آنذاك كانت تقدم العلم لطلبتها، وتنفق على المعوزين منهم، وهي ظروف مساعدة ومشجعة للغزالي لأن يكون عالما عابدا متصوفا، هذا عن أبيه أما أمه فلم تكد المصادر تذكر عنها شيئا، والذي رأيته أنها عاشت بعد وفاة أبيه ولعلها أدركت زواج أبي حامد أيضا.

ثانيا : مبدأ طلبه العلم : بدأ الغزالي طلبه للعلم على يد شيخه أحمد بن محمد الراذكاني ببلدته طوس وعنه أخذ مبادئ الفقه والنحو، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الاسماعيلي في جماعة من الطلبة من أهل طوس، وعنه علق تعليقته في الفقه ثم رجع إلى

1- طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق - مجلد 4 ص 103

2- طبقات الشافعية الكبرى - المرجع نفسه - مجلد 4 ص 102

طوس، ونشير هنا إلى أن الأسنوي وابن الجوزي وياقوت وابن خلكان لم يشيروا إلى دراسة الغزالي في جرجان ولا إلى أستاذه أبي نصر الاسماعيلي الذي ذكره السبكي، وإنما قال ابن خلكان: اشتغل في مبدإ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين[1] ويرى بعض الباحثين[2] أن شيخ الغزالي في جرجان ليس هو أبو نصر الاسماعيلي لأنه توفي سنة 405 هـ، والغزالي ولد سنة 450هـ، وإنما هو أبو قاسم اسماعيل بن مسعد بن اسماعيل الإمام أبي أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي الجرجاني[3] وأثناء رجوع الغزالي إلى طوس تعرض له مع رفقته جماعة من قطاع الطرق، قال الإمام أسعد الميهني[4] فسمعته يقول : قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت إلي مقدمهم وقال : ارجع ويحك وإلا هلكت، فقلت له : أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيئ تنتفعون به، فقال لي: وماهي تعليقتك فقلت : كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال: كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم، ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلي المخلاة، قال الغزالي : هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي[5]،وهذه الحادثة كما رواها الغزالي أثارت تساؤلات عند بعض الباحثين، فالغزالي يقول لمقدم العيارين كتب في تلك المخلاة، فهل معنى ذلك أنها كانت تتضمن (أي المخلاة) مجموعة من الكتب المستقلة التأليف وليست كتابا واحدا وإلا فالمقصود بالجمع؟ قال الدكتور الفيومي: أما كونها كتبا وليست كتابا فهذا حق لأن الفقه ما هو إلا كتب مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الصوم والحج... إلخ ولذلك سميت التعليقة في فروع المذهب. وهي تقول علقها الغزالي عن أستاذه إثر المطالعة والمراجعة من شرح وحاشية وهذا يمكن أن يكون توجيها آخر[6] ونحن نبسط الأمر أكثر من ذلك ولا نربط كلمة كتاب بشيئ مما ذكر ولعله

---

[1]-وفيات الأعيان - المرجع السابق - ج 4 ص 217

[2]-مثل الفيومي والأستاذ فريد جبر

[3]- الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل -المرجع السابق - ص 29

[4]- أبو الفتح أسعد ابن أبي نصر ابن أبي الفضل الميهني، الفقيه الشافعي الملقب محيي الدين، كان إماما مبرزا في الفقه والخلاف، وله فيه تعليقه مشهورة، تفقه بمرو ورحل إلى غزنة وورد بغداد ودرس بالنظامية مرتين، توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة والميهني نسبة إلى ميهنة وهي قرية بخراسان.

- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج 1 ص 207-208

[5]-طبقات الشافعية الكبرى للسبكي - -المرجع السابق- ج 4 ص 103

[6]-الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل -المرجع السابق ص 28

الأصوب، فالغزالي درس لمدة ليست قصيرة في جرجان ولا شك أنه تلقى دروسا كثيرة، وكان مواظبا على الكتابة والتدوين، وليس ممكنا أن يسجل كل ذلك في كتاب واحد، لصعوبة حمله، فلعله كان يسجل كل درس أو كل مجموعة على حسب طولها في كتاب حتى تسهل حملها والرجوع إليها، حتى دون بذلك عدة كتب، فقد يكتب كتابا واحدا ككتاب النكاح مثلا في أكثر من دفتر، والتساؤل الثاني الذي أثاره الباحثون هو هل كان الغزالي مهملا للاستذكار حتى يضطر إلى التدوين، حتى ذهب ما كدونا لد : إلى أن الاستظهار هو آفة الغزالي؟ وهنا لا ينبغي أن نفهم هذه الحادثة وما فيها من إشارة إلى التدوين هذا الفهم، فالغزالي تغرب إلى جرجان من أجل تحصيل العلم ثم العودة إلى طوس، ولا شك أنه تلقى كما هائلا من الدروس، ولأنه كان مواظبا على ألا يفوته شيئ منها، فإنه كان يسجل كل كبيرة وصغيرة حرصا على تحصيل أكبر قدر من العلم لأن مقامه في جرجان كان محدودا ووقته كان كذلك، وعند رجوعه إلى طوس فإن وقت الاستذكار حينئذ يكون متيسرا، ومما يدل على سرعة حفظه أيضا حفظه كل ما علقه في ثلاث سنين وأما قوله : وصرت بحيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي، فيحمل على الاحتياط من ضياع العلم المكتوب، بخلاف المحفوظ منه.

بعد رجوع الغزالي من جرجان اعتكف على حفظ تعليقته التي كادت أن تضيع منه مدة ثلاث سنوات، وبعد أن أتم حفظها، سافر مرة أخرى في طلب العلم، وهذه المرة إلى إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، الإمام الكبير الذي درس قبل ذلك في مكة والمدينة، وقد لازم الغزالي أستاذه هذه المرة حتى توفي، وقد أخذ عنه كل علوم عصره واجتهد في ذلك حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة[1]، ويمكن القول أن إمام الحرمين قد صبغ الغزالي بصبغته الخاصة، وتأثر التلميذ بأستاذه وخاض في ذات العلوم التي خاض فيها وألف في نفس الاتجاه، بل يذهب بعض الباحثين إلى أن شك الغزالي كان من أسبابه الإمام الجويني نفسه، الذي سبقه إلي الشك، وفي نيسابور وأثناء تتلمذ الغزالي لإمام الحرمين بدأت علامات الفطنة والنباهة تبدو عليه – أي الغزالي– حيث كان الطلبة يستفيدون منه، ويدرس لهم أحيانا، بل لقد بدأ بعد ذلك في التصنيف، وكان إمام الحرمين يصف تلاميذته

[1]– طبقات الشافعية الكبرى – المرجع السابق مجلد 4 ص 103

فيقول : الغزالي بحر مغدق والكيا[1] أسد مخرق والخوافي[2] نار تحرق[3]، وهذا الذكاء المفرط والقدرة العلمية الكبيرة التي أصبح يتمتع بها الإمام لعلها أثرت على الإمام الجويني، فبعد أن كان فريد عصره وأوانه فقد جاءه منافس، ويقال ان الامام الجويني كان يمتعض منه في الباطن وإن كان يظهر التبجح به في الظاهر[4]، وقال ابن عساكر : وقدم نيسابور واختلف إلى درس إمام الحرمين، وجد واجتهد حتى بذ الأقران وصار واحد أقرانه في أيام إمام الحرمين، وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف، وكان الإمام مع علو درجته لا يصفي نظره إلى الغزالي سترا لإتافته عليه في سرعة العبارة، وقوة الطبع، ولا يطيب له تصديه للتصانيف، وإن كان منتسبا إليه كما لا يخفى من طباع البشر لكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهرا خلاف ما يضمر، ويقي كذلك إلى انقضاء أيام الإمام[5]، وقيل أنه ألف كتابه " المنخول" فبعد أن نظر فيه الإمام الجويني قال: دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت، وأراد أن كتابك غطى على كتابي[6] .

المطلب الثاني : في مجالس نظام الملك ونظامية بغداد

قدمنا في بداية هذا الباب أن الوزير نظام الملك كان شديد الاهتمام بالعلم والعلماء فبنى من أجل ذلك المدارس، المعروفة بالمدارس النظامية نسبة إليه، وشجع العلماء، وأقيمت بمجالسه المناظرات العلمية، وكان الوزير يعرف فضل الإمام الجويني وعلمه، وهو الذي سعى إلى إرجاعه مع بعض العلماء من الحجاز، ولسنا نشك في أن الإمام كان يحضر مجالس نظام الملك العلمية وهو أستاذ في نظامية نيسابور، وحضور الإمام الجويني في هذه المجالس وما فيها من فوائد علمية لم يكن ليتخلف عنه أفطن تلاميذه – أي الغزالي– وهو الذي كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبه وديدنه، وحضور الغزالي في حياة شيخه كان حضور المتفرج المتعلم، ولما

1- علي بن محمد بن علي الكيا الهراسي أبو الحسن الطبري، ورد نيسابور في شبابه وقد تفقه وكان حسن الوجه، مطلق الصوت للنظر، مليح الكلام، حصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به وكان ثاني الغزالي، أقام مدة يدرس ببغداد في المدرسة النظامية إلى أن توفي سنة أربع وخمسمائة
– تبيين كذب المفتري - المرجع السابق- ص 288 -289

2- أحمد بن محمد بن المظفر أبو المظفر الخوافي الإمام المشهور انظر أهل عصره، وأعرفهم بطرق الجدل في الفقه تفقه على الشيخ أبي إبراهيم الضرير فتخرج به بعض التخرج، ثم صحب إمام الحرمين وبرع عنده، ثم ترفع عن الإعادة في درسه فكان يدرس لنفسه، وتختلف إليه طائفة نوفي بطوس سنة خمسمائة.
– تبيين كذب المفتري -المرجع نفسه- ص 288

3- طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق- مجلد 4 ص 103

4-طبقات الشافعية الكبرى -المرجع نفسه- مجلد 4 ص 103

5- مختصر تاريخ دمشق -المرجع السابق- ج 23 ص 198

6- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي -المرجع السابق- ج 17 ص 125

توفي أستاذه عام 478 هـ، قصد الغزالي من جديد مجالس نظام الملك الذي كان يقيم في معسكرات حيث كانت الحروب مستمرة، وفي هذه الفترة كانت إقامته بين الشام وبغداد إلى سمرقند، وكان نظام الملك إذا أعجب بعلم عالم أعطاه منشورا يدرس به في نظاميته، وقد سبق الغزالي إلى نظامية بغداد سنة 473 هـ الإمام أبو عبد الله الطبري[1] وأبو محمد عبد الوهاب الشيرازي[2]، وكان كل واحد منهما يدرس يوما، وحضور الغزالي هذه المرة إلى هذه المجالس تختلف عن سابقتها، فقد شارك فيها بفعالية حيث كان يحضر فيها جماعة من الفضلاء، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس، فظهر عليهم وإشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان، فأعجب به الوزير وبالغ في الإقبال عليه ثم فوض إليه تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها وذلك في جمادي الأولى سنة 484 هـ، وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته[3].

و نشير هنا إلى أن كل المترجمين للغزالي ممن اطلعت على ترجماتهم لم يذكروا للغزالي نشاطا آخر بين سنتي 478 هـ و484 هـ ما عدا حضوره مجالس نظام الملك ومناظراته، وهنا يتبادر إلى ذهن القارئ هذه التساؤلات، هل عاد الغزالي إلى بلدته طوس بعد التخرج؟ هل تزوج ومتى؟ وإذا لم يعد ولم يتزوج أين كان يقيم؟ هل كان ملازما لنظام الملك في حله وترحاله؟ ولا نسلم بذلك لأن الوزير كان كثير التنقل وهذه المجالس كانت تقام في فترات محدودة، ثم هل كان منكبا على القراءة والتأليف؟ فهذه الفترة الممتدة من وفاة أستاذه إلى التحاقه بنظامية بغداد وهي تمتد ستسنوات، فيها بعض الغموض، كما أن المصادر التي تحدثت عن الغزالي لم تذكر دراسة أخيه أحمد ولا شك أنه تتلمذ كذلك، وحصل على حظ وافر من العلم، وإلا لما استطاع أن ينوب أخاه في النظامية عندما عزم ترك بغداد.

قضى الغزالي أستاذا في نظامية بغداد حوالي أربع سنوات حصل له فيها من الجاه ما لم يكد يحصل لغيره في فترة وجيزة كهذه فقد علت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب

---

[1] - الحسين بن علي أبو عبد الله الطبري، تفقه على الشريف ناصر بن الحسين العمري المروزي بنيسابور، أقام بنيسابور مدة ثم خرج إلى مكة، توفي في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، وكان يفتي ويدرس ويروي الحديث بمكة وله بها عقب.
- تبيين كذب المفتري المرجع السابق، ص 287.

[2] عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الواحد أبو محمد الشيرازي الفارسي، سمع الحديث الكثير وتفقه ولاه نظام الملك التدريس بمدرسته ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، توفي سنة خمسمائة.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المرجع السابق ج 17 ص 104

[3] - وفيات الأعيان، المرجع السابق ج 4 ص 217.

حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة [1]، وتتلمذ عليه خلق كثير من الناس، وفي هذه الفترة أيضا نعرض لقضية الشك التي جلبت له الكثير من المتاعب في حياته، والانتقادات التي وصلت حد التكفير بعد موته، وسوف نبحث في هذه الصفحات صفة الشك الذي تعرض له، ونبين سببه، ونتيجته، وأثاره، ونوضح كذلك هل هو حالة عارضة، أم شك منهجي مقصود.

الشك عند الغزالي :

عاش الإمام الغزالي في مجتمع يموج بكثير من الأفكار والمذاهب والعقائد المختلفة المتناقضة في بعض الأحيان، وكل فرقة تدعي الصواب والنجاة لنفسها دون غيرها، ولكل واحدة منها أدلتها ورجالها المدافعون عنها، وشهد الغزالي الكثير من المناظرات والمهاترات العلمية والجدلية بين الفرق والمذاهب، وقرأ عن الكثير منها، وسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة [2] فعلم أن الحق محصور في فرقة واحدة من كل هذه الفرق المختلفة الداعية إلى نفسها، ثم سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه ويمجسانه [3]، فعلم أيضا أن هذه الفرق المختلفة إنما حصلت أفكارها ومذاهبها عن طريق الإرث من الوالدين والأستاذين وهي بعيدة عن الدليل، فأطفال اليهود نشأوا على اليهودية، وعندما يكبرون يدافعون عنها ويدعون أنها الحق، وأطفال النصارى كذلك أيضا، ومن هنا أراد الغزالي أن يبحث عن الفرقة الناجية وعن الفطرة بالدليل بعيدا عن التقليد وقد مر الغزالي في شكه بمرحلتين :

1- المرحلة الأولى : وكان شك الغزالي في هذه المرحلة خفيفا منهجيا يمكن أن يعتري أي باحث عن الحقيقة، وعندما نقول بأن شكه كان منهجيا أي أنه افترض عدم علمه بالفرقة الناجية، وأراد أن يصل إلى ذلك العلم بطريق البرهان لا بطريق التقليد، ولعل شكه في هذه الحالة يشبه شك إبراهيم عليه السلام (فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل

---

[1] - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي - المرجع السابق - ج 4 ص 107

[2] - ورد الحديث في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افترقت اليهود على إحدى أو إثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة
- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل تحقيق أحمد محمد شاكر مكتبة التراث الإسلامي-القاهرة حديث رقم 8377 ج 16 ص 169 .

[3] - ورد الحديث في سنن الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه قيل : يارسول الله، فمن هلك قبل ذلك؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين به، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة يولد على الفطرة.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمان ابن عبد الرحيم المباركفوري المتوفي عام 1353 هـ-دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1990 - أبواب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة رقم 2223 ج 6 ص 287.

قال لا أحب الآفلين [77]، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين[78] فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون [79]) [1] وهذا الشك إنما انتهجه ابراهيم مع قومه ليصل بهم الى حقيقة هذه الكواكب، وأنها ليست إلها، أما شك الغزالي فقد انتهجه مع نفسه، ولا يمكن أبدا أن ندعي أن الغزالي قد شك في إسلامه وأنه هو الدين الحق، فقد سبق له أن عرف ذلك عن طريق القرآن، وعن طريق الحديث الذي بموجبه دخل في هذه المرحلة من الشك، وانما أراد أن يصل إلى نفس النتيجة بطريق أخر هو طريق العقل والبرهان، وكأنه أراد أن يقول في قرارة نفسه هل يمكن لغير مسلم أن يصل إلى هذا بطريق العقل؟ وهذه الفترة التي عاشها الغزالي مع ما أطلق من عبارات جعلت بعض الباحثين يكفرونه ويتهمونه بالشك في دينه ومن هؤلاء بوحنا قمير الذي رأى أن شك الغزالي شمل كل مصادر المعرفة البشرية، الايمان والحس والعقل[2] حيث قال: لا يسعنا التسليم برأي القائلين أن الغزالي ما شك أبدا في إسلامه، وأن كل شكه انحصر في الطريق المؤدية إليه ذلك أن للألفاظ معاني، وما يعني قول الغزالي : انحللت عني رابطة التقليد، وانكسرت علي العقائد الموروثة [3] ؟ ماهي العقائد المنكسرة إن لم تكن عقائد الإسلام؟ فلا ننكرن شك الغزالي في إيمانه تخلصا من مأزق تالية في المنقذ [4]، ثم استدل بعد ذلك على التكفير بكلام للغزالي ورد في جواهر القرآن حيث كان يتحدث عن فتنة التبست عليها معاني القرآن وتشوشت عليهم الظواهر، وانقدحت عندهم اعتراضات عليها... فبطل أصل اعتقادهم في الدين... ثم يقول : ولسنا نستبعد ذلك فقد تعثرنا في أذيال هذه الضلالات مدة لشؤم أقران السوء، ونحن نعلق على كلام بوحنا قمير ونوضح مقصود الغزالي من رابطة التقليد المنحلة، والعقائد الموروثة المنكسرة، ونقول بأن العقائد الموروثة يقصد بها التقليد في المذهب أي اعتقادات الناس في مذاهبهم أنها هي الصواب وماعداها خطأ، وهي عقائد ورثوها أبا عن جد، وقد تكلم الغزالي عن المذهب بقوله بأن الناس فيه فريقان: فريق يقول : المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب:

1- الأنعام 77، 78، 79

2- الغزالي لبوحنا قمير - المرجع السابق- ص 23

3- المنقذ من الضلال للغزالي تحقيق عبد الكريم العراق -الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية 1986 ص 26

4- الغزالي لبوحنا قمير -المرجع السابق ص 21

احداها: ما يتعصب الانسان في نفسه مما انكشف له من النظريات ولكل كامل بالغ مذاهب بهذا الاعتبار، فأما المذهب بالاعتبار الاول هو نمط الآباء والأجداد، ومذهب المعلم، ومذهب اهل البلد الذي فيه النشوء وذلك يختلف بالبلاد والأقطار، ويختلف بالمعلمين، فمن ولد في بلد المعتزلة، أو الأشعرية أو الشفعوية، أو الحنفية، انغرس في نفسه منذ صباه التعصب له، والذب دونه والذم لما سواه، فيقال هو أشعري المذهب، أو معتزلي أو شفعوي، أو حنفي، ومعناه انه يتعصب أي ينصر عصابة المتظاهرين بالموالاة ويجري ذلك مجرى تناصر القبيلة بعضهم لبعض[1].

و المذهب بالمعنى الثاني : ما ينطبق في الارشاد والتعليم على من جاء مستفيدا مسترشدا وهذا لا يتعين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد فيناظر كل مسترشد بما يحتمله فهمه، فإن وقع له مسترشد تركي، او هندي أو رجل بليد جلف الطبع وعلم أنه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته في مكان وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلا به، ولا منفصلا عنه، لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى، ويكذب به، فينبغي أن يقرر عنده أن الله تعالى على العرش وأنه يرضيه عبادة خلقه ويفرح بها فيثيبهم ويدخلهم الجنة عوضا وجزاء، وان احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له، فالمذهب، بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه[2].

والمذهب بالمعنى الثالث : ما يعتقده الرجل سرا بينه وبين الله عزوجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ولا يذكره إلا مع من هو شريكه في الاطلاع على ما أطلع، أو بلغ رتبة يقبل الاطلاع عليه ويفهمه، وذلك بأن يكون المسترشد ذكيا ولم يكن قد رسخ في نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له، ولم يكن قد انصبغ به قلبه انصباغا لا يمكن محوه منه[3].

وأما الفريق الثاني وهم الأكثرون يقولون المذهب واحد هو المعتقد وهو الذي ينطق به تعليما وإرشادا مع كل آدمي كيفما اختلف حاله، وهو الذي يتعصب له، وهو إما مذهب الأشعري او المعتزلي أو الكرامي أو أي مذهب من المذاهب[4]... فجانب الالتفات إلى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب، ولا تكن في صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك

---

1. ميزان العمل للإمام الغزالي، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا دار المعارف مصر 1964 ص 406-407
2. ميزان العمل للإمام الغزالي المرجع السابق- ص 406-407
3. ميزان العمل المرجع نفسه - ص 408
4. ميزان العمل المرجع نفسه ص 408 409

إلى الطريق، وحولك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك، وأضلك عن سواء السبيل، وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك فلا خلاص إلا في الاستقلال :

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به ❁ في طالع الشمس ما يغنيك عن زحل

و لو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث لتتندب للطلب، فناهيك به نفعا، إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال، نعوذ بالله من ذلك، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[1] .

في هذه الكلمات القصيرة للغزالي نلاحظ أنه استعمل عبارة الاعتقاد الموروث مرتين، فما المقصود به ؟ هل هو الاعتقاد الإسلامي العام كما ادعى يوحنا قمير أم يقصد به شيئ آخر؟ فالحقيقة أن التأمل جيدا في كلام الغزالي يفهم منه بلا شك أن المقصود بالاعتقاد الموروث هو الفكرة أو المبدأ الذي يعتنقه الشخص بغير دليل، واعتناقه إياه إنما كان بسبب تقليد غيره، ومن الاعتقادات الموروثة في عصر الغزالي التعصب للمذهب بغير دليل، فالطفل ينشأ على مذهب أبيه وقومه، وعندما يكبر يبدأ بالدفاع عنه بشدة دون إعمال نظر، وقد وقعت فتن واضطربات بسبب ذلك، والغزالي عندما شك وبدأ يبحث عن الحقيقة إنما بحث عنها داخل إطار الإسلام، فبحث عنها عند المتكلمين ثم الفلاسفة ثم الباطنية وأخيرا الصوفية، ولم يبحث عنها عند الفقهاء لأن التقريرات الفقهية في عمومها مسلمة لا تقبل الشك لورود النص بشأنها، وسريانها في مجاري الحياة، كما لم يبحث عن الحقيقة في دين آخر كاليهودية والمسيحية، وهما دينان سماويان فيهما الإيمان بالله واليوم الآخر فضلا عن البحث عنها في الإلحاد، لاعتقاده أن الحقيقة لا تخرج عن نطاق الإسلام، والفرق التي بحث داخلها عن الحقيقة إنما كانت فرقا إسلامية كلها تؤمن بما في القرآن والسنة إلا أنها اختلفت في فهم بعض النصوص بين مؤول ومتمسك بالظاهر، هذا بالنسبة للمقصود من قول الغزالي، انكسرت على العقائد الموروثة، والعقائد الموروثة عند الغزالي هي المذهب الشافعي فقها، ومذهب أبي الحسن الأشعري[2] كلاما، ومذهب أهل السنة عموما، فالغزالي افترض خروجه من جملة هذه المذاهب ثم بدأ يبحث عن

---

[1] - ميزان العمل -المرجع السابق- ص 408-409

[2] - علي بن اسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ولد سنة ستين ومائتين، وتشاغل بالكلام، وكان على مذهب المعتزلة زمانا طويلا ثم خالفهم بعد أربعين سنة وعاد إلى مذهب أهل السنة توفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

- المنتظم- المرجع السابق- جـ 14 ص 29-30

الفين من حديد فيها وفي غيرها من المذاهب وهذا هو داب العالم الحاذق، يكون متبعا لغيره عن علم، أو يكون مجتهدا، وهذا بخلاف العامي الذي يكفيه التقليد والغزالي في هذا الشك انما كان شكه في المذهب بالمعنى الثالث لأنه كان يبحث عن الحقيقة التي يدين بها ويلقى الله عليها ولا يلزم من شكه في المذهب بهذا المعنى ان يشك في المذهب الرسمي الذي يتعصب له المرأ[1] أما استدلال يوحنا قمير على ما قاله من التكفير، بقول الغزالي في جواهر القران، فإننا التعليق على ذلك، يحسن بنا أن نورد نص الغزالي كما هو ونتأمل ما يحتمله تعبيره حيث قال[2] (... فكثيرا ما رأينا من طوائف من المتكابسين تشوشت عليهم الظواهر وانقدحت عندهم عتراضات عادها وتخايل لهم ما يناقضها فبطل أصل اعتقادهم في الدين وأورثهم ذلك حجودا باطنا في الحشر والنشر والجنة والنار والرجوع إلى الله تعالى بعد الموت وأظهروها في سرائرهم وانحل عنهم لجام التقوى ورابطة الورع واسترسلوا في طلب الحطام وأكل الحرام واتباع الشهوات وقصروا الهمم على طلب الجاه والمال والحظوظ العاجلة ونظروا إلى أهل الورع بعين الاستخفاف والاستجهال وإن شاهدوا الورع ممن لا يقدرون الإنكار عليه لغزارة علمه وكمال عقله وثقابة ذهنه حملوه على أن غرضه التلبيس والتلبوس واستمالة القلوب وصرف الوجوه إلى نفسه فما زادهم مشاهدة الورع من أهله إلا تماديا وضلالا مع أن مشاهدة ورع اهل الدين من أعظم المؤكدات لعقائد المؤمنين، وهذا كله لأن نظر عقلهم مقصور على صور الأشياء وقوالبها الخيالية ولم يمتد نظرهم إلى أرواحها وحقائقها ولم يدركوا الموازنة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فلما لم يدركوا ذلك وتناقضت عندهم ظواهر الأسئلة ضلوا وأضلوا فلاهم ادركوا شيئا من عالم الأرواح بالذوق إدراك الخواص ولا هم امنوا بالغيب إيمان العوام فاهلكتهم كياستهم والجهل أدنى إلى الخلاص من فطانة بتراء وكياسة ناقصة ولسنا نستبعد ذلك فلقد تعثرنا في أذيال هذه الضلالات مدة لشؤم أقران السوء وصحبتهم حتى أبعدنا الله عن هفواتها ووقانا من ورطاتها فله الحمد والمنة والفضل على ما أرشد وهدى وأنعم وأسدى وعصم من ورطات الردى فليس ذلك مما يمكن أن ينال بالجهد والمنى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم)[3]، فالمتأمل في هذا الكلام وفي غيره المبثوث في ثنايا بعض كتب الغزالي يفهم بلا ريب أن المقصودين بهذا

1- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة لأبي حامد الغزالي- المرجع السابق- ص 100-101.

2- جواهر القران- المرجع السابق- ص 36 37.

3- فاطر 02.

الكلام هم الفلاسفة، و تكفير الغزالي عليهم إنما يتعلق بتأويل بعض الظواهر، و استعمال العقل في بعض التقريرات، و الخوض فيما لا ينبغي الخوض فيه، وطلب الجاه و المال و حظوظ الدنيا. والغزالي في قوله (فلقد تعثرنا في أذيال هذه الضلالات مدة...) فلا شك أن هذه المدة هي مدة تدريسه بنظامية بغداد أين كان مغرقا في الجاه و المال و الخوض في مختلف العلوم، فلما اختار طريق التصوف و ما فيه من إدراك بالذوق أصبح يرى أن طلب الجاه و المال وتقرير الأحكام الشرعية عن الدليل بطريق العقل كما فعل الفلاسفة و هو منهم ضرب من الضلال، فينبغي في نظره – وهو في هذه الحالة ينظر بعين التصوف – أن يؤمن المرأ فيما لم يحتمله فهمه إيمان العوام دون سؤال أو اعتراض، وإلا فإن هناك أحكاما تدرك بالذوق، وهذا ما كان مفتقرا إليه قبل خلوته وأثناء تدريسه في نظامية بغداد، ولا يمكن أبدا أن نصرف هذه العبارات إلى بطلان الاعتقاد في الدين بإنكار الحشر والنشر والجنة والنار، ولم نجد في كتب الغزالي الكثيرة أية إشارة إلى شيئ من هذا، فهو أنكر على الفلاسفة جملة أمور كان قد شاركهم في بعضها وقد أشرنا إليها ولم يشاركهم في البعض الآخر وهي الأمور التي كفرهم بها، وهي بطلان أصل اعتقادهم في الدين وما يترتب عن ذلك، هذه هي المرحلة الأولى من الشك عند الغزالي، وهي كما رأينا تتعلق بمن هي الفرقة الناجية حقيقة دون غيرها.

2 – المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة بدأ الغزالي يبحث عن الفرقة الناجية، والوصول إليها لا يتأتى إلا عن طريق العلم بحقائق الأمور علما يقينيا لا يخالطه شك ولا يحتمل الخطأ والوهم كعلمه أن العشرة أكثر من الثلاثة، وعلم أن كل ما لا يعلمه على هذا الوجه ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني[1]، ثم فتش في علومه فلم يجد علما موصوفا بهذه الصفة من اليقين إلا في الحسيات والضروريات، ولأن العلم اليقيني لا يتأتى إلا عن طريق الحواس فبدأ الغزالي أولا باختبارها، هل ما تنقله الحواس يقينا لا يقارنه إمكان الغلط والوهم؟ وهنا بدأ يشك في الحسيات ويبحث عن إمكانية غلطها، وسرعان ما اتسعت دائرة الشك فيها عندما بحث في أقواها وهي حاسة البصر ووجد أن إمكان الغلط فيها كبير، فهي تنظر إلى الظل فتراه واقفا غير متحرك، فتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة نعرف أنه متحرك بالتدريج حتى لم تكن له حالة وقوف هذا مثال عن خطإ حاسة البصر،

[1] – المنقذ من الضلال – المرجع السابق – ص 28

والمثل الثاني الذي ضربه أن حاسة البصر تنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار، وبالأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار، وبعد هذا الاختبار على الحس والتوصل إلى أن لا أمان معها، تطرق الشك إلى جميع الحواس، وصار لا يثق بالمحسوسات وإنما ينبغي أن يبحث في العقليات وهي التي كشفت له خطأ الحواس، وعرف أن وراء الحواس وسيلة أيقن وهي العقل[1] وبنفس الطريقة أراد أن يضع العقل تحت الاختبار وقال في نفسه متشككا كما أن الحواس التي كنت أثق بها ظهر ما يناقضها، ويكشف أخطاءها وهو العقل، فلعل هناك ما يكشف أن العقل أيضا يخطئ كخطأ الحواس وأن هناك حاكما آخر يكشف خطأه، ولم يثبت إلا قليلا حتى قوي شكه فيه وأيد ذلك بالمنام وقال في نفسه، أما ترى تعتقد في النوم أمورا وتتخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن بجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ؟ لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك، كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوما بالإضافة إليها، فإذا وردت تلك الحالة، تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها، ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية أنها حالتهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذ غاصوا في أنفسهم، وغابوا عن حواسهم أحوالا توافق هذه المعقولات، ولعل تلك الحالة هي الموت، إذ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (الناس نيام)إذا ماتوا انتبهوا) [2] فلعل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[3])[4] . لما وصل الغزالي إلى هذا الحد من التفكير كانت موجة الشك تعصف به بشدة ولم تلبث أن القت به في أحضان السفسطة(فأعضل هذا الداء، ودام قريبا من شهرين، أنا فيهما على السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال)، وبعد هذه المدة صحت نفسه واعتدلت وعادت إليها الثقة بالحواس والضروريات، وأخبرنا أن ذلك لم يأت بتحرير دليل وإنما بنور قذفه الله تعالى في صدره، وأن

---

[1] المنقذ من الضلال – المرجع السابق، ص 28

[2] قال ابن العربي : ليس بخبر وإنما هو مثل ضربه بعض الحكماء ليظهروا ذلك، فضل الآخرة على الدنيا.
– آراء أبي بكر بن العربي الكلامية – المرجع السابق – ص 17

[3] ق: 22

[4] المنقذ من الضلال – المرجع السابق – ص 32

بك النور هو مصدر أكثر المعارف، ومن أهمله في الكشف فقد ضيق رحمة الله على عباده وهو المقصود بقوله تعالى﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [1] [2].

هكذا بدأ شك الغزالي في هذه المرحلة وهكذا انتهى، لكن شكه في الفرقة الناجية لم ينته بعد، وإنما كان الشك في هذه المرحلة في وسائل العلم اليقيني، وخرج بأنه يمكن الحصول عليه بالإضافة إلى الأدلة المحررة عن طريق الحواس والعقل بطريق اخر هو طريق الكشف. ومن هنا واصل بحثه عن الفرقة الناجية وعزز وسائله بوسيلة جديدة وهي الكشف والذوق ونوصل في الأخير بعد فحص دقيق لمختلف الفرق إلى أن الطالبين للحقيقة ينحصرون في أربع فرق ينبغي أن نطلب الحق عندهم، وهذه الفرق هي :

1. المتكلمون: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر.
2. الفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.
3. الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام، المعصوم.
4. الصوفية : وهم يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة[3].

أولا : علم الكلام

بدأ الغزالي البحث عن الحقيقة في علم الكلام وعند أهله، حيث حصله وطالع كتبه، وصنف فيه ما أراد، ولكنه خلص في الأخير الى أنه علم غير واف بمقصوده في البحث عن الحقيقة واليقين فهو علم قام من أجل حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش المبتدعة، واعتمد أهله للدفاع عن السنة على مقدمات تسلموها من خصومهم، واضطرهم إلى تسليمها إما التقليد أو إجماع الأمة أو مجرد القبول من القرآن والسنة، وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذاتهم بلوازم مسلماتهم[4]. وهذه الأدلة المعتمدة عند علماء الكلام لا تنفع الغزالي في هذه المرحلة التي ابتعد فيها عن التقليد ومجرد القبول فهو يبحث عن الحقيقة ابتداء كأنه لم يسمع شيئا عنها، ولعل أدلة أهل الكلام التي رأها الغزالي في نصرة مذهبهم ليست بأقوى من أدلة غيرهم، فجميعها تشترك في التقليد ومجرد القبول، والأخذ ببعضها ليس أولى

---

[1] الأنعام : 126

[2] - المنقذ من الضلال المرجع السابق - ص 33 ، 35

[3] -المنقذ من الضلال المرجع نفسه - ص 33- 35

[4] المنقذ من الضلال المرجع نفسه ص 39

من البعض الآخر، ومنه خرج بنتيجة: (فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت أشكو شافيا)[1].

ثانيا : الفلسفة

قال الغزالي : ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام، بعلم الفلسفة، وعلمت نفسنا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطلع على مالم يطلع عليه صاحب العلم، من غـــور وغائلة وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا[2] وقد أنجز الغزالي ما عزم عليه، فقـــد قرأ الفلسفة وطالع كتبها وتفكر فيها جيدا، واكتشف حقيقتها وسبب افتتان بعض الناس بها، ثـــم ألف فيها كتبا مثل كتاب التهافت الذي شغل الناس في الشرق والغرب لعدة قرون ولا زال كذلك اليوم، ولم يجد الغزالي الحقيقة التي يبحث عنها عند الفلاسفة وإنما وصل من دراسته للفلســـفة إلى أن أهلها ينقسمون إلى دهريين وطبيعيين وإلهيين، وخطأهم في عشرين مسألة وكفرهم فـــي ثلاث لأنهم خالفوا فيها كافة المسلمين، وذلك في قولهم :

1- أن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب، والمعاقب هي الأرواح المجردة، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية، ولقد صدقوا في إثبات الروحانية، فإنها كائنة أيضا، ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به.

2 - ومن ذلك قولهم : " إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات" وهذا أيضا كفر صريـــح، بل الحق أنه (لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض)[3]

3- ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيئ من هذه المسائل[4] ورأى الغزالي أن دراسة الفلسفة قد تركت في عوام المسلمين آفتين، آفة رد بحيث مـــن يطلـــع على هذه المسائل التي أخطأوا فيها يعتقد أنها كلها خطأ فيرد السقيم والسليم معا، وآفـــة قبـــول بحيث من يطلع على نظرياتهم الدقيقة في الهندسة والمنطق ويرى صحتها ودقتها وقيامها علـــى البرهان يعتقد أن كل، ما خاضوا فيه كذلك، فيصدقهم في كفرياتهم، وقد وقع في ذلـــك بعـــض

---

[1] المنقذ من الضلال - المرجع السابق - ص 30.

[2] المنقذ من الضلال - المرجع نفسه - ص 41.

[3] - سبأ :03.

[4] المنقذ من الضلال - المرجع السابق - ص 59.

المسلمين، ويرى الغزالي أن لأجل هذه الآفة – أي آفة القبول – يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغرر والخطر، وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط، يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب[1]، ولقد ألف الغزالي في الفلسفة وما يتعلق بها كتاب مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ومحك النظر ومعيار العلم.

ثالثا : مذهب التعليم و غائلته

و بعد الفراغ من الفلسفة اتجه الغزالي إلى دراسة مذهب التعليم، و هو مذهب الباطنية الذين يدعون معرفة أمور علموها من معلم معصوم، ونشير هنا مرة أخرى إلى أن الباطنية نشطت كثيرا في عصر الغزالي، وانتشر خطرها،و زرعت الرعب في كل مكان، ونشروا في أوساط المسلمين أفكارا منحرفة لا يقبلها الإسلام والعقل، ومع ذلك وجد لهم أتباع، وهم لا يأبهون بمن يرد عليهم، وهذا كله دفع الغزالي إلى أن يخوض في دعاويهم وأدلتهم ويكشف حقيقتها من زيفها، ومما زاده عزما وتصميما على ذلك ورود أمر من الخليفة للرد عليهم، وقد رد الغزالي على مذهب أهل التعليم في أكثر من خمسة كتب من كتبه، وهي المستظهري في الرد على الباطنية و القرامطة، والقسطاس المستقيم، والمنقذ من الضلال وفيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، وفي كتب أخرى ذكرها الغزالي ولم أرها و هي كتاب حجة الحق، وكتاب مفصل الخلاف وكتاب الدرج، ولم يجد عندهم ما كان يبحث عنه بل خرج من دراسته عنهم بقوله : فهذه حقيقة حالهم، فأخبرهم تقلهم[2]، فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم[3].

رابعا : طرق الصوفية

بعد فراغ الغزالي من دراسته لعلوم وكتب الفرق الثلاثة السابقة أقبل بهمته على دراسة طريق الصوفية، وعلم أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وقد عرف الغزالي ذلك لأنه نشأ في وسط صوفي ورأى أعمال أهل التصوف، ولكن معرفته لم تكن تتعدى ظور الملاحظة والمشاهدة، أما الخوض في أعماقها ومعرفة أدلتها وممارستها فلم يتأتى له ذلك بعد، ولذلك ابتدأ بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، قال الغزالي : فابتدأت بتحصيل علمهم، من مطالعة كتبهم مثل "قوت القلوب" لأبي طالب المكي-رحمه الله- وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات

---

[1] - المنقذ من الضلال - المرجع السابق -ص 66.

[2] - أي تبغضهم من القلى وهو البغض، وهذه الجملة مقتبسة من الحديث الشريف : "أحبوه تقله".

[3] - المنقذ من الضلال - المرجع السابق-ص 79.

المأثورة عن الجنيد و الشبلي، و أبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم و غيرهم من المشائخ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم و السماع، فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق و الحال و تبدل الصفات وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة، وحد الشبع، وأسبابهما وشروطهما، وبين أن يكون صحيحا وشبعانا، وبين أن يعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكران، فإن السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران، وما معه من علمه شيئ، والصاحي يعرف حد السكر، وأركانه، وما معه من السكر شيئ و الطبيب في حالة المرض، يعرف حد الصحة وأسبابها، أدويتها وهو فاقد الصحة، كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها، أسبابها، وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا[1] إذن هذه هي الفاتحة التي خرج بها الغزالي من دراسته لهذه الطريقة، وهي تختلف عن سابقاتها حيث كانت طرق المتكلمين و الفلاسفة و التعليمية لا تتعدى كونها معلومات تحصل في الذهن وكفى، وأما الطريقة الصوفية فهي تتعدى ذلك إلى العمل بذلك العلم، وقد حصل الغزالي من خلال مطالعاته الشطر الأول و هو العلم، لكن أن يترجم ذلك إلى العمل فذلك هو الصعب قال : وكان العلم أيسر علي من العمل[2].

فهو الآن من خلال رحلته الطويلة في طلب العلم منذ صغر سنه إلى مطالعته لكتب الصوفية قد حصل له إيمان يقيني بالله وبالنبوة وباليوم الآخر لكن سعادة الآخرة التي ينشدها الغزالي لا تحصل إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ولن يتم له تقوى إلا بالإعراض عن الشهوات و الجاه و المال، وصرف النفس عن كل الشواغل عدا الله سبحانه وتعالى، وتأمل الغزالي في نفسه و أعماله و علاقتها بالتقوى فرأى أن ذلك كله غير نافع له في طريق الآخرة وأن أحسن أعماله هو التدريس ينقصه الأساس و هو الإخلاص لوجه الله تعالى، بل باعثه طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقن أنه إن لم يستدرك ويصحح طريقه أو شك أن يخسر آخرته ويهوي بذلك في النار، وهنا بدأت بوادر الانقلاب النفسي و السلوكي، وقبل أن يتم ذلك الانقلاب بقي مدة في صراع مع نفسه فهو بفكره يريد ترك بغداد وماله فيها و التفرغ للخلوة، ونفسه تثبطه وتريد منه المقام وبين هذا وذاك وقع في مرض عجز عنه الأطباء، قال : فلم أزل أتفكر فيه مدة، وأنا

---

[1]- المنقذ من الضلال -المرجع السابق -ص 82

[2]- المنقذ من الضلال -المرجع نفسه -ص 80

بعد إلى مقام الاختيار، أصمم العزم على الخروج من بغداد، ومفارقة تلك الأحوال وأحمل العزم يوما، وأقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة إلا وتحمل عليها حند الشهوة حملة، فتفترها عشية، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام ومنادي الإيمان ينادي: الرحيل، الرحيل، فلم يبق من العمر إلا قليل، وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل، فإن لم تستعد الآن للآخرة، فمتى تستعد وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع؟ فعند ذلك تنبعث الداعية، وينجزم العزم على الهرب والفرار.

ثم يعود الشيطان ويقول : " هذه حال عارضة إياك أن تطاوعها، فإنها سريعة الزوال، فإن أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض، والشأن المنظوم الخالي من التكدير والتنغيص، والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، وربما التفت إليه نفسك ولا يتيسر لك المعاودة.

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريبا من ستة أشهر أولها: رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار : إذ أقفل الله على لساني: حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة إليّ : فكان لا ينطلق لساني بكلمة واحدة، ولا أستطيعها البتة، حتى أورثت هذه العلقة في اللسان، حزنا في القلب، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب، فكان لا يسأغ لي ثريد ولا تنهضم لي لقمة، وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم من العلاج، وقالوا : "هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج، إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم.

ثم لما أحسست بعجزي، وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر، الذي لا حيلة له، فأجابني الذي ﴿يجيب المضطر إذا دعاه﴾ [1] وسهل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب[2].

هذه هي حياة الغزالي في بغداد دخلها في زهو كبير، حيث أعجب الكل بتدريسه، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق، وعلت حشمته فيها حتى على دار الخلافة، وشدت إليه الرحال لتلقي العلم منه، ونال من الجاه العريض مالم ينله غيره، ثم أراد أن يخرج منها خفية، صفر اليدين خالي القلب إلا من ذكر الله تعالى، وهنا يصح لنا أن نقول بأن الغزالي قضى زمنا وهو

---

[1] - النمل: 62

[2] - المنقذ من الضلال - المرجع السابق - ص 83 - 84 - 85

بحث عن الحقيقة، وقد وجدها أخيرا، ولم يكتف بمجرد وجودها، بل بدأ العمل بمقتضاها ... فعلة من تركه لبغداد وماله فيها، هو بداية الطريق بعد التحقيق وقد وجد الغزالي الحقيقة عند أهل التصوف فهي الفرقة الناجية من أهل السنة.

و قد اختلف الباحثون كثيرا في أسباب شك الغزالي، فيرى الأعسم أنه وقع في شك مفاجئ مع قلق نتج عن خوفه عما كان يحدق به من أخطار، مع استشعار حاد للخطر السياسي الذي كان يتهدده، ولو أنه لم يشر لذلك صراحة[1]. وهذا الخطر السياسي من قبل الباطنية الذين كثرت اغتيالاتهم فرد عليهم بكتاب فضائح الباطنية، أو المستظهري بتكليف من الخليفة.

أما الدكتور عمر فروخ فكان يرى أن الغزالي كان مصابا بالكنظ أو الغنظ، وهو مرض وراثي معناه هبوط في القوى الجسمانية والعقلية ينتج اضطرابا نفسيا، ويرى أن هذا المرض هو سبب التناقضات التي نجدها في كتبه، لأن هذا المرض يجعله قابلا للتوهم كثيرا، فيترجح بين الشك والاقتناع[2].

و يرى الدكتور جميل صليبا أن رجوع الغزالي بعد طول التشكك إلى الوثوق بأحكام العقل معناه أن شكه لم يكن إلا شكا منهجيا مؤقتا، وجد نفسه على شفا جرف هار فالتجأ إلى الله تعالى فأنقذه من الشك، فهو بالرغم من شكه في كل شيئ لم يفقد ثقته بالألطاف الإلهية ساعة واحدة[3].

و أما الدكتور محمد ابراهيم الفيومي فتوسع وذهب إلى أن لشك الغزالي عدة أسباب : قسمها إلى عامة وخاصة، والأسباب العامة هي تتلمذه على الجويني الذي سبقه إلى الشك، وطابع العصر العلمي، وثالثا الجو السياسي، أما الأسباب الخاصة، فهي اختلاف الناس حول الأديان، وتحديده لمفهوم اليقين، وثالثا الحقيقة بين المطلق والنسبي، وأخيرا مؤهلاته العلمية[4]

و قبل أن نوضح الرأي المناسب في أسباب الشك نقول بأن ما ذهب إليه عبد الأمير الأعسم لا يمكن التسليم به، نظرا لأن الغزالي لم يشر إليه من بعيد ولا قريب، كما أن الغزالي لم يكن خائفا من أي خطر سياسي وخاصة من الباطنية، صحيح أن الباطنية كثرت اغتيالاتهم،

---

[1] - الفيلسوف الغزالي للأعسم -المرجع السابق - ص 77 وما بعدها.

[2] - الفيلسوف الغزالي للأعسم -المرجع نفسه- ص 77 وما بعدها.

[3] - جواهر القرآن للغزالي -المرجع السابق - المقدمة ص23 نقلا عن مجلة العربي الكويتية عدد 13.

[4] - الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل -الدكتور محمد إبراهيم الفيومي دار الفكر العربي -القاهرة ص92،93،94،95،96،97.

وزرعوا الرعب والهلع في كل مكان، ولكن يبدو أن الغزالي كان بعيدا عن مؤامراتهم، ولم يكن خائفا من خطرهم ولو كان كذلك لما ألف في الرد عليهم في بغداد حينما كان قريبا من مركز القرار في الدولة، وفي خلوته حينما كان هائما على وجهه يتنقل وحيدا، أما المرض الذي يدعيه الدكتور عمر فروخ فليس سببا وجيها لأن المرض لا يعطي معلومات دقيقة تترتب عليها نتائج، والغزالي قدم معلومات صحيحة ودقيقة في حال شكه، شككت في الفرق المختلفة، وفي العلم اليقيني، وفي وسائل إدراكه وفوق هذا فقد انتهى به شكه وبحثه إلى تغيير في الأحوال عن اقتناع، وأما ما ذكره الدكتور جميل صليبا، فلا يمكن إذكاره وقد أشرت إلى منهجية شك الغزالي فيما سبق، وبينت أنه كان مدروسا وعن وعي، وما ذهب إليه الدكتور القيومي فهو أيضا قريب مما قرره الغزالي نفسه وكذا الظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية في عصره، ويمكن حصر أسباب شك الغزالي فيما يلي :

1- اختلاف الخلق في الأديان والملل ثم اختلاف الأمة في المذاهب، وكثرة الفرق، والغزالي عايش هذا الاختلاف، وشاهده عن قرب، وتأمله جيدا، وتذكر قول -الرسول صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق: "ستفترق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة [1]. فما دام أن الناجية واحدة بنص الحديث والفرق كثيرة، وليس هناك في النص ما يشير إليها، هذا كله بعث الغزالي إلى الشك فيها جميعا، والبحث عنها بعيدا عن التقليد، وعصر الغزالي كان مليئا بهذه الفرق والمذاهب، وكان التطاحن والتقاتل والاختلاف قائما بينها، وكل منها يزعم أنه الناجي دون غيره.

2- طبيعة شخصية الغزالي القائمة على البحث والتنقيب ومعرفة حقائق الأمور والتطلع إلى الاجتهاد وترك التقليد (ولم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين – أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على كنه

---

[1] – ورد الحديث في مسند الإمام أحمد برواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:رسول الله صلى الله عليه وسلم : افترقت اليهود إلى إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.
المسند لأحمد بن محمد بن حنبل تحقيق أحمد محمد شاكر-مكتبة التراث الإسلامي القاهرة رقم 8377 جـ 16 ص 169.

فلسفته، ولا متكلما إلا وأجتهد في الإطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبدا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقا معطلا إلا وأتحسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته، في تعطيله وزندقته.

و قد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي، وديدني، من أول أمري، وريعان عمري غريزة وفطرة من الله، وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت علي العقائد الموروثة، على قرب عهد سن الصبا، إذ رأيت صبيان النصارى، لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- حيث قال : "كل مولود يولد على الفطرة: فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه [1]، فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات، وأولها تلقينات، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات.

فقلت في نفسي: أولا إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور، فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني : هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطإ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين، مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه - مثلا - من يقلب الحجر ذهبا، والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكا وإنكارا، فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل لا بل الثلاثة أكثر من العشرة، بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا، وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشك بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفيه قدرته عليه، فأما الشك فيما علمته، فلا.

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه، ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني[2].

فمن خلال هذه الكلمات اتضحت لنا طبيعة شخصية الغزالي منذ صغره إلى أن أناف السن على الخمسين، فهي شخصية بحاثة لا تكتفي بالظواهر بل تحب الغوص في الأعماق

---

[1] - سبق تخريجه.

[2] - المنقذ من الضلال -المرجع السابق- ص 25،26،27،28

لكشف حقائق الأمور كما هي لا كما يصورها الناس، ولا تكتفي حتى غوصها بالبحث عن الحق فهي لا ترتضي إلا باليقينيات التي لا يتطرق إليها إمكان الغلط والوهم، ولا شك أن شخصية كهذه لا تقبل إلا باليقين المحض، لا بد للوصول إلى اليقين أن نمر بنوعين الكبرى، وهي الشك، وهذا ما فعله الإمام، حيث شك في الفرقة الناجية من بين الفرق، وشك في الفطرة الأصلية المتسوية بتقليد الوالدين والأستاذين، وشك كذلك في الطريق المؤدية إليهما.

3 طبيعة تكوينه العلمي وسعة ثقافته، فالغزالي أينعت ثمار تعليمه في نظامية نيسابور وعلى يد أستاذه الفذ الجويني، وهو قد قضى فترة ليست بالقصيرة بين يدي أستاذه يلقنه ما يشاء ومن الطبيعي أن يتأثر التلميذ بأستاذه، والغزالي جاء صورة مشابهة لأستاذه في أمور كثيرة منها أنواع العلوم التي خاض فيها، ومنها الشك أيضا فالجويني لم يرض في شبابه بتقليد والده وأصحابه حتى أخذ في التحقيق وجد واجتهد في المذهب والخلاف ومجالس النظر حتى ظهرت نجابته ولاح على أيامه همة أبيه وفراسته، وسلك طرق المباحثة وجمع الطرق بالمطالعة والمناظرة والمناقشة[1] ولعله سبق الغزالي فيما شك فيه تحديدا وهو الفرقة الناجية، حيث قال: لقد قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، الآن قد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطف بره فأموت على دين العجائز، وتختم عاقبة أمري عند الرحيل على مذهب أهل الحق وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله فالويل لابن الجويني[2] يريد نفسه، قال السبكي تعليقا على هذا الكلام : ظاهر هذه الحكاية عند من لا تحقيق عنده البشاعة، وأنه خلى الإسلام وأهله، وليس هذا معناها، بل مراده أنه أنزل المذاهب كلها في منزلة النظر والاعتبار غير متعصب لواحد منها بحيث لا يكون عنده ميل يقوده إلى مذهب معين من غير برهان ثم توضح له الحق وأنه الإسلام، فكان على هذه الملة عن اجتهاد وبصيرة لا عن تقليد[3]. ونضيف هنا أن عبارة دين العجائز قد وردت كثيرا في التراث الإسلامي، والمقصود بها التسليم المطلق بما ورد به الوحي دون مناقشة وتساؤل والمقصود به ترك البحث والنظر في الأمور الاجتهادية.

[1] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي المرجع السابق- مجلد 3 ص 254

[2] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي المرجع نفسه مجلد 3 ص 260

[3] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي المرجع نفسه- مجلد 3 ص 260

فمن خلال هذا الكلام للجويني، ومن خلال الاطلاع على ترجمته يصبح لنا أن الخلاف بينه وبين الغزالي قد حدث في جوانب متعددة، والذي يقرأ ترجمة الغزالي وهو يحصل العلوم ثم يقرأ بعد ذلك ترجمة الجويني لا يجد فرقا بينهما، وإذا كان الجويني قد رجع عن التقليد وعض بالنواجذ عن حقائق الأمور، فإن الغزالي فعل ذلك أيضا، ثم إن كلا منهما قد رجع بعد بحث ونظر إلى بداية الطريق وهو التقليد، فالجويني رجع إلى دين العجائز حيث وجد أنه الصواب بعد البحث والغزالي رجع بعد طول الشك والاجتهاد إلى المذهب الذي نشأ عليه، والطريق الذي كان عليه أبوه وكافله، وهو طريق التصوف.

المطلب الثالث : من الخلوة حتى الوفاة

تكلمنا في المطلب السابق أن الغزالي استقر بعد الشك وطول البحث ومعاناته على مذهب أهل التصوف، وبدأ يعمل بما علم، وقلب تفكيره رأسا على عقب فبعد أن كان يسعى إلى العلم الذي به يطلب الجاه أصبح يسعى إلى العلم الذي به ينزع الجاه، ولكن هذا الانقلاب الفكري الذي اعتراه ليس من السهل أن يترجمه فعليا، ولذلك لجأ إلى التحايل حتى يخرج من بغداد ويسهل عليه تنفيذ ما استقر عليه تفكيره، فبقاؤه في بغداد لا يمكنه من ذلك، كما أن علم الخليفة والأصحاب بما عزم عليه من الخروج قد يمنعه من ذلك أيضا، ولذلك كتم أمرين أولهما ما استقر عليه تفكيره، وثانيهما، عزمه الخروج من بغداد، فقال : وأظهرت عزم الخروج إلى مكة، وأنا أدبر في نفسي سفر الشام، حذرا أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي في المقام بالشام، فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم ألا أعاودها أبدا، واستهدفت لأئمة أهل العراق كافة، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كنت فيه سببا دينيا، إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم.

ثم ارتبك الناس في الاستنباطات، وظن من بعد عن العراق، أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة، وأما من قرب من الولاة، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكباب على، وإعراضي عنهم وعن الالتفاف إلى قولهم فيقولون : " هذا أمر سماوي، وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الإسلام وزمرة أهل العلم" .

ففارقت بغداد، وفرقت ما كان معي من المال، ولم أدخر إلا قدر الكفاف، وقوت الأطفال، ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح، لكونه وقفا على المسلمين، فلم أر في العالم مالا يأخذه العالم لعياله، أصلح منه.

ثم دخلت الشام، وأقمت به قريبا من سنتين، لا شغل لي إلا العزلة، والخلوة والرياضة، والمجاهدة، اشتغالا بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب بذكر الله تعالى، كما كنت حصلته من علم الصوفية، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي.

ثم رحلت منها إلى بيت المقدس، أدخل كل يوم الصخرة، وأغلق بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج، واستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت إلى الحجاز.

ثم جذبتني الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودت بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه، فآثرت العزلة به أيضا، حرصا على الخلوة، وتصفية القلب للذكر.

و كانت حوادث الزمان، ومهمات العيال وضرورات المعاش، تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة، وكان لا يصفو لي حال إلا في أوقات منفرقة لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها. ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها[1].

هكذا أرّخ الغزالي لهذه الفترة من حياته باختصار حيث بين سبب وكيفية خروجه من بغداد وماذا عمل في خلوته تلك، وذكر الأماكن والمشاهد التي زارها، إلا أن هذا الايجاز الذي أرخ به الغزالي لنفسه جعل بعض الباحثين يتساءلون حول عدة قضايا منها، هل كان سبب خروجه من بغداد سببا دينيا محضا أم أن وراءه أسباب سياسية وأمنية، والتساؤل الثاني في ترتيب الأماكن التي زارها، وماذا كان يعمل فيها ؟ والثالث هل زار مصر؟ وهل عاد إلى بغداد مرة أخرى ؟ وكم دامت خلوته ؟

فأما سبب خروجه من بغداد وتركه ما كان فيه من الجاه العريض، فإن الغزالي قد تحدث عنه بصراحة وبوضوح وهو الإعراض عن الجاه والمال، والأولاد و الأصحاب،

[1] -المنقذ من الضلال - المرجع السابق- ص 86 -87

ولتفرغ للعبادة وتصفية النفس من الشوائب والكدورات، والحقيقة أن هذا الاضطراب [illegible] في حياة الغزالي لم يهضمه الناس في ذلك الوقت بسهولة، ولذلك فإنهم لم ينصفوه [illegible] التدريس لسبب ديني، لظنهم أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين، كما أن الناس [illegible] العراق والذين لا يعرفون حقيقة علاقة الغزالي بالولاة ظنوا أن الخروج كان بسبب سوء [illegible] مع الولاة، وأما من قرب منهم، ويعرف حقيقة حال الغزالي معهم بإقبالهم عليه، [illegible] عنهم، فلم يجدوا لهذا الخروج سببا إلا عين أصابت أهل الإسلام، وزمرة أهل العلم، [illegible] بعض الباحثين المعاصرين إلى أن الغزالي خرج من بغداد لاستشعاره بالخطر السياسي الذي كان يتهدده خاصة من جهة الباطنية، ونحن لا نسلم بهذا السبب. صحيح أن الباطنية اغتالت الكثير من معارضيهم، وصحيح أيضا أن الوزير نظام الملك اغتيل عام 485 هـ، وفي نفس السنة توفي السلطان ملكشاه، واضطربت الأحوال السياسية، لكن ذلك إنما جاء عرضا مع ما عزم عليه الغزالي بعد ذلك، ولو كان الغزالي مهددا وخائفا من الباطنية، فلا شك أن بقاءه في بغداد أسلم له، لاهتمام الولاة وطلبة العلم به، وهؤلاء يمكن أن يوفروا له الحماية اللازمة وهذا أحسن بكثير من خروجه إلى أرض لا يعرفها، وليس له فيها من الناس نصير، ثم إن تفريق الغزالي ما كان معه من المال يمنع هذا السبب، فلو كان خائفا، وهاربا من الاضطراب السياسي لاحتاط لنفسه بأخذ ماله، وهو لم يفعل لأن ترك المال نتيجة من نتائج الانقلاب الفكري الذي اعتراه، ثم إن الغزالي لم يشر إلى هذا السبب من قريب ولا من بعيد، ولم يتحدث عنه المترجمون له أيضا، وهو مجرد تخمين لا أكثر.

وأما ترتيب الأماكن التي زارها في خلوته، فهو يذكر أنه دخل الشام وأقام به قريبا من سنتين، قضاها في العزلة، والخلوة، والرياضة والمجاهدة، اشتغالا بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى.

ثم رحل منها إلى بيت المقدس، يدخل كل يوم الصخرة، ويغلق بابها على نفسه ثم رحل لأداء فريضة الحج، فسار إلى الحجاز، ثم جذبته الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده، بعد أن كان أبعد الخلق عن الرجوع إليه وبه أثر العزلة أيضا، حرصا على الخلوة، وتصفية القلب للذكر.

هذا ما ذكره الغزالي نفسه عن ترتيب هذه الأماكن والغريب أن المترجمين له لم يذكروا هذا الترتيب، فعبد الغافر الفارسي، وابن عساكر، وابن خلكان، والأسنوي، والسبكي وابن العماد

كلهم ذكروا أنه خرج من بغداد قصد الحج ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريبا من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة[1] ويذكر السبكي أنه قصد الحج عام 488 هـ، وفي عام 489 هـ، قصد الشام فلبث فيها بوميات يسيرة على قدم الفقراء ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع وبها كانت إقامته[2] ، وقال ابن خلكان : ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة 488 هـ، وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج، وناب عنه أخوه أحمد في التدريس، فلما رجع توجه إلى الشام، فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه، وانتقل منها إلى البيت المقدس واجتهد في العبادة، وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة، ثم قصد مصر ، وأقام بالإسكندرية مدة [3] وقال ابن عساكر : فخرج عما كان فيه، وحج ودخل الشام، وأقام في تلك الديار قريب عشر سنين يزور المشاهد المعظمة... ثم ذكر بعد ذلك عودته إلى وطنه ملازما بيته[4]. وقال ابن العماد : فخرج إلى الحجاز سنة 488 هـفحج ورجع إلى دمشق واستوطنها عشرسنين بمنارة الجامع، وصنف فيها كتبا يقال إن الإحياء منها، ثم صار إلى القدس والإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه بطوس مقبلا على التصنيف والعبادة وملازمة التلاوة ونشر العلم [5].

هذا ما ذكره المترجمون في ترتيب رحلته، ونحن لا نشك في خطإه، لأن هؤلاء كلهم نقلوا عن واحد منهم، وهو عبد الغافر الفارسي خطيب نيسابور والذي كان معاصرا للغزالي، ولا شك أن الغزالي عندما خرج من بغداد أظهر عزمه الخروج إلى الحج، وشاع عند الناس ذلك، ومنهم عبد الغافر الفارسي، فبقي معتقدا ذلك حتى بعد لقائه به، ولم أجد في كتب هؤلاء المترجمين إشارة إلى كتاب المنقذ في مؤلفات الغزالي التي ذكروها، ولو اطلعوا عليه لتغير الترتيب لديهم، ولا شك أن الأخذ بما في المنقذ وهو الذي يحكي السيرة الذاتية للغزالي أولى من الأخذ من غيره، فالغزالي خرج أولا إلى الشام، ثم إلى بيت المقدس ثم إلى الحج، وبقي بين هذه الأماكن قريبا من عشر سنين، وهذه المدة قضاها كما ذكر في الرياضات والمجاهدات والعبادات، وتزكية النفس، وتلاوة القرآن، وتصنيف الكتب، متزيّ بزي الفقراء والمساكين

---

[1]-طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق- مجلد 4 ص 108

[2]-طبقات الشافعية الكبرى - المرجع نفسه- مجلد 4 ص 104

[3]-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-المرجع السابق- جـ4 ص 218

[4]- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر -المرجع السابق- ص 198.

[5]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب -المرجع السابق جـ4 ص 11

مبتعدا عن الدنيا وزينتها ويذكر السبكي أنه قصد الاجتماع بالشيخ نصر ،و أنه لم يدخل إلى دمشق إلا يوم وفاته فصادف أنه دخل إلى الجامع، وهو لابس زي الفقراء، فاتفق جلوسه في الزاوية المشار إليها – أي زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة إليه فبعد هنيهة أتى جماعة من طلبة العلم وشاركوه في العلوم بعد أن تأملوه ونظروا إليه مليا فوجدوه بحرا لا ينزف فقال لهم : ما فعل الشيخ نصر المقدسي؟ قالوا : توفي وهذا مجيئنا من مدفنه، وكان لما حضرته الوفاة سألناه من يخلفك في حلقتك فقال : إذا فرغتم من دفني فعودوا إلى الزاوية تجدون شخصا أعجميا، ووصفك لنا، أقروه مني السلام وهو خليفتي، ثم قال السبكي بأن الذي أوصى به نصر المقدسي أن يخلفه هو نصر الله المصيصي تلميذه، ومنها أنه لما دخلها على زي الفقراء جلس على باب الخانقاه السميساطية إلى أن أذن له فقير مجهول لا يعرف وابتدأ يكنس الميضات التي الخانقاه وخدمتها، واتفق أن جلس يوما في صحن الجامع الأموي وجماعة من المفتين يتمشون في الصحن وإذا بقروي أتاهم مستفتيا ولم يردوا عليه جوابا والغزالي يتأمل، فلما رأى الغزالي أنه لا أحد عنده جوابه ويعز عليه عدم إرشاده دعاه وأجابه، فأخذ القروي يهزأ به، ويقول : إن كان المفتون ما أجابوني، وهذا فقير عامي كيف يجيبني، وأولئك المفتون ينظرونه فلما فرغ من كلامه معه دعوا القروي وسألوه ما الذي حدثك به هذا العامي فشرح لهم الحال فجاؤوا إليه وتعرفوا به واحتاطوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلسا فوعدهم إلى ثاني يوم، وسافر من ليلته - رضي الله عنه – ومنها أنه صادف يوم دخوله المدرسة الأمينية المدرس يقول : قال الغزالي وهو يدرس من كلامه فخشي الغزالي على نفسه العجب ففارق دمشق وأخذ يجول في البلاد[1]، وهذا يدل على الانقلاب الجذري والتحول الكبير الذي طرأ على الإمام.

ونقل ابن العماد الحنبلي [2] عن كتاب زاد السالكين أن القاضي أبا بكر بن العربي [3] قال رأيت الإمام الغزالي في البرية وبيده عكازة وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة، وقد كنت رأيته ببغداد بحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم قال : فدنوت منه وسلمت عليه، وقلت له: يا إمام أليس تدريس العلم ببغداد خير من هذا ؟

---

[1]– طبقات الشافعية الكبرى –المرجع السابق– مجلد 4 ص 105.

[2] سبق التعريف به.

[3] سيأتي ترجمته مفصلة ضمن تلاميذ الغزالي.

قال : فنظر إلي شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة في فلك الإرادة – أو قال سماء الإرادة وجنحت شمس الوصول في مغارب الأصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ۞ وعدت إلى تصحيح أول منزل

و نادت بي الأشواق مهلا فهذه ۞ منازل من تهوى رويدك فانزل

غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد ۞ لغزلي نساجا فكسرت مغزلي[1]

هكذا قضى الغزالي حياته في خلوته يكاد يفعل تماما عكس ما كان يفعله ببغداد فقد كان في بغداد يسعى الى الجاه و المال و الشهرة، وحصل كل ذلك، وهو الآن في خلوته يسعى إلى ازالة تلك الشهرة وذلك الجاه، فلا يريد أن يتعرف عليه أحد، ولا يريد أن يظهر علمه، وكوامن نفسه لأحد أيضا، وكأني أرى الغزالي قد ندم على الفترة التي سبقت خلوته، فهو يعتبرها فترة ضلال "...فلقد تعثرنا في أذيال هذه الضلالات مدة لشؤم أقران السوء وصحبتهم، حتى أبعدنا الله عن هفواتها ووقانا من ورطاتها..."[2]، ومن بين هذه الضلالات التي ندم عليها عدم الإخلاص في عمله وتدريسه، وكأنه أراد في هذه الفترة من صفوته أن يكفر عما سبق، فتحول على هذا المستوى من النقيض إلى النقيض " وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيتي، وأما الآن فأدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه، ويعرف به سقوط رتبة الجاه، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي يعلم الله ذلك مني، وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولست أدري أأصل إلى مرادي أم أحترم دون غرضي؟ ولكني أومن إيمان يقين، ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وإني لم أتحرك لكنه حركني، وإني لم أعمل، لكنه استعملني فأسأله أن يصلحني أولا ثم يصلح بي، ويهديني، ثم يهدي بي، وأن يريني الحق حقا، ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلا، ويرزقني اجتنابه[3]. وقد قال هذا الكلام بعد رجوعه إلى نشر العلم مرة أخرى في نظامية نيسابور لأسباب سنذكرها لاحقا.

أما زيارة الغزالي لمصر فلم يشر إليها في المنقذ بينما ذكرها السبكي حيث قال بأنه دخل مصر وتوجه منها إلى الاسكندرية، فأقام بها مدة وقيل إنه عزم على المضي إلى السلطان

---

[1]- الكتاب للشيخ علاء الدين بن الصيرفي.

[2]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب -المرجع السابق- ج 4 ص 13

[3]- المنقذ من الضلال -المرجع السابق- ص 106

يوسف بن تاشفين[1] سلطان المغرب لما بلغه من عدله فبلغه موته[2]، كما ذكر ذلك ابن العماد[3] وابن خلكان[4]، ونحن نشك في هذه الرواية التي ذكرها السبكي، ونرجح أنه ما دخل مصر، فالسبكي يذكر أنه عزم الركوب من الاسكندرية إلى يوسف بن تاشفين سلطان المغرب فبلغه موته، معناه أن الغزالي كان موجودا بمصر سنة خمسمائة، وهي السنة التي توفي فيها ابن تاشفين، بينما يذكر الغزالي نفسه وكذا المؤرخون له أنه خرج من بغداد سنة ثمان وثمانين، ومكث في رحلته عشر سنوات فرجوعه من الرحلة كان سنة تسع وتسعين على أبعد تقدير، ولو دخل الغزالي في هذه المدة إلى مصر فعلا لأمكنه الركوب إلى ابن تاشفين، ومن جهة أخرى فإن الغزالي قد صرح أنه كان في نظامية نيسابور سنة 499هـ، هذا من جهة الدراسة التاريخية، ومن جهة ثانية فإن الغزالي بخروجه من بغداد قد خرج عن الدنيا وما فيها، وأصبح لا شغل له إلا الخلوة والعزلة والذكر، فكيف يفكر في الالتحاق بسلطان ملك المغرب والأندلس، الذي دانت له الدنيا في تلك البلاد وما غرضه من ذلك السفر؟، والسبب الثالث الذي قد يكون مانعا من دخول الغزالي إلى مصر هو طبيعة الحكم في مصر، فالفاطميون كانوا يتعاطفون ويتعاملون مع الباطنية، وقد استقبل سلطانهم الحسن بن الصباح وأخذ منه البيعة، والغزالي كما هو معروف قد شن حملة شعواء ضد الباطنية، وفوق هذا كله فهو كان من العلماء الذين انتدبتهم الدولة العباسية للرد على الفاطميين ومذهبهم، والعداوة كانت مستحكمة بين الدولتين، ولا شك أن في دخول الغزالي إلى مصر خطر على حياته، لهذه الأسباب كلها نؤكد أن الغزالي قضى رحلته متنقلا بين الحجاز ودمشق وبيت المقدس وأن دخوله إلى مصر لا مكان له في رحلته وفي حياته، ولا يصح الاعتماد على ما أظهره الغزالي من رضى على يوسف بن تاشفين، وفتواه بفتح بلاد الأندلس في إثبات دخوله مصر. وهذا ما ذهب إليه اليافعي حيث أنكر دخول الغزالي إلى مصر والإسكندرية لأن الغزالي لم يذكرها في المنقذ، ولأن الغزالي قد ترك الدنيا وتخلص من الملوك في بغداد، واحتال لذلك، كما أن ابن عساكر لم يذكرها أيضا[5].

---

[1]- يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس، كان ناصرا لأقوال الفقهاء مكرما للعلماء استمد ولايته من الخليفة المستظهر بالله، وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين توفي سنة خمسمائة.

- الكامل في التاريخ -المرجع السابق- جـ 8 ص 232.

[2]- طبقات الشافعية الكبرى-المرجع السابق- مجلد 4 ص 105.

[3]- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - المرجع السابق - جـ 4 ص 11.

[4]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - المرجع السابق - جـ 4 ص 218.

[5]- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تأليف الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي المتوفى سنة 768هـ، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة الطبعة الأولى 1337 بحيدر آباد بالهند، الطبعة الثانية 1413، 1993، القاهرة.

و بعد هذه المدة الطويلة التي قضاها الغزالي في رحلته عاد إلى وطنه مـــرورا ببغـــداد التي مكث بها مدة قصيرة، و عقد بها مجلسا للوعظ، وتكلم على لسان أهـــل الحقيقـــة، وحـــدث بكتاب الإحياء[1]، ولما وصل إلى طوس لم يلبث غير مدة قصيرة في خلوته و عزلتـــه، حتـــى جاء كتاب من الوزير فخر الملك[2] يدعوه إلى التدريس بنظامية نيسابور التي درس فيها علـــى يد أستاذه الجويني، قال الغزالي: فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلـــوب، و المشـــاهدات، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة و الخروج من الزاوية، وانضاف إلـــى ذلـــك منامـــات مـــن الصالحين كثيرة، متواترة، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدرها الله سبحانه على رأس المائة، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس مائة[3]، فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات وبسر الله تعالى الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة ســـنة تسع وتسعين وأربعمائة وكان الخروج من بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائـــة، وبلغـــت مـــدة العزلة إحدى عشر سنة [4].

و هذه حركة قدرها الله تعالى، وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انفتـــاح فـــي القلب في هذه العزلة كما لم يكن الخروج من بغداد، والنزوع عن تلك الأحـــوال، ممـــا خطـــر إمكانه أصلا بالبال، والله تعالى مقلب القلوب والأحوال، وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن[5].

و أنا اعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم، فما رجعت فإن الرجوع عود إلى ما كـــان، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولي وعملي ، وكان ذلك

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى –المرجع السابق مجلد 4 ص 105.

[2] – هو أبو المظفر علي بن نظام الملك وزر للسلطان بركياروق، وللملك سنجر؛ قتله باطني وهو صائم يوم عاشوراء سنة خمسمائة وكان عمره ست وستون سنة.

– الكامل في التاريخ المرجع السابق جـــ 8 ص 237.

[3] –ورد في سنن أبي داوود عن أبي هريرة، عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

–صحيح سنن المصطفى لأبي داوود–دار الكتاب العربي–بيروت–كتاب الملاحم باب 1 جزء 2 ص 209.

[4] – المنقذ من الضلال – المرجع السابق – ص 105.

[5] –ورد هذا الحديث في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يقول : إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن عزوجل كقلب واحد، ويصرف كيف يشاء، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك.

– المسند–المرجع السابق–حديث رقم 6569 جزء 10 ص 76.

قصدي ونيتي ، وأما الآن فأدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه هذا هو الآن نيتي وقصدي و أمنيتي بعلم الله ذلك مني.[1]

بقي الغزالي مدرسا في نظامية نيسابور حتى سنة خمسمائة وثلاث، ثم عاد إلى طوس، فاتخذ إلى جوار بيته مدرسة لطلبة العلم، وخانقاه للصوفية، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة إلى أن أصابه عين الزمان وضنت الأيام به على أهل عصره فنقله إلى كريم جواره بعد مقاساة أنواع من التقصد والمناواة من الخصوم والسعي به الى الملوك، وكفاه الله وحفظه وصانه عن أن تنوشه أيدي المنكبات أو ينتهك ستر دينه بشيئ من الزلات، وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى- صلى الله عليه وسلم - ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم الذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية واشتغل في اخر عمره بسماعها، ولم تتفق له الرواية ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع تخلد ذكره وتقرر عند المطلعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده [2] .

---

[1]- المنقذ من الضلال - المرجع السابق - ص 105

[2]-طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق مجلد 4 ص 109-110

وفاتــه :

مضى إلى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأخرة سنة خمس وخمسمائة، ودفن بظاهر قصبة طابران[1] والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة في أخرته كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنه، ولم يعقب إلا البنات، وكانت له من الأسباب إرثا وكسبا ما يقوم بكفايته وبفقه أهله وأولاده، فما كان يباسط أحدا في الأمور الدنيوية، وقد عرضت عليه أموال فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه إلى التعرض لسؤال ومثال من غيره [2]. هذا ما قاله عبد الغافر الفارسي خطيب نيسابور المعاصر للغزالي، الزائر له بعد رجوعه من رحلته، وقال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات : قال أحمد أخو الإمام الغزالي لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبوحامد وصلى وقال: عليّ بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه، وقال سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه، واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار قدس الله روحه[3]. ونشير هنا إلى أن طوس تضم قبور هارون الرشيد، والإمام الرضا بالإضافة إلى قبر الإمام الغزالي، وهي مزارات يزورها الناس.

ولا يفوتنا في أخر هذه الترجمة أن نشير إلى أن حياة الغزالي بعد خروجه من بغداد يكتنفها الكثير من الغموض، والتناقض عند الباحثين، ومكان ذلك أن ابن العربي يذكر أنه لقي الغزالي سنة تسعين وأربعمائة ببغداد، وأن خلوته، وطريقته الصوفية بدأت سنة ست وثمانين[4]، بينما ذكر الغزالي وكل المترجمين له أنه ترك بغداد سنة ثمان وثمانين، ولا يتم التوفيق بين الروايتين إلا إذا سلمنا أن الغزالي قد عاد إلى بغداد في تلك السنة ثم رجع إلى الشام، والمثال الثاني هو لقاء الغزالي لابن تومرت [5]، اختلفوا في أصل اللقاء، وفي مكان حصوله، كما اختلفوا في دخوله إلى مصر وقد مر بنا وهذه الأمور مازالت في حاجة إلى بحوث أخرى.

لما توفي الغزالي رثاه الأديب الأبيوردي[6] فقال :

---

1 إحدى مدينتي طوس، الآن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان، معجم البلدان - المرجع السابق- جـ 6 ص 02

2 طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق - مجلد 4 ص 110

3 طبقات الشافعية الكبرى المرجع نفسه - مجلد 4 ص 105-106

4 أنظر أبي بكر ابن العربي الكلامية وتقده الفلسفة اليونانية العواصم من القواصم- المرجع السابق- جـ 2 ص 30

5 سيأتي ترجمته ضمن ترجمة بعض تلامذة الغزالي.

6 محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو المظفر، كانت له معرفة حسنة باللغة والنسب صنف تاريخ أبيورد، والمختلف والمؤتلف في أنساب العرب، كان فيه تيه وكبر زائد، فكان إذا صلى يقول : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها، توفي بأصبهان سنة سبع وخمسمائة.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم-المرجع السابق-جـ 17 ص 135-136

بكى على حجة الإسلام حين ثوى ❁ من كل حي عظيم القدر أشرفه

و مالمن يمتري في الله عبرته ❁ على أبي حامد لاح يعنفه

تلك الرزية تستهوي قوى جلدي ❁ و الطرف تسهره و الدمع تنزفه

فما له خلة في الزهد منكرة ❁ و لا له شبه في الخلق نعرفه

مضى و أعظم مفقود فجعت به ❁ من لا نظير له في الخلق يخلفه[1]

[1]- معجم البلدان المرجع السابق جـ 6 ص 71

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العباسيون

1 السفاح 132هـ/750م.
2 المنصور 136هـ/754م.
3 المهدي 158هـ/775م.
4 الهادي 169هـ/785م.
5 هارون الرشيد 170هـ/786م.
6 الأمين 193هـ/809م.
7 المأمون 198هـ/813م.
8 المعتصم 218هـ/833م.
9 الواثق 227هـ/842م.
10 المتوكل 232هـ/847م.
11 المنتصر 247هـ/861م.
12 المستعين 248هـ/866م.
13 المعتز 252هـ/866م.
14 المهتدي 255هـ/869م.
15 المعتمد 256هـ/870م.
16 المعتضد 279هـ/892م.
17 المكتفي 259هـ/902م.
18 المقتدر 295هـ/908م.
19 القاهر 320هـ/932م.
20 الراضي 322هـ/934م.
21 المتقي 329هـ/940م.
22 المستكفي 333هـ/944م.
23 المطيع 334هـ/946م.
24 الطائع 363هـ/974م.
25 القادر 381هـ/991م.
26 القائم 422هـ/1031م.
27 المقتدي 467هـ/1075م.
28 المستظهر 487هـ/1094م.
29 المسترشد 512هـ/1118م.
30 الراشد 529هـ/1135م.
32 المقتفي 530هـ/1136م.
33 المستنجد 555هـ/1160م.
34 المستضيء 566هـ/1160م.
35 الناصر 575هـ/1180م.
36 الظاهر 622هـ/1225م.
37 المستنصر 623هـ/1226م.
38 المستعصم 640-656هـ/1242-1257م.

الفاطميون

1 عبد الله المهدي 297-322هـ/909-934م.
2 القائم بأمر الله 322-334هـ/934-946م.
3 المنصور 334-341هـ/946-953م.
4 المعز لدين الله 341-365هـ/953-975م.
5 العزيز بالله 365-386هـ/975-996م.
6 الحاكم بأمر الله 386-411هـ/996-1021م.
7 الظاهر 411-427هـ/1021-1036م.
8 المستنصر بالله 427-487هـ/1036-1094م.
9 المستعلي بالله 487-495هـ/1094-1101م.
10 الآمر بأحكام الله 495-525هـ/1101-1130م.
11 الحافظ لدين الله 525-544هـ/1130-1149م.
12 الظافر بأمر الله 544-549هـ/1149-1154م.
13 الفائز بنصر الله 549-555هـ/1154-1160م.
14 العاضد لدين الله 555-567هـ/1160-1171م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

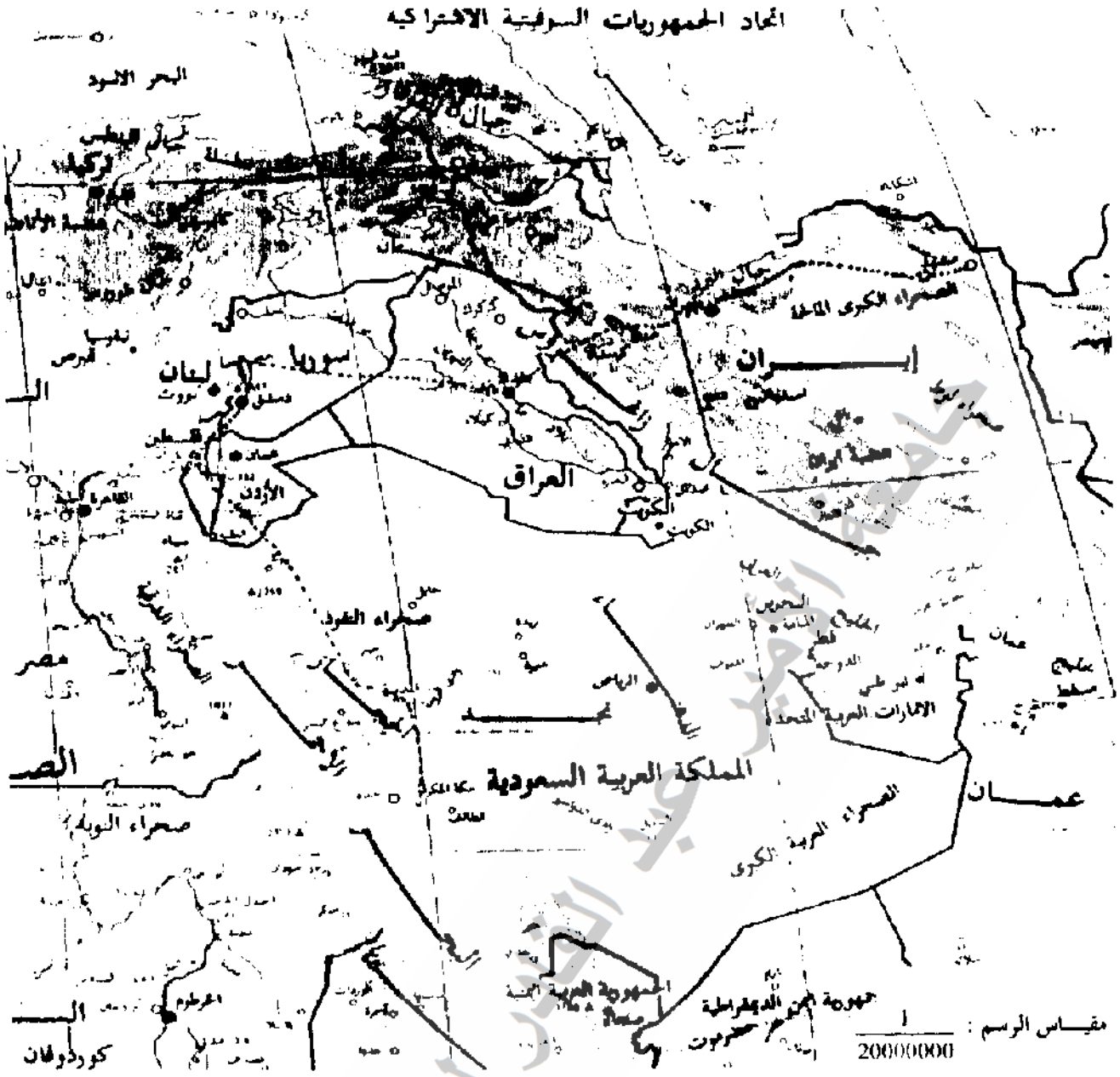

– الطريق الذي سلكه الغزالي في رحلة حياته –

قال الحموي عن طوس :

و هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية فتحت في أيام عثمان بن عفان– رضي الله عنه– على يد عبد الله بن عامر بن كريز في سنة 29 هـ وبها قبر علي بن موسى الرضا، وبها أيضا قبر هارون الرشيد[1] وهي الآن مدينة مشهد الموجودة شرق طهران عاصمة إيران.

[1] معجم البلدان– المرجع السابق جـ 6 ص 70 الأنساب– المرجع السابق جـ 4 ص 80

المبحث الثالث : مؤلفات الغزالي

يعتبر الغزالي من أكثر علماء الاسلام تأليفا على الرغم من أنه توفي و لم يتجاوز عمره الخامسة و الخمسين، حتى قيل إن تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس[1] و على الرغم من كثرة مؤلفاته، فقد عرفها كثير من الناس، و تداولوها، وأصبحت أشهر من نار على علم، و ذلك يعود أساسا إلى الأسلوب الحلو الذي تمتاز به تلك الكتب، و كذلك الأفكار المميزة للغزالي و لبعض كتبه، و قد كانت شخصية الغزالي العلمية، وكثرة مؤلفاته و شهرتها مدعاة لأن تنسب إليه كتب ليست من تأليفه، و هذا كله أوقع الباحثين في مشكلتين أو لاهما ترتيب تلك المؤلفات حتى يمكن معرفة المناحي الفكرية للإمام، و فهم شخصيته، و ثانيهما الفصل بين الكتب الصحيحة و الكتب المزيفة المنحولة، خصوصا و أن هذه الأخيرة تزيد في الغموض و التعقيد حول شخصية الغزالي. وسوف نعالج مؤلفات الغزالي في مطلبين :

المطلب الأول : تقسيم وترتيب مؤلفات الغزالي

حاول بعض المستشرقين ترتيب مؤلفات الغزالي و فق زمان تأليفها و هو المستشرق "لويس ماسينيون" في كتابه الصادر في باريس سنة 1929 " مجموع نصوص غير منشورة خاصة بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام" و تبعه " أسين بلاثيوس" في كتابه روحانية الغزالي (مدريد سنة 1934 1941) ثم تلاه في "مجلة " الجمعية الأسيوية الملكية سنة 1952 مونتغمري واط و ظهر في سنة 1959 مقال لجورج حوراني في "مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية" بعنوان الترتيب التاريخي لمؤلفات الغزالي و في السنة عينها ظهر في بيروت كتاب لموريس بويج بعنوان "بحث في الترتيب التاريخي لمؤلفات الغزالي[2] ثم تبع هؤلاء بعمل نقدي ممتاز الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مؤلفات الغزالي حيث قال : وأننا رتبنا الكتب الصحيحة حسب القاعدة الرئيسية التي ذكرناها و هي الاستناد إلى إشارات كتب الغزالي بعضها إلى بعض ثم

---

[1] - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي-الدار المصرية اللبنانية جـ 5 ص 11.

[2] - إلجام العوام عن علم الكلام للإمام الغزالي-تصحيح و تعليق و تقديم محمد المعتصم بالله البغدادي-دار الكتاب العربي-بيروت-الطبعة الأولى 1985- والنقد -المرجع السابق- ص 13.

الاستناد الى المصادر التاريخية التي تتحدث عن حياة الغزالي، و خصوصا المنقذ[1]. و كما عنى المستشرق "مونتغمري واط" بترتيب المؤلفات اعتنى كذلك بمعالجة قضية الكتب المنحولة للغزالي، و وضع لذلك ثلاثة أسس تمثل ما يرى أنه فرقان كاف للتفرقة بين الصحيح والمنحول، و هذه الأسس هي :

1 أن الغزالي يعد النبوة ملكة فوق العقل.

2 أن الغزالي كما قال "أسين" يرتب كتبه على نحو منطقي منظم.

3 موقف الغزالي من العقائد السنية[2].

و من خلال الدراسات المتعلقة بمؤلفات الغزالي لاحظنا أن بعض الباحثين رتبوا هذه المؤلفات بالأرقام، كما فعل الدكتور عبد الرحمن بدوي، و رتبها بعضهم بالفترات كما فعل موريس بويج الذي قسم حياة الغزالي العلمية و التأليفية إلى خمس فترات و هي :

1- بين(465 478) و التصنيف فيها فقهي أصولي.

2 بين(478 -488) الفترة التعليمية عقائدية جدلية.

3- فترة الخلوة (488 -499) مصنفات غالبها صوفي

4- فترة التعليم الثانية (499-503) مصنفات متفرقة بين صوفية و ترجمة حياته الفكرية (المنقذ) و أصولية (المستصفى).

5- فترات السنوات الأخيرة : ألف فيها الذرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، و إلجام العوام عن علم الكلام- و منهاج العابدين[3].

و إلى جانب هذا التقسيم و الترتيب لمؤلفات الغزالي ذهب بعض الباحثين إلى تقسيم أخر يقوم على أساس أنواع العلوم، و من هنا قسمت المؤلفات إلى :

أ. مؤلفات فقهية و أغلبها في الفقه الشافعي، و تتضمن أربعة عشرة كتابا.

ب. مؤلفات أصولية، و تتضمن ثمان كتب.

---

[1] إلجام العوام للغزالي -المقدمة- نقلا عن مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي و كالة المطبوعات الكويت 1977 ص 18.

[2] الفلسفة القرآنية عند الغزالي-رؤيا نقدية لفكر الغزالي و فلسفته-الدكتور زكريا بشير إمام مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع-الكويت الطبعة الأولى 1980ص 98.

[3] إلجام العوام للغزالي- المرجع السابق- ص 19.

جـ. مؤلفات في المنطق و المناهج و الجدال و البحث و المناظرة، و تتضمن سبعة كتب.

د. مؤلفات في العقائد و الكلام بما فيها الردود على المخالفين، و تتضمن ستة عشر كتابا.

هـ - مؤلفات في التصوف و الوعظ و الكتب المضنون بها (الكتب الخاصة) و تتضمن ستة و عشرين كتابا. و أخيرا الكتب المشكوك في صحة نسبتها إلى الغزالي و تتضمن ثلاثة عشرة كتابا[1].

المطلب الثاني : التقسيم الذي نرتضيه لترتيب المؤلفات

سوف نصنف كتب ومؤلفات الغزالي في هذا المطلب بحسب مراحل حياته التي قسمناها إلى ثلاث، و هي ما قبل التخرج، و الثانية من التخرج سنة478 هـ إلى تركه بغداد سنة 488 هـ و الثالثة من 488 إلى حين وفاته، و مع هذا التقسيم سوف نذكر لكل كتاب الرقم الذي أعطاه إياه الدكتور بدوي حين ترتيبه للمؤلفات، و نشير الى الكتب المشكوك في صحة نسبتها إلى المؤلف كما نذكر بعض الأقوال التي قيلت في بعض المؤلفات.

أولا : مؤلفات الغزالي قبل التخرج

1 - التعليقة في فروع المذهب أي المذهب الشافعي

2- المنخول في الأصول، و هو الكتاب الذي قال بسببه الجويني للغزالي : «دفنتني و أنا حي» وذلك لما رأى فيه من جودة أثناء معالجة المسائل

3- البسيط في الفروع

4- الوسيط

5- الوجيز

6- خلاصة المختصر و نقاوة المعتصر

هذه هي الكتب التي ألفها الغزالي قبل تخرجه، و نلاحظ أنها كتب فقهية أصولية لا أكثر، و هي كتب لا تخرج عن إطار المذهب الشافعي

ثانيا : مؤلفات الغزالي في مجالس نظام الملك و نظامية بغداد (478-488هـ)

7- المنتحل في علم الجدل

8- مأخذ الخلاف (بين الحنفية و الشافعية)

[1] -إلجام العوام للغزالي - المدخل السادس - القاعدة من 1/1 ، ما بعدها.

9- لباب النظر

10- تحصين المآخذ (في علم الخلاف)

11- المبادئ و الغايات

12- شفاء الغليل في القياس و التعليل

13- فتاوي الغزالي

14- فتوى بشأن يزيد بن معاوية، و في هذا الكتاب أصدر فتوى برأ فيها يزيد بن معاوية من قتل الحسين، و حتى و لو قتله فعلا فلا يجوز لعنه لأنه من جملة المسلمين، و لا يجوز لعن مسلم، ثم إننا ندعو له في دعائنا لجملة المسلمين، و هذا الكتاب دفع الشيخ عبد المغيث الحنبلي[1] (ت 582 هـ) لتأليف كتابه " فضائل يزيد " و قد رد إبن الجوزي على كتاب الغزالي هذا بكتاب " الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد ".

15- غاية الغور في دراية الدور

16- مقاصد الفلاسفة، و في هذا الكتاب شرح الغزالي و جهات نظر الفلاسفة ومقاصدهم دون تعليق.

17- تهافت الفلاسفة : و فيه بين تناقضات الفلاسفة و أخطاءهم، و أرجع جملة ما أخطأوا فيه إلى عشرين مسألة كفرهم في ثلاث و هي القول بقدم العالم، و القول بأن الله لا يعلم الجزئيات و الثالثة قولهم بعدم حشر الأجساد، و هذا الكتاب كان له صدى واسع عند الأقدمين و المحدثين و قد عارضه إبن رشد [2] بكتاب تهافت التهافت مدافعا فيه عن الفلاسفة، و بعد كتاب الغزالي ظهر كتابان آخران بهذا الاسم لرجلين كانا يدرسان في مدارس القسطنطينية، و كان السلطان نفسه يحضر مجلسيهما، و يدرس عندهما، و قد أمرهما

[1] عبد المغيث بن زهير الحربي، كان من أعيان الحنابلة سمع الحديث الكثير و صنف كتابا في فضائل يزيد بن معاوية، و قد رد عليه إبن الجوزي، و كان بينهما عداوة توفي سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة.

الكامل في التاريخ المرجع السابق – جـ 9 ص 189.

[2] أبو الوليد محمد بن أحمد بن أبي الوليد بن رشد الشهير بالحفيد القرطبي الفقيه و له سنة عشرين و خمسمائة، حكي عنه أنه لم يدع النظر و لا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة والده، و ليلة بنائه بزوجه، أخذ عن أبيه، و أخذ الفقه عن إبن بشكوال و غيره، و أجازه الإمام المازري و كان طبيبا أيضا من آثاره-بداية المجتهد، الكليات في الطب، واختصر المستصفى في الأصول توفي سنة خمس و تسعين و خمسمائة هـ.

شجرة النور الزكية محمد بن محمد مخلوف – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ص 146-147.

السلطان محمد بن مراد(الفاتح)[1] أن ينظرا في تهافت الغزالي، و يؤلف كل واحد رسالة على مثاله، و هما الخواجة زاده (ت893هـ) [2]، و علاء الدين الطوسي [3] و تناولا نفس الموضوعات التي طرحها الغزالي في تهافت الفلاسفة إنما في زيادة تفصيل أحيانا، و اختلاف في الطريقة أحيانا أخرى إضافة إلى الاستشهاد بأعمال المحققين ممن جاء بعد الغزالي[4]. والحقيقة أن كتاب التهافت قد أبدع فيه الغزالي في رده على الفلاسفة و دحضهم كما قال ابن العربي بمداهم، و هو يعتبر من المؤلفات الأساسية المبلورة لشخصية الغزالي، و قد قال الدكتور عبد الحليم محمود عن كتب الغزالي(تهافت الفلاسفة -إحياء علوم الدين- و المنقذ من الضلال) و لو لم يؤلف الإمام الغزالي غيرها، لبقي هو الغزالي العملاق والصوفي الفيلسوف بطابعه وسماته و شخصيته لا ينقص شيئا... ولكنه لو لم يؤلفها لما كان هو الإمام الغزالي صاحب الأثر الخالد على الدهر" [5] ونشير هنا إلى أن أهمية الكتاب في إيقاف زحف الفلسفة، ووضعه للفلاسفة في مقامهم المناسب لهم، جعل الكثير من الباحثين خصوصا في الغرب يبحثون في معنى كلمة التهافت بل لقد ألفت كتب في معنى هذه الكلمة.

18- معيار العلم في فن المنطق

19- معيار العقول

20 محك النظر في المنطق

[1] محمد بن مراد خان بن محمد خان بن بايزيد خان أورخان ابن عثمان الغازي سلطان الروم و ابن سلاطينها، ولد سنة ست وثلاثين و ثمانمائة، هو الذي أسس ملك بني عثمان و افتتح القسطنطينية سنة تسع و ثمانين و ثمانمائة.

الدر المنضد في ذكر أعيان القرن التاسع القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني الطبعة الأولى 1348 هـ مطبعة السعادة شارع الخليفة بمصر القاهرة ج 2 ص 269

[2] محمد الدين مصطفى بن خليل بن صالح الرومي الحنفي المعروف بخواجة زاده تنقل في المدارس، و جعله السلطان محمد معلما لنفسه و صار قاضيا العسكر دوس في القسطنطينية و ألف فيها التهافت بأمر من السلطان، توفي سنة ثلاث و تسعين و ثمانمائة هـ

[3] نفس المرجع السابق جزء 7 ص 354 355.

[4] علاء الدين علي بن محمد السمرقندي الطوسي الحنفي، الشهير بالمولى عربان ولد سنة سبع عشرة و ثمانمائة هـ بطوس و توفي سنة سبع وثلاثين و ثمانمائة هـ في سمرقند.

[5] تهافت الفلاسفة علاء الدين الطوسي تحقيق الدكتور رضا سعادة الدار العالمية للطباعة والنشر و التوزيع-بيروت لبنان-الطبعة الثانية 1983 ص 13.

[6] مشكلة الصراع بين الفلسفة و الدين- الدكتور رضا سعادة-الطبعة الأولى 1981-الدار العالمية للطباعة والنشر و التوزيع-بيروت لبنان ص 19.

[7] جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي -المرجع السابق -المقدمة ص 23.

21- ميزان العمل، و قد قال الغزالي في مقدمته مبينا سبب تأليفه : لما كانت السعادة التي هي مطلوب الأولين و الآخرين لا تنال إلا بالعلم و العمل و افتقر كل واحد منها إلى الإحاطة بحقيقته، ومقداره ووجب معرفة العلم، والتمييز بينه وبين غيره بمعيار، وفرغنا منه، و جب معرفة العمل المسعد، والتمييز بينه وبين العمل المشقي فافتقر ذلك أيضا إلى ميزان، فأردنا أن نخوض فيه، و نبين أن الفتور عن طلب السعادة حماقة، ثم نبين أن لا طريق إلى السعادة إلا بالعلم و العمل[1].

22- المستظهري في الرد على الباطنية، وقد ألفه الغزالي يطلب من الخليفة للرد على الباطنية الذين قويت شوكتهم، و كثرت اغتيالاتهم، وزرعوا الرعب في كل مكان، و كانوا لا يأبهون بردود غيرهم.

24- قواصم الباطنية

25- الاقتصاد في الاعتقاد

26- الرسالة القدسية في قواعد العقائد

27- المعارف العقلية و لباب الحكمة الإلهية

29- كتاب في مسألة كل مجتهد مصيب

31- جواب مفصل الخلاف

32- جواب المسائل الأربع التي سألها الباطنية في همدان

33- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى

34- رسالة في رجوع أسماء الله تعالى إلى ذات واحدة على رأي المعتزلة و الفلاسفة

36- الوجيز في الفقه

- حجة الحق

هذه هي الكتب التي ألفها الغزالي بعد تخرجه، و تدريسه في نظامية بغداد و هي كتب متنوعة تناسب ميدانه في هذه الفترة من حياته، فقد كان مناظرا محاجا، وأستاذا فذا و المناظرة تقتضي أن يرد على الخصوم خصوصا المتكلمين و الفلاسفة، و الفرق المنحرفة ولذلك ألف المقاصد و التهافت و المستظهري و غير ذلك من الكتب، كما أن

[1]- ميزان العمل - المرجع السابق - ص 189.

تدريسه يتطلب منه أن يعطي لطلبته زبدة علمه وما يراه مفيدا و صحيحا، ولذلك ألف معيار العلم و ميزان العمل، و الاقتصاد في الاعتقاد، و المقصد الأسنى– و غير ذلك، و على العموم فإن مؤلفات الغزالي في هذه الفترة من حياته جاءت متنوعة تبعا لتنوع نشاطه من مناظرة و حاجة في التدريس، و رد على أهل الضلال.

ثالثا : مؤلفات الغزالي بعد عزلته

36- بداية الهداية و قد ألف الغزالي و ضمنه ثلاثة أقسام :

1- في الطاعات و وجوب التزامها

2- في اجتناب المعاصي

3- في آداب الصحبة قال : فإن بليت بالعوام المجهولين فآداب مجالستهم ترك الخوض في حديثهم، و قلة الإصغاء إلى أراجيفهم، و التغافل عما يجري من سوء ألفاظهم و الاحتراز عن كثرة لقائهم و الحاجة إليهم، و التنبيه على منكراتهم باللطف و النصح عند رجاء القبول منهم[1] ، وفي هذا الكتاب يحذر الغزالي كثيرا من المشتغلين بالخلاف و الجدال لأنهم لا يقبلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة، و يختم تحذيره بقول الشاعر :

فاحذر عدوك مرة ❁ واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديـ ❁ ـق فكان أعلم بالمضرة

المضنون به على غيره أهله

37- جواهر القرآن

38- الأربعين في أصول الدين

40- المضنون به على أهله

41- الدرج المرقوم بالجداول (من كتبه ضد الباطنية)

42- القسطاس المستقيم و يتضمن ردا منهجيا على أحد الباطنية

43- فيصل التفرقة بين الاسلام و الزندقة، و فيه عالج قضية التكفير التي كانت منتشرة بين الفرق الاسلامية بسبب التأويل، فوضع حدود التكفير ، و بين قانون التأويل

44- القانون الكلي في التأويل

---

[1]- بداية الهداية تأليف حجة في الإسلام أبي حامد الغزالي- مكتبة الجندي 1964 (مطبوع مع كتابه بداية الهداية و الكشف و التبيين ص 258.

45- كيمياء السعادة (بالفارسية)

46- أيها الولد

47- نصيحة الآخرة (بالفارسية)

48- زاد الآخرة (بالفارسية)

49- رسالة إلى أبي الفتح أحمد بن سلامة بالموصل (الرسالة الوعظية)

50- الرسالة اللدنية

51- رسالة إلى بعض أهل عصره

52- مشكاة الأنوار

53- تفسير ياقوت التأويل أو ياقوت التأويل في تفسير التنزيل(في 40 مجلدا)

54- الكشف والتبيين عن غرور الخلق أجمعين، وفيه رد على كثير من الطوائف ومنهم الصوفية، وهذا الكتاب طبع ملحقا بكتاب منهاج العابدين مع كتاب بداية الهداية.

55- تلبيس إبليس

56- المنقذ من الضلال، وهو يترجم السيرة الذاتية للإمام ابتداء من أزمته التي مر بها إلى حين معاودته التدريس بنيسابور، وهذا الكتاب أعطى صورة واضحة مشرقة لحياة الامام في أهم مراحل حياته، وأزال أمام الباحثين كثيرا من الغموض حول شخصيته، ووفر عليهم كثيرا من الاحتمالات والتفكير.

58- غور الدور في المسألة السريجية

59- تهذيب الأصول

60- كتاب حقيقة القولين (تعارض القولين لمجتهد واحد كالقديم والجديد عند الشافعي)

61- كتاب أساس القياس

62- حقيقة القرآن في مسألة البسملة

63- المستصفى في علم الأصول

64- الإملاء على إشكالات الإحياء

65-الاستدراج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

67 - سر العالمين و [illegible]

68 - أسرار معاملات الدين

69 - جواب مسائل أشكلت على السائل

70 - رسالة الأقطاب

72 منهاج العابدين

- إلجام العوام عن علم الكلام

73 - القواعد العشرة و هو من الكتب المشكوك في نسبتها إليه

74- الأدب في الدين، و هو كذلك من الكتب المشكوك فيها .

75- رسالة الطير و هو كذلك

76- معارج القدس و اختلفوا كثيرا في صحة نسبته

77- منهاج العارفين، و هو كذلك مشكوك في نسبته

79 جامع الحقائق و هو أيضا

80- معراج السالكين و هو مشكوك فيه

81 - الحكمة في مخلوقات الله، و هو مشكوك فيه أيضا

مقامات العلماء بين يدي الخلفاء و الأمراء

85 رسالة في بيان معرفة الله.

87 - فضائل القرآن

88 رسالة في المعرفة

و هذه الكتب الأربعة الأخيرة مشكوك أيضا في صحة نسبتها إلى الغزالي

90- الرسالة اللدنية

92- غاية الوصول في الأصول

عجائب الخواص

26- قواعد العقائد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إحياء علوم الدين وهذا الكتاب و الذي قبله طبعا في كتاب واحد ولهما الأثر الكبير في هذه الأمة، وقد قال الحافظ العراقي[1] في الإحياء إنه من أجل كتب الإسلام، في معرفة الحلال والحرام، جمع فيه بين ظواهر الأحكام، و نزع إلى سرائر دقت عن الأفهام، لم يقتصر فيه على مجرد الفروع و المسائل، ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل، بل مزج فيه علمي الظاهر و الباطن، ومزج معانيها في أحسن المواطن، وسبك فيه نفائس اللفظ، وضبطه، وسلك فيه من النمط أوسطه، مقتديا بقول علي كرم الله و جهه خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي[2]، وقال النووي[3] : كاد الإحياء ان يكون قرآنا[4]، وقال الشيخ أبو محمد الكازروني[5]: لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الإحياء[6]، وقال علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف : لو قلب أوراق الإحياء كافر لأسلم، ففيه سرخفي بجذب القلوب شبه المغناطيس[7] وقيل في الإحياء أيضا من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء، وقد قيلت في الإحياء أقوال وأشعار كثيرة، وقد أسسه المؤلف على أربعة أرباع، وهي ربع العبادات وربع العادات، وربع المهلكات وربع المنجيات و صدر جملته بكتاب العلم، و كل ربع يحتوي على عشرة كتب، والكتاب جاء بلغة حلوة سهلة لا يمل منه القارئ، وهو يمتاز بتعليل الأحكام وتيسيرها للأفهام، وفيه تبدو عظمة المؤلف، ويبدو في أحيان أخرى عالما فسيولوجيا يتقن فن التشريح، كما يبدو فيه واعظا مؤثرا، و أديبا فذا وفقيها محكما، وعلى الرغم مما قيل في الاحياء من ممادح وأقوال فقد تعرض للنقد والحرق في المغرب والأندلس، وبسببه

[1] هو أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، حافظ العصر ولد سنة خمس و ستين و ستمائة، من آثاره الألفية والمراسيل، تخريج أحاديث الإحياء، مات سنة ست و ثمانمائة.

طبقات الحفاظ المجموعة - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة الطبعة الثالثة 1994م ص 539-540.

[2] إحياء علوم الدين الغزالي - المرجع السابق جـ 5 ص 60.

[3] محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي ولد سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة، و كان إماما بارعا حافظا متقنا، كان شديد الورع و الزهد من آثاره شرح مسلم-شرح المهذب-المنهاج الأذكار مات سنة ست و سبعين و ستمائة و لم يتزوج.

- طبقات الحفاظ للذهبي المرجع السابق ص 510.

[4] - إحياء علوم الدين للغزالي المرجع السابق-كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء امام القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي المطبوع على الهامش جـ 5 ص 6.

[5] - هو محمد بن فتيان بن محمد الكازروني، كان من أئمة الشافعية، سكن آمد، وقصده جماعة للاشتغال عليه، منهم نصر المقدسي والشاشي، وحدث بها ثم عاد إلى وطنه فأقام، صنف كتابا في الفقه سماه الإبانة، مات سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

- طبقات الشافعية - عبد الرحيم الأسنوي دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى 1987، ج2 ص180.

[6] كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء -المرجع السابق - جـ 5 ص 6.

[7] كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء -المرجع نفسه - جـ 5 ص 6.

هو حجم المؤلف من طرف بعض الفقهاء، وقالوا إحياء علوم دينه لا ديننا وسنتطرق إلى هذا في حينه.

وأما كتاب قواعد العقائد المشتمل على ترجمة عقيدة أهل السنة، فهو أيضا حظي بحفاوة كبيرة من قبل الأمة، ونحب هنا أن نذكر ما قاله ابن عساكر الدمشقي في هذا السياق حيث قال : سمعت الشيخ الفقيه الإمام أبا القاسم سعد بن علي ابن أبي القاسم ابن أبي هريرة الاسفرايني الصوفي الشافعي بدمشق قال : سمعت الشيخ الإمام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح عامر بن لخام بن عامر العربي الساوي بمكة حرسها الله يقول : دخلت المسجد الحرام يوم الأحد فيما بين الظهر والعصر الرابع عشر من شوال سنة خمس و أربعين وخمسمائة وكان بي نوع تكسر ودوران رأس بحيث أني لا أقدر أن أقف أو أجلس لشدة ما بي وكنت أطلب موضعا أستريح فيه ساعة على جنبي فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامشتي عند باب العروة مفتوحا فقصدته ودخلت فيه ووقعت على جنبي الأيمن بحذاء الكعبة المشرفة مفترشا يدي تحت خدي لكيلا يأخذني النوم فتنتقض طهارتي فإذا برجل من أهل البدعة معروف بها جاء ونشر مصلاه على باب ذلك البيت وأخرج لويحا من جيبه أظنه كان من الحجر وعليه كتابة فقبله و وضعه بين يديه وصلى صلاة طويلة مرسلا يديه فيها على عادتهم وكان يسجد على ذلك اللويح في كل مرة، فإذا فرغ من صلاته سجد عليه وأطال فيه وكان يمعك خده من الجانبين عليه ويتضرع في الدعاء ثم رفع رأسه وقبله ووضعه على عينيه ثم قبله ثانيا وأدخله في جيبه كما كان قال : فلما رأيت ذلك كرهته، واستوحشت منه ذلك، وقلت في نفسي ليت رسول الله- صلى الله عليه وسلم - حيا فيما بيننا ليخبرهم بسوء صنيعهم وما هم عليه من البدعة، ومع هذا التفكر كنت أطرد النوم عن نفسي كيلا يأخذني فتفسد طهارتي فبينا أنا كذلك إذ طرأ علي النعاس وغلبني فكأني بين اليقظة والمنام فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون واقفون وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد قد تحلقوا كلهم على شخص فسألت الناس عن حالهم وعمن في الحلقة، قالوا : هو رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرأوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ويصححون عليه، قال : فبينا أنا كذلك أنظر إلى القوم إذ جاء واحد من أهل الحلقة

وبيده كتاب قيل ان هذا الشافعي رضي الله عنه فدخل في وسط الحلقة، وسلم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فرأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في جماله وكماله، متلبسا بالثياب البيض المغسولة النظيفة من العمامة والقميص وسائر الثياب على زي أهل التصوف فرد عليه الجواب ورحب به و قعد الشافعي بين يديه وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه، وبعد ذلك، جاء شخص أخر قيل هو أبو حنيفة - رضي الله عنه - وبيده كتاب فسلم وقعد بجنب الشافعي، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده ثم أتى بعده كل صاحب مذهب إلى أن لم يبق إلا القليل، وكل من يقرأ يقعد بجنب الأخر فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة فيها ذكر عقائدهم الباطلة، وهم أن يدخل الحلقة و يقرأها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخرج واحد ممن كان مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وزجره و أخذ الكراريس من يده ورماها إلى خارج الحلقة وطرده وأهانه، قال : فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئا، تقدمت قليلا، وكان في يدي كتاب مجلد، فناديت وقلت يارسول الله هذا الكتاب معتقدي ومعتقد أهل السنة لو أذنت لي حتى أقرأه عليك، فقال - صلى الله عليه و سلم - وايش ذاك؟ قلت: يارسول الله، هو قواعد العقائد الذي صنفه الغزالي، فأذن في القراءة فقعدت وابتدأت : بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب قواعد العقايد، وفيه أربعة فصول، الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهيت إلى قول الغزالي : وأنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمدا -صلى الله عليه و سلم- إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس : قال فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والتبسم في وجهه -صلى الله عليه وسلم- إذا انتهيت إلى نعته وصفته، فالتفت إلي وقال : أين الغزالي؟ فإذا بالغزالي كأنه كان واقفا على الحلقة بين يديه فقال : هاأنذا يارسول الله، وتقدم وسلم على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فرد عليه الجواب و ناوله يده العزيزة والغزالي يقبل يده ويضع خديه عليها تبركا به وبيده العزيزة المباركة ثم قعد قال : فما رأيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أكثر استبشارا بقراءة أحد مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد، ثم انتبهت من النوم و على عيني أثر الدمع مما رأيت من تلك الأحوال والمشاهدات والكرامات، فإنها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى

سيما في اخر الزمان مع كثرة الأهـواء فنـسأل الله تـعالى أن يثبتنا على عقيدة أهـل الحق ويـحببنا ويميتنا عـليها ويحشرنا معهـم ومـع الأنبيـاء والمرسـلين والصديقيـن والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فإنه بالفضل جدير، وعلى ما يشاء قدير، قال الشـيخ الإمام أبو القاسم الاسفراييني هذا معنى ما حكى لي أبو الفتح الساوي أنه رآه في المنـام لأنـه حكاه لي بالفارسية وترجمته أنا بالعربية[1].

هذه هي الكتب التي ألفها الغزالي في الفترة الأخيرة من حياته، وهي كتب تتناول فـي مجملها طريق التصوف ترغيبا وتصحيحا، كما يدعو في بعضها إلى الابتعاد عن بعض العلوم التي كان هو نفسه مهتما بها في بغداد مثل علم الكلام و الفلسفة، كما تضمنت كتبه فـي هـذه الفترة الكثير من المواعظ والنصائح كما هو الحال في الإحياء ورسالة أيها الولـد، والرسـالة الوعظية، وكذلك المنقذ من الضلال.

ان المتأمل في مجمل مؤلفات الغزالي يجد أن اتجاهها يتطابق تماما مع اتجـاهه النفسي و الفكري في مختلف فترات حياته، فتراه يؤلف في الفروع على المذهب الشافعي فـي الفـترة الأولى أيام كان ما يزال متلقيا للعلم بنظامية نيسابور، وهنا لم تتسع قريحتـه بحيـث يمكنهـا الخروج من إطار المذهب الشافعي، مذهبه و مذهب شيخه، ومن هنا جاءت مؤلفاته داخل هـذا الإطار، فقها و أصولا، و لكن الأمر و الحال تغير بعد وفاة الإمام الجويني، حيث خرج الغزالـي من ذلك الإطار، ، احتاج في مناظراته بمجلس نظام الملك إلى فضاء أوسع حتى يوظـف كـل طاقاته في مواجهة الخصوم والمناظرين، وزاد الأمر اتساعا لما عين أستاذا في نظامية بغـداد، وكان من المفيد لطلابه أن يلقنهم كل ما يمكن أن يفيدهم، ويحصنهم من هجمات الفلسفة وأهلهـا ومن الأفكار المنحرفة التي كانت تعصف بجزء واسع من الأمة، و لذلك فهو قد اهتم في هـذه الفترة بكل علوم عصره، لم يترك شاردة ولا واردة، فقد ألف في الجـدل والخـلاف وألـف في الفلسفة والمنطق، كما أصدر بعض الفتاوي التي تبين وجهة نظـرة فـي بعـض المسـائل المنتشرة وألف في الرد على الباطنية والقرامطة، كما ألف في الفقه أيضا وفي العقائد، ولا شك أن مكانة الغزالي وجاهه في بغداد كان متماشيا مع العلم الذي كان ينشره إلقاء وتاليفا.

وفي المدة الأخيرة أي بعد العزلة اتجه الغزالي إلى نشر علم آخر هو علم الآخرة علـى

أساس أن العلم الذي نشره من قبل هو من علوم الدنيا، ومن هنا جاءت مؤلفات الغزالي في الوعظ وترك العلوم غير النافعة كالفلسفة والكلام والجدل، ولعله يعتبر جملة كتبه في هذه الفترة بكتاب بداية الهداية، وجاءت كتبه في هذه الفترة متميزة تصب كلها في قالب واحد وهو ترك شوائب الدنيا والاهتمام بما ينفع في طريق الآخرة، وذلك ما نراه في الإحياء ومنهاج العابدين والكشف والتبيين والمنقذ وغيرها من الكتب.

ونشير بعد تقسيمنا لهذه المؤلفات التي أوردها بدوي أن هناك مؤلفات أخرى للغزالي، منها ما أشار إليه هو في كتبه المختلفة، ومنها ما ذكره دارسوه من بعده، ومن الكتب التي ذكرها الغزالي في كتاب سر العالمين، ولم يوردها بدوي في مؤلفات الغزالي التي سبقت، كتاب السلسبيل لأبناء السبيل، ونجاة الأبرار، ومغايب المذاهب ونسيم التسنيم، وكتاب عين الحياة، كما ذكر تاج الدين السبكي في طبقاته أثناء ترجمته للغزالي جملة معتبرة من تلك المؤلفات منها:

1-بيان القولين.

2-الغاية القصوى.

3-بيان فضائح الإمامية، وهو غير فضائح الباطنية.

4-الرسالة القدسية .

5-الفتاوي.

6-مواهم الباطنية.

7-حقيقة الروح.

8-كتاب أسرار معاملات الدين.

9-عقيدة المصباح.

10-المنهج الأعلى.

11-أخلاق الأنوار.

12-المكنون (في الأصول).

13-مسلم السلاطين.

14-معتاد العلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

15- أسرار اتباع السنة.

16-كتاب عجائب صنع الله.

17-رسالة الرد على من طغى.

ولا شك أن هناك كتبا أخرى للغزالي غير ما أوردنا، كما يمكن أن يكون هنـــاك كتـــد مكررة، ذلك أن بعض كتب الغزالي تحمل أكثر من عنوان، وهذا ما يجعل الباحثين يخطئون في حصرها وتعيينها.

ومن ضمن هذه المؤلفات للغزالي فإن الكثير منها قد طبع ومن تلك الكتـــب المطبوعـــة التي اطلعت عليها :

1- تهافت الفلاسفة وقد طبع بدار المشرق بيروت الطبعة الثالثة.

2- إلجام العوام عن علم الكلام، طبع بدار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى.

3- الفصول، وقد طبع بالدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى.

4- رسائل الطير - الوعظية - التوحيد، طبعت هذه الرسائل الثلاث في كتـــاب واحـــد بـــدار الحكمة، دمشق و بيروت.

5- ميزان العمل، طبع بدار المعارف بمصر.

6-المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، مكتبة الكليات الأزهرية، و مكتبة و مطبعة الفجر الجديد.

7- فيصل التفرقة طبع بدار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى.

8- منهاج العابدين و معه الكشف و التبيين و بداية الهداية، طبعت مجتمعة بمكتبة الجندي .

9- المضنون الصغير ، طبع بدار الحكمة دمشق.

10- القسطاس المستقيم طبع بالمطبعة الكاثوليكية بيروت.

11- مكاشفة القلوب طبع بدار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.

12- قواعد العقائد طبع وحققه سعيد زايد، كما طبع مع الإحياء.

13- روضة الطالبين، طبع بدار النهضة الحديثة بيروت.

14- جواهر القرآن - منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الرابعة ....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

15 كتاب الأربعين في أصول الدين طبع بدار الجيل بيروت.

16 معارج القدس، طبع بشركة الشهاب- الجزائر.

17 المستصفى طبع بدار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.

18 معيار العلم في فن المنطق طبع بدار الأندلس بيروت لبنان الطبعة الرابعة.

19 الاقتصاد في الاعتقاد طبع بدار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.

20 إحياء علوم الدين و معه الإملاء على إشكالات الاحياء طبع بالدار المصرية اللبنانية.

21 المنخول طبع بدار الفكر بدمشق الطبعة الثانية.

22 فضائح الباطنية طبع بالدار القومية للطباعة و النشر.

23 الحكمة في مخلوقات الله - معراج السالكين - خلاصة التصانيف في التصوف -منهاج العارفين- الرسالة اللدنية - رسالة أيها الولد- مشكاة الأنوار- المضنون به على غير أهله - الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية - كيمياء السعادة - الأدب في الدين- القواعد العشرة -سر العالمين و كشف ما في الدارين- الدرة الفاخرة- المنقذ من الضلال - قانون التأويل - الأحاديث القدسية. هذه الكتب مع غيرها في ست و عشرين رسالة طبعت مجتمعة بدار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع : شيوخ الغزالي و تلاميذه

المطلب الأول : شيوخ الغزالي

في هذا المطلب سوف نقسم شيوخ الغزالي إلى قسمين ونتناول في القسم الأول الشيوخ الذين تلقى عنهم سماعا، ونبين ماذا تلقى منهم، وأثر ذلك في توجهه العام، وأما القسم الثاني فنخصصه للشيوخ الذين قرأ لهم وتأثر بكتاباتهم، ونبين كذلك أثرهم في توجهه العام

القسم الأول : الشيوخ الذين تلقى عنهم سماعا

1- أحمد بن محمد الراذكاني :

هو أبو حامد أحمد بن محمد الطوسي الراذكاني، وراذكان قرية من قرى طوس [1] و هو أول شيوخ الغزالي، و هو منسوب إلى بلدة راذكان، ولم أجد عند المترجمين عنه شيئا غير ذكره كأول شيخ من شيوخ الغزالي، و لعله كان فقيها مغمورا لم يتجاوز صيته حدود بلدته التي درس فيها.

2- أبو نصر الاسماعيلي :

وهو ثاني شيوخ الغزالي، وقد تلقى عنه العلم بجرجان، و عنه علق التعليقه، ولم يذكره كثير من المترجمين للإمام الغزالي في شيوخه، ولم أجد له أيضا ترجمة مستقلة وقد ذكر بعض الباحثين أن شيخ الغزالي في جرجان ليس هو أبو نصر الاسماعيلي لأنه توفي سنة 405هـ، بينما ولد الغزالي سنة 450هـ، وانما هو أبو قاسم اسماعيل ابن مسعد بن اسماعيل الإمام أبي أحمد بن إبراهيم الاسماعيلي الجرجاني[2].

3- الجويني :

هو عبد الله بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوية الجويني النيسابوري إمام الحرمين أبو المعالي، ولد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة (419هـ) واعتنى به والده من صغره لا بل من قبل مولده، وذلك أن أباه اكتسب من عمل يده مالا خالصا من الشبهة اتصل به إلى والدته، فلما ولدته له حرص على أن لا يطعمه ما فيه شبهة فلم يمازج باطنه إلا الحلال الخالص حتى يحكى أنه كان تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له :

---

[1] - طبقات الشافعية للأسنوي - المرجع السابق - جـ 1 ص 287 .

[2] - الإمام الغزالي و علاقة اليقين بالعقل -المرجع السابق- ص 29 .

يا إمام ما هذا الذي لم يعهد منك؟ فقال : ما أراها إلا آثار بقايا المصة، قيل : وما نبأ هذه المصة؟ قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي وأنا رضيع فبكيت، وكانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصة أو مصتين ودخل والدي فأنكر ذلك، وقال: هذه الجارية ليست ملكا لنا، وليس لها أن تتصرف في لبنها، وأصحابها لم يأذنوا في ذلك، وقلبني وفوعني حتى لم يدع في باطني شيئا حتى أخرجه وهذه اللجلجة من بقايا تلك الآثار[1].

أما تعليمه، فقد أخذ الفقه عن والده، واجتهد في المذهب و الخلاف والأصولين وغيرها وشاع اسمه واشتهر في صباه، ثم توفي والده وسنه نحو العشرين فأقعد مكانه في التدريس فكان يدرس ثم يذهب بعد ذلك إلى مدرسة البيهقي حتى حصل الأصول عند أستاذه أبي القاسم الإسكاف الاسفرايني[2]، وكان يواظب على مجلسه، قال عبد الغافر الفارسي: وقد سمعته يقول في أثناء كلامه : كنت علقت عليه في الأصول أجزاء معدودة، وطالعت في نفسي مائة مجلدة[3].

بنيت له المدرسة النظامية بنيسابور وأقعد للتدريس فيها، واستقامت أمور الطلبة وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع مسلم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس الذكر يوم الجمعة والمناظرة، وهجرت المجالس من أجله... ومن تصانيفه النهاية في الفقه والشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، والإرشاد في أصول الدين، وغياث الأمم ومغيث الخلق في ترجيح مذهب الشافعي[4].

وكان إمام الحرمين عالما محجاجا، بليغ العبارة، قوي الحجة، عالي الهمة، لم يرض في شبابه تقليد والده، بل جد و اجتهد، وبحث وحقق في المذهب وفي الخلاف، ناظر وناقش حتى بدت همته وظهرت قوة شخصيته، وتميزه على غيره، وتحقق فيه ما كان يأمله أبوه

---

[1] -طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق -مجلد 3 ص 251 .

[2] - هو أبو القاسم عبد الجبار بن علي بن محمد بن الاسفرايني، المعروف بالإسكاف، شيخ إمام الحرمين في الكلام، و إسكاف: بلدة من نواحي النهروان، مصنف في أصول الدين وأصول الفقه و الجدل توفي سنة اثنين وخمسين و أربعمائة .

- طبقات الشافعية للأسنوي - المرجع السابق - جـ 1 ص 95.

[3] -طبقات الشافعية الكبرى- المرجع السابق -مجلد 3 ص 251-252.

[4] -طبقات الشافعية الكبرى- المرجع نفسه -مجلد 3 ص 251-253 .

، كان يدرس لنحو ثلاثمائة رجل من الأئمة ومن الطلبة، ولقوة حجتـــه وتقريرهـــا قـــال فيـــه القشيري: لو ادعى إمام الحرمين اليوم النبوة لا ستغنى بكلامه هذا عن إظهار المعجزة[1].

توفي رحمه الله ببيته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (478هـــ)، وقام الصياح عليه من كل جانب، وجزع كل الفرق عليه جزعا لم يعهد مثله، ووضعت المناديل على الرؤوس عامـــا بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه، و صلى عليه ابنه الإمام أبو القاسم... و كسر منبره فـــي الجامع المنيعي، و قعد الناس للعزاء أياما عزاء عاما، ومما قيل عند وفاته :

قلوب العالمين على المعـــالي ❁ و أيام الورى شبه الليالـــي

أيثمر غصن أهل الفضل يوما ❁ و قد مات الإمام أبو المعالي[2]

هذا تعريف مختصر بالإمام الجويني، ومـــن خـــلال هـــذا التعريـــف يبـــدو أن هنـــاك تشابها بينه وبين تلميذه الغزالي، وهذا ما يؤدي بنا إلى القـــول بـــأن تـــأثير الجوينـــي علـــى الغزالي كان تأثيرا أساسيا، فعنه أخذ موسوعيته، وعلومه المتنوعة، قـــال الدكتـــور زكريـــاء بشير إمام في هذا المجال : إن تأثير الجويني على الغزالـــي كـــان تـــأثيرا رهيبـــا، فعلـــى يديه صار الغزالي شـــافعيا وأشعـــريا و أصوليـــا فـــي الفقـــه، وعليـــه درس الفلســـفة والمنطق، وعلوم الأوائل لأول مرة، واكتسب منه حبـــه الجـــدل المنطقـــي، ومنـــه اكتســـب ما يسمى بالتصوف السني، وهو التصوف الذي يتأسى بتصوف السلف الصالح من الرســـول- صلى الله عليه و سلم- وأصحابه، والتابعين وهو التصوف الذي يتجنب شـــطحات الصوفيـــة الحلولية والاتحادية، وعنه اكتسب مهارات الـــتأليف والكتابة، وفن التدريـــس والمنـــاظرة[3]. وقد أشرنا من قبل إلى أن الغزالي في شكه إنما تأثر أيضا بشيخه الجوينـــي، و الغزالـــي كمـــا هو معروف قد تخرج على يديه، و قد بدأ التأليف وهو لا يزال ثاويا في أكاديميته يتلقى عنـــه، ولـــم يتلمـــذ فـــي مدرســـة أخـــرى بعـــد نظاميـــة نيســـابور، وبمكننـــا أن نقـــرر فـــي الأخير أن الفترة التي قضاها من عام 478 هـــ إلى عام 488 هـــ إنمـــا كـــانت مـــن صناعـــة الجويني مائة في المائة، مناظرة وتدريسا وتأليفا، فالغزالي نـــاظر كمـــا نـــاظر إمامـــه فـــي مجلس نظام الملك، ودرس كما درس في نظاميته، وخاض في العلوم التي خاض فيها أســـتاذه

1- طبقات الشافعية الكبرى- المرجع السابق -مجلد 3 ص 253.

2- طبقات الشافعية الكبرى- المرجع نفسه -مجلد3 ص258.

3- الفلسفة الدورانية عند الغزالي-المرجع السابق ص 68.

من قبل، بل و دخل الشك الذي دخل فيه شيخه، و خرجا إلى نفس النتيجة، و هذا لا يعني أبـــدا أن يكون الغزالي صورة طبق الأصل لشيخه، و إنما نقول إنه تأثر به في جانب و في فترة من حياته تأثرا بقي ظاهرا إلى اليوم في كتبه و مؤلفاته و أخباره.

ب- الفارمدي[1] :

لم يذكر الغزالي الفارمدي ضمن من تلقى عنهم لا مشافهة و لا سماعا، و هذا دفع بعـــض الباحثين إلى القول بعدم الإفادة منه، و التأثير عليه، ولكن السبكي نقل عن عبد الغافر الفارســـي قوله : " فابتدأ بصحبة الفارمدي و أخذ منه استفتاح الطريقة، وامتثل ما كان يشير به عليه مـــن القيام بوظائف العبادات و الإمعان في النوافل، و استدامة الاذكار و الجد و الاجتهاد طلبا للنجاة إلى أن جاز تلك العقبات..."[2] ويرى الدكتور الأعسم أن الفارمدي ترك آثارا خطيرة في الغزالـــي، و منها متابعته في الدفاع عن الحلاج[3] صاحب فكرة الحلول، حيث قال الغزالي بأنه قال ما قال من فرط محبته و شدة و جده، ثم يذكر آثارا أخرى تتعلق كلها بالجانب الصوفـــي مـــن حيـــاة الغزالي، و مهما يكن تأثير الفارمدي فإنه يبقى هينا مقارنة بأثار الإمام الجويني كما أسلفنا.

القسم الثاني : الشيوخ الذين تأثر بهم بطريق المطالعة

وقد جمعهم الغزالي في قوله : فابتدأت بتحصيل علومهم- أي الصوفية- مـــن مطالعـــة كتبهم مثل " قوت القلوب" لأبي طالب المكـــي-رحمـــه اللـــه- وكتـــب الحـــارث المحاســـبي، و المتفرقات المأثورة عن الجنيد، و الشبلي، و أبي يزيد البسطامي، قدس الله أرواحهم و غـــيرهم من المشايخ[4]، و هذه الكلمة للإمام الغزالي توضح لنا بعض الشـــيوخ الذيـــن تـــأثر بكتبهـــم، وسنفصل فيهم القول بحسب ترتيبه لهم.

---

[1]- هو أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي لسان خراسان و شيخها، و صاحب الطريقة الحسنة من تربية المريدين و الأصحاب، كـــانت وفاته بطوس في سنة سبع و سبعين و أربعمائة.

- الأنساب للسمعاني - المرجع السابق- جـــ 4 ص 335.

[2]- طبقات الشافعية الكبرى- المرجع السابق- مجلد 4 ص 109.

[3]- الحسين بن منصور بن محمى الحلاج و يكنى بأبي مغيث، و قيل أبا عبد الله، كان جده مجوسيا تلمذ الحلاج لسهل التستري، ثم قدم بغداد و خالط الصوفية، ولقي الجنيد و النوري و غيرهما، اتهم بادعاء الربوبية و القول بالحلول، قتل سنة تسع و ثلاثمائة في عهد المقتدر

- المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم - المرجع السابق- جـــ 13 ص 201 و ما بعدها.

[4]-المنقذ من الضلال-المرجع السابق- ص 80.

1 - أبو طالب المكي :

هو أبو طالب محمد بن عطية العجمي ثم المكي، المتوفى في سنة ست وثمانين وثلاثمائة صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد وقد اشتهر بالصلاة والاجتهاد في العبادة حتى يقال عنه بأنه هجر الطعام مدة من الزمان، واقتصر على أكل الحشائش المباحة، فاخضر جلده من كثرة تناولها أما كتابه " قوت القلوب " الذي أشار إليه الغزالي، فقد قالوا عنه " إنه لم يصنف في الإسلام مثله في دقائق الطريقة (أي الصوفية)، ولمؤلفه كلام في هذه العلوم لم يسبق إلى مثله[1]

ويمتاز هذا الكتاب بحرص مؤلفه، وشدة احتياطه فيما يتعلق بمذاهب الصوفية، وبجمال لغته وقد اختصره السيد جمال الدين القاسمي ولا يزال مخطوطا في الخزانة القاسمية توفي سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة [2].

وعلى الرغم مما تضمنه كتاب قوت القلوب من أمور مدح بسببها، فإنه تضمن أمورا أخرى انتقد المؤلف بسببها، ومن ذلك ترتيب المؤلف ترتيبات في المطاعم حيث قال : استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين في يوم واحد و ليلة واحدة، قال: ومن الناس من كان يعمل في الأقوات فيقلها : وكان بعضهم يزن قوته بمقدار ذلك قال: ومنهم من كان يعمل في الأقوات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة، قال : والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه، وفي بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبانه رقته، و في رقته مفتاح المكاشفة[3]، وقد علق ابن الجوزي على هذا الكلام بقوله : وأما ما رتبه أبو طالب المكي فحمل على النفس بما يضعفها، وإنما يمدح الجوع إذا كان بمقدار، وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ[4].

و الغزالي قد تأثر كثيرا بكتاب قوت القلوب فجاء كتاب الإحياء على منواله، قال الدكتور زكي مبارك : ويعد هذا الكتاب بحق مصدرا للإحياء، و يكفي أن نقرأ باب التوكل مثلا

---

[1] -كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون- العلامة المولى مصطفى ابن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي والمعروف بحاجي خليفة- دار الفكر 1982- المجلد الثاني ص 1361.

[2] -المنقذ من الضلال -المرجع السابق الهامش ص 80-81.

[3] -تلبيس إبليس-للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي دار الرائد العربي-بيروت لبنان-ص 210.

[4] -تلبيس إبليس -المرجع نفسه- ص 217.

في الكتابين لنعرف أنهما يسيران في طريق واحد إلى غاية واحدة، حتى لتجدهما يتفقان غالبا في الشواهد من الآيات، و الأحاديث و الأخبار، ويمكن الجزم أن الغزالي أودع كتاب الإحياء كل ما صح لديه وحسن عنده من كتاب قوت القلوب، وإن لم يشر إلى ذلك[1] ويقال أيضا ان كتاب قوت القلوب يمتاز بالدقة و الوضوح، وكتاب الإحياء يمتاز بالتفصيل.

2- الحارث المحاسبي

هو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات و الاشارات، يقال أن سبب تسميته بهذا الاسم، أي المحاسبي هو كثرة محاسبته نفسه، وله التصانيف المشهورة منها كتاب الرعاية لحقوق الله وغيره، وهو أستاذ أكثر البغداديين، وهو من أهل البصرة، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين 243هـ[2]. يرى الدكتور زكرياء بشير إمام أن الغزالي بعد تأثره بالجويني تأثر بالحارث بن أسد المحاسبي تأثرا عظيما وهو يشبهه في أمور كثيرة خاصة في الاهتمام بعلوم الآخرة التي أخذها المحاسبي عن ابي ذر[3] ويقرر في آخر كلامه أن الغزالي هو الوريث الشرعي في مجال الأخلاق و الزهد لمدرسة أبي ذر الغفاري كما بلورها وأظهرها المحاسبي، وأن الإحياء بالذات هو الدستور المعبر عن تلك المدرسة الأخلاقية الزهدية وأن الغزالي قد أضفى على تلك المدرسة الكثير من تجاربه الخاصة، و من شخصيته الفذة، ومن عقله الكوني العجيب[4]، ويستبعد أن تكون بداية الغزالي الأولى (تصوف أبيه، وصديقه الذي أوصى به) هي السبب الأقوى لهذا التأثير الصوفي، كما استبعد تأثره بالفارمدي كما يقول الدكتور عبد الأمير الأعسم الذي يقول بأنه تأثر به وتابعه في الدفاع عن الحلاج صاحب فكرة الحلول[5]، وتجدر الإشارة هنا أن المحاسبي عاصر الإمام أحمد وكانت له مناظرات معه، و كان يصف علوم الفقهاء بعلوم الدنيا، ومن الأحاديث التي أسندها

---

[1]- الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك - دار الفكر 1982ص 85.

[2]- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي-تحقيق نورالدين شريبة مطبعة دار التأليف مصر الطبعة الثانية 1969 ص 56.

[3]- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي- المرجع السابق-ص 70 و ما بعدها.

[4]- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي- المرجع نفسه - ص 84.

[5]- الفيلسوف الغزالي لعبد الأمير الأعسم - المرجع السابق - ص 139.

الحارث قوله: حدثنا يزيد بن هارون [1]، حدثنا شعبة[2]، عن القاسم ابن أبي بزة[3] عن عطاء الكبخاراني[4]، عن أم الدرداء [5] قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- " أثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق "[6] ولقد عاش الحارث مجاهدا لأصحاب الأهواء والفرق المنحرفة ابتداء بالقدرية و المعتزلة، و اهتم بنقد فئات المجتمع المختلفة من علماء وقراء وصوفية وزهاد و طلاب العلم وغيرهم، وعلى الرغم مما قدمه الحارث وما عرف به من زهد ومن ورع فقد انتقده ابن الجوزي، وذكر أن الإمام أحمد قد هجر المحاسبي لما تكلم في شيئ من الكلام و الصفات، و نقل عن الإمام أحمد قوله : احذروا من الحارث أشد التحذير، الحارث أصل البلية- يعني في حوادث كلام جهم- ذاك جالسه فلان و فلان وأخرجهم إلى رأي جهم، مازال مأوى أصحاب الكلام، حارث بمنزلة الأسد المرابط أنظر أي يوم يثب على الناس[7]، ويشك الأستاذ عبد القادر أحمد عطا في هذا النقد للإمام أحمد[8]، ويرى أنه تحامل من المتأخرين، وكل ما كان بين الإمامين أن الحارث قد رد على المعتزلة وغيرهم على طريقة المتكلمين

---

[1]- يزيد بن هارون أبو خالد، السلمي، الواسطي، جمع عامتها الأصول وداود بن أبي هند، والجريري، مات سنة ست ومائتين.

- كتاب التاريخ الكبير- أبو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري، المتوفى سنة 256 هـ، مجلدة -دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص368 ترجمة رقم 3354.

[2]- شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الحافظ الواسطي، أحد أئمة الإسلام نزل البصرة، قال سفيان الثوري : "مات الحديث عبوت شعبة" ولد سنة ثمانين هـ و مات سنة ستين و مائة.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ الكبير جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (654 - 742 هـ)، حققه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 1992 ج12 ص479 ترجمة رقم 2739.

[3]- القاسم بن أبي بزة، أبو عبد الله المخزومي المكي، يروي عن سعيد بن جبير و مجاهد، و يروى عنه عمرو بن دينار و ابن جريج، و مسعر قال الواقدي : مات بمكة سنة أربع و عشرين و مائة هـ و قيل سنة أربع عشرة ومائة و هو أصح وثقه ابن معين.

تهذيب الكمال - المرجع نفسه- ج23 ص 338 ترجمة رقم 4782.

[4]- عطاء بن دعقوب، نسبة إلى كبخاران، قرية من قرى اليمن، يروي عن أم الدرداء و أبي الدرداء أيضا، و عن أسامة بن زيد، و يروي عنه الزهري و القاسم بن أبي بزة، قال النسائي ثقة.

- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني-دار صادر بيروت -1968 جـ 7 ص 216 .

[5]- أم الدرداء الصغرى اسمها هجيمة بنت حي الأوصابية-و يقال الوصابية-تروي عن زوجها أبي الدرداء، و سلمان، و يروي عنها سالم ابن أبي الجعد، و زيد بن أسلم، و مكحول كانت فقيهة عالمة زاهدة لسبة.

- تهذيب الكمال -المرجع السابق- ج35 ص 352 ترجمة رقم 7974.

[6]- رواه أبو داوود في سننه كتاب الأدب، باب في حسن الخلق -المرجع السابق- ج2 ص289 عن أبي الدرداء بلفظ: ما من شيئ في الميزان أثقل من حسن الخلق.

[7]- تلبيس إبليس-المرجع السابق-ص 167.

[8]- التوبة للحارث بن أسد المحاسبي -دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع-تونس ص 3 .

، قارعهم حجة بحجة، فأنكر عليه الإمام أحمد فقال الحارث: الرد على البدعة فرض فقال أحمد: نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا، ثم أجبت عنها، فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه[1].

إن المتأمل في حياة الحارث ومواقفه يجد أن الإمام الغزالي قد تأثر به كثيرا، فالغزالي ترك الدنيا وزينتها كما فعل الحارث، و كان قادرا عليها، و كما اهتم الحارث بنقد فئات المجتمع المختلفة فعل الغزالي خاصة في كتابه الكشف والتبيين، والغزالي خاض في الدراسات النفسية كما فعل الحارث ورد على أهل البدع خصوصا الباطنية كما رد الحارث على المعتزلة، حكى شبهتهم أولا ثم رد عليها وأخيرا فإن الغزالي قد رد على المتكلمين بسلاحهم، كما فعل الحارث وأنكر عليه الإمام أحمد.

3- الجنيد :

هو الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز، وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريري أصله من نهاوند[2] ومولده و منشؤه بالعراق، وكان فقيها، تفقه على أبي ثور وكان يفتي في حلقته، وصحب السَري السقطي [3]، والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب البغدادي[4]، وغيرهم وهو من أئمة القوم وسادتهم مقبول على جميع الألسنة توفي سنة سبع و تسعين ومائتين (297هـ) ومن أقواله : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، و قطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا، كما قال حارث عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري[5] وأسند الجنيد هذا الحديث : -حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ[6] قال : حدثنا

---

[1] - المنقذ من الضلال - المرجع السابق- ص 70.

[2] - نهاوند مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، فتحت سنة تسع و عشرين هـ قال فيها النعمان بن مقرن، ففتحها حذيفة صلحا. معجم البلدان -المرجع السابق جـ 5 ص 361-362.

[3] - هو سري بن المغلس السقطي أبو الحسن يقال إنه خال الجنيد و أستاذه، صحب معروفا الكرخي وهو أول من تكلم ببغداد-في لسان التصوف، و حقائق الأحوال، و هو إمام البغداديين و شيخهم في وقته توفي سنة إحدى و مائتين.

[4] - طبقات الصوفية - المرجع السابق - ص 48 .

[5] - هو محمد بن علي أبو جعفر القصاب الصوفي، كان أستاذ الجنيد مات سنة خمس و سبعين و مئتين هـ.

البغدادي أبو بكر أحمد بن علي - تاريخ بغداد أو مدينة السلام - دار الكتاب العربي - بيروت، جـ 3 ص 62 .

[6] - طبقات الصوفية المرجع السابق ص 158

[7] - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الضبي الطهماني الحاكم النيسابوري الحافظ، المعروف بابن البيع إمام أهل الحديث في عصره، كان عالما عارفا واسع الفقه ولد سنة إحدى و عشرين و ثلاثمائة نيسابور و توفي بها سنة خمس و أربعمائة-

بكير بن أحمد الحداد الصوفي[1] بمكة حدثنا الجنيد بن محمد، أبو القاسم الصوفي، حدثنا الحسن بن عرفة [2] حدثنا محمد بن كثير الكوفي [3]، عن عمرو بن قيس الملائي [4] عن عطيـــة [5]، عن أبي سعيد[6] رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسـلم : احـذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى وقرأ : إن في ذلـــك لآيـات للمتوسـمين [7] قـال للمتفرسين[8].

و الجنيد هو تلميذ الحارث المحاسبي، وله كلام كثير في المعرفة والذكر و القرب و غير ذلك مما يتداوله الصوفية من عبارات وإشارات، و الجنيد كان يمثل أيضا التصوف السني الذي أخذ به الغزالي فيما بعد، فهو ينتقد بعض أفعال المتصوفة و فهو منهم القائمة على ترك الأعمال، قال له رجل منهم : أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات، من باب الـبر والتقوى، إلى الله تعالى فقال الجنيد : ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق و يزني، أحسن حالا من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن اللـــه، و إليـه

- و حلية الأولياء - المرجع السابق حـ 1 ص 613.

[1] بكير بن محمد بن أحمد بن سهل الحداد يقال إن اسمه أحمد و لقبه بكير، سكن مكة و حدث بها.

تاريخ بغداد - المرجع السابق حـ 7 ص 112.

[2] هو الحسين بن عرفة العبدي أبو علي البغدادي المؤدب قالوا عنه إنه ثقة، عمر طويلا فقد عاش مائة و عشرين سنة، و مات سنة تسع و خمسين و مائتين.

سير أعلام النبلاء - المرجع السابق حـ 6 ص 201 ترجمة رقم 1243.

[3] هو محمد بن كثير أبو إسحاق الكوفي، قدم بغداد و نزل عند نهر كرخايا و حدث بها و ما كانوا يرون فيه بأسا.

تاريخ بغداد - المرجع السابق حـ 3 ص 191 - 193.

[4] - هو أبو عبد الله الملائي، جمع عكرمة مولى ابن عباس و عطاء و غيرهما، روى عنه الثوري و كان ينبي عليه و يجلس بين يديه، كان ثقة صالحا، توفي سنة ست وأربعين و مائة هـ.

- المنتظم - المرجع السابق حـ 8 ص 98 - 99.

[5] عطية بن سعد العوفي الكوفي، روى عن أبي هريرة، و طائفة ضربه الحجاج أربعمائة سوط على أن يشتم عليا، فلم يفعل، و هو ضعيف الحديث، قاله الذهبي توفي سنة إحدى عشرة و مائة.

- شذرات الذهب - المرجع السابق - حـ 1 ص 144.

[6] - أبو سعيد الخدري اسمه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي، من سادات الأنصار كان أبوه ممن شهد أحدا، مات سنة أربع و ستين.

- كتاب مشاهير علماء الأمصار - لابن حبان البستي - المرجع السابق - ص 11.

[7] - الحجر: 75.

[8] - حديث ضعيف رواه ابن جرير، عن ثوبان، و نصه : احذروا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، و ينطق بتوفيق الله

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حـ 1 ص 34 .

رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي، وأقوى في حالي[1]

4- الشبلي :

هو أبو بكر الشبلي، واسمه دلف، يقال : ابن جعفر، ويقال اسمه جعفر ابن يونس، وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، و أصله من أسروشنة [2] ومولده كما قيل سامرا. تاب في مجلس خير النساج، وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحد وقته حالا وعلما، و كان عليما، فقيها على مذهب مالك، عاش سبعا و ثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين و ثلاثمائة هـ و دفن في مقبرة الخيزران،كتب الحديث الكثير و رواه[3].

و من الأحاديث التي رواها قول النبي – صلى الله عليه و سلم – لبلال : الق الله فقيرا، ولا تلقه غنيا قال : يارسول الله كيف لي بذلك ؟ قال : ما سئلت فلا تمنع، و مارزقت فلا تخبأ[4] : قال : يارسول الله! كيف لي بذاك؟ قال : هو ذاك، و إلا فالنار[5] و من الأقوال المأثورة عن الشبلي، أنه سئل : متى يكون الرجل مريدا؟ فقال : إذا استوت حاله من السفر والحضر، والمشهد والمغيب[6]، وقال ابو القاسم عبد الله بن محمد الدمشقي[7] كنا يوما في بيت الشبلي، فأخر العصر، ونظر إلى الشمس، وقد تدلت للغروب، فقال: الصلاة ياسادتي وقام فصلى، ثم أنشا يقول ملاعبة وهو يضحك :

نسيت اليوم -من عشقي- صلاتي ❁ فلا أدري غداتي من عشائي

---

[1] طبقات الصوفية - المرجع السابق- ص 159 .

[2] سامرا بنا وراء النهر، معجم البلدان - المرجع السابق جـ 1 ص 210 .

[3] طبقات الصوفية - المرجع السابق ص 337- 338 .

[4] ورد في لسان العرب خبأت الشيء خبأ إذا أخفيته، مجلد 2 ص 779 دار لسان العرب،دار الجيل.

[5] تاريخ بغداد -المرجع السابق جـ 1 ص 210 .

[6] طبقات الصوفية -المرجع السابق -ص 340 .

[7] هو عبد الله بن محمد أبو القاسم الدمشقي الساجي الصوفي، صنف كتاب مقالات الصوفية، قال: كنت واقفا على حلقة الشبلي، فجعل يبكي ولا يتكلم فقال له رجل: ما هذا البكاء؟ فأنشأ يقول:

إذا عاتبته أو عاتبوه **** شكا فعلي وعدد سيئاتي

فيا من دهره غضب وسخط **** أما أحسنت يوما في حياتي

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر -المرجع السابق- ج14 ص12.

فذكرك سبدي أكلي و شربـــــــــــي ❁ ووجهك إن رأيت شفاء دائي[1]

5 - أبو يزيد البسطامي :

هو أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جده سروشان هذا مجوسيا فأسلم وهم ثلاثة إخوة : آدم، و طيفور، وعلي، وكلهم كانوا زهادا، عبادا، أرباب أحوال، وهو من أهل بسطام[2].

مات سنة احدى وستين و مائتين (261هـ)، و قيل سنة أربع و ثلاثين و مائتين(234هـ) والله أعلم[3].

ومن الأحاديث التي رواها، عن أبي سعيد الخذري قال : قال رسول الله -- صلى الله عليه وسلم - إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، و أن تحمدهم على رزق الله و أن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره، إن الله بحكمته وجلاله، جعل الروح والفرح في اليقين و الرضا، وجعل الهمّ و الحزن في الشك والسخط[4].

ومن أقوال أبي يزيد لما سئل باي شيئ وجدت هذه المعرفة؟ فقال : ببطن جائع وبدن عار[5] وقال أيضا " إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم، فأطاعوه فخلع عليهم خلعه، فاشتغلوا بالخلع عنه، وإنيلا أريد من الله إلا الله[6].

ولأبي يزيد أقوال أنكرها عليه أهل بلدته منها قوله: لي معراج كما كان للنبي -صلى الله عليه وسلم- معراج فأخرجوه من بسطام، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام[7] ومن أقواله المنكرة أيضا : سرت من إلهية إلى إلهية حتى دعوت من نفسي إلى نفسي أن يامن أنت أنا، يعني أنني وصلت إلى مقام الفناء

1- طبقات الصوفية - المرجع السابق- ص 344.

2- بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور، بعد دامغان، مرحلتين، فتحت مع الري و قومس، على يد نعيم بن مقرن في عهد عمر بن الخطاب صلحا سنة ثمان عشرة هـ

- معجم البلدان المرجع السابق جـ 2 ص 180.

3- طبقات الصوفية -المرجع السابق- ص 67.

4- حلية الأولياء و طبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني- مطبعة السعادة- جـ 10 ص 41 من غير ذكر كلمة التقى

5 -طبقات الصوفية -المرجع نفسه- ص 74.

6-طبقات الصوفية -المرجع نفسه- ص 72.

7-تلبيس إبليس-المرجع السابق- ص 167.

في الله، وذهب احدهم إلى دار أبي يزيد، ونادى عليه باسمه، فقال الشيخ من ذا تريد؟ فقال أبا يزيد قال : مسكين أبويزيد إني منذ ثلاثين سنة أبحث عنه فلا أجد له أثرا، ومن أقواله أيضا سبحاني سبحاني ما أعظم شاني، وهذه الأقوال الصادرة من أبي يزيد توحي بإيمانه بفكرة الحلول والفناء والاتحاد، وهذه أفكار منحرفة، تعرض الغزالي بسببها إلى النقد، ذلك أنه لم ينكر على هؤلاء المتصوفة مثل هذه الأقوال.

والحقيقة أن الغزالي وإن ذكر هؤلاء الشيوخ بأسمائهم، وتأثر بهم فانه قد بقي بعيدا عن ألفاظهم وتصرفاتهم المغالية، المنحرفة عن وسطية الاسلام، وهو وإن تأثر ببعض أفعالهم وتعاليمهم غير المعقولة، فإنها لم تتجاوز الفضائل إلى الاعتقاد وما يتعلق به.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : تلاميذ الغزالي

تلاميذ الغزالي كثيرون، فهم يعدون بالمئات أو الألوف، وقد صرح الغزالي نفسه أنه كان ممنوعا بالتدريس لثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد وذلك أثناء أزمته النفسية التي أعقبت شكه، والغزالي لم يدرس سنة واحدة، وإنما درس ببغداد زهاء خمس سنوات، كما درس بنظامية نيسابور بعد رجوعه من عزلته، ومن هنا فلا يمكن الإلمام بجميع أولئك التلاميذ، بيد أننا نقتصر هنا في الترجمة لثلاثة من تلاميذه، تركوا أثرا بارزا في تاريخ الفكر الإسلامي، وهؤلاء هم أبو بكر ابن العربي، والمهدي بن تومرت، وابن برهان.

1 **ابن العربي:** هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الاشبيلي، الحافظ المشهور، رحل إلى المشرق مع أبيه سنة 485 هـ ودخل الشام، فسمع من الفقيه نصر المقدسي، وتفقه على الغزالي والشاشي والطرطوشي بعد ما زار بغداد والاسكندرية، والتقى بجماعة من العلماء وحجّ، وكان من أهل اليقين في العلوم والاستبحار فيها مع الذكاء المفرط، توفي والده بمصر منصرفا من الشرق في السفرة سنة 493 هـ، وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة، فعاد ابن العربي إلى الأندلس سنة 493 هـ، وقدم إلى اشبيلية بعلم كثير لم يدخل به أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى الشرق، ولي قضاء اشبيلية مدة، وأقبل على نشر العلم وتصنيفه في التفسير والحديث والفقه والأصول... توفي سنة 543 هـ، وذهب ابن العماد إلى أن وفاته كانت سنة 546هـ، دفن بمدينة فاس، من آثاره عارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيره، ومعنى عارضة الأحوذي، فالعارضة القدرة على الكلام، يقال: فلان شديد العارضة إذا كان ذا قدرة على الكلام والأحوذي الخفيف في المشي لحذقه[1].

ونشير إلى أن ابن العربي قدم مع أبيه في سفارة لابن تاشفين، ولم أجد من شكك في لقائه بالغزالي وتتلمذه عليه، كما يحدث ذلك مع ابن تومرت فقد صرح ابن العربي نفسه بهذا اللقاء فقال: ولقد فاوضت فيها -أي العلوم التي تحصل بطريقة التزكية- أبا حامد الغزالي، حين لقائي له بمدينة السلام في جمادي الآخرة سنة تسعين وأربعمائة [2] . وقال في موضع آخر: فقال لي

---

[1] - وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج4 ص296-297 وشذرات الذهب -المرجع السابق- ج4 ص141-142.

[2] - آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية -المرجع السابق- ص30.

أبو حامد الغزالي: انما بؤتى مثل الدنيا في القيمة و القدر لا في المساحة، وقيد شبر من الجنة خير من الدنيا بغير حصر بمثل و لا بعشرة أمثالها و لا بأكثر من ذلك[1]، وهناك عبارات أخرى تفيد وتؤكد ذلك اللقاء، ونشير إلى أن ابن العربي قد تأثر بشيخه الغزالي، وقلده في عدة مواضع حتى أطلق على كتاب له اسم قانون التأويل كما هو الشأن في كتاب قانون التأويل للغزالي.

ولا ننكر أن ابن العربي قد تعرض لنقد أستاذه في بعض المواضع، ويرجع الأستاذ عبد المجيد الصغير نقد ابن العربي للغزالي إلى اتجاهه الصوفي المتأثر بالباطنية، كما تأثر بالفلاسفة، ويرى أن هذا النقد يعتبر أصلا لانتقادات ابن رشد وابن سبعين [2] ، وابن تيمية والشاطبي [3] وابن خلدون [4].

2-ابن تومرت: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، ادعى أنه علوي حسني، ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كما ادعى أنه المهدي، ولد سنة خمس وثمانين وأربعمائة، نشأ بالمغرب ورحل إلى المشرق، ولقي الغزالي، كما ذكر ذلك بعض المؤرخين -وطائفة أخرى من العلماء كالطرطوشي وغيره، وحصل فنونا من العلوم والأصول والكلام، وحج في رحلته تلك. وكان ابن تومرت رجلا ورعا ناسكا في الجملة زاهدا متقشفا، شجاعا جلدا، مهيبا، لذته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد...فبدأ أولا في الإنكار بمكة فأذوه، فقدم مصر وأنكر فطردوه..وركب البحر فشرع ينكر على أهل المركب، ويأمر وينهى، ويلزمهم بالصلاة..ونزل بالمهدية من أرض تونس، فكان لا يرى منكرا أو لهوا إلا غيره بيده ولسانه .. وتحول إلى بجاية، وأنكر بها فأخرجوه، فلقي بقرية ملالة (قرب بجاية) عبد المؤمن بن علي وأفاده جملة من العلم، وأفضى إليه بسره، وصار معه نحو خمسة أنفس، فدخل مراكش فأنكر كعادته، ووبخ أولي الأمر على بيع الخمر جهارا، ومشي خنازير الفرنج بين أظهر المسلمين ولما سمع الملك بذلك ذرفت

---

[1] - آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية -المرجع نفسه- ص33.

[2] - هو أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر، الشهير بابن سبعين، العكي المرسي الأندلسي، درس العربية والآداب بالأندلس، انشغل التصوف، ورحل إلى المشرق، وشاع ذكره، واشتهر كما انتقد أيضا، توفي سنة تسع وستين وستمائة.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت 1988 مجلد 2 ص196.

[3] - هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المالكي الشهير بالشاطبي أبو اسحاق، محدث فقيه أصولي، لغوي مفسر، من مؤلفاته عنوان التعريف بأسرار التكليف، توفي سنة تسعين وسبعمائة.
كحالة عمر رضا - معجم المؤلفين - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى 1993، ج1 ص77.

[4] - أبو حامد الغزالي دراسات في فكره وعصره وتاثره -البعد السياسي في نقد القاضي ابن العربي لتصوف الغزالي عبد المجيد الصغير كلية الآداب الرباط ص184.

عيناه، وصرفه وطلب منه الدعاء، فاشتهر اسمه، وسار إلى أغمات قرب مراكش، وانقطع بجبل تينمل، فتسارع إليه أهل الجبل يتبركون به فاستمالهم وقوي أمره في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وبعدها بسنتين جهز عسكرا من المصامدة أكثرهم من أهل تينمل والسوس، واستفحل أمرهم، وأخذوا في شن الغارات على بلاد ابن تاشفين والمهدي لا يزال على طريقة واحدة في الزهد والعبادة [1]، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة عن تسع وثلاثين عاما.

وقد اختلف الباحثون قديما وحديثا في لقاء ابن تومرت للغزالي فضلا عن تتلمذه عليه، وذلك بين مثبت لذلك اللقاء، ونافٍ له، ومغفل مشكك فيه، وقد رجح الدكتور عبد المجيد النجار في رسالته "المهدي بن تومرت" تتلمذه عليه ولقاءه به مستأنسا ببعض المعطيات التاريخية[2]. وقد صرح الغزالي في كتاب **سر العالمين** بلقائه بابن تومرت فقال عن هذا الكتاب: فأول من استحسنه وقرأه علي بالمدرسة النظامية سرا من الناس في النوبة الثانية بعد رجوعي من السفر رجل من أرض المغرب يقال له محمد بن تومرت من أهل سلمية، وتوسمت منه الملك[3]. والشك في هذه الرواية يعود إلى الشك في نسبة هذا الكتاب إلى الغزالي، كما أن هناك رواية أخرى تذكر أن ابن تومرت هو الذي أعلم الغزالي بإحراق كتاب الإحياء، وأن الغزالي دعا عليهم، وسأله ابن تومرت أن يكون على يده.

3- ابن برهان: أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان، الفقيه الشافعي، ولد ببغداد سنة تسع وسبعين وأربعمائة، تفقه على الغزالي وأبي بكر الشاشي والكيالهراسي، وبرع في المذهب وفي الأصول، وكان هو الغالب عليه، وكان متبحرا في الأصول والفروع، والمنتق والمختلف، درّس بالنظامية في بغداد شهرا واحدا، وكان يضرب به المثل في حل الإشكال، له تصانيف مشهورة، منها البسيط والوسيط، كما صنف كتاب الوجيز في أصول الفقه، توفي سنة عشرين وخمسمائة ببغداد[4].

1- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج5 ص45 و شذرات الذهب -المرجع السابق- ج4 ص70... .

2- المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي -الدكتور عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الأولى 1983 ص82.

3- سر العالمين وكشف ما في الدارين -دار الكتب العلمية بيروت 1997 ص03.

4- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص99 و شذرات الذهب -المرجع السابق- ج4 ص61.

المبحث الخامس : الغزالي في الميزان

سنتطرق في هذا المبحث، إلى أقوال المادحين و القادحين الطاعنين في الغزالي، وسبب ذلك، والاختلافات التي نشأت بين الباحثين في تقويم شخصيته، و نبين وجه الحق في ذلك كله.

والغزالي باعتباره شخصية علمية متميزة، حيث خاض في كل علوم عصره وألف فيها، كان لابد أن يكون له ناقدون و معجبون، و لكل فريق مبرراته في نقده أو إعجابه و سوف نتطرق إلى الفريقين في مطلبين مستقلين، نتناول في المطلب الأول أقوال المادحين و في الثاني أقوال القادحين، و نختم في الأخير بما نراه حكما عادلا بينهما و بينه.

المطلب الأول : المادحون للغزالي

حظي الإمام الغزالي بممادح كثيرة لم يحظ بها عالم آخر من بعده، و ذلك يعود إلى علمه ومؤلفاته و زهده، حتى وصل المدح عند بعض المعجبين إلى درجة التقديس والمادحون للغزالي يشكلون سلسلة طويلة متفرعة تمتد من عصر الإمام إلى اليوم، وتتفرع إلى مجتمعات غير إسلامية اطلعت على تراثه الفلسفي، ورأت فيه المدافع الصامد عن الدين و الايمان أمام هجومات الفلسفة وتياتها.

والاتجاه المناصر للغزالي يمثله عبد الغفار بن اسماعيل الفارسي، وابن عساكر، والنووي، والذهبي واليافعي، والسبكي، ومحمد بن الحسن الواسطي، وابن الملقن، والزبيدي وانتهاء بأحمد فريد الرفاعي[1]، والدكتور سليمان دنيا[2]، والدكتور أبو العلاء العفيفي[3]، وهذا الاتجاه يرى في الغزالي حجة الإسلام المدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة في مواجهة الفلاسفة الأرسطيين والمعتزلة، والباطنية، وغيرهم من الفرق الضالة، كما يرى فيه ممثلا للمدرسة الروحية لأهل الفرق الصوفية الواسعة الانتشار خصوصا في العراق ومصر والسودان وبلاد المغرب العربي والباكستان وغيرها من بلاد الإسلام[4].

---

[1]- من خلال كتابه «الغزالي».

[2]- من خلال كتابه الحقيقة في نظر الغزالي و مقدماته لبعض كتب الغزالي.

[3]- من خلال تعليقاته على كتاب فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي-دار الكتاب العربي بيروت-الطبعة الثانية 1980.

[4]- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي-المرجع السابق-ص 55 .

وفي هذا المطلب سوف نذكر بعض الممادح الواردة في الإمام الغزالي ننقلها من كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس المطبوع ملحقا بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ومما ورد في هذا الكتاب أن الفقيه العلامة قطب اليمن اسماعيل بن محمد الحضرمي اليمني[1] سئل عن تصانيف الغزالي فقال من جملة جوابه : محمد بن عبد الله- صلى الله عليه وسلم- سيد الأنبياء، ومحمد بن ادريس الشافعي سيد الأئمة، ومحمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين. وذكر اليافعي أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن علي بن حرزهم[2] الفقيه المشهور المغربي كان بالغ في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين، وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ماظفر به من نسخ الإحياء وهمّ بإحراقها في الجامع يوم الجمعة، فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم - فيه ومعه أبو بكر وعمر ــ رضي الله عنهما- والإمام الغزالي قائم بين يدي النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالي : هذا خصمي يا رسول الله، فإن كان الأمر كما زعم تبت إلى الله، وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذ لي حقي من خصمي ثم ناول النبي-صلى الله عليه وسلم- كتاب الإحياء، فتصفحه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورقة ورقة من أوله إلى آخره، ثم قال : والله إن هذا لشيء حسن، ثم ناوله الصديق -رضي الله عنه- فنظر فيه فاستجاده، ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق إنه لشيئ حسن، ثم ناوله الفاروق عمر -رضي الله عنه- فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق، فأمر النبي-صلى الله عليه وسلم- بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري، فجرد وضرب، فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق-رضي الله عنه- وقال يا رسول الله لعله ظن فيه خلاف سنتك فأخطأ في ظنه، فرضي الإمام الغزالي وقبل شفاعة الصديق، ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط في ظهره ، وأعلم أصحابه و تاب إلى الله عن إنكاره على الإمام الغزالي واستغفر، و لكنه بقي مدة طويلة متألما من أثر السياط وهو

---

[1]- هو اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمي نسبة إلى حضرموت، قال المناوي : قطب الدين الإمام الكبير العارف الشهير، قدوة الفريقين، وعمدة الطريقين شيخ الشافعية ومربي الصوفية، ولي القضاء، وأنكر المنكرات وعزل نفسه وله كرامات كثيرة، توفي سنة ثمان وسبعين وستمائة.
- شذرات الذهب -المرجع السابق- ج5 ص361.

[2]-هو أبو الحسين علي بن اسماعيل بن حرزهم الفاسي، من ولد عثمان بن عفان، أخذ عن عمه محمد صالح، وابن العربي، توفي سنة تسع وخمسين و خمسمائة.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف الشيخ محمد بن محمد مخلوف-دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ص 162-163 .

يتضرع إلى الله تعالى ويتشفع برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أن رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليه ومسح ببده الكريمة على ظهره فعوفي وشفي بإذن الله تعالى، ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه ونال المعرفة بالله... وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[1] : ولقد مات الشيخ أبو الحسن ابن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر السياط ظاهر على ظهره[2].

قال العيدروس: وقال جماعة من العلماء- رضي الله عنهم- منهم الشيخ الإمام الحافظ ابن عساكر في الحديث الوارد عن النبي-صلى الله عليه و سلم-في أن الله تعالى يحدث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة [3] : أنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وعلى رأس المائة الثانية الإمام الشافعي-رضي الله عنه- وعلى رأس المائة الثالثة الإمام أبو الحسن الأشعري - رضي الله عنه - وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلاني[4]-رضي الله عنه- وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالي-رضي الله عنه- روي ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل -رضي الله عنه- في الإمامين الأولين أعني عمر بن عبد العزيز والشافعي[5].

وقال محمد بن الحسن الواسطي : روي بخبر صحيح أن زين الدين أبا بكر الأبابادي، كوشف له أن القيامة قد قامت و الأنبياء و الأولياء كلهم حاضرون مع الأولين و الآخرين، فجاء موسى إلى محمد عليهما السلام- وقال: يا محمد أنت قلت : علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل؟ فقال : نعم، فالتفت النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى يمينه فوقع نظره عليه السلام إلى محمد الغزالي -رحمه الله- فناداه فلما جاء إليهما، قال الرسول عليه السلام : هذا منهم يا موسى فساله موسى عليه السلام سبعين مسالة فأجابه، وصدق موسى محمدا عليه السلام، فقال:

---

[1]- هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي الزاهد شيخ الطائفة الشاذلية، ولد بشاذلة قرية بإفريقية سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة هـ، و كان ضريرا، سكن الاسكندرية، و عنه أخذ أبو العباس المرسي، توفي سنة ست و خمسين و ستمائة هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب-المرجع السابق- جـ 5 ص 278 .

[2]- إحياء علوم الدين -المرجع السابق- ج 5 ص 05.

[3]- صحيح سنن المصطفى لأبي داوود - كتاب الملاحم جـ 2 ص 209.

[4]- هو القاضي أبو بكر بن الطيب بن الباقلاني البصري-المتكلم على مذهب الأشعري- من أهل البصرة سكن بغداد و سمع بها الحديث، كان أعرف الناس بعلم الكلام له تصانيف كثيرة في الرد على المخالفين من الرافضة و المعتزلة و الجهمية والخوارج، توفي سنة ثلاث و أربعمائة.

- تبيين كذب المفتري-المرجع السابق-217 .

[5]-إحياء علوم الدين -المرجع السابق- جـ 5 ص 11.

" ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" [1] و[2] بغض النظر عن كون هذه المنامات صحيحة أو سقيمة، فإن نقلها وتدوينها يدل على أن هناك مولعين بالإمام الغزالي، وما نقلناه هنا إنما الغرض منه بيان نظرة مادحيه، لا بيان مكانته الحقيقية.

وقال "وول ديورانت: ولما توفي أي الغزالي– سنة (١١١١م) كانت موجة الالحاد قد ردت على أعقابها، واطمأنت جميع قلوب المؤمنين المتمسكين بالدين، بل إن رجال الدين المسيحيين أنفسهم قد أثلج صدورهم ما وجدوه في كتبه، بعد أن ترجمت إلى اللغات الأجنبية، من دفاع حار عن الدين، وعرض بليغ لقواعد التقى والصلاح لم يروا له نظيرا بعد أيام أوغسطين[3]،واختفت الفلسفة منذ أيامه...[4]. وهذه الكلمة لوول ديورانت تؤكد عكس ما ذهب إليه عبد الرحمن بدوي في محاضرته "أوهام حول الغزالي" حين قال بأنه لم يجد من قال بأن الغزالي قد سدد ضربة قاضية للفلسفة [5] .

هذا جزء يسير من الممادح والأقوال التي وردت في الإمام الغزالي وهي كثيرة جدا وهذا التقدير الذي ناله الإمام إنما يعود إلى التركة الثمينة من الكتب التي خلفها وما تمتاز به من تعبير حلو صادق، وتنوع في الفنون المختلفة من فقه وأصول و فلسفة وكلام وتصوف، حتى أن الذي يقرأ عن الإمام يظن أنه يقرأ عن عدة رجال.

---

[1] الجمعة : 04.

[2] – الطبقات العلية في مناقب الشافعية – لمحمد بن الحسين الواسطي، مخطوطة رقم 127 في كلية الآداب جامعة بغداد، ذكره عبد الأمير الأعسم في كتابه الفيلسوف الغزالي ص 194.

[3] – هو أسقف هيبون، أشهر آباء الكنيسة الغربية–خطيب و لاهوتي و فيلسوف و كاتب: من أهم مؤلفاته "الاعترافات" "مدينة الله"، ولد سنة أربع و خمسين وثلاثمائة للميلاد، و توفي سنة ثلاثين و أربعمائة و قد كانت ولادته في مدينة سوق أهراس بالجزائر تحول إلى الديانة اليابوية قبل تحوله إلى المسيحية.

– المنجد في اللغة والأعلام دار المشرق بيروت –الطبعة الحادية و العشرون ص 96 وكتاب الخالدون مائة لمايكل هارت تعريب أنيس منصور الزهراء للإعلام العربي الطبعة السابقة 1986ص 215.

[4]– قصة الحضارة وول ديورانت، دار الجيل– بيروت جزء 13 ص 364، 365 .

[5] أبو حامد الغزالي دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية للآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 09 المملكة المغربية جامعة محمد الخامس 1988 ص241.

المطلب الثاني : الطاعنون في الغزالي

كما كان للإمام الغزالي مناصرون كثيرون، فقد كان له ناقدون كثيرون أيضا، امتـــدت سلسلتهم من عصره إلى اليوم، والمادحون له يركزون على أن هؤلاء الناقدين لا يمكنهم الحكم على الغزالي لأنهم ليسوا في مرتبته، لأنه لم يأت أحد بعده مثله، و قد اختلفـــت أسـباب نقـد الغزالي على مر العصور من باحث إلى آخر ، فبعضها كان منصبا على كتبه و بعضها الآخـر كان منصبا على شخصيته بصفة عامة أو على جانب واحد منها وإذا تجاوزنا من النقاد تلميـذ الغزالي أبو بكر بن العربي باعتباره كان مادحا أيضا، فإننا نذكـر من النـــاقدين جملـة مـن العلماء و نبين وجهة نقدهم :

1- ابن الجوزي : وقد انصب نقده للغزالي على الجانب الصوفي من حياته و أقواله فيه، وقـد انتقده على استدلاله بأحاديث موضوعة، وتأويلات فاسدة، وعبارات غير مفهومة،ومما قاله في كتاب تلبيس ابليس: وجاء أبو حامد فصنف لهم كتاب الإحياء-أي الصوفية-على طريقـة القـوم وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، و تكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه، وقال : إن المراد بالكوكب و الشمس و القمر اللواتي رأهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوارا هـي حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات، وهذا من جنس كلام الباطـنية ، وقال في كتابه المفصح بالأحوال : أن الصوفية في يقظاتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيـق عنهـا نطاق النطق[1].

ثم قال ابن الجوزي في موضع آخر من كتابه : وقد قال أبو حامد في كتاب الإحيـــاء : مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة في مكان مظلم، وقال فإن لـم يكـن مكـان مظلم، فليلف رأسه في جبته أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مـــثل هذه الحـــالة يسمع نـــداء الـحـــق، ويشاهد جلال حضرة الربوبية، ثم قال ابن الجوزي معلقا: انظر إلى هـــذه الترتيبات، والعجب كيف تصدر من فقيه عالم و من أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن الذي يشاهده جلال الربوبية، وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسـدة، وهـذا

---

[1]- تلبيس ابليس -المرجع السابق- ص 166.

الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه المالبخوليا[1]. وقد يسلم الإنسان في مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه و غمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن في الدماغ ثلاث قوى: قوة يكون بها التخيل، وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر، وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ، وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوسوساوس والخيالات الفاسدة[2].

كما هاجمه وانتقده ابن الجوزي بسبب إباحته السماع للصوفية، وقد ورد في كتابه السالف الذكر: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي بأشياء نزل فيها عن رتبته من الفهم مجموعها أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس، وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب، فإذا كان موزونا فلا يحرم أيضا، وإذا لم يحرم الأحاد فلا يحرم المجموع، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان المجموع مباحا قال: وينظر فيما يفهم من ذلك، فإن كان فيه شبيء محظور حرم نثره ونظمه، وحرم التصويت به قال ابن الجوزي: قلت: وإني لأتعجب من مثل هذا الكلام فإن الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب، فإذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم، وكذلك هذا المجموع يوجب طربا، ويخرج من الاعتدال فيمنع منه لذلك[3].

وهنا نلاحظ أن نقد ابن الجوزي لم يخرج عن الجانب الصوفي من تأليف الغزالي وسنرى انتقادات أخرى منصبة على هذا الجانب بالذات، وهذا النقد لم يسلم منه أحد من أهل التصوف.

---

[1] - المالبخوليا و يقال لها المالنخوليا أيضا، و هي مرض عقلي خاص وصفه المميز له ان يكون المصاب به حزينا كئيبا و لكنه لا يصاب بهذيان و لا بجنون... يكون أحيانا وراثيا و أحيانا ناشئا من ضعف المجموع العصبي البطيئ، و ثارة يكون مسببا من الأحوال الطارئة على الشخص كحزن و اهتمام و افراط عقلي.

- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي-دار المعرفة بيروت لبنان-الطبعة الثالثة-المجلد الثامن ص 419.

[2] - تلبيس ابليس - المرجع السابق- ص 288-289.

[3] - تلبيس ابليس - المرجع نفسه- ص 245.

2- **أبو بكر الطرطوشي المالكي**[1] : وكان نقده منصبا على ضعف الأحاديث واختلاقها وكذلك استدلال الغزالي بكلام الفلاسفة، قال: شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض، أكثر كذبا منه، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون أن النبوة مكتسبة، و زعموا أن المعجزات حيل ومخاريق[2]. وقد رد الإمام السبكي على ما أورده الطرطوشي واتهمه بالتعصب[3] وذكر أن الأحاديث الموضوعة في كتب الغزالي ليس هو واضعها، وقد اعترف بأن ليس له يد باسطة في الحديث وهو يذكرها بصيغة روى فلان عن غيره، وأما الدكتور الشيال فقد اعتبر أن الطرطوشي كان متحاملا ومتجنيا على الغزالي بسبب الغيرة التي تنشأ بين العلماء المتعاصرين لهذا جاء نقده للغزالي وكتابه ضعيفا متهافتا[4] وقد رد الطاهر المعموري على السبكي واعتبر رده على الطرطوشي متسما بالبساطة والسطحية، قال: ولعل ذلك راجع لكونه اعتبر كلام الطرطوشي لا يستحق جهدا ولا عمقا[5]،ومجمل رد السبكي على الطرطوشي هو أنه نفى دعاويه و تعجب كيف تصدر منه في حق عالم مثل الغزالي.

3- **أبو عبد الله المازري المالكي**: قال المازري مجيبا لمن سأله عن حال كتاب إحياء علوم الدين ومصنفه:هذا الرجل-يعني الغزالي- وإن لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكي لي نوعا من حاله وطريقته فأتلوح بها من مذهبه وسيرته ما قام إلى مقام العيان، فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل و حال كتبه وذكر جمل من مذاهب الموحدين و الفلاسفة و المتصوفة و أصحاب الإشارات فإن كتابه متردد بين هذه الطرائق و لا يعدو ها،ثم أتبع ذلك بذكر حيل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ثم أبين عن طرق الغرور وأكشف عما دفن من حبال الباطل ليحذر من الوقوع في حباله صائده [6]. ثم ذكر أن الغزالي أعرف بالفقه

---

[1]- أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة، و هي بلدة من آخر بلاد المسلمين بالأندلس، نزل الإسكندرية، كان إماما فقيها صالحا سديد السيرة، و رد بغداد وانحدر إلى البصرة، توفي سنة ست عشرة و خمسمائة، و قيل سنة عشرين.

- الأنساب -المرجع السابق- جـ 4 ص62.

[2]- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-مؤسسة الرسالة تحقيق و تعليق شعيب الأرنؤوط -الطبعة الأولى 1984جـ 19 ص .128

[3]- طبقات الشافعية الكبرى -المرجع السابق - مجلد 4 ص 128.

[4]- الغزالي و علماء المغرب للطاهر المعموري -الدار التونسية للنشر و التوزيع- المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر 1990-ص 85 نقلا عن الدكتور الشيال.

[5]- الغزالي و علماء المغرب-المرجع نفسه- ص 35،36.

[6]- طبقات الشافعية الكبرى -المرجع السابق- مجلد 4 ص 122-123.

من أصوله، وليس مستبحرا في علم الكلام وسببه أنه قرأ الفلسفة قبل أصول الدين، فأكسبته جراءة على المعاني، وأصبح كالفلاسفة التي لا تخاف مخالفة أئمتها، وذكر أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا الفلسفية، وعلى أنه عول كثيرا على فلسفة ابن سينا[1]، وذكر أنه لا يعرف على من عول في التصوف، وضعف أكثر أحاديث الإحياء، كما انتقده في العلوم التي يكتمها فإن كانت حقا فلماذا لا يفهمها غيره، هذا ملخص كلام المازري كما أورده السبكي[2] وقد رد الإمام السبكي على كلام المازري و مطاعنه بمقدمة عرف فيها بالمازري[3] ومدحه، وذكر أنه كان كغيره من المغاربة متعصبا لمذهب الإمام مالك، مصمما على مقالات أبي الحسن الأشعري وأنه يبدع كل من خالفهما في شيئ، بينما كان الإمام الغزالي وأستاذه الجويني يخالفان الأشعري في بعض المسائل وربما ضعفا مذهب مالك في كثير من المسائل، وذكر أيضا أن الغزالي كان مجتهدا والمازري كان جامدا على العبارات الظاهرة، وكان يقول من خطأ شيخ السنة أبا الحسن الأشعري فهو المخطئ ثم رد السبكي على كلام المازري، ورأى بأنه ليس له أن يحكم عليه وعلى عقيدته بهذا الحكم وهو لم يطلع إلا على بعض الإشارات وأقوال بعض الأصحاب و التلاميذ، وذكر أن الغزالي لم يتابع ابن سينا لأنه كفره وأن الغزالي قد قرأ علم الكلام قبل الفلسفة، وقد صرح بذلك في المنقذ، ويرى أنه عول في التصوف على كتاب قوت القلوب للمكي وكتاب الرسالة للقشيري[4]، وما ذكره المازري بشان العلوم التي كتمها الغزالي، فقد قال السبكي : ما كنت أحسبه يقع في مثل هذا أو خفي عليه أن للعلوم دقائق تهى

---

[1]- الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الحكيم المشهور، كان أبوه من أهل بلخ، و انتقل منها إلى خارى، أتقن علم القرآن و الأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين والهندسة، و الجبر والمقابلة وقرأ كتاب إيساغوجي، فأحكم علم المنطق وإقليدس، و المجسطي و قرأ الفقه وتمام الطب، من آثاره كتاب الشفاء- النجاة-الإشارات، ولد سنة سبعين وثلاثمائة وتوفي سنة ثمان وعشرين و أربعمائة هـ

-وفيات الأعيان-المرجع السابق جـ 2 ص 157 و ما بعدها.

[2]-طبقات الشافعية الكبرى -المرجع السابق-مجلد 4 ص 122 و ما بعدها.

[3]-أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي، المازري، بلغ من العمر نيفا و ثمانين، و لم يقف بغير مشهور مذهب مالك من تأليفه شرح البرهان للجويني، سماه إيضاح المحصول من برهان الأصول، كتاب التعلقة على المدونة، و كتاب الرد على الإحياء للغزالي المسمى بالكشف و الأنباء على المترجم بالإحياء و كان إماما في الطب، ألف فيه، و كان يفزع إليه في الطب كما يفزع إليه في الفتوى، مات سنة ست و ثلاثين و خمسمائة بالمهدية.

- شجرة النور الزكية- المرجع السابق- ص 127-128.

[4]- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القسم القشيري النيسابوري ولد سنة ست و سبعين و ثلاثمائة هـ ، كان حسن الموعظة بعرف الأصول، على مذهب الأشعري، و الفروع على مذهب الشافعي و كان في علم الفروسية واستعمال السلاح و ما يتعلق به من أفراد العصر، أخذ التصوف من الأستاذ أبي علي الدقاق من تصانيفه التفسير الكبير، توفي سنة خمس و ستين و أربعمائة هـ

-تبين كذب الفتوى-المرجع السابق- ص 271.

العلماء على الإفصاح بها خشية على ضـــعفاء الخـــلق وأمور أخر لا تحيط بها العبارات ولا يعرفها إلا أهل الذوق، وأمور أخر لم يأذن الله في إظهارها لحكم تكثر عن الإحصـــاء [1]، ويختم السبكي رده على الطاعنين على الغزالي بقوله : " فما أشبه هؤلاء الجماعة- رحمهم الله إلا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم قد ركنوا إلى الهوينا فـرأوا فارسا عظيما من المسلمين قد راى عددا عظيما لأهل الإسلام فحمل عليهم و انغمس في صفوفهم ومازال في غمرتهم حتـــى فـل شوكتهم وكسرهم و فرق جموعهم شذر مذر[2] وفلق هام كثير منهم فأصابه يسير مـن دمـائهم وعاد سالما فرأوه وهو يغسل الدم عنه ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم فتوهموا أيضا أثـــر الدم عليه فأنكروا عليه، هذا حال الـغزالي و حالهم، والكل إن شاء الله مجتمعون فـــي مقعـد صدق عند مليك مقتدر[3]، وقد رد الطاهر المعموري كذلك على الإمام السبكي، وذكر أنه هـــو الآخر كان متعصبا في رده، وأنه تعمد إيقاع المازري في تناقضات[4].

وممن ردوا على الغزالي أيضا ابن حمدين[5] الذي كان وراء إحراق كتب الغزالي لدى علي بن يوسف بن تاشفين [6]، وكذلك ابن الصلاح الشافعي[7]، وأغلب نقده يدور علـــى إيـراد الغزالي للأحاديث الضعيفة، وقوله بأن الفقه من علوم الدنيا، وقوله ليس في الإمكان أبدع ممـــا

---

[1]-طبقات الشافعية الكبرى - المرجع السابق- مجلد 4 ص 128.

[2]- بفتح الذال المعجمة في الكلمتين، و هي تعني التفرق، تشاذر القوم و غيرهم تفرقوا و ذهبت عنهم شذر مذر.

- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري -تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود -دار المعرفة بيروت- لبنان ص 231.

[3]- طبقات الشافعية الكبرى- المرجع السابق- مجلد 4 ص 129.

[4]- الغزالي و علماء المغرب- المرجع السابق- ص 38.

[5]- ذكر صاحب شجرة النور الزكية أن ابنه ابن حمدين، و نقلا عن ابن القطان قال : لما وصل إحياء علوم الدين إلى قرطبة، تكلموا فيه بالســـــوء و أنكروا عليه أشياء، لا سيما قاضيهم ابن حمدين في ذلك حتى كفر مؤلفه، وأغرى السلطان به، و استشهد فقهاء، فأجمع هو وهم على حرقه...

- شجرة النور الزكية-المرجع السابقص 138.

[6]- علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب، كان يرجع إلى عدل و دين و تعبد و حسن طوية و شدة إيثار لأهل العلم، و كان مستضعفا مع رؤوس أمرائه، فأحرق كتب أبي حامد، و ظهرت مناكير في دولته توفي سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة هـــ عن إحدى و سبعين سنة.

- شذرات الذهب-المرجع السابق-جـــ 4 ص 11.

[7]- أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، الفقيه ولد سنة سبع وسبعـــين وخمسمائة هـــ، كان أحد فضلاء عصره في التفسير، والحديث و الفقه، و أسماء الرجال، وما تعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، أقام بالموصل وسافر إلى خراسان ورجع إلى الشام وانتقل إلى دمشق من آثاره الفتاوي، توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

- وفيات الأعيان-المرجع السابق- جـــ4 ص243-244 .

كان[1]، وقوله أيضا في المستصفى: نذكر في هذه المقدمة، مدارك العقول، وانحصارها في الحد والبرهان ونذكر شرط الحد الحقيقي، وشرط البرهان الحقيقي و أقسامهما على منهاج أو جزء مما ذكرناه في كتاب " محك النظر " و كتاب "معيار العلم" و ليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول، ولا من مقدماته الخاصة بها بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا [2] . وهذه العبارات الأخيرة هي سبب النقد، وقد رد السبكي على ابن الصلاح بقوله: واللائق بابن الصلاح و أمثاله أن يشكر الله على ما أنعم به من الخير، و ما قيض الله له من الغزالي و أمثاله الذين تقدموه حتى حفظوا له ما يتعبده به وما يشتغل به، وما يتحمل هذا الموضع بسط القول في ذلك وإذا كان في الإحياء أشياء يسيرة تنتقد لا تدفع محاسن أكثره التي لا توجد في كتاب غيره[3] كما تعرض الغزالي للنقد من طرف علماء آخرين كابن تيمية[4] الذي قال: وكلامه في الإحياء غالبه جيد لكن فيه مواد فاسدة، مادة فلسفية، ومادة كلامية، ومادة من ترهات الصوفية، ومادة من الأحاديث الموضوعة، ثم قال: فإنه قد يكفر في أحد المصنفات بالمقالة التي ينصرها في المصنف الآخر[5]،كما انتقده ابن القيم[6]،وكذلك ابن رشد في الفلسفة.

و كما انتقد الغزالي قديما، انتقد حديثا أيضا، ولعل رائد نقاده اليوم هو الدكتور زكي مبارك صاحب كتاب الأخلاق عند الغزالي، ويمكن تلخيص التهم التي و جهها للغزالي فيما يلي :

---

[1] قال الغزالي: وما معنى ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم، ولا أحسن ترتيبا، ولا أكمل صنعا، ولو كان اخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود، وعجزا يناقض القدرة الإلهية.

- كتاب الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالي، مطبوع ملحقا بالإحياء ص17.

[2] - المستصفى في علم الأصول تأليف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي-دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة الأولى 1993-ص 10.

[3] - طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الإسلام تاج الدين ابن تقي الدين السبكي-المرجع السابق-مجلد 4ص 131.

[4] - هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين، ولد سنة إحدى و ستين و ستمائة هـ، عني بالحديث و برع في الرجال، و في علوم الإسلام، و علم الكلام، من آثاره مجموع الفتاوي، مات سنة ثمان و عشرين و سبعمائة.

- طبقات الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي -دار الكتب العلمية بيروت لبنان- الطبعة الأولى 1983 ص 520-521.

[5] - مجموع الفتاوي لابن تيمية -المرجع السابق- ج6 ص55.

[6] - محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة إحدى و تسعين و ستمائة، درس بالصدرية، و أم بالجوزية، أخذ الفرائض عن أبيه و أخذ الأصول عن ابن تيمية و غيره من آثاره إعلام الموقعين، بدائع الفوائد، توفي سنة احدى و خمسين و سبعمائة هـ .

- البدر الطالع -المرجع السابق جـ 2 ص 143-144.

1- الغزالي لم يأت بجديد و آراؤه صوت مردد فليس هو من أصالة في شيئ، و ليس هو من المبتكرين و أن آراءه في الفلسفة و التصوف و الكلام، يمكن أن ترد إلى ينابيع سابقة أخذ منها دون أن يذكرها بكلمة عرفانا أو شكرا.

2- آراؤه مليئة بالأغلاط خاصة الإحياء، و آراؤه في التصوف مشوبة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومخالفة للشرع و العقل.

3- أنه مذنب و مسؤول عن إثارة نعرات التعصب و اللاعقلانية ضد الأفكار الحرة، والمفكرين الأحرار، وأن هذه النزعة كانت شرا على الإسلام والمسلمين.

4- بدعوته للتصوف و إلى العزلة و إلى أخلاق الصبر والحلم والتسامح في وقت كان الإسلام والمجتمع الإسلامي يتعرض للغزو المسلح، وهو بهذا قد أفرغ طاقات الجهاد والجلاد من المسلمين، فكانت الأخلاقية التي يدعو لها من السلبية بمكان بحيث لا تصلح إلا للعقيدة [1] .

وكذلك انتقد الغزالي سميح عاطف الزين، وذلك حينما تحدث عن موقف الغزالي من التوكل والجهاد حيث شن عليه حملة شعواء، وهو يرى أن نظرة الغزالي إلى التوكل جرّت على المسلمين ويلات فهو يرى –أي الغزالي– أن الكسب والادخار ينافيان التوكل... ويرى سميح عاطف الزين أن الغزالي قد عمل بهذا التوكل لما جاء الفرنجة الصليبيون يحتلون الديار، فلم تبد منه أي بادرة تدل على مقاومتهم[2].

وينقل عاطف الزين عن الدكتور عمر فروخ قوله : " ولو أنه –أي الغزالي– أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة إخوانهم في الشام لنفر مئات الألوف منهم للجهاد في سبيل الله، و لو فر إذن على العرب والمسلمين عصورا مملوءة بالكفاح، وقرونا زاخرة بالجهل والدمار[3].

ثم ينقل كلمة أخرى للدكتور زكي مبارك ورد فيها " بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب و تحبير الرسائل يحث أهل أوربا على احتلال أقطار المسلمين، كان الغزالي " حجة الإسلام" غارقا في خلوته، منكبا على أوراده المبتدعة، لا يعرف ما يجب

---

[1]- الفلسفة التوراتية - المرجع السابق - ص 23،24 .

[2]- الإمام الغزالي- لسميح عاطف الزين –المرجع السابق- ص 70 .

[3]- الإمام الغزالي- لسميح عاطف الزين –المرجع نفسه–ص 84-85.

عليه من الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله[1]. ثم يصل سميح عاطف الزين ذروة نقده للغزالي حينما يقول بأن المعجبين بالغزالي فئتان الصوفية، و رجال الدين المستضعفين[2].

و أما الدكتور عمر فروخ فقداتهم الغزالي بالتناقض، فقال : و الغزالي شخصيته عجيبة أنكر قيمة العقل في المعرفة، وفي المعرفة الدينية خاصة، ثم نصر الدين بالعقل، وهاجم الفلسفة و أراد تهديمها، ثم استعار براهينها للدفاع عن الدين، ثم أنه أدخل الرد على الفلاسفة في العقائد وكفر من يذهب إلى رأي الفلاسفة في صفات الله [3] .

وقد دافع عن الغزالي حديثا جملة من الباحثين منهم الدكتور سليمان دنيا، في مقدمة فيصل التفرقة حيث رد على المازري، وكذلك فعل الدكتور أبو بكر عبد الرازق في كتابه " مع الغزالي في منقذه من الضلال"[4] رد فيه على ما أورده الدكتور البقري في كتابه " اعترافات الغزالي"، كما دافع عن الغزالي الدكتور عبد القادر محمود ومما قاله: ولقد اتهم فيما اتهم بدعوته إلى التواكل وعدم السعي في فلسفته الأخلاقية، مثال ما ذكره الدكتور زكي مبارك أيضا من أنه دعا إلى ترك التداوي وترك العيال توكلا في حقهم، والغزالي قد ناقش هذه الأمور حقا و توسع في الجدل فيها، ولكن الذي اتهم الغزالي بهذا تسرع ولم يستكمل بحثه [5] كما دافع الدكتور عبد القادر محمود عن ظاهرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة في كتب الغزالي خصوصا الإحياء على النحو التالي: فإذا كان أخذ على الغزالي في الإحياء ما أورده من بعض الأحاديث التي لم تصح، فالواقع أن الغزالي أتى بهذه الأحاديث لجوازها في الترغيب والترهيب[6].

تناقض الغزالي

يعتبر تناقض الغزالي من أهم الانتقادات التي وجهت إليه، لأن بعض تناقضاته كما يراها الخصوم لها علاقة بالعقيدة، فهو يكفر الفلاسفة في أمر ثم يصرح في موضع آخر باعتقاده، ويمتدح الصوفية ببعض أقوالهم المنكرة، ثم ينتقدهم في موضع آخر واحتج ابن

---

[1] - الإمام الغزالي لسميح عاطف الزين -- المرجع السابق- ص 85.

[2] - الإمام الغزالي -المرجع نفسه - ص 88.

[3] - تاريخ الفكر العربي إلى أيام إبن خلدون- الدكتور عمر فروخ- دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة 1983ص 491.

[4] - مع الغزالي في منقذه من الضلال أبو بكر عبد الرازق-الدار القومية للطباعة و النشر القاهرة- الطبعة الثانية ص 61 و ما بعدها.

[5] - الفلسفة الصوفية في الإسلام -الدكتور عبد القادر محمود -دار الفكر العربي عمارة التأمين -القاهرة- 1967 ص 264-266.

[6] - الفلسفة الصوفية في الإسلام -المرجع نفسه- ص 264-266 .

طفيل[1] على تناقضه بكونه يكفر الفلاسفة القائلين بإنكار البعث الجسماني في التهافت، ثم يقول في ميزان العمل أن ذلك مذهب بعض شيوخ الصوفية، ثم يرى في المنقذ من الضلال أن طريقتهم أحسن الطرق إلا أن الدكتور سليمان دنيا قد رد على ابن طفيل ادعاءه حيث قال: غير أني لا أوافق ابن طفيل على ما ذهب إليه من أن الغزالي متناقض في الكتب التي قدمها إلى الجمهور، ورأى أن دليل ابن طفيل غير متبع لدعواه لأمرين :

- **الأول** : أن كلمة الصوفية عند الغزالي مقولة بالاشتراك، بمعنى أنه يطلقها أحيانا، ويريد بها جماعة موفقين هادين مهديين، ويطلقها أحيانا، ويريد بها جماعة مخلطين ضالين مضلين، فليس مدلولها عنده شيئا واحدا يراد منها كلما ذكرت[2]، فالغزالي انتقد الصوفية كثيرا في الكشف والتبيين، وذكر عيوبهم، وخصص لذلك أكثر من عشرين صفحة، بينما امتدحهم في المنقذ، وهنا يجب أن نفهم أن الصوفية أصناف.

- **الثاني** : أن الغزالي بريء صراحة من الصوفية القائلين بالبعث الروحاني، وحكم بكفرهم في كتابه معراج السالكين، فكان هذا دليلا لا يحتمل التأويل، على أن صوفية المنقذ الذين أعلن اتباعه لهم ليسوا الصوفية الذين ذكرهم في ميزان العمل، وحكى عنهم القول بالبعث الروحاني فقط[3].

أما ابن الصلاح فقد حاول إزالة التناقض من كتب الغزالي عن طريق الطعن في نسبة الكتب التي تعارض المشهور من مذهبه، مثل كتاب المضنون. وذكر ابن تيمية أن الغزالي قد يكفر في أحد المصنفات بالمقالة التي ينصرها في المصنف الآخر[4].

وأما الدكتور عمر فروخ فقد أرجع تناقض الغزالي إلى أنه كان مصابا بالكنظ أو الغنظ وهو مرض وراثي معناه هبوط في القوى الجسمانية والعقلية ينتج اضطرابا نفسيا، ويرى أن هذا المرض هو سبب التناقضات التي نجدها في كتبه، لأن هذا المرض يجعله قابلا للتوهم كثيرا، فيترجح بين الشك والاقتناع [5]، وقال الدكتور الأعسم : لكن الغزالي لدارسه

---

[1]- هو أبو بكر محمد بن الطفيل، كان ملما بجميع أجزاء الحكمة، حريصا على الجمع بين علم الشريعة و الحكمة، من آثاره، حي بن يقظان - و فيات الأعيان -المرجع السابق جـ 7 ص 134.

[2]-الحقيقة في نظر الغزالي -المرجع السابق- ص 78-79.

[3]- الحقيقة في نظر الغزالي -المرجع نفسه- ص 78-79.

[4]- مجموع الفتاوي لابن تيمية -المرجع السابق- ج6 ص55.

[5]- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي-المرجع السابق-ص 77

المتعمق يبدو غيره في مؤلفاته، كما رأينا الغزالي الفيلسوف غيره في كتبه، والغزالي المتكلم غيره في ردوده على أهل الفرق، وأن هذا عين العجب الذي يدهشنا في الغزالي دائما[1].

ويرى الأستاذ بن سالم حميش أن مظاهر تناقض الغزالي تتمثل فيما يلي:

1- رفض الفلسفة الإغريقية والقبول بفضل المنطق الأرسطي فيها.

2- التشهير بعلم الكلام والفلسفة مع ممارسة أساليبهما وطرق التخمين فيهما.

3- الانضواء في مهمات رسمية والتنديد بالفقهاء المستخدمين.

4- التشهير بالباطنية مع تبني سلاحها واستعماله.

5- الدفاع عن الحكم السلجوقي مع احتقار العنصر التركي.

6- الدفاع عن مشروعية الخلافة العباسية وهي في حالة تداع وانهيار[2].

بينما يقول مونتجمري وات في مقاله عن الغزالي بالموسوعة الإسلامية: يلاحظ أنه من الصعب جدا أن نجد تناقضات لدى الغزالي، نظرا لخصوبة فكره، ولما عرف عنه من تنوع وتلون في خطابه باعتبار الجمهور الذي يتجه إليه، فكلامه مع العامة ليس هو كلامه مع العلماء، ويقول هنري كوربان: مع تحفظنا في قبول بعض المبالغات فإننا نقبل عن طيب خاطر أن نعتبر هذا الخراساني من أقوى الشخصيات، ومن الأدمغة الأحسن تنظيما التي برزت في عالم الإسلام[3].

هذه بعض أقوال الباحثين في تناقض الغزالي، ونحن نتساءل هل ترى كان الغزالي عالما بهذا التناقض؟ وهل كان عالما بما يقول؟ نحن لا نشك أبدا في عملاق مثل الغزالي مرن على المناظرات وملاقاة الخصوم اللذ، ودرس لأكثر من ثلاثمائة نفس من الطلبة ببغداد أن يقول كلاما متناقضا، فالغزالي كما سبق أن قدمنا يؤلف كتبه وفقا لثلاثة مذاهب سبقت الإشارة إليها وهي باختصار :

1- ما يتعصب له في المباهاة والمناظرات.

2- ما يسار به من التعليمات والإرشادات.

---

[1]- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي- المرجع السابق- ص 134.

[2]- أبو حامد الغزالي -دراسات في فكره وعصره وتأثيره -المرجع السابق- ص33 (محاضرة بعنوان الغزالي بين فكر القطعيات وسياسة الإقطاع).

[3]- أبو حامد الغزالي دراسات في فكره وعصره وتأثيره -المرجع نفسه- ص257-258 .

ما يعتقده الإنسان في نفسه مما انكشف له من النظريات و لا شك أن الغزالي ألف كتبا وفق هذه المذاهب، ويمكن أن تكون الكتب التي ألفها في بداية تأليفه على المذهب الأول يوم كان يناظر على مذهب الإمام الشافعي، و لاشك أن الأفكار التي يطرحها هنا لا تخرج عن المذهب الذي يتبعه، وأما الكتب التي ألفها في بغداد فلا شك أن بعضها كان و فقا للمذهب الثاني حيث كان معلما، وفي هذه الحالة لا يقدم لطلبته إلا ما يراه مناسبا لأفهامهم، فهو يرى أن العلوم ينبغي أن تعطى للناس على قدر عقولهم، قال في الوظيفة السادسة من وظائف المعلم : أن يقتصر بالمتعلمين على قدر أفهامهم، فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجليي، و إلى الخفي من الظاهر هجوما وفي أول رتبة، و لكن على قدر الاستعداد إقتداء بمعلم البشرية كافة ومرشدهم حيث قال : " إنا معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلم الناس بقدر عقولهم[1] " وقال : " ما أحد يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان ذلك فتنة على بعضهم [2]" وقال علي -رضي الله عنه- وقد أوما إلى صدره : إن هنا لعلوما جمة، لو وجدت لها حملة[3]" وقال عليه السلام : كلموا الناس بما يعرفون، و دعوا ما ينكرون أن تريدون أن يكذب الله ورسوله[4] وقال تعالى : (و لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) [5]، وسئل بعض المحققين عن شيئ فأعرض، فقال السائل أما سمعت قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم- : "من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار[6]" فقال اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه فكتمته فليلجمني به" ولما قال تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) [7]نبه على أن حفظ

---

[1] - ورد الحديث في كتاب الضعفاء العقيلي عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم- إنا معشر الأنبياء كذلك أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم حديث رقم 2053. كتاب الضعفاء الكبير تصنيف الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، تحقيق و توثيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي-دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة الأولى جـ 4 ص 425 و ذكر النووي أن مسلما ذكره في أول صحيحه.

[2] - إتحاف السادة المتقين – المرجع السابق – جـ 1 ص 344 .

[3] - ورد الحديث في نهج البلاغة بلفظ : ها إن ها هنا لعلما جما (و أشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حملة.

- نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، جمعه و نسق أبوابه الشريف الرضي، شرحه و ضبط نصوصه الإمام محمد عبده- مؤسسة المعارف بيروت-الباب الثالث ص 713.

[4] - إتحاف السادة المتقين – المرجع السابق – جـ 1 ص344.

[5] - الأنفال : 23.

[6] - ورد الحديث في سنن ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري بلفظ (من كتم علما مما ينفع الله به في أمر الناس، أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار).

- سنن ابن ماجة دار الفكر للطباعة و النشر -المجلد الأول ص 97 حديث رقم 265.

[7] -النساء : 05.

العلم و إمساكه عمن يفسده العلم أولى، ولما قال تعالى: (فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) [1]نبه على أن من بلغ رشده في العلم ينبغي أن يبين له حقائق العلوم، و يرقى من الجلي الظاهر، إلى الدقيق الخفي الباطن فليس الظلم في منع المستحق بأقل من الظلم في إعطاء غير المستحق وقال المتقدم في مثل ذلك :

فمن منح الجهال علما أضاعه ❁ و من منع المستوجبين فقد ظلم.

و ادخار حقائق العلوم على المستحق لها فاحشة عظيمة[2]، قال الله تعالى (و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه)[3] .

و لا شك أن الكتب التي ألفها الغزالي على هذا المذهب وفي هذه الفترة يمكن أن تتعارض بعض معلوماتها مع ما سبقها وما لحقها.

و أما الكتب التي ألفها على المذهب بالمعنى الثالث، فقد كانت في أخريات حياته، وقد ضمنها أفكاره و اجتهاداته الخاصة التي يطمح أن يلقى الله عليها وهي بلا شك تختلف عن الكتب التي ألفها في المرحلتين السابقتين، وعن هذه المجموعة الأخيرة يقول الغزالي: فصنفنا في قطع هذه الطريق و سلوكها كتبا كإحياء علوم الدين، و القربة إلى الله تعالى و غير ذلك احتوت على دقائق من العلوم اعتاصت على أفهام العامة فقدحوا فيها و خاضوا فيما لا يحسنوه منها فأي كلام أفصح من كلام رب العالمين و قد قالوا عنه انه أساطير الأولين ألم تسمع إلى قول زين العابدين [4] علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب –رضوان الله عليهم– أجمعين :

إني لأكتم من علمي جواهره ❁ كي لا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا

و قد تقدم في هذا أبو حسن ❁ إلى الحسين، و وصى قبله الحسنا

يارب جوهر علم لو أبوح به ❁ لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولا ستحل رجال مسلمون دمي ❁ يرون أقبح ما يأتونه حسنا[5]

---

[1]– النساء : 06.

[2]– ميزان العمل –المرجع السابق– ص 367، 368، 369.

[3]– آل عمران : 187

[4]– أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين، ليس للحسين– رضي الله عنه– عقب إلا من أولاده، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، و هو من سادات التابعين، قال الزهري : ما رأيت قريشيا أفضل منه، ولد سنة ثمان و ثلاثين هـ، و توفي سنة أربع و تسعين – وفيات الأعيان–المرجع السابق جـ 3 ص 266، 267، 268، 269.

[5]– منهاج العابدين –المرجع السابق– ص 88.

و هنا لا ينبغي أن نفهم أبدا أن كل ما قدمه الغزالي في الفترة الأخيرة مثلا كان على المذهب بالمعنى الثالث، و ما قدمه في الفترة التعليمية على المذهب بالمعنى الثاني، فهذه المذاهب الثلاثة قد يضطر إليها في فترة واحدة، فالغزالي في فترته الأخيرة مثلا، اعتزل الناس ثم عاد إلى التدريس، وعقد مجلسا للوعظ، فلا شك أنه كان يقدم معلوماته بطريقة مختلفة بين حالة وأخرى، كما تختلف معلوماته من مستمع إلى اخر ، وأنا لا أوافق الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا الذي يرى أن الغزالي تناقض و التناقض ظاهرة عامة عند جميع الفلاسفة و المفكرين و العلماء، فالفيلسوف نظرا لحساسيته العقلية المرهفة يمثل قمة الصراع بين العقائد والأفكار والمذاهب[1] وقبل أن نحكم على تناقض كتب الغزالي، ينبغي أن نتثبت من نسبة الكتب إليه نسبة صحيحة نظرا لوجود كتب منحولة، ثم ننظر هل يتماشى كلامه مع مذهب من هذه المذاهب الثلاثة ثم نحكم بعد ذلك بالتناقض أو عدمه، وأحب أن أختم هنا بما قاله الدكتور سليمان دنيا حيث قال : لهذا أرى أن الغزالي اتهم وأنجد في تأليفه فصعد مستوى الخاصة حينا فصور لهم الحقيقة ناصعة جلية لا يشوبها لبس، ولا يخالطها غموض، ونزل إلى مستوى العامة أحيانا فصور لهم الحقيقة بالقدر الذي يطيقونه، وبالمقدار الذي يرى أن الشرع كلفهم به [2].

لا يفوتنا في نهاية هذا المطلب أن نذكر أن هناك تهما أخرى و جهت للغزالي كما أن هناك ناقدين آخرين، وإنما اقتصرنا في هذا المطلب على المشهور منها، وأما ماعدا ذلك فهو أقل درجة مثل قوله: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، فإن ذلك معناه أنه دخل المدرسة من أجل القوت، فحصل علما سخره في سبيل الله، وكذلك حكايته لبعض الأقوال المنكرة لبعض الصوفية كقولهم : إفشاء سر الربوبية كفر[3]، و كذلك بعض الأقوال الصادرة خصوصا عن أبي يزيد البسطامي.

و هذه الانتقادات الموجهة للغزالي لا تنقص من قدره شيئا، كما أن تلك الممادح لا تزيد في قدره شيئا لأن قدر الغزالي وقيمته قائم على تركته العلمية الضخمة التي تنهل منها البشرية

---

[1] - من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية -محمد عبد الرحمن مرحبا- منشورات عويدات بيروت الطبعة الثانية 1981 ص 648.

[2] - الحقيقة في نظر الغزالي - المرجع السابق- ص 84 .

[3] قال الغزالي: ..فمن حدث أحدا بما لم يصله عقله ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر، ومن كذب بقدرة الله تعالى وما أوجدنها لقد كفر ولو لم يقصد الكفر، فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار ما قصدت الكفر، ولا تظنه بنفسها وهي كفار بلا ريب، وهذا وجه واضح قريب. وهو يقصد هنا أن يكون الكفر من السامع لا من المخبر.
- كتاب الإملاء على إشكالات الإحياء -المرجع السابق ص46.

في كل مكان، والطعن والمدح سنة في كبار العلماء، لأن الصغـــار لا يلتفـــت إليهـــم معجـــب فيمتدحهم ولا يغار منهم حاسد فيطعن عليهم، وقد لاحظنا أقوالا في ممادح الغزالي سمت بـــه إلى التقديس وذلك نرفضه كقول الزبيدي إنه لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالـــي[1]، كمـــا أن هناك انتقادات متهافتة لا نقبلها أيضا ومنها قول سميح عاطف الزين و "المعجبون بالغزالي فئتان : الصوفية ورجال الدين المستضعفين [2] وكذلك قول الطرطوشي : فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض أكثر كذبا منه[3].

ولعل أبرز نقد وجه للغزالي، وكانت له آثاره على العالم الإسلامي كله، موقفه من جهاد الصليبيين الذين بدأت حملاتهم في حياته، وقـــد أثار هـــذه القضية الدكتور زكـــي مبـــارك وتابعه على ذلك عمر فروخ و سميح عاطف الزين، ورد الدكتور زكرياء بشـــير إمـــام علـــى هـــذا النقد بقوله : " فالإنصاف إذن أن نقول أن الغزالي نافح و جاهد عن الإسلام في المجال الذي يليه وفي الساحة التي يعرفها، ولقد أقر القرآن نفسه أن جهاد الكلمة جهاد مقدر، وأن التفقه في الدين، والقيام بمهمة تعليم الناس دينهم يمثل عذرا مقبولا للتخلف عن الزحف الجهادي فـــي سبيل الله[4]. والحقيقة أن هذا التبرير الذي ذكره الدكتور غير كاف، لأن جهاد الكلمة الوارد في حديـــث " جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم [5] " يقصد به الدعوة إلـــى الجهـــاد باللســـان، لا مجرد نشر العلم وهو متعلق بالعلماء مثل الغزالي، و أما قوله تعالى:(ومـــا كـــان المؤمنـــون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعـــوا إليهم لعلهم يحذرون) [6] فهذه الآية تتحدث عن جهاد النفس، فلبعض العلماء أن يتخلفـــوا مـــن أجل تفقيه غيرهم، ولكن هذا لا يمنعهم و لا يعيقهم عن الدعوة إلى الجهـــاد، وهـــي وظيفتهـــم الأساسية ترى كيف نفسر موقف الغزالي، الذي جاهد الباطنيـــة و الفلاســـفة، وأنكـــر علـــى الصوفية و المتفقهة، من حرب الصليبيين؟.

---

[1]- إحياء علوم الدين الهامش - المرجع السابق- جـ 1 ص 02.

[2] الإمام الغزالي لسميح عاطف الزين المرجع السابق- ص 88.

[3]- سير أعلام النبلاء -المرجع السابق- جـ 19 ص 334 .

[4]- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي - المرجع السابق- ص 22.

[5]- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان -الأمير علاء الدين علي الفارسي، تقديم كمال يوسف الحوت-دار الفكر بيروت لبنان- الطبعة الأولى 1987 جـ 7 ص 104 رقم 4688.

[6]- التوبة : 123.

في البداية نقول لا يمكن أن نحمل الغزالي كل المسؤولية في قضية إخراج الفرنج من بلاد المسلمين لأن أحوال أولياء أمر المسلمين في ذلك الوقت كانت متضعضعة، فالخليفة كما أسلفنا يملك و لا يحكم، و الأمر و النهي كله بأيدي السلاطين السلاجقة الذين كانوا في حروب فيما بينهم، ولقد أرسل الخليفة في سنة إحدى و تسعين و أربعمائة رسولا إلى السلطان بركياروق مستنفرا على الفرنج و مبالغا في تعظيم الأمر وتداركه قبل أن يزداد قوة [1] غير أن السلطان كان مشغولا في ضواحي خراسان بحرب منافسيه، وفي سنة اثنتين وتسعين و رد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهروي [2] فأوردوا في الديوان كلاما أبكى العيون، وأوجع القلوب و قاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا و بكوا وأبكوا وذكروا مادهم المسلمين بذلك الشريف المعظم (بيت المقدس) من قتل الرجال و سبي الحريم والأولاد ونهب الأموال فلشدة ما أصابهم أفطروا [3]؛ ولقد أرسل الخليفة جماعة من العلماء لكن الخلافات والقتال بين السلاطين حالت دون ذلك، والغزالي حتى وإن دعا إلى الجهاد في مكان كبغداد فإن كلامه لن يكون أكثر تأثيرا من كلام هؤلاء المستنفرين، وكلامهم كما قدمنا لم يأت بنتيجة، لأن العدة والعدد كانت بأيدي السلاطين الأتراك لا الخليفة، وأما جموع بقية المسلمين فإنها لا تستطيع فعل شيئ، وقد قاوم المسلمون الفرنج، ولكن لم يصلوا إلى نتيجة تذكر بسبب افتقارهم لقيادة قوية موحدة تملك عتادا كافيا للحرب.

و قضية فلسطين و بيت المقدس اليوم كمثيلتها بالأمس، فما أشبه الليلة بالبارحة، ترى ماذا فعل العلماء ابتداء من وقت احتلال اليهود لفلسطين عام 1948م إلى اليوم؟ لقد دعا العلماء في أول الأمر إلى الجهاد ثم سكتوا، فالعلماء المستقلون عن الحكام حتى وإن مازالوا يوجهون دعوتهم فإن الشعوب تتأسف على عدم تلبيتها لأن ذلك في أيدي الحكام، وأما العلماء، العاملون مع الحكام فركنوا إلى ما ركن إليه الحكام من المفاوضات وقرأوا قوله تعالى: **(و إن جنحوا للسلم فاجنح لها)** [4] ترى لو كان الغزالي حاضرا اليوم هل يمكن أن يفعل شيئا؟ ولو كان أي

---

[1]- الكامل في التاريخ -المرجع السابق جـ 8 ص 188.

[2]-هو أبو سعد بن أبي أحمد بن أبي يوسف الهروي، قاضي همذان، له شرح أدب القضاء لشيخه أبي عاصم العبادي، وهو المسمى بالأشراف على غوامض الحكومات، كان أحد الأئمة، وهو في حدود الخمسمائة.

- و فيات الأعيان – المرجع السابق جـ 4 ص 214 ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي - ج4 ص31.

[3]-الكامل في التاريخ -المرجع السابق جـ 8 ص 189.

[4]-الأنفال : 61.

عالم آخر اليوم في عصر الغزالي فإنه لن يفعل شيئا كذلك، وإذا كان الغزالي يمثل جانب القرآن فإنه لا يكفي وحده بل لابد له من سلطان أيضا.

صحيح أن الغزالي كان معتزلا في ذلك الوقت لكل علائق الدنيا، ولا شك أنه علم بأفعال الصليبيين، ويمكن أن يكون على علم تام بأحوال الدولة، وعالما أيضا بما فعلـــه المستنفرون ورد الخليفة، ويعلم سر البلاء كله، ومن هذا المنطلق لم يدع إلى جهاد الفرنجة، ثم إن جهـــادهم لم يتوقف لحظة حتى أخرجوا فيما بعد.

ولو أن الغزالي قام بما طالبه به ناقدوه اليوم، وهو الدعوة إلي جهاد الصليبيـــن، فـــإن أكبر ما يمكن أن يفعله هو الاتصال بالخليفة وحثه على ذلك، و لكن الخليفة قد بـــــلغه الأمـــر ووصل إليه المستنفرون و عبروا عما أصابهم بأبلغ ما يمكن أن يعبـــر به شـــخص للآخـــر، ولكن رده كان مخيبا لآمالهم، لأن القوة الحربية والدفاعية اللازمة كانت بـــأيدي السلاطين و لا يملك الخليفة أن يجبرهم على شيئ، ولا يملك الغزالي الذي كانت حظوته عند الخليفة كبيرة، أن يفعل شيئا مع أولئك السلاطين خصوصا في وقت كانت الحرب بينهم قائمة على قـــدم وســـاق، ومع هذا كله فكان ينبغي على الغزالي أن يخرج من عزلته فورا ويقوم بدعوات متكررة للخليفة وللناس وللسلاطين والأمراء دون يأس ولا ملل، وإن لم تكلل جهوده في النهاية بالنتيجة، ونيـــة المرء خير من عمله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس : أراء الغزالي في بعض مسائل عصره

أحببت أن أذكر هذه الآراء حتى نأخذ صورة أكثر وضوحا وإشراقا حول فكره وسنتناول باختصار رأيه في التصوف ورأيه في طرق العلم، وأخيرا رأيه في المتفقهة و العقل.

المطلب الأول : الغزالي والتصوف [1]

ازدهر التصوف كثيرا في عصر الغزالي، وبرزت فيه أسماء متعددة، ويكفي دليلا على ذلك أن والد الغزالي كان متصوفا، وصديق والده كان كذلك، والغزالي بنى خانقاه للصوفية في أواخر حياته، بعد أن تصوف هو أيضا، لكن هل التصوف كله مذهب واحد يقوم على فكر واحد وأوراد واحدة ؟ ثم ما سر نكير بعض العلماء على المتصوفة كما فعل ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس؟

في الواقع أن التصوف كانت بدايته زهدا، والزاهد رجل قادر على الدنيا ولكنه اهتم بأمر الآخرة فلم تغره الدنيا، فقد منع نفسه من بعض شهواتها تعففا، ويمكن اعتبار عمر وعلي وأبي ذر رضي الله عنهم- مثلا، مثال للزهاد في العصر الأول والزاهد وإن ترك بعض أمور الدنيا فإنه ظل قائما على الواجبات ملازما لحدود الشرع، وأما الصوفية بعد ذلك فقد تطورت ودخلت عليها أفكار غريبة، فصدرت عن أهل التصوف أقوال منكرة، وأصبحوا شواذا ببعض طقوسهم الصوفية بسبب الغلو، ويرى الدكتور الأعسم أن الغلو في التصوف يرجع إلى طبيعة الغلو الفارسي في كل شيئ، والمتصوفون القائلون بالحلول والاتحاد [2] والفناء[3] لهم أصول فارسية كما أن ذلك التصوف كان يتكون من أفكار متناقضة، أفلاطونية ورواقية

---

[1] قال الجنيد وقد سئل عن التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة وقال السهروردي : الصوفي هو الذي يكون دائم الصفة لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب.

- عوارف المعارف للسهروردي -مطبوع ملحقا بالإحياء المتقدم- جـ 5 ص81.

[2]- يقصد بالاتحاد و الحلول أي أن وجود الله في العبد أشبه بوجود أشعة الشمس في غرفة فالمصدر تلك الطاقة الإلهية العظيمة التي هي وحدة لا تتجزأ، و لكنها القادرة مثل أشعة الشمس تماما على النفوذ إلى أيما حيز دون أن يحتويها حيز، و العجز عن الإمساك بشعاع الشمس في الغرفة هو العجز عن حصر صوت الله فناء و الاتحاد اجتماع على صفة. النصوص في مصطلحات التصوف: محمد غازي عرابي-دار قتيبة -الطباعة و النشر و التوزيع 1985 ص 10--11.

[3]-و الفناء هو الغياب في الأوقيانوس الأعظم، قال العطار : قلت ها أنذا قد فنيت قال : كذلك سبحانك البقاء، حين ترى نفسك عدما أحياك وجودا لا يتصور.

- النصوص في مصطلحات التصوف محمد غازي عرابي -دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع 1985- ص 258 ، 259.

وهندية وفارسية، ووثنية أحيانا وبدأت عملية التقريب بين الدين كأساس في الاعتقاد، وبين هذا الطيش الفكري في الزهد العفيف الذي لا يفهم منه أنه تغليب خالص للجانب الروحي بقدر ما يفهم منه أنه انتصار لقواعد العشق الجنسي بين الأنثى و الذكر[1] في ذات المؤمن و ربه، وليس بعيدا عنا غلو المتصوفة الأولين فهم في كل محاولاتهم و تجاربهم حاولوا أن يسبغوا صفة جنسية على هذه العلاقة التي تربطهم بمعشوقهم[2].

لكن تصوف الغزالي كان تصوفا بعيدا عن غرائب بعض الصوفية [3] ، وإن كان الغزالي قد صرح في المنقذ بأن طريق الصوفية هي الأحسن، فإنه وقف كذلك من الصوفية موقف الناقد، بحيث أنكر عليهم إدخال بعض العناصر الفلسفية والشعوذة والاهتمام بالمظاهر، ومخالفة نصوص القرآن الكريم والسنة، ومن أمثلة نقده للصوفية قوله : فقد انتهى الأمر بطائفة إلى أن ادعوا اتحادا وراء القرب فقال بعضهم : سبحاني ما أعظم شاني، وقال آخر : أنا الحق، وعبر آخر بالحلول، وعبر النصارى باتحاد اللاهوت والناسوت، حتى قالوا في عيسى صلوات الله عليه – إنه نصف الله– تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا[4] وقال في موضع آخر و" فرقة أخرى ادعت علم المكاشفة ومشاهدة الحق و مجاوزة المقامات و الوصل والملازمة في عين الشهود و الوصول إلى القرب، ولا يعرف ذلك و الوصول إليه إلا باللفظ والاسم، فتلقف من الألفاظ الطامة كلمات فهو يرددها وهو يظن أن ذلك من أعلى علم الأولين والآخرين،

---

[1] – قال الشعراني: واعلم أن من صفات المحبين أنهم يتكلمون بلسان المحبة، و العشق و السكر، لا بلسان العلم والعقل و التحقيق كما أجاب بذلك الخطاف سليمان عليه الصلاة و السلام، وذلك أن خطافا وافد خطافة في قبة سليمان عليه السلام و قال لها : لقد بلغ من حبي لك أن لو قلت لي اهدم القبة على سليمان لقمت فهدمت الريح كلامه إلى سليمان فقال له : ما حملك على ما قلت، وأنت عاجز؟ فقال : مهلا يا نبي الله أنا عاشق والعشاق إنما يتكلمون بلسان عشقهم، وسكرهم لا بلسان العلم و العقل، فضحك سليمان من قوله و لم يعاقبه، قال الشعراني : وسمعت سيدي علي المرصفي – رحمه الله يقول – : المريد يترقى في محبة شيخه إلى حد يصير يتلذذ بكلام شيخه له كما يتلذذ بالجماع، فمن لم يعمل إلى هذه الحالة فما أعطى الشيخ حقه من المحبة.

– الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية تأليف الإمام العلامة عبد الوهاب الشعراني–تحقيق و تقديم طه عبد الباقي سرور– السيد محمد عبد الشافعي –مكتبة المعارف بيروت 1985.

[2] –الفيلسوف الغزالي–المرجع السابق– جـ 8 ص 189.

[3] – قال الغزالي:..فاعلم أن التصوف شيئان في الصدق مع الله تعالى وحسن المعاملة مع الناس فكل من صدق مع الله وأحسن معاملة الخلق فهو صوفي، والصدق مع الله تعالى هو أن يفني العبد حظوظ نفسه لأمره تعالى، وحسن المعاملة مع الخلق هو أن لا يفضل مراده على مرادهم، ما دام موافقا للشرع لأن كل من رضي بمخالفة الشرع أو خالفه لا يكون صوفيا وإن ادعى التصوف يكون كذابا.
– خلاصة التصانيف في التصوف للغزالي، دار الكتب العلمية –بيروت لبنان– ص113.

[4] – ميزان العمل – المرجع السابق– ص 207.

فهو ينظر إلى الفقهاء والمقرئين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام[1]، وورد في موضع أخر قوله : " وذكر أن فرقدا السبخي [2] دخل على الحسن[3] وعليه كســـاء، وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها، فقال الحسن : مالك تنظر إلى ثيابي ؟ ثيابي ثياب أهل الجنـــة، وثيابك ثياب أهل النار بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية، ثم قال الحسن :" جعلوا الزهد في ثيابهم، والكبر في صدورهم و الذي يحلف به لأحدكم بكسائه أعظم كـــبرا مـــن صـــاحب المطرف[4]، بمطرفه[5] "

وقال في خلاصة التصانيف: وكن متيقنا أن طريق الله تعالى لا تقدر أن تصل إليه بغير ما لم تؤمر به، ولا تصل إليه أيضا بالشطحات والترهات الصوفية ... [6]

وقال بوحنا قمير : أما الغزالي فيشحب الفناء الوجودي متأثرا باشعريته متقيدا باســـلامه وهو يسلم بقرب الصوفي من الله ومشاهدته له، و لكن ينكر كل توحيد بين وجود العبد والرب فيقول : ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلـــول ، و طائفـــة الاتحـــاد، وطائفـــة الوصول، وكل ذلك خطأ، وموقف الغزالي هذا جعل أهل السنة يرضون عن هـــذا التصـــوف المعتدل الذي عرف بعده بالتصوف السني[7].

وعلى الرغم من موقف الغزالي الناقد لهؤلاء الصوفية، فإنه لم يسلم من النقد هو أيضـــا لأن تكيره عليهم كان خفيفا، بل قد كان يتلمس لهم الأعـــذار، وتـــاويل أقوالهـــم فـــي بعـــض الأحـــيـــان ومثال ذلك ما أورده في المقصد الأسنى حيث قال : وقول أبي يزيد–إن صح عنه– (سبحاني ما أعظم شاني) إما أن يكون ذلك جاريا على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالى

---

[1]– الكشف و التبيين تأليف الإمام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي 1964 مكتبة الجندي (ملحق بمنهاج العابدين في الطبع) ص 210.

[2]– هو فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب البصري نسب إلى سبخة البصرة توفي في الطاعون في أول خلافة أبي العباس سنة إحدى وثلاثين ومئة، كان ضعيفا منكر الحديث.

– تهذيب الكمال –المرجع السابق– ج23 ص164.

[3]– هو أبو سعيد الحسن بن أبي يسار البصري، كان من سادات التابعين و كبرائهم، أدرك سنتين من خلافة عمر، جمع كل فن من علم و زهد وورع و عبادة، أبوه مولى زيدبن ثابت الأنصاري، و أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم–من كلامه : ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت توفي سنة عشر و مائة.

–وفيات الأعيان –المرجع السابق جـ 2 ص 69–70–71.

[4]– ثوب من خز له أعلام .

[5]– منهاج العابدين–المرجع السابق– ص 94.

[6]– خلاصة التصانيف للغزالي –المرجع السابق– ص180.

[7]– فلاسفة العرب –الغزالي– المرجع السابق ص 53.

كما لو سمع وهو يقول (لا إله إلا أنا فاعبدوني) لكان يحمل على الحكاية، وإما أن يكون قد شاهد كمالا لاحظه من صفة القدس على ما ذكرنا في الترقي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات، وبالهمة عن طريق الحظوظ والشهوات فأخبر عن قدس نفسه، فقال: سبحاني ورأى عظم شانه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق فقال : ما أعظم شاني وهو مع ذلك يعلم أن قدسه وعظم شانه بالإضافة إلى الخلق فلا نسبة له إلى قدس الرب تعالي وعظم شانه، ويكون قد جرى هذا اللفظ على لسانه في سكر وغلبة حال فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة وحال السكر ربما لا يحتمل ذلك، فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الاتحاد فذلك محال قطعا فلا تنظر إلى مناصب الرجال حتى تصدق بالمحال بل ينبغي أن تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال[1]. ثم قال في موضع آخر قال أبويزيد : " انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرات فإذا أنا هو" و يكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه و هواها و همها فلا يبقى فيه متسع لغير الله، و لا يكون له هم سوى الله تعالى فإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله و جماله حتى صار مستغرقا به بصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقا [2] و لم يكتف الغزالي بمجرد الدفاع عن هؤلاء الصوفية، بل تابعهم في بعض بدعهم بلسان الواثق و ذلك حين يقول : إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق[3] كما نقل عنه ابن الجوزي قوله مقصود الرياضة تفريغ القلب، وليس ذلك إلا بخلوة في مكان مظلم، و قال : فإن لم يكن مكان مظلم، فيلف رأسه في جبته، أو يتدثر بكساء، أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق، و يشاهد جلال حضرة الربوبية[4].

و أقول في الأخير ما أغنانا عن هذه الألفاظ و العبارات الصوفية التي لم تؤثر لا عن النبي -صلى الله عليه و سلم- و لا عن أصحابه، و هم كانوا أكثر معرفة و قربا إلى الله تعالى من هؤلاء الصوفية، فهم بهذه العبارات قد وضعوا أنفسهم في موضع شبهة منهي عنه،

---

[1]- المقصد الأسنى-شرح أسماء الله الحسنى-تأليف حجة الإسلام الإمام ابي حامد الغزالي الطوسي، تقديم فضيلة محمود النواوي المفتش بالأزهر- مكتبة الكليات الأزهرية -مكتبة و مطبعة الفجر الجديد ص 112-113.

[2]-المقصد الأسنى -المرجع نفسه- ص 28.

[3]-تلبيس إبليس -المرجع السابق - ص 166.

[4]-تلبيس إبليس -المرجع نفسه - ص 288.

وكان أحرى بالإمام الغزالي على الأقل ألا يسعى إلى تبرئتهم، وتأويل أقوالهم، والتماس الأعذار لهم، وربما يكون إقراره لبعض هذه المشاهدات هو الذي أوقعه في الملامة لأن هذه المشهادات لم نجد لها في الشريعة تصريحا، و ان كان المؤمن يرى بنور الله فذلك يصح مع كل مؤمن سواء كان من المتصوفة أو من غيرهم، ولا يختصون به لتصوفهم وما يدعيه أهل التصوف في هذا المجال انما هو توهم و شطحات، وإن كان عمر قد أسمع سارية، ورأى جيش الأعداء فهذا إلهام وكرامة من الله يعطيها لمن يشاء من عباده وليس عن طريق التصوف لأن عمر لم يكن متصوفا ، وإنما كان عاملا زاهدا، متواضعا شديدا في الحق، ولو كان ذلك يحدث لمن زهد و ترك الدنيا لله حدث مع أبي ذر و هو أولى من جميع المتصوفة، و لم تحدثنا كتب السيرة عن هذه المشاهدات، وسماع تلك الأصوات الملائكية عن أحد من الصحابة – رضوان الله عليهم و هم أولى.

إن الغزالي حاول أن يصبغ لنفسه تصوفا خاصا يقوم على السنة و نبذ البدع التي جاء بها سابقوه، و لكن عاطفته نحوهم، و محبته لهم منعته من التخلص وغربلة أقوالهم وطقوسهم و هذا ليس معناه رفض التصوف جملة بما فيه تصوف الغزالي، فالغزالي له كتب كثيرة و أقوال متعددة في التصوف، ولكن المنكر منها قليل جدا.

المطلب الثاني : موقفه من طرق العلم، و بعض الفقهاء

يقسم الغزالي العلم إلى قسمين، علم مكتسب بطريق التعليم و التعلم من الشيوخ، و علم لدني، يحصله المرأ بطاعته لله، وزهده، بحيث تصبح نفسه كالمرآة المجلوة فتنطبع فيها المعلومات، وكلما أذنب العبد أصابها ما يشبه الصدأ فينسى تلك المعلومات، وذكر أن الأنبياء والأولياء انكشفت لهم أمور وسعدت أنفسهم بنيل كمالها الممكن لها، لا بالتعلم بل بالزهد في الدنيا و الإعراض و التبري عن علائقها، والإقبال بكل الهمة على الله تعالى[1].

وهذه الفكرة المتعلقة بالعلم اللدني تتكرر كثيرا في كتب الغزالي حيث أصبحت من المسلمات البديهية، فهو يقول في كيمياء السعادة بأن علوم الأنبياء –عليهم السلام– كلها كانت من هذا الطريق لا من طريق الحواس، كما قال سبحانه وتعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) [2] ، معناه الانقطاع عن كل شيئ وتطهير القلب من كل شيء، والابتهال إليه سبحانه

---

[1] ميزان العمل –المرجع السابق– ص 222.

[2] – المزمل: 08.

وتعالى بالكلية، وهو طريق الصوفية في هذا الزمان، وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة، وكذلك علم الأولياء لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال -سبحانه وتعالى- (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) [1] ، وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصل بالتعليم [2] .

وقال في الرسالة اللدنية: وقد جرت العادة بأن الجاهل بالشيئ ينكر ذلك الشيئ، وذلك المدعي ما ذاق شراب الحقيقة، وما اطلع على العلم اللدني فكيف يقر بذلك [3] .

وقال عن بعض الفقهاء: واحذر مخالطة متفقهة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال واحذر منهم فإنهم يتربصون بك بحسدهم ريب المنون، ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون، ويحصون عليك عثراتك في عشيرتهم حتى يجبهوك بها في حال غيظهم ومناظرتهم لا يقبلون لك عثرة، ولا يغفرون لك زلة و لايسترون عليك عورة يحاسبونك على النقير والقطمير، ويحسدونك على القليل والكثير، ويحرضون عليك الإخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان، إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحنق، ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، هذا ما قطعت بالمشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى، فصحبتهم خسران و معاشرتهم خذلان، هذا حكم من يظهر لك الصداقة، فكيف من يجاهرك العداوة، قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى :

فاحذر عدوك مرة ❁ واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق ❁ فكان أعرف بالمضرة

ثم قال : وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي [4]:

لما عفوت ولم أحقد على أحد ❁ أرحت نفسي من هم العداوات

إني أحيي عدوي عند رؤيته ❁ لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ❁ كأنه قد ملا قلبي مسرات

ولست أسلم ممن لست أعرفه ❁ فكيف أسلم من أهل المودات

الناس داء، دواء الناس تركهم ❁ و في الجفاء لهم قطع الأخوات

---

[1] - الكهف: 65.

[2] - كيمياء السعادة، الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1997 ص137-138.

[3] - الرسالة اللدنية الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت، ص58 .

[4] -هذه الأبيات مشهورة عن الإمام الشافعي ديوان الامام الشافعي- جمع و تعليق محمد عفيف الزعبي ص 28.

فسالم الناس تسلم من غوائلهم ❁ وكن حريصا على كسب الـمودات

وخالق الناس واصبر ما بليت بهم ❁ أصم أبكم أعمى ذا تـــــــــقيات [1]

المطلب الثالث : رأيه في العقل

عظم الغزالي قيمة العقل ولكن وضع له حدودا لا يتجاوزها إذا تعارض مع الشرع، فهو يرى أن كل ما ورد به السمع ينظر فإن كان العقل مجوزا له، و جب التصديق بـــه قطعـــا إن كانت الأدلة السمعية قاطعة... و أما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد الســـمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول... فإن توقف العقل في شيئ مـــن ذلك، فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، و جب التصديق أيضا لأدلة السمع، فيكفي في وجـــوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط استعماله على القضاء لتـــجويزه [2]، وهو بهذا يختلف عن المعتزلة، فالعقل محدود عاجز عن معرفة كل مايعلم الشرع فلنقدم تعـــاليم الله على نظرات الإنسان، ونؤول هذا التعليم إن بدالنا مستحيلا، ونؤمن به في كـــل مـــا عـــدا ذلك [3].

و قد وضع الغزالي للعقل مراتب من الكتاب الإلهي [4]، وذكر أن هذه المراتب جمعتها آية النور ﴿ الله نور السموات و الأرض...عليم ﴾ [5].

وأما الدكتور عبد الأمير الأعسم فيرى أن الغزالي قد تناقض في موضوع العقل، فهو قد أبعده عن المعرفة الكلية الكاملة حيثما وجد نقصا فيه، و من جهة أخرى فهو يضع في منزلـــة الأنبياء مجموعتين و هما الأولياء و العقلاء، فيربطهما بالوحي ربطا رمزيا، ثم قال : فنحن هـــا هنا نعارض أن الأولياء و العقلاء يندرجون كالأنبياء تحت تأثير الوحي وفعله، لاننا نـــرى فـــي ذلك الزعم تبريرا لكل تنبؤ، وهو ما يرفضه الغزالي نفسه أشد الرفض، ثم قـــال : مـــا هـــذه الخواطر الغزالية إلا غفلة لم ينتبه إليها، فهو يجرد العقل من الكمال مرة، ثم يدرج أصحابه في مرتبة أصحاب الوحي مرة أخرى [6].

---

[1]- بداية الهداية -المرجع السابق- ص 263 - 264.

[2]- الاقتصاد في الاعتقاد-الغزالي-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان الطبعة الأولى 1983ص 133 .

[3]- فلاسفة العرب-الغزالي-المرجع السابق ص 92-93.

[4]- معارج القدس في مدارج معرفة النفس-للغزالي-شركة الشهاب الجزائر ص 55، 56.

[5]- النور : 01.

[6]- الفيلسوف الغزالي -المرجع السابق- ص 72، 73.

هذه بعض آراء الغزالي، وضعناها مختصرة جدا من أجل أن تأخذ صورة أوضح عن الخـــط الفكري الذي كان يسير فيه، و لا شك أن هذا يساهم في فهم أوسع لشخصيته.

خـــــــاتمة

في خاتمة هذا الباب نؤكد على أن الإمام الغزالي عاش في عصر وبيئـــة مضطربيـــن اضطرابا عاما في النواحي السياسية والفكرية والاجتماعية، وهو قد عاش في هذه البيئة بكـــل مواصفاتها، و قد أحسن استغلال فترة حياته على الرغم من كثرة انشغالاته خصوصا بالتدريس، و كان من نتيجة حسن الاستغلال هذه الثروة الهائلة من الكتب التي خلفها على الرغم من العمر القصير نسبيا لحياته.

لقد كان الغزالي عالما متألقا على الرغم مما قيل فيه، وكانت معرفته موسوعية، لم يترك فنا إلا ولج فيه وأدلى بدلوه. يقول الشيخ المراغي في مقدمة كتاب الأستاذ فريد الرفـــاعي: " إذا ذكرت أسماء العلماء، اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من فروع العلم وشعب المعرفة، فإذا ذكـــر ابن سينا أو الفارابي خطر بالبال فيلسوفان عظيمان من فلاسفة الإسلام، وإذا ذكر ابن عربي [1] خطر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطرها، وإذا ذكر البخاري ومسلم وأحمـــد، خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة و الدقة ومعرفة الرجال... أمـــا إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي، ولم يخطر بالبال رجل واحد، بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدره و قيمته، يخطر بالبال الغزالي الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحـــر، والغزالي المتكلم إمام السنة و حامي حماها، و الغزالي الاجتمـــاعي الخبـــير بـــأحوال العـــالم و خفيات الضمائر، ومكنونات القلوب، والغزالـــي الفيلسوف أو الذي ناهض الفلســـفـــة وكشف عما فيها من زخرف وزيف، والغزالي المربي، والغزالي الصوفي الزاهد، وإن شئت فقل أنـــه يخطر بالبال رجـــل هو دائرة معارف عصره، رجل متعطش إلى معرفة كل شيئ نهـــم إلـــى جميع فروع المعرفة [2] وقال الأعسم : « ... و لذلك فهو يبدو أحيانا فـــي دراســـاته عالمـــا

1- ابن عربي: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محيي الدين أبي بكر الطائي الحاتمي الأندلسي، المعروف بابن عربي، ولد سنة ستين وخمسمائة عرسية سمع عرسية من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق وسكن الروم.. برع في علم التصوف وله فيه مصنفات وله تفسير القرآن، انتقد لبعض شطحاته في الكلام توفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة.
- فوات الوفيات- المرجع السابق- ج3 ص435-436.

2- إلجام العوام عن علم الكلام- المرجع السابق- المقدمة ص

فسيولوجيا و بيولوجيا بارعا أتقن فن التشريح الى درجة الاعتراف له بالتقدير ، رغم علمنا بعدم تجربته في هذا النوع من الفن [1].

إذا علمنا كل هذا عن الإمام الغزالي، فنحن ننتظر أن نراه يستعمل كل هذه المعارف في تأويلاته التي سنتناولها في باب لاحق، وإن لم يستعملها عمدا، فسوف يستعملها وهو لا يشـــعر متأثرا، ولذلك وجهت إليه انتقادات، فالذي رأى جانبا صوفيا من تأويله انتقده من أجـل ذلـــك، والذي رأى جانبا فلسفيا اتهمه بالتناقض بهجومه على الفلسفة ثم استعمالها في التأويل، والـــذي رآه يتبع ويلتزم السنة في تأويله يصدر حكما آخر وهكذا.

[1]-الفيلسوف الغزالي-المرجع السابق- ص 53 .

الباب الثاني

دواعي التأويل وموقف المتقدمين منه

دار العلوم الإسلامية

تمهيد : من خلال العنوان الذي وضعناه لهذا الباب يتبين لنا أنه يتضمن ثلاثة مواضيع أساسية، وهي دواعي التأويل وأسباب نشأته، وترجع في مجملها إلى اشتمال نصوص الوحي على المحكم والمتشابه، ثم دراسة التأويل من حيث تعريفه وبيانه ونشأته، وأخيرا موقف المتقدمين من التأويل، وبناء على هذا كله فإن هذا الباب يتضمن ثلاثة فصول، نتناول في الفصل الأول المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، وفي الفصل الثاني نتناول التأويل تعريفا ونشأة وبيانا، وفي الفصل الثالث سوف نبين موقف المتقدمين عن الغزالي من التأويل حتى نقارن بين تلك المواقف وموقف الإمام الغزالي، ونحاول الاقتراب أكثر من اتجاهه لفكري ومنحاه العقدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

المبحث الأول : تعريفهما وبيان وجودهما في القرآن

المطلب الأول : تعريفهما

أولا : تعريف المحكم : أ- تعريفه لغة : المحكم في اللغة من الفعل حكم وأحكم بمعنى منع، يقال أحكمت فلانا منعته، وسمي الحاكم حاكما لأنه يمنع من الظلم [1]، وسميت حكمة الدابة كذلك لأنها تمنعها من الاضطراب يقال حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يده، قال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم *** إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل، ونقول : حكمت فلانا، إذا منعته عما يريد[2]

ب- تعريفه شرعا : 1- ورد في الاتقان للسيوطي عن عكرمة[3] وقتادة[4] وغيرهما أن المحكم الذي يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به[5].

2- عرفه الزركشي[6] بقوله : وأما في الاصطلاح فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام[7]، وأما الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، فإنه بعد أن ذكر جملة من التعاريف انتقدها جميعا واختار منها تعريف الرازي[8]، وهو أن المحكم ما كانت دلالته

---

[1] ابن منظور محمد بن مكرم - لسان العرب - دار المعارف - دار الفكر - دار صادر - بيروت - ط1 (1990)، ط2 1992 ج1 ص953.

[2] معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء - تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت مجلد 2 ص91.

[3] هو عكرمة ابن عبد الله، مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه، مات سنة تسع ومائة و قيل بعد ذلك
-تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطاء دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى 1993 ج1 ص 685.

[4] هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث، أبو الخطاب، ولد وهو أعمى، وعي بالعلم فصار من حفاظ أهل زمانه وعلمائهم بالقرآن والفقه، مات بواسط سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ست وخمسين سنة، وكان مدلسا.
- كتاب مشاهير علماء الأمصار - لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص96.

[5] الإتقان في علوم القرآن تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة بيروت لبنان ج2 ص04.

[6] هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة، أخذ عن الشيخين جمال الدين الأسنوي، وسراج الدين البلقيني، كان فقيها أصوليا أديبا فاضلا، شرح جمع الجوامع للسبكي في مجلدين وله البرهان في علوم القرآن، كان خطه ضعيفا جدا قال من يحسن استخراجه، توفي بمصر سنة أربع وتسعين وسبعمائة - شذرات الذهب -المرجع السابق- ج6 ص335.

[7] البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق أبو الفضل محمد ابراهيم - دار المعرفة - بيروت لبنان - الطبعة الثانية ج2 ص60.

[8] هو أبو عبد الله بن عمر بن الحسين الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، من آثاره تفسير القرآن الكريم، وفي علم الكلام، "نهاية العقول" وفي أصول الفقه "المحصول" وشرح الوجيز للغزالي والإشارات لابن سينا، كان يعظ بالعربية والأعجمية، توفي سنة ست وستمائة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج4 ص248.

راجحة، وهو النص والظاهر، ثم قال : وتعريف الرازي جامع مانع من هذه الناحية لا يدخل في المحكم ما كان خفيا[1]. وهناك تعاريف أخرى لا تعدو أن تكون أنواعا من المحكم استغنينا عنها لقصورها. ونحن نرى أن التعريف الذي أورده السيوطي غير جامع لأن هناك قرآنا لاخفاء فيه، يعتبره كثير من العلماء محكما ولا يعمل به مثل القصص القرآني، وبعض مظاهر الإعجاز والتحدي الواردة في القرآن، وتعريف الزركشي ليس بعيدا عن هذا التعريف، فالأمر والنهي، وبيان الحلال والحرام كلها تدخل فيما يعمل به، ونوجه له نفس الملاحظة السابقة، وأما تعريف الرازي المذكور فهو أعم، ونحن نختار تعريفا آخر محكما للمحكم وهو أن المحكم ما لا يحتمل في التأويل إلا وجها واحدا، وهذا التعريف ذكره الزركشي أيضا في سياق التعاريف التي أوردها عن المحكم بلفظة قيل، وهذا التعريف يتناسب كثيرا مع التعريف اللغوي للمحكم، فالمحكم لغة هو الذي يمنع غيره من الظلم أو الفساد والمحكم اصطلاحا هو الذي يمنع وجود أكثر من معنى للفظ أو للتعبير، ولذلك فهو الذي لا يحتمل في تفسيره وتأويله إلا وجها واحدا. وذلك مثل قوله تعالى : (قل هو الله أحد)[2] وقوله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى)[3]، وقوله : (وقلنا اهبطو بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)[4]، فكل هذه النصوص، وغيرها كثير، لا تحتمل أكثر من معنى، يفهمها العام والخاص، ولا تحتاج إلى أدنى عناء في فهمها وبيان المراد منها.

ثانيا : تعريف المتشابه : أ- لغة : الشّبه والشَّبه والشبيه المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله[5] وهو يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا، والمشتبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا[6]، وأما قوله تعالى : (وأتوا به متشابها)، فإن أهل اللغة قالوا معنى متشابهايشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن، وقال المفسرون : متشابها يشبه بعضه بعضا في الصورة ويختلف في الطعم ودليلهم قوله تعالى : (هذا الذي رزقنا من قبل) لأن صورته الصورة الأولى، ولكن اختلاف الطعم مع اتفاق الصورة أبلغ وأغرب عند

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن ج2 ص170 لمحمد عبد العظيم ازرقاني، دار إحياء الكتب العربية ج2 ص170.

[2] الإخلاص : 01.

[3] البقرة : 177.

[4] البقرة : 36.

[5] لسان العرب، لابن منظور -المرجع السابق- ج4 ص2189.

[6] معجم مقاييس اللغة -المرجع السابق- ج3 ص243.

الخلق[1]، والآية كاملة كما وردت في سورة البقرة : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا، قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة، وهم فيها خالدون)[2] ، فهذه الثمار متفقة المناظر مع ما عرفوه في الدنيا، ولكن طعمها يختلف، ويقال للغامض : متشابه، لأن جهة الشبه كما تقول لحروف التهجي، والمتشابه مثل المشكل، لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره وشاكله[3].

ب- تعريفه اصطلاحا : قدمنا في الأول ما أورده السيوطي في تعريف المحكم والمتشابه حيث نقل عن عكرمة وقتادة وغيرهما أن المحكم الذي يعمل به، والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به، ونوجه لتعريف المتشابه هنا نفس النقد الذي وجهناه في تعريف المحكم من قبل، وهو أن التعريف غير دقيق، وهناك متشابهات يعمل بها، مثل قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)[4]، فلفظ القرء متردد بين الحيض والطهر، والقرء من المتشابه المشترك الذي اختلف فيه الفقهاء، ومع ذلك فالعمل به واسع الانتشار جدا. وأما الرازي فقد عرف المتشابه بقوله : أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول والمشكل[5]، وقدمنا من قبل أن الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني قد اختار في تعريفه للمحكم والمتشابه تعريف الرازي، وعلل ذلك بقوله : وتعريف الرازي جامع مانع من هذه الناحية لا يدخل في المحكم ما كان خفيا، ولا في المتشابه ما كان جليا لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاءً تاما، في بيان تقسيمه الذي بناه على راجح ومرجوح، والذي أعلن لنا منه أن الراجح ما كان واضحا لا خفاء فيه وأن المرجوح ما كان خفيا لا جلاء معه[6] وتماشيا مع تعريفنا للمحكم نعرف المتشابه بما يلي : هو ما احتمل في التأويل أكثر من وجه وهذا التعريف يتماشى مع التعريف اللغوي للمتشابه، فاللفظ المشترك مثلا، له معاني مختلفة تتشابه في قوة دلالتها على المعنى المراد، فليس بعضها أولى من بعض في دلالتها على المعنى، وليس بعضها أرجح من بعض، وهذا كفيل بنشوء الاختلاف بين العلماء، ولو وجد الدليل

---

[1] لسان العرب، لابن منظور -المرجع السابق- ج4 ص2189، 2190.

[2] البقرة : 25.

[3] البرهان في علوم القرآن، للزركشي -المرجع السابق- ج2 ص69.

[4] البقرة : 228.

[5] مناهل العرفان للزرقاني -المرجع السابق- ج2 ص171 - 172.

[6] مناهل العرفان للزرقاني -المرجع نفسه- ج2 ص171 - 172.

المرجح لما كان هناك متشابه وما كان هناك اختلاف بين العلماء، وليس معنى هذا الكلام أن كل المتشابه لا يمكن معرفة مراده، بل فيه ما يعرف وفيه ما علمه مقصور على الله سبحانه، وعلمه الذي يعرف منه مقصور على العلماء دون غيرهم، كالأشجار إذا تقارب بعضها من بعض تداخلت أمثالها، واشتبهت، أي على من لم يمعن النظر في البحث عن متبعث كل فن منها، قال تعالى : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها ...)[1]، وهو على اشتباكه غير متشابه، وكذلك سياق معاني القرآن العزيز قد تتقارب المعاني، ويتقدم الخطاب بعضه على بعض، ويتأخر بعضه عن بعض، لحكمة الله في ترتيب الخطاب والوجود، فتشتبك المعاني وتشكل إلا على أولي الألباب، فيقال في هذا الفن متشابه بعضه ببعض[2].

المطلب الثاني : آراء العلماء في وجودهما في القرآن.

اختلف الناس في القرآن الكريم، فمن قائل بأن كله محكم، وقائل بأن كله متشابه، وقائل بأن بعضه محكم وبعضه متشابه، وسبب اختلافهم هو وجود ثلاثة آيات قرآنية تدل على هذه الأقوال الثلاثة، وهي قوله تعالى في سورة هود : (ألر، كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير)[3]، وقوله أيضا في سورة الزمر : (الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد)[4] وكذلك قوله تعالى في سورة آل عمران: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)[5].

ومن هذه الأقوال الثلاثة نختار ما اختاره السيوطي في الإتقان حيث اختار القول الثالث مستدلا بآية آل عمران، ونقول بأن معنى المحكم والمتشابه في الآيتين الأولى والثانية يختلف عن معنى المحكم والمتشابه موضوع بحثنا، والوارد في آية آل عمران، فأما معنى المحكم الوارد في سورة هود، فقد قال ابن كثير : (أحكمت آياته ثم فصلت) أي هي محكمة في لفظها

---

[1] الأنعام : 141.

[2] البرهان في علوم القرآن، للزركشي -المرجع السابق- ج2 ص70.

[3] هود : الآية 01.

[4] الزمر : الآية 22.

[5] آل عمران : الآية 07.

مفصلة في معناها فهو كامل صورة ومعنى[1]، والقرآن بهذا المعنى كله محكم، وقوله تعالى في سورة هود يشير إلى هذا الذي ذكرناه، قال الزركشي : وأما المتشابه من القرآن العزيز فهو يشابه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز والبشارة والنذارة، وكل ما جاء به، وأنه من عند الله[2]، وعلى هذه المعاني التي ذكرناها يمكن اعتبار القرآن الكريم كله محكم، وكله متشابه، بيد أن معنى المحكم والمتشابه الوارد في آل عمران يختلف عنه فيما سبق بيانه، فالآيات المحكمات هنا هي الواضحات التي لا لبس فيها، وأما المتشابهات فهي التي تلتبس على كثير من الناس، قال ابن كثير وهو يفسّر هذه الآية من آل عمران، يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس فلهذا قال تعالى : (هن أم الكتاب) أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه (وأخر متشابهات) أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد[3].

وبناء على هذا فإن القرآن ينقسم إلى محكم ومتشابه، والآيات المحكمة هي الآيات التي لا لبس فيها، وتتضمن آيات الأحكام بما تشتمل عليه من أوامر ونواه، كقوله تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا)[4]، وقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)[5]، وأكثر القرآن محكم، وأما الآيات المتشابهات فهي الآيات والكلمات المشكلات والغامضات كالحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وكبعض الآيات الواردة في صفات ربنا عز وجل كقوله: (يد الله فوق أيديهم)[6]، وقوله : (تجري بأعيننا)[7]، وكذلك مثل بعض الآيات التي تحتمل أكثر من معنى كقوله في آل عمران : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

---

[1] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دارة المعرفة بيروت -لبنان 1984 ج2 ص435.

[2] البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي -المرجع السابق- ج2 ص70-71.

[3] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير-المرجع السابق- ج1 ص344.

[4] الأنعام : 150.

[5] الإسراء : 23.

[6] الفتح : 10.

[7] القمر : 14.

في العلم)[1]، وسنفصل فيها القول، وقوله كذلك : (وآتاكم من كل ما سألتموه)[2]، فالوقف على سألتموه يعطي معنى، والوقف على كل يعطي معنى آخر.

نستخلص مما سبق أن القرآن فيه آيات محكمات يفهمها العام والخاص و آيات متشابهات استأثر الله بعلم بعضها، وقصر علم بعضها الآخر على العلماء، والمؤمنون يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه، وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتساءلون عن المتشابه، وهم لم يكلفوا إلا بمجرد الإيمان به، وقد نهوا عن ذلك لأن بعض العقول لا تستطيع هضم بعض المعاني التي يتضمنها المتشابه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] آل عمران : 7.

[2] إبراهيم : 36.

المبحث الثاني : معرفة معنى المتشابه وحكم الخوض فيه

المطلب الأول : معرفة معنى المتشابه

اختلف العلماء حول معرفة معنى المتشابه إلى قولين، وسبب اختلافهم الوقف الوارد في آية آل عمران، هل يكون على "الله" أو على "الراسخون في العلم"، فمن قال بأن الوقف على الله، قال بعدم معرفة المتشابه، ومن قال بأن الوقف على "والراسخون في العلم" قال بمعرفته، وسنتطرق إلى أدلة كل قول فيما يلي :

القول الأول : لا يعرف معنى المتشابه إلا الله تعالى، وروي هذا القول عن ابن مسعود[1]، وأبي بن كعب[2]، وعائشة[3]، وهو أصح الروايات عن ابن عباس[4]، وهو مذهب عامة الصحابة، ومال إليه السيوطي في الإتقان، وحكاه عن الأكثرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم، واختاره العتبي[5] ، ورجّحه ابن السمعاني[6] ، واستدل أصحاب هذا القول على مذهبهم بمايلي :

1- قالوا بأن الوقف التام في الآية يكون على الله، فتكون القراءة الصحيحة (وما يعلم تأويله إلا الله) وأما الواو فللاستئناف، وترددوا في قوله (يقولون آمنا به) بين كونه حالا

---

[1] هو أبو عبد الرحمن، عبد الله ابن مسعود الهذلي نسبا، الزهري حلفا، الكوفي موئلا، كان من أهل السوابق، سادسا أو سابعا في الإسلام، هاجر إلى الحبشة، وشهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان في غاية القصر والنحافة، كان من أعلم الناس بمعاني القرآن، مات بالكوفة، وقيل بالمدينة سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستين سنة ، ودفن بالبقيع.

- الرياض المستطابة في حملة من روي في الصحيحين من الصحابة للإمام يحي بن أبي بكر العامري اليمني – مكتبة المعارف بيروت – الطبعة الثالثة 1983 ص185.

[2] هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضا، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافا كثيرا قيل سنة تسع عشرة، وقيل اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك.

- تقريب التهذيب، لابن حجر -المرجع السابق- ج1 ص71.

[3] هي أم المومنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، تكنى بأم عبد الله وهو ابن اختها عبد الله بن الزبير تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بمكة، وماتت بالمدينة سنة ست وخمسين، ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة.

- الرياض المستطابة – المرجع السابق – ص310.

[4] هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المكي، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر، توفي بالطائف سنة سبعين، وهو ابن احدى وتسعين وقد كف بصره وصلى عليه محمد بن الحنفية.
- الرياض المستطابة – المرجع السابق – ص198-199.

[5]- اسمه محمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن عتبة الأموي العتبي القرطبي الأندلسي الفقيه أحد الأعلام أخذ عن يحي ورحل فأخذ بالقيروان عن سحنون وبمصر عن أصبغ، وصنف المستخرجة، وجمع فيها أشياء غريبة عن مالك، وهو صاحب العتبية، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.

- شذرات الذهب- المرجع السابق- ج2 ص129.

[6]- عبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد السمعاني دخل إلى بغداد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، قال ابن الجوزي: وسمع معنا على المشايخ وسافر في طلب الحديث .. إلا أنه كان يتعصب على مذهب أحمد، توفي سنة ثلاث وستين وخمسمائة.
- المنتظم لابن الجوزي -المرجع السابق- ج9 ص40.

فضلة، وخبرا عمدة[1]، وعلى هذا التخريج فإن الآية صريحة بأن معنى المتشابه لا يعلمه إلا الله، وهو غير معروف المعنى عند الراسخين في العلم وعند غيرهم.

2- قالوا: التأويل ما آل الشيء إليه، وهو تصور أوله وأحواله المؤدي إلى اخره ... وذلك لا يعرفه إلا الله، وخواص أوليائه الذين رشحهم لإطلاعهم على ملكوته[2].

3- لا يعلم إلا الله التأويل المذكور في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله)[3]، فإن هذا التأويل قد تفرد الله بعلمه.

4- إنه قد علم أن في القرآن فوائد ليس لها غاية يقف عليها، وهي المشار إليها بقوله : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)[4] ... وقول ابن عباس -رضي الله عنهما- : القرآن ذو شجون وفنون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، ومعلوم أن قوى البشر تقصر عن بلوغ الغايات.

5- أن في القرآن أشياء عرف اسمها دون ذواتها، وماهياتها، نحو دابة الأرض، وأهوال القيامة.

6- أن في القرآن آيات فسرت على عشرة أوجه فصاعدا، واللفظ يحتمل الكل، والعقل يدفع أشياء منها، ومراد الله تعالى وإن لم يخرج من واحدة من هذه الوجوه فليس هو معلوما لنا معينا، فمن هذا الوجه أيضا يصح أن يقال فيها لا يعلمه إلا الله تعالى، فإن من صادف قوما، وعلم أن زيدا مثلا هو فيما بينهم لكن لا يعرفه معينا فليس يخرج بذلك من كونه جاهلا بزيد.

7- أن الحكمة لا تتنافى في أن نؤمن بألفاظ تشغل ألسنتنا ثم لا نعرف معناها، كما نؤمن بأعمال تتعلق بسائر الجوارح فلا تعرف مغزاها فنثاب على تحريمها ، وعلى هذا قوله تعالى: (وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم)[5][6].

---

[1] البرهان في علوم القرآن، للزركشي -المرجع السابق- ص72.

[2] الاعتقادات للراغب الأصفهاني، مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى 1970 ص189.

[3] الأعراف : 53.

[4] لقمان : 27.

[5] البقرة : 58.

[6] الاعتقادات، للراغب الأصفهاني -المرجع السابق- ص189-190.

كما استدل السيوطي لأصحاب هذا القول بأدلة حيث قال : ويدل لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبدالرزاق[1] في تفسيره، والحاكم[2] في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ: (وما يعلم تأويله إلا الله - ويقول- الراسخون في العلم -آمنا به) فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة فأقل درجتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه، ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه، ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالإيمان بالغيب[3].

كما استدل السيوطي بعدة آثار نذكر منها :

1 ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ... إلى قوله ... أولوا الألباب)[4]، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذي سمى الله فاحذرهم."[5].

2-وأخرج الطبراني[6] في الكبير عن أبي مالك[7] الأشعري أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "لا أخاف على امتي إلا ثلاث خلال، أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا

---

[1] هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، ثقة حافظ مصنف شهير، عمي في آخر عمره وتغير وكان يتشيع، مات سنة إحدى عشرة ومائة، وله خمس وثمانون.

- تقريب التهذيب لابن حجر -المرجع السابق- ج1 ص599.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، الحافظ المعروف بابن البيع، إمام أهل الحديث في عصره، صنف في علومه ما يبلغ ألف وخمسمائة جزء منها الصحيحان، والمستدرك على الصحيحين، ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة بنيسابور، وتولى بها سنة خمس وأربعمائة.

-وفيات الأعيان - المرجع السابق- ج4 ص280-281.

[3] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص04.

[4] آل عمران : 07.

[5]- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج7 ص52، صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن باب منه آيات محكمات.

[6] هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، كان حافظ عصره، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر، وأقام بالجزيرة الفراتية، وأقام راحلته ثلاثا وثلاثين سنة، وعدد شيوخه ألف شيخ. من آثاره المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، ولد سنة ستين ومائتين بطبرية الشام، وتوفي سنة ستين وثلاثمائة بأصبهان.

-وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج2 ص407

[7] اختلف في اسمه فقيل عبيد، وقيل عبد الله، وقيل عمرو وقيل كعب بن كعب وقيل عامر بن الحارث، صحابي مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة.

- تقريب التهذيب لابن حجر -المرجع السابق- ج2 ص461.

فيقتتلوا، وأن يفتح الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله. وأن يـروا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه" [1] .

3- أخرج ابن مردويه[2] من حديث عمرو بن شعيب[3] عن أبيه عن جده عـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به"[4].

4- وأخرج الحاكم عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنـوا بمتشـابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا[5].

5- وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت : كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشـابهه ولا يعلمونه، قال السيوطي : وكفى بدعاء الراسخين في العلم : (ربنا لا تزغ قلوبنـا بعـد إذ هديتنا...) شاهدا على أن "الراسخون في العلم" مقابل لقوله، و(الذين في قلوبهم زيـغ)، وفيـه إشارة على أن الوقف على قوله إلا الله تام، وعلى أن علم المتشابه مختص بالله تعـالى، وأن من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث بقوله : "فاحذرهم"[6]، كما استدل السـيوطي بأدلة أخرى منها حديث صبيغ وسيأتي.

---

[1]- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري -مؤسسة الرسالة بيروت 1993، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكر حياني، الشيخ صفوة السقا ج10 ص 200 حديث رقم 29051، نقلا عن الطبراني برواية أبي مالك الشعري.

[2] ابن مردويه الحافظ الكبير العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، صاحب "التفسير" و"التاريخ" و"المستخرج على البخاري"، كان بصيرا بالرجال، طويل الباع، مليح التصانيف، ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ومات سنة عشر وأربعمائة.

-طبقات الحفاظ للسيوطي- -المرجع السابق- ص412 ترجمة رقم 930.

[3] هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي أبو إبراهيم، روى عن زينب ربيبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو تابعي، وثقه يحي بن معين، وابن راهوية، وهو حسن الحديث، وفيه خلاف، توفي سنة ثمان عشرة ومائة.

-شذرات الذهب -المرجع السابق- ج1 ص155.

[4] ورد الحديث في مسند الإمام أحمد بلفظ أن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا، بل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتـم منه فردوه إلى عالمه ج10 ص174 - رقم 6702.

[5] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان -المرجع السابق- ج2 ص63 حديث رقم 742.

[6] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص05.

القول الثاني : وهو القول بمعرفة الراسخين في العلم لمعنى المتشابه ومن أصحاب هذا القول مجاهد[1]، و الضحاك[2]، ويروى أيضا عن ابن عباس حيث قال –رضي الله عنه– : "أنا ممن يعلم تاويله" وإلى هذا القول ذهب عامة المتكلمين، ورجحه جماعة من المحققين كابن فورك[3] والغزالي، وقال النووي إنه الأصح، وقال ابن الحاجب[4]: إنه المختار، واستدل أصحاب هذا القول بما يلي :

1 قالوا إن الواو في قوله تعالى : (والراسخون في العلم) عاطفة وليست للإستئناف والوقف يكون على قوله : (...يقولون آمنا به) وليس على الله، وحول الإشكال اللغوي الذي يطرحه بعض العلماء بقولهم : كيف يجوز في اللغة أن يعلم الراسخون، والله يقول: (والراسخون في العلم يقولون آمنا به)، وإذا أشركهم في العلم انقطعوا عن قوله : (يقولون) لأنه ليس هنا عطف حتى يوجب للراسخين فعلين، قال الزركشي ردا على هذا بقوله: قلنا إن يقولون هنا في معنى الحال، كأنه قال: (والراسخون في العلم) قائلين آمنا، كما قال الشاعر:

الريح تبكي شجوها *** والبرق يلمع في غمامه

أي لامعا، وقيل: المعنى "يعلمون ويقولون"، فحذف واو العطف، كقوله: (وجوه يومئذ ناضرة) [5]، والمعنى: يقولون: علمنا وآمنا، لأن الإيمان قبل العلم محال إذ لا يتصور الإيمان مع الجهل[6]، وأيضا لو لم يعلموها لم يكونوا من الراسخين، ولم يقع الفرق بينهم وبين الجهال.

2- قالوا بأن الله تعالى لا يخاطب العرب، بما لا سبيل إلى معرفته لأحد من الخلق والقرآن ما دام منزلا للبشر فلابد أن يكون في متناول أفهامهم.

---

[1] هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر، المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة، – تقريب التهذيب، لابن حجر –المرجع السابق– ج2 ص159.

[2] هو الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب، أبو عبد الرحمن وأبو زرعة الطبراني، ثقة مات سنة خمس ومائة.

تقريب التهذيب، لابن حجر –المرجع نفسه– ج1 ص443.

[3] هو أبوبكر محمد بن الحسين بن فورك، المتكلم الأصولي الأديب النحوي، الواعظ الأصفهاني، أقام بالعراق مدة يدرس العلم، ثم توجه إلى الري فنيسابور، وجرت له مناظرات بغزنة، ثم عاد إلى نيسابور فمات في الطريق سنة ست وأربعمائة.

– وفيات الأعيان لابن خلكان –المرجع السابق– ج4 ص272.

[4] هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدوني ثم المصري، الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين، كان والده حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاقي، اشتغل بالقاهرة في صغره بالقرآن الكريم، ثم بالفقه على مذهب مالك، ثم بالعربية والقراءات، صنف في علوم العربية وفي أصول الفقه، توفي سنة ست وأربعين وستمائة عن ست وسبعين عاما.

– وفيات الأعيان– المرجع نفسه ج3 ص248–250.

[5] القيامة : 22

[6] البرهان في علوم القرآن، للزركشي –المرجع السابق– ج2 ص73، 74.

3- القول بأن المطلوب في المتشابه هو مجرد الإيمان غير كاف، لأن الإيمان هو واجب جميع المؤمنين علماء وعوام، وإذا لم يتمكن العلماء من التميز على العوام بفهم المتشابه ومعرفته فما الفائدة في وصفهم بالرسوخ في العلم وأنهم أولوا الألباب.

4- قالوا: لو كان المتشابه لا يعلمه غير الله للزمنا، ولا يسوغ لأحد أن يقول إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يعلم المتشابه، فإذا جاز أن يعرفه الرسول مع قوله : (وما يعلم تأويله إلا الله) جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، والمفسرون من أمته، ألا ترى أن ابن عباس كان يقول : أنا من الراسخين في العلم، ويقول عند قراءة قوله تعالى في أصحاب الكهف (وما يعلمهم إلا قليل)[1]: أنا من أولئك القليل[2].

وقال مجاهد في قوله تعالى: (وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون في العلم) يعلمونه و(يقولون آمنا به)، ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ من المتشابه إلا أن يقولوا (آمنا به) لم يكن لهم فضل على الجاهل، لأن الكل قائلون ذلك، ونحن لم نر المفسرين إلى هذه الغاية توقفوا عن شيء من القرآن فقالوا هو متشابه لا يعلمه إلى الله، بل أمروه على التفسير، حتى فسروا الحروف المقطعة[3].

ويرى ابن تيمية أن التأويل الذي تحدث عنه مجاهد، إنما هو بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين، قال الثوري[4]: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهم، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه فالمراد به معرفة تفسيره[5].

هذه هي مجمل أدلة الفريقين في هذه المسألة، وأثناء دراستي لأقاويل العلماء فيها لاحظت أن بعض العلماء قد أدخلوا ما ليس متشابها في المتشابه، وبنوا على ذلك آراء، وقرروا أحكاما، فإذا كان تعريفنا للمتشابه هو ما احتمل من التأويل أوجها فليس سائغا أن ندخل الغيبيات في المتشابه كقيام الساعة التي قال عنها الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما

---

[1] الكهف : 22.

[2] البرهان في علوم القرآن، للزركشي -المرجع السابق- ج2 ص73.

[3] البرهان في علوم القرآن، للزركشي -المرجع نفسه- ج2 ص73.

[4] هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب الثوري أبو عبد الله، ولد سنة خمس وتسعين ومات بالبصرة مختفيا عند عبد الرحمن بن مهدي في داره، في شعبان سنة إحدى وستين ومائة كان من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين مواظبا على الورع والعبادة.
-كتاب مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص169-170.

[5] الرسالة التدمرية لابن تيمية -مكتبة التراث الإسلامي- شركة الشهاب - الجزائر ص43.

سائله جبريل عليه السلام "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"[1]، فهذه الأمور بصريح الحديث والقران كذلك لا يعرفها غير الله، وكذلك الشأن بالنسبة للحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وإن كان المفسرون قد قالوا فيها أقوالا، وهذه الأمور في نظرنا تخرج عن نطاق المتشابه الذي نتحدث عنه، والذي نشأ عادة من اشتراك عدة معان في لفظ واحد، أو من الإيجاز والحذف، أو من التقديم والتأخير، وغير ذلك من الأمور اللغوية والبلاغية البحتة، ففي هذه الأحوال يختلف العلماء في تعيين المعنى المراد وذلك مثل قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)[2]، فهذه الآية على بساطتها الظاهرة أحدثت خلافا واسعا، وتحديدا في لفظة (يشاء) على من تعود، على الله -سبحانه- أو على العبد. ونقول إن المتشابه الناشئ من هذه الوجوه التي أشرنا إليها يمكن أن يعرف بالتأويل، ورد المتشابه إلى المحكم، وقد قال أهل التحقيق بأن المتشابه يتنوع، فمنه ما لا يعلم بيقين البتة كالحروف المقطعة في أوائل السور والروح والساعة ... وقالوا بأن من قال بعدم علم الراسخين بالمتشابه إنما أراد هذا النوع، وأما ما يمكن حمله في وجوه اللغة فيتاول[3]، قال الخطابي: المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ، فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتنون[4].

وقال الإمام الراغب: جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة وخروج الدابة، ونحو ذلك، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ العربية والأحكام العلقة، وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم، ويخفي على من دونهم وهو المشار إليه بقوله -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[5] قال : وإذا عرفت هذا عرفت أن الوقوف على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) ووصله بقوله (والراسخون في العلم) جائزان، وأن لكل واحد منهما وجها، حسبما دل عليه التفصيل المتقدم وقال أيضا: والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله

---

[1] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري -المرجع السابق- كتاب الإيمان ج1 ص140.

[2] القصص : 56

[3] - أقاويل الثقات في الأسماء والصفات- للحنبلي -المرجع السابق- ص54.

[4] -أقاويل الثقات في الأسماء والصفات- للحنبلي -المرجع السابق- ص54.

[5] المسند للإمام أحمد -المرجع السابق- ج1 ص266.

تعالى، و اوصاف القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه أو ليس من جنسه[1].

وإذا رجعنا بعد هذه الدراسة مذهب أصحاب القول الثاني، وقلنا بأن المتشابه على الوجه الذي بيناه يمكن معرفته للراسخين في العلم، فإن أصحاب هذا القول اختلفوا أيضا خلافا آخر وهو هل في القرآن شيء لا تعلم الأمة تأويله؟ وقد نقل الزركشي عن الراغب في مقدمة تفسيره قوله : وذهب عامة المتكلمين إلى أن كل القرآن يجب أن يكون معلوما، وإلا لأدى إلى إبطال فائدة الانتفاع به ... قال : وذهب كثير من المفسرين إلى أنه يصح أن يكون في القرآن بعض ما لا يعلم تأويله إلا الله، قال ابن عباس : أنزل الله القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام، ووجه لا يسع أحد جهالته، ووجه تعرفه العرب ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله[2]. وقال الإمام الشافعي: نظرت بين دفتي المصحف : فعرفت مراد الله عز وجل في جميع ما فيه إلا حرفين – قال الراوي : أنسيت أحدهما، والآخر قول تعالى (وقد خاب من دساها)[3]، فلم أجده في كلام العرب، فقرأت لمقاتل بن سليمان[4] أنها لغة السودان، وأن دساها أغواها[5].

ونلاحظ أن الاختلاف هنا ليس في المتشابه فحسب وإنما في عموم القرآن، وقد بينا من قبل أنه يوجد في القرآن ما لايعلمه إلا الله، وهي الغيبيات، وحجة المتكلمين في فائدة إنزاله غير قائمة، لأنه حتى ولو لم يعلم ففيه فائدة الإعجاز والتحدي، والتعبد والابتلاء بالإيمان وغير ذلك من الفوائد.

المطلب الثاني : حكم الخوض في المتشابه

اختلف العلماء في حكم الخوض في المتشابه، ومذهب السلف أنه مذموم خصوصا في مسائل الأسماء والصفات لأنه ظن والظن يخطئ ويصيب فيكون من باب القول على الله بلا علم، وهو محظور، ويمتنعون من التعيين خشية الإلحاد في الأسماء والصفات، ولهذا قالوا:

---

[1] أقاويل الثقات في الأسماء والصفات للحنبلي –المرجع السابق– ص54–55 – نقلا عن المفردات ص255.

[2] البرهان في علوم القرآن، للزركشي –المرجع السابق– ج2 ص69.

[3] الشمس : 10.

[4] هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي نزيل مرو، ويقال له ابن دوال دوز، كذبوه وهجروه، ورمي بالتجسيم مات سنة خمس ومائة.

– تقريب التهذيب، لابن حجر –المرجع السابق– ج2 ص210.

[5] أحكام القرآن، الإمام الشافعي –دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان 198 ج2 ص191.

والسلف إلى عدم الخوض[1]، وعلى المنع مضى الصحابة والتابعون، وموقفهم هذا نابع من موقفهم من عدم معرفة معاني المتشابه لغير الله تعالى، فما دام المتشابه لا يمكن معرفة معانيه، فإن الخوض فيه محظور واستدلوا على ذلك بأدلة نذكر منها ما يلي:

1- الأحاديث الواردة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- التي تأمرنا بمجرد الإيمان بالمتشابه دون الخوض في معانيه، فنؤمن بمتشابه الأسماء والصفات مع تنزيه الله تعالى وتقديسه، ونؤمن بغير ذلك من المتشابه، ونحن لم نكلف بالخوض فيه لأن ذلك لا يؤدي إلى شيء من معرفته، قال الإمام فخر الدين: صرف اللفظ عن الراجح إلى المرجوح لابد فيه من دليل منفصل، وهو إما لفظي أو عقلي، فالأول لا يمكن اعتباره في المسائل الأصولية لأنه لا يكون قاطعا، لأنه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة، وانتفاؤها مظنون، والموقوف على المظنون مظنون، والظني لا يكتفى به في الأصول، وأما العقلي فإنما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا، وأما إثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل، لأن طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل، وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظي، والدليل اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن، والظن لا يعول عليه في المسائل الأصولية القطعية، فلهذا اختار الأئمة المحققون من السلف والخلف بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال، ترك الخوض في تعيين التأويل[2].

2- أخرج الدارمي[3] في مسنده عن سليمان بن يسار[4] أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر، وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ فقال أنا عبد الله بن صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه، وفي رواية عنده: فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ ثم عاد، ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني

---

[1] أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات -المرجع السابق- ص55.

[2] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص07.

[3] هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي الدارمي السمرقندي الحافظ الثقة، صاحب المسند المشهور رحل وطوف، سمع النضر بن شميل ويزيد بن هارون وطبقتهما، قال محمد بن عبد الله بن نمير : غلبنا الدارمي بالحفظ والورع، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.
شذرات الذهب- -المرجع السابق- ج2 ص130.

[4] هو سليمان بن يسار الهلالي المدني، مولى ميمونة وقيل أم سلمة، ثقة فاضل، أحد الفقهاء السبعة، مات بعد المائة وقيل قبلها.
تقريب التهذيب، لابن حجر -المرجع السابق- ج1 ص393.

قتلا جميلا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري[1] لا يجالسه أحد من المسلمين[2].

3 وأخرج الدارمي ايضا عن عمر بن الخطاب قال: سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله[3]، قال السيوطي: فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله وأن الخوض فيه مذموم[4].

4- روى اللا لكائي[5] في السنة من طريق قرة بن خالد[6] عن الحسن عن أمه عن أم سلمة -رضي الله عنها- في قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)[7] قالت: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، والبحث عنه كفر[8].

وهذا له حكم الحديث المرفوع لأن مثله لا يقال من قبيل الراي[9]، وبمثله اجاب الإمام مالك لما سئل وعليه مضى السلف.

قال الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي[10] محتجا لمذهب السلف: وهذا القول - أي عدم الخوض في المتشابه- هو الحق وأسلم الطرق، فإنك تجد كل فريق من المتأولين

---

[1] هو عبد الله بن قيس بن وهب، سكن الكوفة والبصرة زمانا إلا أنه ممن استوطن البصرة مات سنة أربع وأربعين وهو ابن بضع وستين سنة. - كتاب مشاهير علماء الأمصار- لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص37.

[2] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص05.

[3] سنن الدارمي - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن مهرام الداجي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -باب اتباع السنة ج2 ص49.

[4] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص05.

[5] هو ابو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، الرازي الطبري الأصل، المعروف باللالكائي، كان فقيها محدثا، حافظا من آثاره رجال الصحيحين، وكتاب السنة، توفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة.

-طبقات الشافعية - عبد الرحيم الأسنوي- المرجع السابق- ج2 ص191.

[6] هو قرة بن خالد السدوسي البصري، ثقة ضابط مات سنة خمس وخمسين ومائة.

- تقريب التهذيب، لابن حجر -المرجع السابق- ج2 ص29.

[7] طه : 04.

[8] قول أم سلمة موجود في كتاب المختار من شريعة -الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة -دار الراية للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى 1418هـ- تحقيق الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر ص163.

[9] أقاويل الثقات في الأسماء والصفات -المرجع السابق- ص64.

[10] هو صاحب كتاب أقاويل الثقات -المرجع السابق-.

يخطئ الآخر ويرد كلامه ويقيم البرهان على صحة قوله، ويعتقد أنه هو المصيب وأن غيره هو المخطئ، ومن طالع كلام طوائف المتكلمين والمتصوفين علم ذلك علم اليقين[1].

وذهبت طوائف من أهل السنة إلى أنا نؤولها على ما يليق بجلال الله تعالى، واختار ابن برهان[2] مذهب التأويل، وتوسط ابن دقيق العيد[3] فقال: إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر، أو بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه قال: وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى : (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله)[4] فنحمله على حق الله وما يجب له[5].

ونحن إذا تأملنا في كتب التفسير والعقيدة، والكلام بصفة عامة نرى أن السلف لم يكن بينهم اتفاق حول جواز أو عدم جواز الخوض في المتشابه عموما، ففي حين سردنا فيه أقوالهم وجملة من أدلتهم على عدم جواز الخوض في المتشابه، رأينا بعض علمائهم قد خاضوا فيه، ومنهم ابن عباس الذي حدد مفهوم الراسخين في العلم، وحكم بإمكانية معرفة المتشابه للراسخين في العلم بقوله: وإنا منهم، ونحن نعلم أن تلك الأية من آل عمران من المتشابه، كما أن السلف استدلوا بالآية نفسها على أن معرفة المتشابه مقصورة على الله، ولا نكاد نجد نصا متشابها إلا وللعلماء سلفهم وخلفهم خوض وكلام فيه، وكان الأحرى أن يمنعوا الخوض في المتشابه، لغير حاجة ماسة، وأمام عوام الخلق وأما إذا اقتضت الضرورة ووجد من يفهم ما يقال، فما يمنع من ذلك.

والحقيقة أن معرفة معنى المتشابه، وحكم الخوض فيه، لا يمكن أن نحكم فيه بحكم دقيق مقنع ما لم نعرف أنواع المتشابه، لأن هناك متشابهات يمكن معرفتها بردها إلى المحكمات،

---

[1] أقاويل الثقات للحنبلي -المرجع السابق- ص66.

[2] هو أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان الفقيه الشافعي، كان متبحرا في الأصول والفروع والنحو والمختلف تفقه على أبي حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي، والكيا الهراسي، وصار ماهرا في فنونه، وصنف كتاب الوجيز في أصول الفقه، وولي التدريس بنظامية بغداد، مات سنة عشرين وخمسمائة ببغداد .

-وفيات الأعيان- -المرجع السابق- ج1 ص99.

[3] هو أبو الفتح محمد ابن الإمام أبي الحسن المعروف بتقي الدين ابن دقيق العيد المالكي الشافعي، اشتغل بمذهب مالك، ثم بمذهب الشافعي سمع كثيرا من شيوخ الحجاز ودمشق والشام ومصر وغيرها، من آثاره شرح العمدة ، الاقتراح في بيان الإصلاح، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة، وتوفي سنة اثنين وسبعمائة.

- شجرة النور الزكية -المرجع السابق- ص189.

[4] الزمر : 56.

[5] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص08.

وهناك متشابهات أخرى لا يمكن الجزم بمعرفتها ولا يجوز الخوض فيها، ومن هنا كان لازما أن نتناول بعد هذا الموضوع أنواع المتشابه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث : منشأ التشابه وأنواعه وحكمة وروده

المطلب الأول : منشأ التشابه وأنواعه

قلنا في تعريف المتشابه هو ما احتمل أوجها، وهذا الاحتمال هو الذي فتح الباب واسعا لاختلاف العلماء والباحثين، فورود اللفظ، أو التعبير غامضا يجعل العلماء يقولون فيه أقوالا مختلفة كل حسب اجتهاده والتشابه بصفة عامة يكون إما راجعا إلى خفاء في اللفظ وحده، أو إلى خفاء وغموض في المعنى فقط، أو إلى خفاء وغموض فيهما معا.

أولا : ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء في اللفظ وحده، بأن يكون اللفظ غريبا في اللغة مثل الأب في قوله تعالى: (وفاكهة وأبا)[1]، وهو ما ترعاه البهائم من نبات الأرض، فقد اختلفوا فيه، فقال مجاهد وسعيد بن جبير[2]: الأب الكلأ، وعن مجاهد والحسن وقتادة: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء[3] كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب، وقال الضحاك: كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب، وعن ابن عباس: الأب الكلأ والمرعى، وقد سئل أبو بكر وعمر عنه فلم يجيبا[4] وهنا لاحظنا أن بعض علماء السلف قد خاضوا في هذا النوع من المتشابه، ولم يتفقوا على معناه.

وقد يكون التشابه ناشئا عن خفاء في اللفظ أيضا، ولكن ليس بسبب غرابته بل بسبب اشتراكه، مثل لفظة اليمين في قوله تعالى: (فراغ عليهم ضربا باليمين)[5] فاليمين لفظ مشترك لعدة معان، فهي تعني اليد، وتعني الضرب الشديد، وتعني القسم بالله، ونفس الشيء يقال بالنسبة للفظة "القرء" الواردة في قوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)[6] فهي تعني أيضا أكثر من معنى، فتعني الطهر والحيض كذلك، وهذا الاشتراك أدى إلى

---

[1] عبس : 31.

[2] هو سعيد بن جبير بن هشام، مولى بني والبة بن الحارث من بني أسد، كنيته أبو عبد الله من عباد المكيين، وفقهاء التابعين، قتله الحجاج بن يوسف سنة خمس وتسعين صبرا، وله تسع وأربعون سنة.

- كتاب مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص82.

[3] هو عطاء بن أبي رباح، المكي، ثقة، فاضل لكنه كثير الإرسال، مات سنة أربع عشرة ومائة على المشهور، وقيل إنه تغير بآخره ولم يختلط منه.

- تقريب التهذيب -لابن حجر- المرجع السابق- ج1 ص675.

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير -المرجع السابق- ج4 ص473.

[5] الصافات : 93.

[6] البقرة : 226.

اختلاف العلماء فيهما وفيما ينشأ عنهما من أحكام الحيض، وأمثلة الاشتراك في ألفاظ القرآن كثيرة جدا.

هذه هي وجوه التشابه التي تلحق باللفظ في حال إفراده، أما إذا كان مركبا فقد ينشأ التشابه من جهة اختصاره كقوله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء)[1] فالمعنى هو : وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى إذا تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن، فالخفاء هنا جاء من الإيجاز.

وقد ينشأ التشابه من جهة بسط اللفظ وإطنابه مثل قوله تعالى: (ليس كمثله شيء)[2]، فالكاف الوارد هنا يوهم أن لله مثلا، لأن المعنى حينها يكون ليس مثل مثله شيء، في حين أن المثلية لا وجود لها من كل الوجوه، قال الراغب في موضوع المماثلة: المماثلة اشتراك شيئين في معنى ما ذاتيا فيهما أو عرضيا، أو ذاتيا في أحدهما، وعرضيا في الآخر، وكل مماثلة لا تنفك من أحد ثلاثة أوجه إما من حيث الجنس ويقال له الند، أو من حيث الكمية ويقال له المساواة، أو من حيث الكيفية، ويقال له الشبه ... وكل هذه الثلاثة يستعمل فيه المثل، فالمثل عام في جميع ذلك، وقد يتشابه الشيئان ولا يكونان ندين كفرس أسود وبقرة سوداء، وقد يكونان ندين شبيهين كفرسين أسودين ... ثم قال: ما من شبيهين إلا والتركيب المختلف الذي فيهما يصح أن يقال هو مثل الآخر، ويصح أن يقال ليس مثله فيصدق القولان جميعا من وجه، ويكذبان من وجه، نحو أن يقال: البهيمة مثل الإنسان، فإنه متى أريد أنه مثله بالحياة فهو صدق، ومتى أريد أنه مثله بالعقل، فهو كذب، وكذا إذا قيل البهيمة ليست مثل الإنسان، متى أريد به في العقل فصدق، ومتى أريد به في الحياة فكذب ويصح في كل ما أثبتت له المماثلة أو نفيت عنه أن يستثني منه، فيقال: هذا مثل هذا إلا في كذا، ويكون ذلك صحيحا، والباري سبحانه لما لم يكن فيه تركيب بوجه من الوجوه، ولم يشاركه شيء في سبب من الأسباب صار إذا قيل (ليس كمثله شيء) كان هذا القول فيه صدقا من كل وجه حتى لا يصح أن يستثنى منه، فيقال إلا في كذا، وإذا قيل فيه هو مثل كذا، كان هذا القول كاذبا من كل وجه،

---

[1] النساء : 03.

[2] الشورى : 11.

وذلك أنه تعالى لا جنس له ولا كيفية ولا كمية ولا مشاركة بينه وبين شيء في معنى من المعاني يرجع إلى ذاته، فإذا لا مثل له كما قال تعالى: (ليس كمثله شيء)[1].

وقد ينشأ التشابه في اللفظ المفرد المركب من جهة تركيبه ونظمه كقوله تعالى في سورة الكهف (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما)[2]، فالتشابه هنا ناشئ من التقديم والتاخير، والأصل ... الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا. هذه هي مناشئ التشابه الراجعة إلى خفاء في اللفظ وحده.

ثانيا : ما كان التشابه فيه راجعا إلى خفاء المعنى وحده، مثاله كل ما جاء في القرآن في وصف الله تعالى، وأهوال القيامة، ونعيم الجنة وعذاب النار، فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق ولا بأهوال القيامة ... فالإنسان لا يعرف إلا ما سبقت له معرفته عن طريق الحواس، وهذه الأمور لم تتشرف الحواس بالإحاطة بشي منها، فلا سبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، وما لم يكن فينا مثله ولا جنسه[3]، فالتشابه والخفاء لم يجئ هنا من ناحية غرابة في اللفظ، أو اشتراك فيه بين عدة معان أو إيجاز أو إطناب مثلا، فتعين أن يكون من ناحية المعنى وحده.

ثالثا : ما كان التشابه فيه راجعا إلى اللفظ والمعنى معا، مثل قوله تعالى: (... وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها...)[4] فمن لم يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم النص على وجهه، قال عطاء بن أبي رباح: كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها، ويرون أن ذلك أدنى إلى البر، فقال الله: (وليس البر أن تاتوا البيوت من ظهورها)[5]، وعن البراء[6] قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله (وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها ... الآية)[7]، فهذا الخفاء يرجع

---

[1] الاعتقادات، للراغب الأصفهاني -المرجع السابق- ص74-75.

[2] الكهف : 01.

[3] مناهل العرفان، لعبد العظيم الزرقاني -المرجع السابق- ج2 ص175.

[4] البقرة : 189.

[5] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، -المرجع السابق- ج1 ص226.

[6] هو أبو عمارة البراء بن عازب الأنصاري الأوسي الحارثي، استصغر هو وابن عمر يوم بدر فلم يحضراها شهد أحدا وما بعدها، وشهد بيعة الرضوان، مات بالكوفة بعد السبعين في أيام مصعب بن الزبير.

- الرياض المستطابة -المرجع السابق- ص37.

[7] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، -المرجع السابق- ج1 ص225.

إلى اللفظ بسبب اختصاره، ولو بسط وقيل: وليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة لكان أسهل وأقرب إلى الفهم، كما يرجع الخفاء إلى المعنى أيضا لأن هذا النص على فرض بسطه لابد من معرفة عادة العرب في الجاهلية وإلا تعذر فهمه.

مما تقدم يمكننا أن نبين ما يجوز الخوض فيه وما لا يجوز، وما يمكن معرفته لغير الله تعالى وما لا يمكن، ولا يمكن أن نطلق حكما عاما على كل متشابه، فالمتشابه المتعلق بأسماء الله تعالى وصفاته لا يجوز الخوض فيه لغير ضرورة ملحة، وإذا جاز فلا يمكن الحصول على علم قطعي بمعناه، فقوله تعالى مثلا (يد الله فوق أيديهم)[1] يمكن للعلماء أن يتحدثوا فيها لإثبات ما أثبته الله لنفسه، لكن معناها لا يمكن الجزم به لا بالقدرة ولا بالنعمة، والخوض في المتشابه بهذا المعنى له حدود وضوابط لا تتعدى إطار الضرورة الملحة، والمنع من الخوض في هذا النوع من المتشابه – إن كان كذلك – جاء بنص الحديث "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته"[2].

وأما الخوض في المتشابه المتعلق بالألفاظ العربية، كالأب الذي سبق، وحروف التهجي في فواتح بعض السور فليس هناك أي داع لمنع الخوض فيه، فالخوض فيه جائز لكن معناه لا يمكن الجزم بمعرفته، بخلاف المتشابه الناشئ عن التقديم والتأخير فبالإضافة إلى جواز الخوض فيه لمعرفة معانيه فإنه يمكن أيضا معرفته.

إذا عرفنا هذا كله أمكننا تقسيم المتشابه بهذا المعنى إلى ثلاثة أقسام: قسم لا يجوز الخوض فيه ولا يمكن معرفته لغير الله تعالى، وذلك كآيات الأسماء والصفات التي يوهم ظاهرها التشبيه أو التجسيم، فيُثبتها العلماء مع الجزم بعدم إرادة ظاهرها دون الإحاطة بحقيقتها، وقسم يجوز الخوض فيه مع إمكانية معرفة معانيه وذلك كالتقديم والتأخير، وبعض الألفاظ الغريبة، وقسم يجوز الخوض فيه ولا يمكن الإحاطة بمعانيه كما هو الشأن بالنسبة لحروف التهجي الواردة في فواتح بعض السور وكذلك أوصاف الجنة والنار واليوم الآخر.

---

[1] الفتح : 10.

[2] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي –المرجع السابق– ج1، ص180.

المطلب الثاني : حكمة ورود المتشابه.

لقد نشأ عن وجود المتشابه في القرآن والسنة اختلافات كثيرة بين العلماء، وربما سائل يسأل عن الحكمة من إيراد المتشابه مع إمكانية الاستغناء عنه للتخلص من هذه الاختلافات خصوصا في الأسماء والصفات، والعلماء قد خاضوا وبحثوا في هذا الموضوع، مرة باسم حكمة وروده، وأخرى باسم فوائد المتشابه، وكل ما توصل إليه العلماء في هذا المجال لا يعدو أن يكون اجتهادا منهم، ومنه فإن ما ذكروه لا يمكن الجزم بأنه المراد لله تعالى أو لرسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن حيث المبدأ فإن هناك حكما جمة لأن من شأنه تعالى التنزه عن العبث، وقد تكلم الإمام الغزالي عن متشابه الأسماء والصفات الوارد في السنة حيث قال : والجواب واضح عند أهل البصيرة، وبيانه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يجمع هذه الكلمات دفعة واحدة وإنما نطق بها متفرقة في جميع عمره، في أوقات متباعدة، والمتواتر الصحيح منها قليل جدا، وإنما جمعها المشبهة، وجمعها يوهم ويلبس، وذلك ما لا نجده في تفريقها، وأغلب ما ورد فيها روايات شاذة ضعيفة لا يجوز التعويل عليها، ثم إن المتواتر منها إن صح نقله عن العدول فهي آحاد كلمات، وما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- كلمة إلا مع قرائن وإشارات يزول معها إيهام التشبيه، وقد أدركها الحاضرون والمشاهدون، وإذا نقلت الألفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الإبهام، وأعظم القرائن في زوال الإبهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر[1]، ثم قال: فإن قيل فلِمَ لمْ يذكر بألفاظ ناصة عليها بحيث لا يوهم ظاهرها جهلا ولا في حق العامي والصبي؟ قلنا: إنما كلمهم بلغة العرب وليس في لغة العرب ألفاظ ناصة على تلك المعاني ... بل هي معان أدركت بنور النبوة خاصة، أو بنور العقل بعد طول البحث، وذلك أيضا في بعض تلك الأمور لا في كلها، فلما لم يكن لها عبارات موضوعة كان استعارة الألفاظ من موضوعات اللغة ضرورة كل ناطق بتلك اللغة[2].

ومن الحكم الكثيرة التي ذكرها العلماء نذكر منها:

1-الابتلاء باعتقاده فإن العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة.

2-و قيل هو لإظهار عجز العابد كالحكيم إذا صنف كتابا أجمل فيه أحيانا ليكون

---

[1] إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي -المرجع السابق- ص97-98.

[2] إلجام العوام، للغزالي -المرجع نفسه- ص101-102.

موضوع خضوع المتعلم لأستاذه، وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره[1].

3- رحمة الله بالإنسان الذي لا يطيق معرفة كل شيء، فالجبل حين تجلى له ربه جعله دكا، وخر موسى صعقا، فكيف لو تجلى بذاته وحقائق صفاته للإنسان ... ومن هذا القبيل خفاء الساعة.

4- ما ذكره الفخر الرازي لوكان القرآن كله محكما لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لجميع المذاهب المخالفة له، وذلك منفر لأرباب المذاهب الأخرى من النظر فيه، أما وجود المتشابه والمحكم فيه فيطمع كل ذي مذهب أن يجد فيه كل ما يؤيد مذهبه، فيضطر إلى النظر فيه، وقد يتخلص المبطل عن باطله إذا أمعن فيه النظر فيصل إلى الحق.

5- تحقيق إعجاز القرآن.

6- تيسير حفظ القرآن والمحافظة عليه، وذلك بسبب الإيجاز، فلو فصل القرآن أكثر لخرج في مجلدات كثيرة يتعذر حفظها (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)[2].

7- وجود المحكم والمتشابه يدفع إلى تحصيل علوم كثيرة حتى يعرف معناه كعلم اللغة والبلاغة، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

8- البحث في المتشابه بالاستعانة بالأدلة العقلية يؤدي إلى التحرر من التقليد.

9- وجود المتشابه يجعل الوصول إلى الحق أشق وأصعب، وزيادة المشقة فيها زيادة الثواب[3].

وقد ردَّ الراغب الأصفهاني على ما ذكره المتكلمون بخصوص حكم المتشابه، خصوصا على الحكمة الأخيرة، وهي أن الله تعالى أراد أن يعظم ثواب العلماء بجهد أنفسهم في استخراج معانيها، فقال بأن ما قالوه بعيد إذ لم يكن فيه غير ذلك، فإنه يجري مجرى ما

---

[1] أقاويل الثقات في الأسماء والصفات، للحنبلي -المرجع السابق- ص60.

[2] الكهف : 109.

[3] أقاويل الثقات للحنبلي -المرجع السابق- ص51. نقلا عن الفخر الرازي بتصرف.

يتعاطاه الصبيان في الأبيات المعماة، ومسائل المعاياة والألغاز والأحجيات، ورأى أن فائدة المتشابه تتجلى في جوابين :

1- أن الله تعالى خص الإنسان بالفكر والتمييز الذي ثمرته استخراج المجهول بالمعلوم فاعطاه أكثر الأشياء قاصرة عن درجة الكمال ليكملها بفكره وأعطاه المطاعم والملابس قاصرة، وهداه بفكره إلى إصلاحها والانتفاع بها، وهذا من أشرف ما أكرم الله به بني آدم.

2- أنه تعالى لما وصف نفسه وقد علم أنه ليس كمثله شيء، وذكر لهم المعاد والجنة والنار وهي أمور لا يتصورها الإنسان إذ كان المتصور يصح فيما أحسه أو أحس مثله وكانت الألفاظ المتداولة موضوعة لمعان مقصورة، ويدل على أن تلك المعاني غير مقصورة قوله عليه السلام مخبرا عن الله تعالى في وصف الجنة: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[1] وقوله تعالى: (وننشئكم فيما لا تعلمون)[2]، فذكر تعالى أنا لا نعلم النشأة الثانية، فضلا عن أن نتصورها، فلما أراد تعالى العبارة عن تلك المعاني بألفاظ العرب، وكانت ألفاظهم موضوعة لمعان محسوسة لم يمكن ذلك إلا أن تذكر ما يذكر من تلك المعاني بهذه الألفاظ على سبيل المثل فصار من هذا الوجه ألفاظ القرآن ضربان: ضرب مستعمل في معنى يتعارفه عامهم وخاصهم وهو غير المتشابه وضرب مستعمل في معنى على غير الحد الذي تعارفوه وهو المتشابه[3].

والحقيقة أننا إذا نظرنا إلى الحكمة على أنها أمر مقصود من ورائه هدف معين، فلا يمكن أن نقول بأن وراء متشابه الأسماء والصفات حكمة الابتلاء أو غيرها من الحكم، فما نراه نحن متشابها، لم يكن يراه الصحابة -رضوان الله عليهم- كذلك، ولذلك لم يسألوا عنه، فالقرآن الكريم عندما تحدث عن صفات الله تعالى، وصفات الجنة والنار وما فيهما من النعيم المقيم والعذاب الأليم، إنما استعمل لغة العرب، وطريقتهم في التعبير والمخاطبات من أجل أن يفهموا المراد، فقوله تعالى مثلا (يد الله فوق أيديهم)[4] لم نقرأ أن أحدا من الصحابة قد أثار له شبهة، ذلك أن الصحابة فهموا ابتداءً تنزه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، وقرأوا قوله تعالى:

---

[1] رواه الإمام مسلم في صحيحه -كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- إرشاد الساري للقسطلاني (الهامش شرح النووي على مسلم) ج10 ص284.

[2] الواقعة : 61.

[3] الاعتقادات، للراغب الأصفهاني -المرجع السابق- ص186-187.

[4] الفتح : 10.

(ليس كمثله شيء)[1]، ومنه فإن كل الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها بالتجسيم أو التشبيه لم تخلق لديهم أدنى شبهة، ولا شك أن سوء فهم العصور المتتالية بعد عصر الصحابة للغة ولأسلوب القرآن، وما نتج عنها من إثارة شبهات هو سبب اعتبار الأسماء والصفات من المتشابه، ونحن لا يمكن أن نفتش لها عن حكمة لأن ما نراه متشابها بسبب الجهل باللغة وبالإسلام، وبسبب ضعف الإيمان لا يمكن أن نلصقه بالقرآن، ونقول إن وراءه حكمة، إنما نبحث عن الحكمة في أمور أخرى تعمدت نصوص الوحي إلى إخفاء حقيقتها كالروح، حيث قال تعالى: (ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[2].

وكذلك الساعة والغيب وما ورد في قوله تعالى: (إن الله عنده علم الساعة ويعلم الغيب وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت)[3]، وكذلك حروف التهجي المقطعة في فواتح بعض السور نحو الم، والر، وكهيعص وغيرها، فهذه الأمور ليس من عادة العرب معرفتها، وليس من عادتهم استعمال هذه الحروف بهذا الشكل في مخاطباتهم، وهنا يمكن أن نتحدث عن الحكمة في ورودها وخفاء حقيقتها، وهي الإعجاز والتحدي والابتلاء بالايمان وصدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك، وما قلناه عن الصفات نقوله عن وصف القيامة فكل ما ورد في وصفها إنما يختلف عن حقيقة ما عرفه العرب، وإنما لابد من أسماء وأوصاف لتلك الأحوال بما تعارفه الناس، فالمفروض أن كل مسلم يعرف أن الشبه بين أمور القيامة وأمور الدنيا أمر نسبي، فالأرض هناك ليست كالأرض هنا ولا السماء أيضا (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات)[4]، وقد ذكر القرآن والسنة أن عذاب الكافرين بالنار، ولكنه وضح أن تلك النار أشد حرارة وإحراقا، وتحدث عن الجنة وما فيها من نعيم، وأخبر أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مما يوحي أن هناك أمورا أخرى يضيق عن وصفها نطاق اللغة، ومن هنا نقول: ليس كل ما صعب علينا فهمه وأوهمنا بالتشبيه أو التجسيم نبحث له عن حكمة، فالحكمة تطلب فيما لم يعلمه الصحابة لأنهم المقياس الوحيد لتمييز المتشابه عن غيره، بسبب تمكنهم من اللغة وأساليبها، وبسبب إيمانهم القوي ومعرفتهم بالإسلام، وبأسباب النزول

---

[1] الشورى : 09.

[2] الإسراء : 85.

[3] لقمان : 34.

[4] ابراهيم : 48.

والورود، وليس معنى هذا الكلام انعدام المتشابه في غير ما ذكرنا، وإنما المتشابه المعتبر الذي نطلب له الحكمة هو ما كان التشابه في ذاته لا في غيره، ولو بحثنا في المتشابه باعتبار من يقرأه لأصبحت كل النصوص متشابهة، فما كان غير متشابه عند الصحابة، يمكن أن يكون متشابها عند غيرهم، وما كان غير متشابه عند الراسخين في العلم، يكون متشابها عند العامة، وهذا كله راجع إلى العلم وقوة الإيمان، وحتى لا نقع في متاهات البحث عن الحكمة، بحثنا عن الحكمة فيما كان متشابها عند الصحابة دون غيرهم، على أساس أن الخطاب موجه إليهم، ومن في مستواهم في الفهم والإيمان، وإذا هبطت الدرجة فينبغي رفعها بدل البحث عما نتج عنها.

وللتوضيح أكثر نقول إن الصحابة يفهمون النصوص الشرعية بمعانيها التي أرادها الشارع، انطلاقا من علمهم بلغة التشريع، ومن إيمانهم الصحيح بما ورد في تلك النصوص، فهم عندما يقرأون مثلا قوله تعالى: (ليس كمثله شي) يفهمون منها التنزيه المطلق، وهذا النص عندهم ليس من قبيل المتشابه، لكن هذا النص نفسه أصبح متشابها عند بعض المتأخرين، فقالوا: ليس مثل مثله شيء فكأن الله تعالى عنده مثل وإنما المنفي انعدام ما يشبه ذلك المثل، فهذا النص كما رأينا غير متشابه في الحقيقة، فلا نبحث عن الحكمة في إيراده متشابها، وإن كان متشابها عند بعض المتأخرين كما أسلفنا.

الفصل الثاني : التأويل بيانـــا ونـــشـــأة

المبحث الأول : التعريف بالتأويل وعلاقته بالتفسير

المطلب الأول : تعريف التأويل

أ-: تعريفه لغة : التأويل مأخوذ من الفعل أوّل وتأول، فأول الكلام وتأوله بمعنى واحد، والمصدر تأويل على وزن تفعيل، وله في اللغة عدة معان هي :

1- التدبير والتقدير، أول الكلام وتأوله بمعنى دبره وقدره[1].

2- التفسير، قال الليث[2]: التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه، وأنشد :

نحن ضربناكم على تنزيله *** فاليوم نضربكم على تأويله[3].

وقال الجوهري[4]: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلا وتأولته بمعنى، ومنه قول الأعشى[5]:

على أنها كانت تأول حبها *** تأول ربعي السقات فأصخبا

---

[1] لسان العرب، ابن منظور -المرجع السابق- مجلد 11 ص33، وتاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي -دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، لبنان 1994، مجلد 4 ص32، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة 1996، ص1244.

[2] هو الليث بن المظفر، وقيل الليث بن رافع بن نصر بن سيار، أهدى إليه الخليل كتاب العين، فعوضه مائة ألف درهم، وأقبل ينظر فيه ليل نهار حتى حفظ نصفه، وبسبب غيرة زوجته من جارية اشتراها أحرقته، فكتب نصفه ونحله الخليل.

- معجم الأدباء لياقوت الحموي-دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة الأولى 1991 ج5 ص30..34.

[3] لسان العرب، ابن منظور -المرجع السابق- مجلد 11 ص33.

[4] هو اسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، ابن أخت أبي اسحاق الفارابي، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، طوف ورحل كثيرا، من آثاره صحاح اللغة.

كتاب المقدمة في النحو، اختلف في سنة وفاته، وقد توفي قبل نهاية المائة الرابعة.

- معجم الأدباء -المرجع السابق ج2 ص205-206.

[5] الأعشى ميمون بن قيس، من سعد بن ضبيعة وكان أعمى ويكنى أبا بصير، وكان أبوه قيس يدعى فتيل الجوع، وذلك أنه كان في جبل فدخل غارا فوقعت صخرة من ذلك الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا، ويسمى صناجة العرب.

- الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الثانية 1986 ص159.

قال أبو عبيدة[1]: تأول حبها أي تفسيره، ومرجعه، أي أن حبها كان صغيرا في قلبه فلم يزل يثبت حتى أصخب، فصار قديما كهذا السقب الصغير لم يزل يشب حتى صار كبيرا مثل أمه، وصار له ابن يصحبه[2].

3- الرجوع والعودة والمصير، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: (وما يعلم تاويله إلا الله)[3]، قال: التأويل: المرجع والمصير مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته صيرته إليه[4]، وفي التهذيب: وأما التأويل فهو تفعيل من أوّل يؤول تأويلا وثلاثيه آل يؤول أي رجع وعاد[5].

4- الجمع والإصلاح، قال أبو منصور[6]: يقال ألت الشيء أؤوله إذا جمعته وأصلحته فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه، وقال بعض العرب: أول الله عليك أمرك أي جمعه، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك شملك، ويقال في الدعاء للمضل: أول الله عليك أي رد عليك ضالتك، وجمعها لك[7].

5- التحري والطلب: يقال تأولت في فلان الأجر إذا تحريته وطلبته[8].

6- رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولا كان أو فعلا، قاله الراغب، ومنه حديث عائشة -رضي الله عنها- كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن[9]، تعني أنه مأخوذ من قوله تعالى: (فسبح بحمد ربك واستغفره)[10].

---

[1] هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، التيمي بالولاء، تيم قريش، البصري، النحوي، العلامة قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه، كان يبغض العرب ويرى رأي الخوارج، ولد سنة عشر ومائة في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، وتوفي سنة سبع ومائتين بالبصرة.

- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج6 ص 235.

[2] لسان العرب، لابن منظور -المرجع السابق- مجلد 11 ص33. وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي -المرجع السابق- مجلد14 ص32.

[3] آل عمران : 07.

[4] لسان العرب، لابن منظور -المرجع السابق- مجلد 11 ص33.

[5] لسان العرب، لابن منظور -المرجع نفسه- مجلد 11 ص33.

[6] هو أبو منصور ابن الأزهر بن نوح بن سعيد بن عبد الرحمان الأزهري، اللغوي، الأديب، الشافعي المذهب، الهروي، مات سنة سبعين وثلاثمائة، وولد سنة اثنتين ومائتين، أخذ عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري وعن ثعلب وغيره.

- معجم الأدباء -المرجع السابق ج5 ص112.

[7] لسان العرب، لابن منظور -المرجع السابق- مجلد 11 ص33.

[8] لسان العرب، لابن منظور -المرجع نفسه- مجلد 11 ص33.

[9] أخرجه البخاري، في كتاب التفسير (تفسير سورة النصر) - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني -المرجع السابق- ج6 ص 96

[10] النصر: 03

7- ومن معاني التأويل أيضا السياسة، وهذا المعنى مأخوذ من الإيالة، قال الزمخشري في أساس البلاغة: آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وإئتالها، وهو مؤتال لقومه مقتال عليهم، أي سائس محتكم[1]. قال الدكتور الذهبي: وعلى هذا فيكون التأويل مأخوذ من الأول بمعنى الرجوع، إنما هو باعتبار أحد معانيه اللغوية، وعن علاقة التأويل بالسياسة قال: فكأن المؤول يسوس الكلام ويضعه في موضعه[2].

ب- تعريفه اصطلاحا: له عند السلف معنيان:

1- تفسير الكلام وبيان معناه سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التفسير والتأويل على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد من قوله: إن العلماء يعلمون تأويله، يعني القرآن، وهو ما يعنيه الطبري أيضا في تفسيره بقوله: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وبقوله: اختلف أهل التأويل في هذه الآية، ونحو ذلك، فإن مراده التفسير.

2-هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبا، كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا، كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام، كالتفسير والشرح والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب واللسان، وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضية أم مستقبلة، فإذا قيل: طلعت الشمس فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا في نظر ابن تيمية[3] هو لغة القرآن التي نزل بها وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني[4].

أما التأويل عند المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين والمتصوفين فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به[5].

---

[1] أساس البلاغة، للزمخشري -المرجع السابق- ج، ص15.

[2] التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية 1976، ج، ص15.

[3] هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني، ولد سنة إحدى وستين وستمائة، كان من بحور العلم ألف ثلاثمائة مجلدة، وامتحن وأوذي مرارا، مات سنة لمسان وعشرين وسبعمائة.

طبقات الحفاظ للسيوطي -المرجع السابق- ص520-521 ترجمة رقم 1142.

[4] التفسير والمفسرون، للذهبي -المرجع السابق- ص17-18.

[5] التفسير والمفسرون، للذهبي -المرجع السابق- ص17-18.

وعرفه الراغب الأصفهاني بقوله: والتـــأويل ما يؤول إليه حقيقة الكـــــلام والعقـــل ولا يقتضيه ظاهرهما، وهو تفعيل من آل يؤول إذا رجع وذلك رد الكلام من بين المحتملات إلـــى المراد ... واستعمل في الرؤيا نحو قوله تعالى: (ويعلمك من تاويل الأحاديث)[1]، وذلك لأجل أن أكثر الرؤيا يقتضي ظاهره أمرا، وباطنه غيره، كمن رأى (سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)[2] وقوله في قصة العبد الصالح لما بين المقصود من فعله لموسى عليه السلام (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا)[3]، فسمى ذلك تاويلا لمـــــا كان ظاهر فعله لا ينبئ عن مقصوده[4]. وورد في أقاويل الثقات: التأويل هو أن يراد بـــــاللفظ ما يخالف ظاهره، أو هو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر[5].

وبالنظر إلى هذه التعاريف التي أوردناها نلاحظ أن تعريفي الســـلف اللذيـــن أوردهمـــا الدكتور الذهبي غير قائمين بما نريده من معنى الـــتأويل، فالتعريف الأول متعلق بالتفســـــير وأما الثاني فهو أيضا لا متعلق له بشيء مما نريده، وأما تعريف المتأخرين فهو تعريف متعلق بما نريده بيد أن فيه شيئا من الغموض في كلمتي الراجح والمرجوح، فلو كان المعنـــى الأول هو الراجح لما ساغ أن نصرفه إلى مرجوح، وما دام هناك دليل يقترن بالتاويل فإن المعنـــى الثاني هو الراجح، ولو كان التعريف بقولهم: هو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي لدليل يقترن به لكان أوضح، وأما تعريف الحنبلي في أقاويل الثقات، فقد أزال الغموض الذي ورد في تعريف المتأخرين غير أنه وقع في غموض آخر في قوله، إلى معنـــى آخـــر، بحيث لم يحدد المعنى الأخر، ولو قال: بمعنى آخر يحتمله اللفظ لكان أدق.

وأما تعريف الراغب الأصفهاني فإنه يتعلق بما يؤدي إليه التأويل لا بالتأويل نفســـه لأن ما يؤول إليه حقيقة الكلام والعقل كما يقول يتضمن المعنى الخفي الذي نريده بالتأويل، وبنـــاء على ما تقدم فإن تعريفنا للتأويل يكون كما يلي :

هو صرف معنى اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله لقرينة، ويترتب على تعريفنـــا هذا أمور ثلاثة:

---

[1] يوسف : 06.

[2] يوسف : 43.

[3] الكهف : 81.

[4] الاعتقادات، للراغب الأصفهاني -المرجع السابق- ص178-179.

[5] أقاويل الثقات -المرجع السابق- ص48.

1- أن اللفظ الذي يتطرق إليه التأويل له أكثر من معنى، معنى ظاهر غير مراد، ومعنى آخر خفي أو أكثر هو المراد.

2- المعنى الخفي الذي ينصرف إليه التأويل لا بدأن يكون من معاني اللفظ المؤول المحتملة، وعليه فلا يجوز صرف المعنى الظاهر إلى معنى آخر لا يحتمله اللفظ .

3- لا ينبغي صرف المعنى من الظاهر لأنه الأصل إلى غيره إلا بقرينة مانعة من إرادة المعنى الأول، وهذه القرينة قائمة على العقل والنقل معا، بأن يكون المعنى الظاهر مستحيلا عقلا مع وجود نص آخر يمنع من إرادة هذا المعنى، فيؤول اللفظ أو النص توفيقا بين النصين بإشراف العقل، فقوله تعالى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم)[1]، فالمعنى الظاهر للعدل، هو العدل المادي في النفقة والمعاشرة لكن العقل يأبى أن يمتنع ذلك بين النساء، -لأن الرسول صلى الله عليه وسلم -عدد وعدل وكذلك فعل بعض أصحابه، إذن فالمقصود بالعدل في هذه الآية شيء آخر، وهو العدل القلبي، وهو ما دل عليه الحديث بقوله :"اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"[2]، وقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم-هذا الحديث حين كان يعدل بين أزواجه ماديا ويحب عائشة أكثر منهن، ومثال ذلك أيضا قوله- صلى الله عليه وسلم- "خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا"[3]، فالمعنى الظاهر للصورة لا يقبله العقل لعلمنا استحالة تشابه الخالق مع المخلوق، ويعارضه النقل في قوله تعالى : (ليس كمثله شيء)[4]، فإذن لابد من معنى آخر غير هذاالمعنى الظاهر.

ومما تقدم نلاحظ أن هناك علاقة بين تعريفي التأويل اللغوي والاصطلاحي فكلاهما فيه رد وإرجاع، فإذاكان من معاني التأويل اللغوية الرد والإرجاع، ففي المعنى الاصطلاحي يرد المعنى الظاهر، ويرجع إلى أحد معانيه المحتملة، ويصير إليه.

وفي ختام هذا المطلب نذكر أن لفظ التأويل ومشتقاته قد ورد في القرآن بعدة معان، في آيات متفرقة، وهذه المعاني هي:

---

[1] النساء : 129.

[2] صحيح سنن المصطفى لأبي داوود السجستاني -المرجع السابق - كتاب النكاح ج1 ص233.

[3] أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خلق آدم وذريته، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني -المرجع السابق- ج9 ص319.

[4] الشورى : 09.

1- العاقبة وذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف:(هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله)[1] يعني عاقبة ما وعد الله تعالى به، وفي يونس (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)[2].

2- اللون، وذلك في قوله:(لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله)[3] يعني بألوانه.

3- تعبير الرؤيا،ومنه قوله تعالى: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث)[4]، ومنها(نبئنا بتأويله)[5]، وقوله: (أنا أنبئكم بتأويله)[6]، وقوله أيضا: (وعلمتني من تأويل الأحاديث)[7].

4- التحقيق: وذلك في قوله في سورة يوسف أيضا: (هذا تأويل رؤياي من قبل)[8]، يعني تحقيق رؤياي.

5- التفسير والتعيين:وذلك في قوله: (ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله)[9]، يعني ابتغاء منتهى ملك محمد وأمته وذلك حين زعم اليهود حين نزل على النبي-صلى الله عليه وسلم- فواتح السور أنها من حساب الجمل، وأن ملك امته على قدر حساب ما أنزل الله عليه من الحروف[10].

6- العاقبة والمصير: وذلك في قوله تعالى: (ذلك خير وأحسن تأويلا)[11].

7- تأويل الأعمال وذلك في قوله تعالى في سورة الكهف حكاية عن العبد الصالح: (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا)[12]، وقوله أيضا: (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه

---

(1) الأعراف : 53.

(2) يونس : 39.

(3) يوسف : 37.

(4) يوسف : 6.

(5) يوسف : 36.

(6) يوسف : 45.

(7) يوسف : 101.

(8) يوسف : 100.

(9) آل عمران : 07.

(10) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي - مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة 1987 ص218-219.

(11) النساء : 59.

(12) الكهف : 77.

صبرا)[1] فمراده بالتأويل هنا تأويل الأعمال التي أتى بها الخضرمن خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وبيان السبب الحامل عليها، وليس المراد منه تأويل الأقوال[2].

المطلب الثاني : الفرق بين التأويل والتفسير

عندما عرفنا التأويل لغة رأينا أن التفسير هو أحد معانيه اللغوية، فهل علاقة التأويل بالتفسير في اللغة هي نفسها في المعنى الاصطلاحي، أم أن هناك فرقا بينهما، وما هو رأي العلماء في ذلك؟ قبل الإجابة عن ذلك، وحتى يكون الحكم واضحا لا بد من التعريف بالتفسير كما عرفنا بالتأويل، ثم نتحدث بعد ذلك عن علاقتهما ببعض، والفرق بينهما.

أولا: تعريف التفسير: ا-لغة: التفسير في اللغة هو الإيضاح والتبيين لقوله: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)[3]. أي بيانا وتفصيلا، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف، قال في القاموس: الفسر الإبانة وكشف المغطى كالتفسير والفعل كضرب ونصر...[4] وقال في لسان العرب: الفسر البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا، وفسره أبانه، والتفسير مثله... ثم قال: الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[5]. وقال أبو حيان[6] في البحر المحيط... ويطلق التفسير أيضا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب[7]: تقول: فسرت الفرس، عريته لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا يريده منه من الجري[8]. ومن هذا يتبين لنا أن التفسير لغة

---

[1] الكهف : 81.

[2] التفسير والمفسرون، للذهبي -المرجع السابق- ص17.

[3] الفرقان : 33.

[4] القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي -المرجع السابق- ج2 ص110.

[5] لسان العرب، لابن منظور -المرجع السابق- مجلد 4 ص1095.

[6] هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف، نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقريه، ومؤرخه وأديبه، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، من تصانيفه البحر المحيط في التفسير، مات بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

- شذرات الذهب، لابن العماد، -المرجع السابق- ج6 ص145.

[7] هو أبو العباس أحمد بن يحي بن يزيد - المعروف بثعلب، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، سمع ابن الأعرابي والزبير بن بكار، وروى عن الأخفش الأصغر وأبو بكر بن الأنباري، كان ثقة، حجة صالحا مشهورا بالحفظ. من تصانيفه كتاب الفصيح، توفي سنة احدى وتسعين ومائتين عن إحدى وتسعين سنة.

- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص103.

[8] تفسير البحر المحيط -لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، الطبعة الثانية 1983 ج1 ص13.

يستعمل في الكشف الحسي وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول[1].

ب-تعريف التفسير اصطلاحا: قال الراغب الأصفهاني: والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها.. [2]. وعرفه أبو حيان في البحر المحيط بقوله: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك[3].

ثانيا: الفرق بين التأويل والتفسير:

لقد اختلف العلماء في الفرق بينهما وعلاقتهما ببعض اختلافا واسعا حتى قال ابن حبيب النيسابوري[4]: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه[5]. قال الذهبي: وليس بعيد أن يكون منشأ هذا الخلاف هوماذهب إليه الأستاذ أمين الخولي حيث يقول:وأحسب أن منشأ هذا كله هو استعمال القرآن لكلمة التأويل ثم ذهاب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب[6]. ويرى بعض العلماء أن التفسير والتأويل بمعنى واحد، وهو قول أبي عبيدة وطائفة معه[7]. وقال الراغب الأصفهاني: والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير أعم لأن كل تأويل تفسير، وليس كل تفسير تأويل، وذلك من وجهتين، أحدهما: أن كل لفظ يشكل على المخاطب إذا بين بما هو أسهل يقال هو تفسير، ولا يقال له تأويل، والثاني: أن التأويل لا يقال إلا في المركبات من الألفاظ دون المفردات، والتفسير قد يقال فيهما والتأويل يتسع نطاق مجاله

---

[1] التفسير والمفسرون، للذهبي -المرجع السابق- ج1 ص13.

[2] المفردات في غريب القرآن -الراغب الأصفهاني- ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني -دار المعرفة بيروت، لبنان- الطبعة الأولى 1998 ص381-382.

[3] تفسير البحر المحيط -المرجع السابق- ج1 ص13،14.

[4] هو أبو القسم الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري، المفسر، صنف في علوم القرآن والآداب، وله كتاب عقلاء المجانين، سمع من الأصم وجماعة.

- شذرات الذهب المرجع السابق- ج3 ص181.

[5] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص221.

[6] التفسير والمفسرون، للذهبي -المرجع السابق- ص06.

[7] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص221.

نحو قوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)[1]، فإن من نظر دنيويا ولم يتعر من الشهوات قال في تأويله هو أن يتحمل ما يعلم انه يقصر لحمله مفردا في الحرب على مائة، ودخول البادية بلا زاد، ومن نظر نظرا أخرويا متعريا عن الشهوات قال: هو أن يقصر في أمر يجوز أن يعاقب على تركه لتقصيره في الحرب، وإن كثر أعداؤه إبقاء على نفسه[2]. وقال ابن الجوزي: التأويل العدول عن ظاهر اللفظ إلى معنى لايقتضيه، لدليل دل عليه، والتفسير هو إبداء المعنى المستتر باللفظ[3].وقال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله[4]. وقال ابن الكمال[5]: التأويل صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله، إذا كان المحتمل الذي تصرف إليه موافقا للكتاب والسنة كقوله: (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)[6]. إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا، أو المؤمن من الكافر والعالم من الجاهل كان تأويلا[7]. وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه، والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[8]، وقال غير هؤلاء التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية[9].

قال الذهبي مرجحا: والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال هو أن التفسير ما كان راجعا إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية، وذلك لأن التفسيرمعناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله -صلى الله عليه

---

[1] البقرة : 194.

[2] الراغب الأصفهاني -المرجع السابق- ص179.

[3] نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي -المرجع السابق- ص216.

[4] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ج2 ص221.

[5] هو محمد بن أحمد بن داود أبو عبد الله، ويعرف بابن الكمال، مقرئ، محدث، فقيه، ذو حظ من اللغة والعربية والآداب وُلِدَ قبل سنة أربعين وستمائة، رحل وتجول في بلاد الأندلس، من آثاره المتع في تهذيب المقنع، وله شعر، توفي سنة اثنتين وسبعمائة.

- معجم المؤلفين- عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الأولى 1993 ج3 ص63.

[6] الروم : 19.

[7] كتاب التوقيف على مهمات التعاريف تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي (952-1031) تحقيق الدكتور محمد رضوان الدايسة دار الفكر المعاصر بيروت -لبنان، دار الفكر دمشق سورية -الطبعة الأولى 1990 ص 157، والتعريفات للجرجاني ص 59.

[8] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع السابق- ص223-222.

[9] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي -المرجع نفسه- ص223-222.

وسلم- أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط بـــه مـــن حـــوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورجعوا إليه فيما أشـــكل عليهـــم مـــن معاني القرآن الكريم، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والـــترجيح بعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتهـــا فـــي لغـــة العـــرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك[1].

ومن خلال ما تقدم يمكن لنا القول أن الفرق بين التفسير والتأويل قائم من عدة أوجـــه: أولها: النصوص، فالتفسير يعالج كل النصوص محكمها ومتشابهها، بينما لا يعالج التـــأويل إلا النصوص المتشابهة، وهذا معنى ما ذهب إليه الراغب في العموم والخصوص الذي بينهمـــا. وثانيها: من حيث الوظيفة، فالتفسير، وتماشيا مع معناه اللغوي المأخوذ من الفسر وهو كشـــف المغطى، فوظيفته كشف المعاني المستترة وراء الألفاظ او العبارات ويحتاج في ذلك إلى علـــم الرواية، واللغة، وأما التأويل فوظيفته صرف اللفظ أو التعبير عن معناه الظاهر إلى الراجـــح من محتملاته، والمعنى هنا يكون مستترا بالإشارة لا بالعبارة وإذا كان المفسر يحتاج إلى علم الرواية وعلم اللغة أساسا فإن المؤول يحتاج إلى أكثر من ذلك، وهو الإلمام بجميع النصوص المتعلقة بالمعنى الذي يؤوله، فلا يؤول حتى يعلم استحالة الظاهر، ولا يـــؤول إلا لمعنـــى لا يخالف نصا، ويتماشى مع إشارة اللفظ أو العبارة ومنه فيشترط فيه كم هائل من المعلومـــات المتعلقة بالموضوع.

وثالثها: من حيث النتائج فالمعنى المبين بالتفسير مقطوع بصحته بسبب سهولة المهمة الراجعة إلى كون النصوص المفسرة محكمة، وبيانها يعتمد على علمي الرواية واللغة، وهما متوفران، بينما نتائج التأويل غير مقطوع بها لكونها تعالج نصوصا متشابهة تفتقر إلى الرواية، وتفهـــم عن طريق الإيحاء والإشارة، وهذا الغموض الذي يكتنف النصوص المؤولة هو الذي أدى إلى الاختلاف الواسع بشأنها بين العلماء والمؤولين، فيقولون مثلا إن لفظ اليد في قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم)[2] تطلق عادة على القوة والنعمة، ولكن لا يقطعون بأحد المعنيين، وبناء على ما تقدم فدرجة التأويل أعلى من درجة التفسير، فكل مؤول مفسر، وليس كل مفسر مؤول، ولا يصح تأويل من لم يعلم التفسير، وتتوفر فيه شروطه، وفي دعاء النبي -صلـــى اللـــه عليـــه

---

[1] التفسير والمفسرون، الذهبي -المرجع السابق- ج1 ص22.

[2] الفتح : 10.

وسلم- لابن عباس بقوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[1] إشارة إلى خصوصية التأويل وعلو درجته عن علم التفسير لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يدعو ولا يسأل الله تعالى إلا بالأعلى والأكثر نفعا.

ونشير في آخر هذا المبحث إلى أن التأويلات الفاسدة ونتائجها الوخيمة لم تأت من أناس مرنوا على التفسير ثم انشغلوا بالتأويل، وإنما جاءت من طرف أناس غاصوا في بحور التأويل قبل اشتغالهم بالتفسير وفي ذلك أكبر المزالق، كالجاهل بالسباحة الذي ترك الساحل وقفز ابتداء إلى لجة البحر فغرق وأغرق معه من تبعه، وهؤلاء قد أولوا ما لا يحتاج إلى تأويل، وأخطأوا فيما يحتاج إلى تأويل.

[1] سبق تخريجه.

المبحث الثاني : نشأة التأويل ونتائجه

المطلب الأول : نشأة التأويل

لم يكن الصحابة -رضوان الله عليهم- في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بحاجة إلى تأويل لأنهم كانوا رجال أعمال وأفعال، لا رجال جدل وأقوال، فهم تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- العمل وكيفية أدائه على أحسن وجه، ومادامت النصوص المتشابهة لا متعلق لها بالأعمال، فقد تركوا السؤال عنها، والخوض فيها، وقد سبق لهم أن سألوا عن الهلال قال تعالى: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)[1]، فالقرآن الكريم لم يجبهم عن سؤالهم كما سألوه، ما بال الهلال يكبر ثم يصغر... إنما أجابهم بما يفيدهم، (قل هي مواقيت للناس والحج).

هكذا مضى عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعد وفاته ظهرت البذور الأولى للتأويل وفي نظري أنها ظهرت بسبب الجهل باللغة وأحكام الإسلام لدى بعض الناس، وبسبب الكيد للإسلام لدى البعض الآخر، ثم ترعرعت في زمن الفتنة، وظهور الفرق وأصحاب الأهواء، وسؤال الناس عن أمور لم يسأل عنها من قبل، فانبرى بعض العلماء للرد على أهل الأهواء، وإزالة الإضطرابات التي أوقعوها في أذهان وعقائد العامة، فمنهم من منع التأويل أصلا، خصوصا في الأسماء والصفات، ومنهم من قصره على الخاصة من الناس، ومنهم من أراد أن يقرب النصوص إلى أذهان العامة حتى يسهل فهمها.

وفي عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قدم رجل يقال له "صبيغ" المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل عمر، وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال عبد الله بن صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين، فضربه حتى أدمى رأسه، وفي رواية فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم أعاد عليه الضرب، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعيده إليه، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا أوردني إلى أرضي، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين[2]. وقد ألحق عمر النكال بهذا الرجل لأنه مبتدع سأل عما لم يسأل عنه المسلمون من قبل،

---

[1] البقرة : 189.

[2] - ورد حديث صبيغ في سنن الدارمي عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل...الحديث، كما ورد عن نافع مولى عبد الله أن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين...الحديث - سنن الدارمي -المرجع السابق- باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع ج2 ص54، 55.

وتكرار العقوبة والضرب فيها أشد التحذير من المشي على خطاه، وكأن الفاروق -رضي الله عنه- يعرف ما يؤدي إليه التأويل، حيث رأى بعض الباحثين[1] أن عثمان بن عفان إنما قتل بتأويل قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[2]، وبتأويل هذه الآية نفسها خرج الخوارج على علي -رضي الله عنه- وعندما ذكرت الخوارج وقراءتهم للقرآن لابن عباس -رضي الله عنه- قال: يؤمنون بمحكمه ويضلون عند متشابهه[3]، ويرى الدكتور عمار الطالبي أن الخوارج سبقوا إلى التأويل بجماعة من أهل الردة الذين أولوا آية الزكاة ثم امتنعوا عن دفعها[4]. ولما قامت الحرب بين علي ومعاوية، وكان عمار بن ياسر[5] -رضي الله عنه- في صف علي، فلما قتل رأى بعض الصحابة أن الحق مع علي لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال عن عمار بن ياسر أثناء بناء المسجد النبوي:"تقتلك الفئة الباغية"[6]، فأول بعض أصحاب معاوية الحديث وقالوا إنما قتله من جاء به[7]، قال القسطلاني: هم أصحاب معاوية الذين قتلوه في وقعة صفين[8].

هذه هي البدايات الأولى والظاهرة لنشأة التأويل، وظل لمدة ليست قصيرة محل انتقاد وإعراض من طرف العلماء، ولكن مع تطور الخلاف بين الفرق، واستمرار الفتن نما التأويل وانتشر مع انتشار الأحاديث الموضوعة من أجل الانتصار للمذهب أو للرأي من طرف البعض وجهلا من طرف البعض الآخر، ومن النصوص التي أولها الخوارج قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)[9] قالوا نزلت في علي وفي وصفه، كما أولوا قوله تعالى: (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا)[10] بأنه يراد به علي وأصحابه أيضا، وأما قوله

---

[1] آراء الخوارج الكلامية لعمار الطالبي - المكتب المصري الحديث - الاسكندرية ج1 ص109.

[2] المائدة : 44.

[3] آراء الخوارج الكلامية، لعمار الطالبي -المرجع نفسه- ج1 ص109.

[4] آراء الخوارج الكلامية، لعمار الطالبي -المرجع نفسه- ج1 ص109.

[5] هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن مالك، كنيته أبو اليقظان قتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين، وله ثلاث وتسعون سنة -كتاب مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص43.

[6] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان -المرجع السابق- ج9 ص260، حديث رقم 6701.

[7] الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج3 ص158.

[8] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني -المرجع السابق- ج9 ص49.

[9] البقرة : 203.

[10] الأنعام : 71.

تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله)[1]، فأولوه بأنه نزل في عبد الرحمن بن ملجم[2]، قاتل علي –رضي الله عنه– تصويبا لعمله وتبريرا له[3]، وأما أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى في الآية التي سبقت فهم الخوارج من أهل النهروان[4].

وقد أورد ابن رشد كيفية نشأة التأويل وما خلفه من عواقب حيث رأى أن الشرع في الصورة التي أمدنا بها بمثابة دواء ناجع وصفه طبيب ماهر لحفظ صحة الناس فصادف أن استعمله رجل فاسد المزاج، رديء الطبع فلم يلائمه، فأول تركيب ذلك الدواء بأن في اسمه استعارة ومجازا، وأنه أريد به تركيب آخر، وبذلك أدخل عنصرا جديدا في ذلك التركيب على أنه مقصود من قبل الطبيب، فاستعمله أناس فإذا به كان سببا في إفساد أمزجتهم، وأتى أناس آخرون فزعموا أن هذا الدواء يشمل عناصر أخرى، قصدها الطبيب إلا أن المركّب للدواء لم يدخلها في حسابه، فعمدوا إلى تغيير تركيبه عن طريق تأويل ثان، وهكذا كلما زاد إفساد ذلك الدواء لأمزجة الناس جاء متأول ثالث ورابع فأول، وكل تأويل من تأويلاتهم يلحق بالناس مرضا آخر جديدا إلى أن فسد ذلك الدواء تماما، وخرج عن غايته وغرضه الذي وضع من أجله وهذه الصورة يشبهها ما آل إليه المسلمون من الفرقة الواقعة في شريعتهم، إذ كل فرقة تأولت بتأويل لم تاول به الأخرى، وبذلك مزقوا الشرع كل ممزق، وبعدوا به عن غرضه... ثم قال: وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم، ثم الأشعرية، ثم الصوفية ثم جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى[5].

هكذا كانت نشأة التأويل وبداياته الأولى، ونحن لا نعلق الآن على ما ذكره ابن رشد، وإنما سنبين مواقف الفرق والمذاهب في فصل لاحق، كما نبين موقف الغزالي في باب مستقل بعد هذا الباب.

---

[1] البقرة : 207.

[2] هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، جاء ليبايع عليا فرده مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها لتخضبن أو لتصبغن هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، وهو من حمير قتل سنة 40 هـ.

الطبقات الكبرى لابن سعد –المرجع السابق– ج6 ص24–25.

[3] آراء الخوارج الكلامية، لعمار الطالبي –المرجع السابق– ص118.

[4] النهروان بفتح النون والراء، وبفتح النون وكسر الراء، وبفتح النون وضم الراء، وبضمهما معا، وهو موضع بالعراق، وبه أوقع علي –رضي الله عنه– بالخوارج.

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، حققه وضبطه مصطفى السقا –عالم الكتب بيروت – الطبعة الثالثة 1983، ج4 ص1336–1337.

[5] آراء الخوارج الكلامية، لعمار الطالبي –المرجع السابق– ص107–108 – نقلا عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص180–182.

وفي الواقع فإن نشأة التأويل كعملية فكرية قد خلفت نتائج وآثار كبرى بعضها كان سلبيا وبعضها الآخر كان إيجابيا، وسنعالج ذلك في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني : نتائج نشأة التأويل

أولا: النتائج السلبية لنشأة التأويل :

لقد كان لنشأة التأويل عدة نتائج سلبية، ما كانت لتحدث لولا ظهور التأويل واستعماله على نطاق واسع، ويمكن تلخيص أهم هذه النتائج السلبية فيما يلي :

1- توسيع الهوة بين الفرق السياسية والعقائدية، فبعد أن كان الاختلاف بينها قائما على أسس بسيطة يمكن زوالها مع مرور الوقت، كما هو الشأن بالنسبة لمخالفة الخوارج بسبب التحكيم الذي رفضه حتى أبو موسى الأشعري أحد طرفيه، والإمام علي أحد موضوعيه انتقل الخلاف إلى مسائل أخرى في العمق، وأصبح الخوارج لا يكفرون من يقول بالتحكيم فحسب، وإنما يكفرون كل مرتكب كبيرة من وجهة نظرهم، ويسفكون دمه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وأول قتلاهم بعد خروجهم عبد الله بن خباب[1]، وزوجته الحامل، وقد قبل الإمام علي بالتحكيم، مع عدم اقتناعه به، ولما سئل في ذلك رد بأنه كره أن يتأول الناس عليه قوله عز وجل : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون)[2]. وتأويل الخوارج الفاسد لمقولة لا حكم إلا لله هو الذي جعل الإمام عليا يقول فيها، كلمة حق أريد بها باطل. وكما عزل التأويل الفاسد الخوارج عن بقية الأمة، عزل بعد ذلك بعض فرق الشيعة كالروافض[3] والباطنية[4]، وأصبح الجمع بين هذه

---

[1] هو عبد الله بن خباب بن الأرث بن جندله بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد من بني سعد بن زيد بن تميم، أصابه سباء في الجاهلية ثم أعتق، سأله الخوارج حديثا سمعه عن أبيه فحدثهم بحديث الفتنة التي فيها القاعد خير من القائم فقتلوه، وبسببه قاتلهم علي.

- الطبقات الكبرى- لابن سعد -المرجع السابق- ج6 ص189-190.

[2] آل عمران : 23.

[3] الروافض أو الرافضة سموا كذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر وهم مجمعون على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف وأنها قرابة.

- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية 1985 - دار الهداية - ج1 ص89.

[4] الباطنية، لقب لفرقة تحمل عشرة ألقاب هي: الباطنية، القرامطة، القرمطية، الحزمية، الحزمدينية، الاسماعيلية، السبعية، البابكية، المحمرة، التعليمية، ولقبوا بالباطنية لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر

- فضائح الباطنية- أبو حامد الغزالي حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة القاهرة 1964 ص11.

الفرق على إسلامها أمرا مستحيلا، كما امتد الخلاف وتوسع بين المعتزلة والأشاعرة من جهة، وبين الأشاعرة والحنابلة من جهة أخرى، ونتج عن هذه الخلافات تكفير وفتن وقتال بين هذه الفرق، وقد صور الإمام الغزالي ما سببه التأويل من خلاف حيث قال : "فالحنبلي يكفر الأشعري زاعما أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعما أنه مشبه، وكذب الرسول في أنه (ليس كمثله شيء)، والأشعري يكفر المعتزلي زاعما أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات تكثير للقدماء، وتكذيب للرسول في التوحيد"[1]. ولم يكتف الخوارج بتكفير بعض الفرق فقط في مسائل معينة، بل امتد تكفيرهم إلى غالب الأمة، كما هو الشأن بالنسبة للأزارقة[2] الذين يقصرون الإيمان على أنفسهم، وذلك ما يترجمه قول نافع بن الأزرق[3]، وهو يخاطب بني أمية الذين انهزموا أمامه في أسك، حيث يقول :

أألفا مؤمن فيما زعمتم *** ويهزمهم بأسك أربعون؟!

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم *** ولكن الخوارج مؤمنون

هم الفئة القليلة دون شك *** على الفئة الكثيرة ينصرون

ولاشك أن ثورات الخوارج ثم العلويين، والباطنية، والاسماعيلية [4]، قد أنهكت أوصال الأمة الإسلامية، ولم يكن ليحدث ذلك كله لولا تأويلاتهم الضالة.

2- والنتيجة الثانية لنشأة التأويل هي زعزعة عقائد العامة، ونزع هيبة الرب سبحانه وتعالى من بعض القلوب، وذلك أن الإيمان بعد عصر الصحابة لم يكن كما كان قويا نقيا،

---

[1] فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تأليف أبي حامد الغزالي -المرجع السابق- ص175.

[2] أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد، لم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولا أشد منهم شوكة، ومما يجمعهم قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، ومن كان على رأيهم ولم يهاجر إليهم مشرك، وامتحان من قصدهم مدعيا أنه منهم.

- الفرق بين الفرق للبغدادي -المرجع السابق- ص83.

[3] قتل سنة خمس وستين للهجرة.

- المنتظم لابن الجوزي -المرجع السابق- ج6 ص40.

[4] الاسماعلية: من فرق الشيعة، ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه اسماعيل، وافترق هؤلاء إلى فرقتين، فرقة منتظرة لاسماعيل مع أنه مات في حياة أبيه، وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن اسماعيل بن جعفر.

- الفرق بين الفرق، للبغدادي -المرجع السابق- ص62-63.

وإنما بدأ يضعف في الضمير العام للأمة بسبب البعد عن صاحب الوحي -صلى الله عليه وسلم- وضعف اللسان العربي بسبب دخول أجناس كثيرة في الإسلام، وظهور الفتن في أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي، فلما تأول المتأولون، وخاضوا في أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، ووضعوا أسماءه وصفاته تعالى تحت الدراسة، وتناولوها كما تناولوا غيرها من المواضيع، بدأت الهيبة تزول شيئا فشيئا من قلوب العامة، وبدأ التقديس يقل، وارتبكت العقائد عند بعض الفرق، فوقع بعضها في التشبيه، كما وقع البعض الآخر في التعطيل، والكل على ضلال.

ثانيا: **النتائج الإيجابية للتأويل**

وكما أن للتأويل سلبيات فله إيجابيات أيضا، وإلا لما دعا الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل[1]، والسلبيات التي ذكرناها للتأويل كانت واقعا في البلاد الإسلامية لفترة طويلة من الزمن، ولا تزال كذلك إلى اليوم لأن انتشار التأويل والجرأة عليه أدى أيضا إلى تأويل ما لا يحتمل التأويل، كما هو واقع اليوم على المستويات الرسمية للدول الإسلامية من تعطيل لأحكام الشريعة الإسلامية في الحياة، وذلك ناتج عن تأويلات فاسدة وافق عليها بعض علماء السوء، وأما الإيجابيات التي يمكننا رصدها للتأويل فنلخصها فيمايلي:

1- أن التأويل أزال بعض الالتباسات التي حدثت بعد عهد الصحابة في فهم النصوص حيث كثرت الأسئلة عن معاني بعض النصوص المتشابهة، فكان التأويل في بعض الأحيان هو الوسيلة الوحيدة لدرء تعارض النصوص من جهة، ودرء تعارض العقل مع النقل من جهة أخرى، والخوارج عندما خرجوا بتأويل خاطئ عن الجماعة إنما عاد بعضهم بعد مناقشتهم بتأويل صحيح أزال الخطأ الذي وقعوا فيه بتأويلهم في مسألة التحكيم، ومن النصوص السنية التي وضحت بالتأويل حديث "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه ولد غيره"[2]، فهذا الحديث فهمه بعض الناس على أنه ماء الري في الزراعة، قالوا: كنا نترك ماءنا يسيل إلى زرع غيرنا، ونحن نستغفر الله، فصححه بعض العلماء وبين بالتأويل أن الماء المقصود

---

[1] المسند للإمام أحمد -المرجع السابق- ج1 ص15. حديث رقم 3033 عن ابن عباس.

[2] صحيح سنن الترمذي باختصار السند تأليف محمد ناصر الدين الألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض الطبعة الأولى 1988 ج1 ص329-330 رقم 903.

هنا هو ماء الرجل الذي يكون به الولد، والزرع المقصود هو زرع هذا المـــاء فـــي المـــرأة، والمعنى لا يتزوج الرجل امرأة لم تنته عدتها بعد، ومنه قوله تعالى: (نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم)[1]، ولا يقولن قائل إن مثل هذه النصوص ليست من المتشابه لأن ظاهرهـــا واضح ، ونحن نقول أن النص لا يكون متشابها في ذاته، وإنما التشابه جاء تبعا لأفهام الناس، فما يراه بعضهم واضحالما توافر لديه من معلومات قد يراه آخر متشابها، فينبغي حمله علـــى المعنى الصحيح.

2- للتأويل فائدة أيضا في بيان النصوص التي يوهم ظاهرها بالتشبيه، فتحمـــل علـــى الحقيقة المرادة منها مع التنزيه، ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم-: "خلق الله آدم علـــى صورته"[2]، فهذا الحديث من المتشابه الذي قد يوهم ظاهره التشبيه لدى بعض الناس، وهنـــا ينبغي تأويله بأن المقصود من الصورة ليست صورة ربنا عز وجل لقوله تعالى: (ليس كمثله شيء)[3]، ثم نذكر الحديث بتمامه وهو: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورتـــه"، قال ابن خزيمة: توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله على (صورته) يريد صورة الرحمـــن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله خلق آدم على صورته، الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد -صلى الله عليه وسلم- أن الله خلـــق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذي قبح وجهه فزجر -صلى الله عليه وسلم- أن يقول ووجه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيـــه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحا وجـــه آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم[4]، وقال في أقاويل الثقات نقـــلا عن الخطابي[5] :إن الضمير في صورته يعود على آدم، بمعنى: أن الله تعالى خلقـــه ابتـــداءً على صورته التي أوجده عليها، ولم يردده في أطوار الخلقة كبنيه، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة،

---

[1] البقرة : 221.

[2] -سبق تخريجه ومورد في كتاب التوحيد لابن خزيمة -المرجع السابق- ص40 عن أبي هريرة وفيه: وطوله ستون ذراعا.

[3] الشورى : 09.

[4] كتاب التوحيد لابن خزيمة -المرجع السابق- ص37-38.

[5] هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي، كان ثقة، متثبتا من أوعية العلم، من تصانيفه شرح البخاري، ومعالم الســـنن، وغريب الحديث، وشرح الأسماء الحسنى والعزلة وغير ذلك، مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (388)

- طبقات الحفاظ للسيوطي -المرجع السابق- ص404-405.

ثم أجنة، ثم أطفالا، وفي الحديث الآخر، الضمير يعود على المضروب[1]، فالتأويل إذن له فائدة أساسية في توجيه النصوص المتشابهة إذا كثرت الاحتمالات.

3- لا يتأتى التأويل الصحيح إلا بتحصيل علوم كثيرة، كعلم اللغة، وعلوم القرآن، والبلاغة، وغير ذلك، فالتأويل بذلك يدفع بالمؤولين إلى تحصيل هذه العلوم والاستزادة من البحث والتنقيب، وهي فائدة لا تنكر.

وفي الأخير نقول: ليست إيجابيات التأويل وسلبياته في ذاته وإنما في نتائجه والنتائج السلبية للتأويل إنما تأتي عادة من تأويل ما لا يحتمل التأويل، وكذا من تحميل الألفاظ ما لا تحتمل لقرينة عقلية أو نقلية مانعة، والتأويلات الضارة في المجتمعات الاسلامية كان سببها الجهل أحيانا، والتعصب والكيد للإسلام أحيانا أخرى، والتأويل النافع والمفيد هو الذي لا يخالف شيئا من الشرع في نتائجه، بحيث تحمل الألفاظ والتعابير على ما يناسبها، ولا يتأتى ذلك إلا إذا توفرت بعض الضوابط، وهذه الضوابط هي:

لا تأويل إلا إذا استحال المعنى الظاهر عقلا أو نقلا، بأن يكون هذا المعنى غير مقبول لدى العقل السليم الواعي بأحكام الشرع، أو أن يكون المعنى الظاهر يخالف نصا صريحا آخر، ففي هذه الحالة يمكن التأويل مادام التوفيق بين النصين غير ممكن، ومثال ذلك الحديث الذي ذكرناه من قبل، ففي رواية أخرى رواها أحمد والبخاري ومسلم، أنه عليه السلام قال: "خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذارعا"[2]، فظاهر الحديث كما يفهمه بعض الناس غير مقبول عقلا ونقلا، فمن فهم أن الصورة تعود على آدم فليس يخالف ذلك شيئا من العقل أو النقل، وأما من فهم أنها تعود على الله عز وجل، فإن ذلك غير ممكن لأن العقل لا يقبل أن تكون صورة المخلوق كصورة الخالق، كما أن النقل يمنع ذلك أيضا، وذلك في قوله تعالى: (ليس كمثله شيء)، ومن هنا فيلتمس للحديث معنى آخر بطريق التأويل، وقد ذكرناه آنفا، ونقلنا قول الإمام ابن خزيمة في ذلك، ومن هنا نستخلص أن التأويل لا يتعلق إلا بالنصوص المتشابهة، وأما النصوص المحكمة فلا يتطرق إليها التأويل لوضوح معناها عقلا وعدم تعارض ظاهرها نقلا.

---

[1] أقاويل الثقات في الأسماء والصفات، للحنبلي -المرجع السابق- ص168.

[2] سبق تخريجه، وانظر كتاب التوحيد، لابن خزيمة -المرجع السابق- ص40.

2- لا تأويل إلا إلى معنى يحتمله اللفظ المؤول، ولا يعارضه نقل، فإذا صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى لا يحتمله اللفظ، فالتأويل يكون فاسدا، ومثال ذلك تأويل الباطنية لقوله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر ليصمه)[1]، حيث قالوا بأن المقصود بالصيام هو كتمان الأئمة في وقت استتارهم خوفا من الظالمين، ويستدلون بقوله تعالى : (إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا)[2]، قالوا: فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئا، فدل على أن الصيام الصمت[3]. ونحن نرد باختصار على هذا الافتراء فنقول بأن المقصود بالصيام في لغة العرب ليس هو عدم الكلام، وإنما هو مطلق الإمساك عن الكلام وعن الطعام وعن غيرهما، هذا هو معناه مجردا، ثم يوضع المعنى بعد ذلك تبعا لسياق الكلام، فالصيام في قول مريم: (إني نذرت للرحمن صوما) كان المقصود به الإمساك عن الكلام لورود قرينة وذلك في قولها: (فلن أكلم اليوم إنسيا)، وأما معنى الصيام في آية البقرة، فهو الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الشمس إلى غروبها بنية وقرينة ذلك قوله تعالى في أول الآية: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن...)[4]،وقوله بعد ذلك (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) [5]، فكل الناس يعرفون معنى صيام المسلمين في رمضان، والباطنية إنما استعملوا هذا التأويل وغيره من أجل التحلل من الفرائض والعبادات التي فرضها الإسلام، وسنتطرق إلى بعض تأويلاتهم في فصل لاحق.

3- ومن التأويلات الفاسدة في المجتمعات الإسلامية اليوم، تأويل الأحكام الإسلامية في مجال الحكم والمعاملات على أنها وضعت لعصور سابقة، ومنه فليست هذه المجتمعات مطالبة بتطبيقها اليوم، وهذا تأويل لاشك في فساده، وهو تأويل ما لا يحتمل التأويل، بل إن معاني هذه الأحكام قد أيدها العقل السليم، وعضدتها التجارب، وتواترت عليها النصوص، وقد أحدثت هذه التأويلات الفاسدة فتنا واضطرابات واسعة في المجتمعات الإسلامية التي نأت بقوانينها الوضعية عن هذه الأحكام ولا نكاد نجد دولة إسلامية عطلت أحكام الشريعة الإسلامية بهذه

---

[1] البقرة : 184.

[2] مريم : 25.

[3] كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة -المرجع السابق- ص26.

[4] البقرة : 184، 186.

[5] - البقرة : 184، 186.

التأويلات الفاسدة إلا ونجد فيها فتنا واضطرابات مختلفة، كما أدت هذه التأويلات ومـــا نتـــج عنها من تحلل من أحكام الإسلام وأخلاقه إلى ظهور جماعات أخرى، استعملت نفس الســـلاح وهو التأويل الفاسد لبعض النصوص، وخرجت بتكفير خلائق كثـــيرة مـــن المســـلمين، وقـــد ضاعت أحكام الإسلام بين هؤلاء المفرطين وأولئك المفرطين، والحقيقة التي لا محيد عنها أن قوله تعالى: (فاحكم بينهم بما أنزل الله)[1]، إنما هو موجه لكل المسلمين في كل زمان وفي كل مكان وأن ذلك الحكم يشمل كل مجالات الحياة من عبادات ومعاملات، وأمـــور الحكـــم، ولا قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى، فيبقى النص على عمومه وشموله ووجوبه لم يقـــل بهـــذا التأويل عالم من علماء المسلمين، وإنما تعرض إلى تأويلها أناس لا حظ لهم لا من العلـــم ولا من الإيمان، وكذلك فإن قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكـــافرون)[2]، لا تدل على أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، فهذه الآية وإن وردت عامة، فـــإن لهـــا مخصصات، ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا اللـــــه، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا حرمه على النار"[3]، وقوله تعالى: (إلا من أكره وقلبـــه مطمئن بالإيمان)[4]، ومن هنا فإن الكفر في هذه الآية إنما يلزم من كذب بها، وأنكر نزولهـــا، أو لم يعترف بها أصلا، فهذا كافر باتفاق وإن قال لا إله إلا الله لأنها لم تكن خالصة من قلبه، وأما من قال لا إله إلا الله ولم يحكم بما أنزل الله تهاونا وتشهيا، فهو فاسق لا غير، وعليـــه ينطبق قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)[5]، وما نقوله عن تـــارك الحكم بما أنزل الله، نقوله عن تارك الصلاة، وحديث: "إن بين الرجل وبين الشـــرك والكفـــر ترك الصلاة"[6]، فالحديث ينبغي تأويله إلى من ترك الصلاة جحودا وإنكارا لفرضيتها لا لمن تركها تكاسلا وتهاونا مع اعترافه بها، فقد ذهبنا إلى هذا التأويل لوجود قرينة مانعة من الكفر وهي حديث الشهادة الآنف الذكر وغيره من أحاديث التوحيد المبينة لفضائل قـــول لا إلـــه إلا الله، والواردة في الصحاح، وقد مات بعض من أسلم قبل أن يصلي: ثم إن هذا الحديـــث ورد

---

[1] المائدة : 50.

[2] المائدة : 44.

[3] إرشاد الساري، -المرجع السابق- ج1 ص220. البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم.

[4] النحل : 106.

[5] المائدة : 47.

[6] إرشاد الساري، -المرجع السابق- (الهامش) ج1 ص395. مسلم كتاب الإيمان حديث 134.

عاما لم يستثن مكرها ولا صغيرا ولا مريضا ولا معذورا، ومن هنا ساغ تأويله، فالصلاة إذن إنما يكفر منكرها لا من تهاون فيها، وقلبه مطمئن بالإيمان بها.

فلو التزم المسلمون اليوم بهذه الضوابط التي وضعناها للتأويل، لما أهملت أحكام الإسلام، وامتلأ البر والبحر بالفساد، ولما وقعت فتن وحروب أهلية كثيرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث :
التأويل عند الفرق الإسلاميـــة

تمهيد :

في هذا الفصل سوف نرى مواقف العلماء والفرق السابقة لعصر الغزالي مـــن قضيـــة التأويل، حتى إذا تناولنا موقف الإمام الغزالي من هذه القضية بعد ذلك أمكننا معرفة الاتجـــاه والمنحى الذي نحاه في تأويله، فنتناول موقف أهل السنة بسلفهم وخلفهم من التـــأويل، وكـــذا مواقف وتأويلات أهم الفرق التي خاضت في التأويل مثـــل الخـــوارج والشـــيعة والمعتزلـــة والجهمية، كما نبرز تأويلات الباطنية، فهم وإن كانوا من الشيعة إلا أنهم تميزوا عنها بمواقفهم الفكرية والسياسية، وشغلوا العالم الإسلامي وملأوه بالفتن لمدة طويلة، وكانت لهـــم تـــأويلات غاية في الخطورة، حتى طلب الخليفة العباسي من الغزالي أن يـــرد عليهـــم فـــالف كتـــاب المستظهري وغيره.

المبحث الأول : التأويل عند أهل السنة

أهل السنة هي فرقة جماهير المسلمين، وهي الفرقة الناجية، وما عداها في النار، وأهل السنة هم أهل الحديث من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسموا بذلـــك لأنهم التزموا بالعمل بما ورد في السنة، ودافعوا عنها لما ظهر الوضع في الحديث، وانتشـــر الاختلاق والكذب على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وأهل السنة فرقة واحدة من حيـــث المعتقد والتصور، بيد أننا في قضية التأويل لاحظنا وجود اختلاف بين خلـــف هـــذه الفرقـــة خصوصا في تأويل بعض الصفات،وبناء على ذلك فسوف نتناول موقف كل فرقة من التأويل، فنتناول في البداية موقف السلف ثم نتناول بعد ذلك موقف الخلف من هذه القضية.

وقبل أن نتناول موقف السلف من التأويل نشير إلى أن الباحثين اختلفوا كثيرا في مفهوم السلف والخلف، فهل يعرف السلف بالعصر والزمان، وما هو الفاصل الزماني المبين لذلك؟ أم هل يعرف السلف بعلماء معينين مثلا ومن هم؟ أم هل هم أصحاب الإجمـــاع مـــن القـــرون الأولى؟ وهل السلف هو أحد الأدلة الشرعية؟ وكل جواب عن هذه التساؤلات يفتقر إلى الدليل.

إن "سلف" و"خلف" كلمتان شائعتان في تراثنا الإسلامي، وقد وردت الإشارة إليهما في القرآن الكريم وفي السنة، فقال تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف)[1] أي لا يجوز لكم أن تجمعوا بين الأختين في الزواج إلا ما مضى فإنه مغفور[2]، كما وردت هذه اللفظة في مواضع أخرى تدل على نفس المعنى أي ما سبق وما مضى، وقد استعمل ابن كثير في تفسيره لفظة السلف للتعبير على أقوال الصحابة والتابعين، فهو عندما يفسر آية يقول ذكر أقوال السلف ويذكر بعدها أقوال الصحابة والتابعين. كما وردت لفظة الخلف في قوله تعالى: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)[3]، وروي عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، ثم يكون خلف يقرأون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر[4].

والحقيقة أن مفهوم السلف والخلف من حيث اللغة معلوم، فسلف المرء آباؤه وأجداده، وخلفه أبناؤه وأحفاده، لكن مفهوم السلف في موضوعنا هذا يتعدى حدود المعنى اللغوي إلى اصطلاح خاص به، ولو تركناه للمعنى اللغوي فحسب لسقطت هيبة السلف التي نعرفها من قلوبنا، وسوينا بينهم وبين غيرهم، ومن المؤكد أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يستعملون لفظة السلف مثلا للدلالة على علماء أو صالحين سابقين لهم، وهذه الكلمة (السلف) إنما استعملت بعد عصر التابعين للدلالة على الصحابة والتابعين، ولم نقرأ أن أحدا من التابعين استعمل هذه الكلمة للدلالة على الصحابة، فالتابعون يقولون مثلا كان أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا يقولون كان السلف، كما أن التابعين ولا حتى تابعيهم ما كانوا يعبرون عن أنفسهم بالخلف، ومن هنا فبرأينا أن مذهب السلف- إن صح تسميته مذهبا، هو مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فمن التزم بما التزم به الصحابة والتابعون فهو على مذهب السلف وإن بعد عهده عنهم، ومذهب الخلف هو مذهب من جاء بعد عصر التابعين مخالفا لما عرف من مذهب السلف من الصحابة والتابعين، وأما السلف عند الغزالي فهو مذهب الصحابة والتابعين[5]، والظاهر من كلام ابن تيمية أن السلف هم القرون الثلاثة

---

[1] النساء : 23.

[2] الكشاف، للزمخشري -المرجع السابق- ج1 ص518.

[3] مريم : 59.

[4] كنز العمال -المرجع السابق- ج 11 ص 195 حديث رقم 31197.

[5] إلجام العوام عن علم الكلام -المرجع السابق- المقدمة - ص53.

الأولى[1] ومن سلك سبيلهم لحديث : خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[2]، ومما سبق يمكن تحديد المفهوم العام لمذهب السلف، وهو مذهب الصحابة والتابعين ومن التزم طريقهم، وأما من جاء من بعدهم وسار على عموم نهجهم فهو الخلف، وسوف نتناول تأويل كل طرف على حده.

المطلب الأول : التأويل عند السلف.

كان السلف -رضوان الله عليهم- رجال أعمال وأفعال، لا رجال جدل وأقوال، وقد تعلموا من الرسول-صلى الله عليه وسلم- كيفية الاستفادة من أوقاتهم فيما لم يكلفوا بالبحث فيه، وكان كل اهتمامهم منصبا على إرضاء ربهم، وتأمين الطريق لأنفسهم إلى رحمته، ومن هنا فإنهم لم يبحثوا ولم يسألوا عما لا حاجة لهم فيه في أمر دينهم ولا دنياهم، ومنه جاء موقفهم من التأويل، فهم قد أولوا بعض النصوص التي يترتب عليها عمل مما يتماشى مع النصوص الجلية، مثل قوله تعالى: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه)[3]، فالظاهر من الفعل نقدر أنه مأخوذ من القدرة، ولكن ذلك لا يستقيم مع ما عرف عن الأنبياء وذا النون نبي، ولا يجوز في حقه الجهل بصفة بارزة من صفات الله وهي القدرة، ومنه فقد أولوا وقالوا بأن الفعل "نقدر" مأخوذ من التقدير لا القدرة، أي فظن أن لن نضيق عليه في بطن الحوت، ونقدر عليه العقوبة، وقد روي نحو هذا عن ابن عباس وغيره[4]، كما تأول السلف قوله-صلى الله عليه وسلم- "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"[5]، فظاهر الحديث يخالف قوله تعالى(ولا تزر وازرة وزر أخرى)[6]، فأول السلف، وقالوا بأن الميت الذي يعذب هو الذي كان يبكي على غيره، أو لم ينه عن البكاء، وأولى من ذلك من كان أوصى قبل موته بأن يبكى عليه، كما أولوا البكاء في الحديث إلى لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، دون بكاء الرحمة، لأن النبي-صلى الله عليه وسلم- بكى على ابنه ابراهيم، وعلى

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية -مطابع الرياض الطبعة الأولى1381 هـ ج9 ص355.

[2] ورد الحديث في صحيح مسلم بلفظ : خير أمتي القرن الذي يلوني، ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته كتاب الفضائل باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.
-إرشاد الساري -المرجع السابق- ج9 ص418.

[3] الأنبياء : 87.

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير -المرجع السابق- ج9 ص192.

[5] إرشاد الساري -المرجع السابق- ج9 ص402. صحيح البخاري كتاب الجنائز باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه"

[6] فاطر : 18.

عمه حمزة، ولما سئل قال: "هذه رحمة"[1]. بينما قال في البكاء الآخر الممنوع: "ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية"[2]. وتأويلات السلف لا تخرج عن هذا النطاق، أما الخوض في النصوص المتعلقة بالصفات، فقد كان السلف بعيدين عن ذلك، فلم يقولوا إنها حقيقة ولا إنها مجاز، بل كانوا يقرأون هذه النصوص مؤمنين مسلمين بما فيها، وينهون عن الخوض فيها، وقد عاقب عمر بن الخطاب صبيغا القعشبي الذي كان يسأل عن معاني بعض المتشابهات ولما سئلت أم سلمة عن الاستواء قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول[3] وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن[4] مثل قول أم سلمة. وروي عن الإمام مالك أنه قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[5]. وقال الشافعي: أمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-[6]، وقال الإمام أحمد: استوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر[7]، وهكذا كان شأن جميع سلف أهل السنة مع جميع نصوص الصفات، وأما ما نقل عن بعض الصحابة من كلامهم في مسائل القدر والوعد والوعيد، وما إلى ذلك، فإنهم اضطروا إلى ذلك اضطرارا، فالإمام علي تكلم في الوعد والوعيد مناظرا للخوارج، وفتنتهم مشهورة، كما ناظر القدرية في المشيئة والاستطاعة والقدر، كما تبرأ عبد الله بن عمر من معبد الجهني[8] في نفيه للقدر، وكذلك كان شأن بعض التابعين كعمر ابن عبد العزيز وزين العابدين بن علي والحسن البصري والشعبي[9] والزهري[10] وغيرهم[11].

---

[1] إرشاد الساري -المرجع السابق- ج2 ص401-402.

[2] إرشاد الساري -المرجع نفسه- الهامش ج1 ص444. صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب.

[3] المختار من الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة ص163.

[4] هو ربيعة ابن أبي عبد الرحمن، مولى التيميين، كنيته أبو عثمان وهو الذي يقال له ربيعة الرأي، من فقهاء أهل المدينة، وحفاظهم، وعلمائهم بأيام الناس وفصحائهم، عنه أخذ مالك الفقه، مات سنة ست وثلاثين ومائة.
- كتاب مشاهير علماء الأمصار -المرجع السابق- ص81.

[5] المنخول للغزالي -المرجع السابق- ص172.

[6] مجموع فتاوى ابن تيمية -المرجع السابق- ج4 ص354.

[7] أقاويل الثقات -المرجع السابق- ص121.

[8] هو معبد بن عبد الله بن عليم الجهني، روى حديث الدباغ، كان أول من قال بالقدر في البصرة، قتله الحجاج، وقيل عبد الملك بن مروان بدمشق سنة ثمانين للهجرة.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج4 ص75.

[9] عامر بن شراحيل ابن عبد الشعبي، كان مولده سنة إحدى وعشرين وكان يكنى بعمرو، من الفقهاء في الدين وحملة التابعين، أدرك خمسين ومائة من الصحابة ومات سنة خمس ومائة - كتاب مشاهير علماء الأمصار -المرجع السابق- ص102.

[10] هو محمد بن مسلم بن عبد الله ابن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، ويكنى أبا بكر، اشتغل في بداية أمره بمعرفة أنساب قومه من قريش، ثم انصرف إلى الفقه، وسمع أولا من سعيد بن المسيب، ثم لازم عدة خلفاء من بني أمية، ابتداء بعبد الملك بن مروان، ولد سنة ثمان وخمسين، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة.
- الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج5 ص348 وما بعدها.

[11] الفرق بين الفرق المرجع السابق- ص675.

وعدم خوض السلف في نصوص الصفات، والعقائد عموما بنوه على أسس منها:

أ- الأساس العقلي: وهو يقوم على أن تعيين المراد من هذه المتشابهات إنما يجري على قوانين اللغة، واستعمالات العرب، وهي لا تفيد إلا الظن، مع أن صفات الله من العقائد التي لا يكفي الظن فيها بل لابد فيها من اليقين، ولا سبيل إليه فلنتوقف، ولنكل التعيين إلى العليم الخبير[1].

ب- الأساس النقلي: واعتمدوا فيه على عدة أحاديث منها قوله -صلى الله عليه وسلم- "تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله"[2]، فإذا كان التفكير في ذات الله منهي عنه، فإن الخوض فيه منهي عنه من باب أولى، وصفات الله تعالى فرع من الذات، فحكمها هو حكم الذات.

2- حديث عائشة -رضي الله عنها- وفيه (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم)[3] وهذا الحديث يتناول عموم المتشابه الذي ورد في القرآن، لكن يستثنى منه المتشابهات التي يترتب على معرفتها بعض أفعال المكلفين مثل بعض النصوص التي اختلف فيها الفقهاء كالقرء ونحوه.

3- ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري، أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال أن يكثر لهم من المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح الكتاب فيأخذ المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تاويله إلا الله، وأن يروا ذا علمهم فيضيعوه ولا يبالون عليه"[4].

4- ومنها ما أخرجه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: "إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"[5].

---

[1] مناهل العرفان للزرقاني -المرجع السابق- ج2 ص183.

[2] رواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة بلفظ ولا تتفكروا في الله -كتاب إتحاف السادة المتقين للزبيدي - المرجع السابق- ج 10 ص(18).

[3] سبق تخريجه.

[4] كنز العمال -المرجع السابق- ج10 ص200، حديث رقم 29051.

[5] المسند للإمام أحمد -المرجع السابق- ج10 ص174 حديث رقم 6702.

5- ومنها ما أخرجه الدارمي عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل... وقد مر.

والخلاصة أن مذهب السلف في التأويل هو مذهب التفويض، أي الإيمان بالمتشابهات، وتفويض معناها إلى الله، لأنهم لم يكلفوا بمعرفتها، ونهوا عن الخوض فيها، أما المتشابهات التي لها علاقة بالتكاليف، فهم قد أولوها بما يتناسب مع نصوص جلية أخرى.

المطلب الثاني : التأويل عند الخلف.

اختلف أهل السنة في تأويل نصوص الصفات إلى فريقين رئيسيين، فريق يقول بمنع التأويل مطلقا، فكل ما ورد في القرآن والسنة فيحمل على معناه الحقيقي الظاهر، ومن أصحاب هذا الفريق ابن خزيمة، والفراء وابن الزاغوني[1]، وابن عبد البر[2]، ثم ابن تيمية وابن القيم، وهؤلاء عندما يتحدثون عن مذهبهم يعبرون عليه بمذهب السلف، ومذهب السلف كما رأينا وكما سنرى يختلف عن هذا المذهب. وأما الفريق الثاني فيقولون بالتأويل إذا لم يستقم المعنى الظاهر، حيث يؤول النص بما يليق بكمال الله سبحانه وجلاله، وعلى هذا الرأي جمهور المتكلمين، وتحمس له من المتأخرين ابن جهبل الحلبي في كتاب الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية، ونصر هذا المذهب أيضا أستاذنا الدكتور طه دسوقي، في كتاب الجانب الإلهي من تفكير الغزالي، وفي تحقيقه لكتاب الحقائق الجلية لابن جهبل، وهناك فريق ثالث توسط الفريقين السابقين، فقال بأن المتشابهات الواردة في النصوص بعضها يحمل على الحقيقة، وبعضها يحمل على المجاز فيؤول، ومن أصحاب هذا القول ابن منده[3]، وابن دقيق العيد وغيرهما، وسنستعرض أقوال كل فريق وأدلته فيمايلي:

---

[1] أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن السري الفقيه شيخ الحنابلة وواعظهم وأحد أعيانهم ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة، قرأ القرآن وطلب الحديث، وقرأ الكثير من كتب الفقه والنحو والفرائض، صحبه ابن الجوزي وسمع منه الحديث وعلق عنه الفقه من آثاره الاقناع والواضح في الفقه، توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة.
- شذرات الذهب للحنبلي -المرجع السابق- ج4 ص80-81.

[2] هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، قال الباجي: أبو عمر أحفظ أهل المغرب، من آثاره كتاب التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد، وكتاب "جامع بيان العلم وفضله"، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة بشاطبة من شرق الأندلس عن خمس وتسعين سنة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج4 ص66.

[3] ابن منده: هو أبو زكريا يحي بن عبد الوهاب، كان من الحفاظ المشهورين كان كثير التصانيف، وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث، من آثاره تاريخ أصبهان، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة بأصبهان.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج6 ص168.

- الفريق الأول: وهم القائلون بمنع التأويل مطلقا، فكل ما ورد من أوصاف الله تعالى في القرآن والسنة تحمل على ظاهرها وحقيقتها، وبالغ بعضهم من نحو ابن حامد وابن الزاغوني فذهبوا إلى الجسمية والمادية، وقد رد عليهم بعض الحنابلة كابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، وذهب ابن تيمية ومن معه إلى أنها تحمل على حقيقتها بلا كيف، قال ابن تيمية: إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد -إلى ساعتي هذه- عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات بخلاف المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله - ما يخالف كلام المتأولين مالا يحصيه إلا الله وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق)[1] فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، وفيه قال أبو سعيد: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "يكشف ربنا عن ساق فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا"[2]، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: (يوم يكشف عن ساق) نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثيرا من هؤلاء، يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولا له، ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلا، وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة[3].

ويرفض ابن تيمية رفضا قاطعا أن يعبّر عن المعاني غير المستقيمة التي تفهم من النصوص، وتحتاج إلى تأويل، بالظاهر، حيث قال في الرسالة التدمرية: إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد أو ظاهرها ليس بمراد، فإنه يقال: لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك، فإن كان

---

[1] ن : 42.

[2] كتاب الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى عام 458هـ دار إحياء التراث العربي بيروت ص344.

[3] مجموع الفتاوى -المرجع السابق- ج6 ص394.

القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم فلا ريب أن هذا غير مراد، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال، والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين: تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ، حتى يجعلوه محتاجا إلى تأويل يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك، وتارة يردون المعنى الذي هو ظاهر اللفظ، لاعتقادهم أنه باطل[1] وليستدل ابن تيمية على منع التأويل وإرادة الظاهر اتخذ من إثبات حقيقة اليد نموذجا فبعد أن ذكر ابن تيمية الآيات التي ذكرت اليد، وهي قوله تعالى: (وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم، ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[2] وقوله تعالى لإبليس: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)[3]، وقوله أيضا: (وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)[4]، قال ابن تيمية: وقد تواتر في السنة مجيء "اليد" في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماء بيده اليمنى فالقائل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيدي المخلوقين، وأن يده ليست جارحة فهذا حق، وإن زعم أن ليس له يد زائدة على الصفات السبع مبطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة:

فأما الأول: أن اليد تكون بمعنى النعمة والعطية تسمية للشيء باسم سببه كما يسمى المطر والنبات سماء ومنه قول أبي طالب لما فقد النبي -صلى الله عليه وسلم-:

يا رب رد راكبي محمدا *** رده عليٌ واصطنع عندي يدا

وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه لأن القدرة هي تحريك اليد، يقولون: فلان له يد في كذا وكذا، ومنه قوله تعالى: (بيده عقدة النكاح)[5].

---

[1] الرسالة التدمرية لابن تيمية -المرجع السابق- ص34.

[2] المائدة : 64.

[3] ص : 75.

[4] الزمر : 67.

[5] البقرة : 235.

وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسه لأن غالب الأفعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد إشارة إلى أنه فعل بنفسه، قال الله تعالى: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء – إلى قوله: ذلك بما قدمت أيديكم)[1] أي بما قدمتم، فإن بعض ما قدموا كلام تكلموا به.

ونحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن في هذا كله، والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في أسمائه وآياته تأولوا قوله (بل يداه مبسوطتان) وقوله (لما خلقت بيدي) على هذا كله فقالوا: إن المراد نعمته، أي نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقالوا: بقدرته، وقالوا: اللفظ كناية عن نفس الجود من غير أن يكون هناك يد حقيقية، بل هذه اللفظة قد صارت حقيقة في العطاء والجود وقوله: (لما خلقت بيدي) أي خلقته أنا، وإن لم يكن هناك يد حقيقية، فهذه تأويلات فننظر فيما قدمنا:

– المقام الأول: إن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة، لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع كقوله: (إن الإنسان لفي خسر)[2]، ولفظ الجمع في الواحد كقوله: (الذين قال لهم الناس: إن الناس)[3]، ولفظ الجمع في الإثنين كقوله: (فقد صغت قلوبكما)[4].

أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له، لأن هذه الألفاظ عدد، وهي نصوص في معناها لا يتجوز بها، ولا يجوز أن يقال: عندي رجل، ويعني رجلين، ولا عندي، رجلان ويعني به الجنس، لأن اسم الواحد يدل على الجنس والجنس فيه شياع، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس، والجنس يحصل بحصول الواحد، فقوله (لما خلقت بيدي)[5] لا يجوز أن يراد به القدرة صفة واحدة ...، ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية.

---

[1] آل عمران : 181.

[2] العصر : 02.

[3] آل عمران : 173.

[4] التحريم : 04.

[5] ص : 75.

ولا يجوز أن يقال "لما خلقت أنا" لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد فتكون إضافته إلى اليد إضافة له إلى الفعل، كقوله: (بما قدمت يداك)[1]، (وقدمت أيديكم)[2]، ومنه قوله: (مما عملت أيدينا أنعاما)[3]، أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل وعدى الفعل إلى اليد بحرف الياء كقوله: (لما خلقت بيدي) فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه، ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال فعلت هذا بيديك، ويقال: هذا فعلته يداك، لأن مجرد قوله: فعلت كاف في الإضافة إلى الفاعل فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة.

ولست تجد في كلام العرب ولا العجم أن فصيحا يقول: فعلت هذا بيدي، أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها، وبهذا الفرق المحقق يتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة، ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة.

– المقام الثاني: أن يقال: هب أنه يجوز أن يعني باليد حقيقة اليد، وأن يعني بها القدرة أو النعمة، أو يجعل ذكرها كناية عن الفعل لكن ما الواجب لصرفها عن الحقيقة؟ فإن قلت لأن اليد هي الجارحة، وذلك ممتنع على الله سبحانه، قلت هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يدا من جنس أيادي المخلوقين، وهذا لا ريب فيه، لكن لم لا يجوز أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات؟ قال: ليس في العقل والسمع ما يحيل هذا، قلت: فإذا كان هذا ممكنا، وهو حق اللفظ فلم يصرف عنه اللفظ إلى مجازه؟ وكل ما يذكره الخصم من ذلك يدل على امتناع وصفه بما يسمى به –وصحت الدلالة– سلم له المعنى الذي يستحقه المخلوق منتف عنه، وإنما حقيقة اللفظ، وظاهر "يد" يستحقها الخالق كالعلم والقدرة بل كالذات والوجود.

– المقام الثالث: بلغك أن في كتاب الله أو سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أحد من أئمة المسلمين: أنهم قالوا: المراد باليد خلاف ظاهره، أو الظاهر غير مراد، أو هل في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية؟ فإن أقصى ما يذكره

---

[1] الحج : 10.

[2] الأنفال : 51.

[3] يس : 71.

المتكلمون قوله: (قل هو الله أحد)[1]، وقوله (ليس كمثله شيء)[2]، وقوله (هل تعلم له سميا)[3] وهؤلاء الآيات إنما يدللن على انتفاء التجسيم والتشبيه أما انتفاء يد تليق بجلاله، فليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه، فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده، وأن يداه مبسوطتان وأن الملك بيده، وفي الحديث ما لا يحصى، ثم إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأولي الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولا ظاهره، حتى ينشأ جهم بن صفوان[4]، بعد انقراض عصر الصحابة فيبين للناس ما نزل إليهم على نبيهم ويتبعه عليه "بشر بن غياث"[5] ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق، وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا -صلى الله عليه وسلم- كل شيء، ثم يترك الكتاب المنزل عليه وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم أن ظاهره تشبيه وتجسيم وأن اعتقاد ظاهره ضلال، وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه؟

وكيف يجوز للسلف أن يقولوا أمروها كما جاءت مع أن معناها المجازي هو المراد وهو شيء لا يفهمه العرب، حتى يكون بعض أبناء الروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار.

- المقام الرابع : من الأدلة الجلية القاطعة والظاهرة ما يبين أن لله "يدين" حقيقة، فمن ذلك تفضيله لآدم، يستوجب سجود الملائكة، وامتناعهم عن التكبر عليه، فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات، فإن قيل: قد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف كقوله (ناقة الله)[6] وبيت الله.

قلت : لا تكون الإضافة تشريفا حتى يكون في المضاف معنى أفرده به عن غيره، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما تمتاز به على جميع النوق والبيوت لما استحقا

---

[1] الإخلاص : 01.

[2] الشورى : 09.

[3] مريم : 65.

[4] هو أبو محرز الذي تنسب إليه الجهمية، كان في عسكر الحارث بن شريح الخارجي، يقص، ويعظ فحاربهم نصر بن سيار، فأسر في الحرب وقتل.
- المنتظم لابن الجوزي -المرجع السابق- ج9 ص267.

[5] بشر بن غياث: هو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي الفقيه الحنفي المتكلم، من موالي زيد بن الخطاب -رضي الله عنه- جرد القول بخلق القرآن، وكان مرجئا، وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، ولكنه علامة الكفر، روى الحديث عن جماعة، وكان يناظر الإمام الشافعي، توفي سنة ثماني عشرة ومائتين ببغداد.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص277-278.

[6] الشمس : 13.

هذه الإضافة، والأمر كذلك هنا، فإضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيديه يوجب أن يكون خلقه بيديه أنه قد فعله بيديه، وخلق هؤلاء بقوله: كن فيكون، كما جاءت به الآثار.

والفرق بين قوله تعالى: (لما خلقت بيدي) وقوله: (مما عملت أيدينا) من وجهين: أحدهما: أنه أضاف الفعل إليه وبين أنه خلقه بيديه، وهناك إضافة الفعل إلى الأيدي.

الثاني : أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس، كقوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)[1] أي يديهما، وقوله (فقد صغت قلوبكما) أي قلباكما، فكذلك قوله (مما عملت أيدينا).

وأما السنة فكثيرة جدا، مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: "المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين"[2] وقوله -صلى الله عليه وسلم- "يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه ليس يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة"[3] وفي الصحيح أيضا عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر"[4]، وفي الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يأخذ الرب عزو وجل سماواته وأرضه بيديه، وجعل يقبض يديه ويبسطهما ويقول: أنا الرحمن[5]، وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)[6]. وفي الصحيح: "إن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي"[7]،[8].

---

[1] المائدة : 39.

[2] ورد الحديث في صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو: "المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، المقسطون على أهلهم وأولادهم وما ولوا".
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، -المرجع السابق- ج1 ص409 رقم 4467.

[3] ورد الحديث في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة بلفظ قريب من هذا اللفظ.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان -المرجع السابق- ج2 ص54 حديث رقم 723.

[4] إرشاد الساري -المرجع السابق- بلفظ قريب ج10 ص252.

[5] ورد الحديث في صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر: يأخذ الله سماواته وأرضيه بيده، ثم يقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الرحمن، أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل منه حتى أني لأقول أساقط هو برسول الله.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، باب ذكر الأخبار عما يفعل الله بالسموات والأرضين في القيامة ج9 ص213، رقم 7280.

[6] الزمر : 67.

[7] ورد الحديث في صحيح البخاري عن أبي هريرة بلفظ : إن رحمتي غلبت غضبي. - إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص251.

[8] مجموع فتاوى ابن تيمية -المرجع السابق- ج6 ص362-372.

ومما سبق نستخلص طريقة هؤلاء في إثبات الصفات، حيث بنوها على عدة أسس منها: 1- إثبات ما ورد به السمع من الصفات، لا فرق بين الصفات المعنوية والذاتيـــة، وصفـــات الأفعال. 2- تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة جميع المخلوقات في أي شيء من صفاته، لقوله تعالى (ليس كمثله شيء)، وتنزيه الله تعالى يرجع إلى معنيين.

الأول: تنزيهه عن كل نقص يناقض كماله، فكل ما دل على ثبوت الكمال فإنه يدل على تنزهه عن النقص المناقض لكماله، والثاني: أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال فله المثل الأعلى سبحانه وتعالى. 3- اليأس من إدراك كيفية هذه الصفات لقوله تعالى (ولا يحيطون به علما)[1]. قالوا: منع السلف من الحديث عن كيفية هذه الصفات يتضمن موقفهم مـــن تأويلهـــا، وهو النفي، قال ابن القيم: ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفي للتأويل [2]. وإذا كان الاتجاه العام لدى هذا الفريق هو نفي التأويل فإنهم من وجهة نظرنا - قد أولوا بعـــض النصـــوص، وحملوها على غير المتبادر إلى الفهم، وإن كانوا ينكرون أن يكون ذلك تأويلا جريـــا علـــى اعتبارهم أن المتبادر إلى الفهم هو ما أحـــاطت به القرائن، لا ما تبادر بغـــير ذلـــك، ومـــن الأمور التي اختلفوا فيها، ونرى أنهم أولوها آيات المعية، ولنرى الآن هذه الآيـــات، ونـــرى أقوالهم فيها.والآيات التي تضمنت المعية هي قوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثـــة إلا هـــو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كـــانوا)[3]، وقوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)[4]، وقوله: (وهو الله في السموات وفـــي الأرض يعلـــم سركم وجهركم...)[5]، وقوله أيضا: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إلـــه)[6] فقـــالت الجهمية ومن سلك سبيلهم: إن هذه الآيات تدل على أن الله تعالى معنا بذاته، وأنه فـــي كـــل مكان[7]، وأما هؤلاء فقد أولوا هذه الآيات، وحملوا معية الله تعالى فيها على العلم، فقـــالوا إن الله معنا بعلمه، واستدلوا على ذلك في الآية الأولى بكونها تبدأ بالعلم وتنتهي به، فهـــي تبـــدأ بقوله: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجـــوى...) وتختـــم

---

[1] طه : 107.

[2] اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية -مكتبة دار البيان- الطبعة الثانية 1996، ص152.

[3] المجادلة : 07.

[4] الحديد : 04.

[5] الأنعام : 03.

[6] الزخرف : 84.

[7] رضا بن نعسان معطي - علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين - الطبعة الخامسة، ص106.

بقوله: (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) وقد اختلفوا في حمل هذه الآية على معية العلم، هل ذلك تأويل أو غير تأويل، فقال أبو القاسم الأصفهاني: فإن قيل قد تـــأولتم قوله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) وحملتموه على العلم؟ قلنا: ما تأولنا ذلك وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم لأنه قال في آخرها (إن الله بكل شيء عليم)[1]، وقال أبـــو حيـــان الأندلسي في البحر المحيط، قال الثوري[2]: المعنى علمه معكم، وهذه آية أجمعت الأمة علـــى تأويل هذه الآية وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات، ثم قال: وهو معكم، أي بالعلم والقدرة[3]، واختلافهم في صفة ما حملوا عليه هذه الآية راجع كمـــا أســـلفنا إلـــى المقصـــود بالظاهر لديهم، فلا شك أن الظاهر عند من منعوا أن يكون ذلك تأويلا هو المحفوف بالقرائن، بينما الظاهر عند غيرهم هو المجرد، ولا شك أن حمل هذه الآيات على معية العلم فيـــه مـــن القرائن ما يمنع معية الذات، لكون الله تعالى واحد ولا يحويه مكان، فكيف يكون مع كل أحد بذاته؟ ثم إن الآية دلت على سياق العلم، وهذه القرائن كافية لتأويل هذه الآية وحملها على غير ظاهرها المتبادر إلى الفهم المجرد عن العلم، ويبدو أن هؤلاء لديهم حساسية مفرطة من لفظة التأويل إذ ما المانع أن نسمي هذا تأويلا، وهو صحيح، والبلاوي التي أصابت الأمة ليست من مجرد التأويل، إنما من التأويلات الفاسدة، وما قال به هذا الفريق في معنـــى هذه المعية قـــال به الفريق الآخر، وكما أولوا المعية في هذه الآيات، وحملوها على معية العلم فقد أولوا المعية في قوله تعالى: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)[4]، وقالوا إنه معهم بالنصر والتـــأييد أيضا وليس بمجرد العلم، لأنه بعلمه مع كل أحد، وخلاصة القول في آيات المعية أنهم حملوها على العلم والقدرة والنصر والتأييد، واعتمدوا في ذلك على عدة قرائن هي:

1- أن الآيات التي ذكرت المعية، ورد فيها معنى العلم بالعبارة أو بالإشارة، فدلت على أن الله معنا بعلمه وقدرته، ومع بعض عباده بنصره وتأييده، ولو حملت المعية علـــى الـــذات لخالفت هذه الآيات آيات أخرى.

---

[1] المجادلة : 07.

[2] هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حمزة بن حبيب الثوري، أبو عبد الله، ولد سنة خمس وتسعين، ومات بالبصرة مختفيا عند عبد الرحمن بن مهدي في داره سنة إحدى وستين ومائة كان من الحفاظ المتقنين والفقهاء في الدين، مواظبا على الورع والعبادة.
كتاب مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص169-170.

[3] تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي-المرجع السابق - ج4 ص217.

[4] التوبة : 40.

2- ورد في مواضع كثيرة من القرآن أن الله تعالى في السماء مستو على العرش، ومن ذلك قوله: (الرحمن على العرش استوى)[1]، وقد ورد الاستواء في سبعة مواضع، وكذلك قوله: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض)[2]، وقوله: (يخافون ربهم من فوقهم)[3] وقد دلت هذه الآيات على أنه سبحانه في السماء مستو على عرشه، وعلمه محيط بكل شيء.

3- قد وردت آيات كثيرة تدل على إحاطة علم الله بجميع خلقه، منها قوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)[4]، وقوله أيضا (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)[5].

4- إن القول بمعية الذات يعني أن الله تعالى في كل مكان حتى في الأماكن القذرة التي يترفع المخلوق عنها، وذلك باطل لا يليق بالخالق، كما أن القول بمعية الذات قد أدى إلى انتشار فكرة الاتحاد والحلول، وهي فكرة ضالة دافع عنها بعض الصوفية بشدة.

وخلاصة القول في المعية عند هذا الفريق أن الله تعالى في السماء مستو على عرشه بذاته، وعلمه وقدرته مع كل شيء في كل مكان، وهم عندما حملوا المعية على هذه المعاني إنما اعتمدوا على التأويل، وكل ما ذكروه من أدلة هو قرائن صارفة للفظ عن معناه الأول.

نماذج من أقوالهم في بعض الصفات :

1- قولهم في الاستواء: ورد الاستواء في سبع آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)[6]، وقوله (ثم استوى على العرش)[7]، وقد اختلف أهل التأويل في الاستواء على نحو عشرين قولا[8]، وأما أصحاب هذا المذهب، فيثبتون الاستواء الحقيقي بلا كيف ولا تأويل واعتمدوا على الأقوال التي ذكرناها في مذهب السلف وهي أقوال أم سلمة، والإمام مالك، والشافعي، وغيرهم، وقالوا: قد تضمنت هذه الأقوال إثبات الاستواء مع عدم التأويل، ولو أولوا لم يقولوا الكيف غير معقول، لأن الكيف هو المجهول في الاستواء،

---

[1] طه : 05.
[2] الملك : 16.
[3] النحل : 50.
[4] غافر : 07.
[5] الطلاق : 12.
[6] طه : 05.
[7] الأعراف : 54.
[8] أقاويل الثقات المرجع السابق ، ص 123

والحقيقة أن الفرق بين مذهب هؤلاء ومذهب السلف هو الخوض في الاستواء، فالسلف تكلموا عن الاستواء كما ورد ولم يقولوا إنه حقيقة أو مجاز، وقول هؤلاء وحملهم لمعنى الاستواء على الحقيقة هو ضرب من الخوض في الصفات، والتأويل أيضا.

2-قولهم في الوجه: قالوا الوجه صفة ثابتة لله ورد بها السمع فتتلقى بالقبول دون تأويل، قال ابن خزيمة: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز عن أن يكون عدما كما قاله المبطلون لأنه ما لاصفة له تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا التي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وقال الله - جل ذكره في سورة الروم (فآت ذا القربى حقه...) إلى قوله (الذين يريدون وجه الله)[1]، وقال (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله)[2]، وقال (إنما نطعمكم لوجه الله)[3]، وقال (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى)[4]،[5].

وقال الخطابي في الوجه واليد والعين، وكل ما هو جوارح في المخلوقين: إنها ليست بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء، ولكنها صفات لا كيفية لها، ولا تتأول، فيقال معنى اليد النعمة أو القوة، ومعنى السمع والبصر العلم، ومعنى الوجه الذات على ما ذهب إليه نفاة الصفات[6].

وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يجدون فيه صفة مخصوصة[7].

---

[1] الروم : 38.

[2] الروم : 30.

[3] الدهر : 09.

[4] الليل : 19، 20.

[5] أقاويل الثقات، للحنبلي -المرجع السابق- ص138-139.

[6] أقاويل الثقات، للحنبلي -المرجع نفسه- ص139.

[7] أقاويل الثقات، للحنبلي -المرجع نفسه- ص139.

ونفس الكلام الذي قالوه من قبل قالوه في صفات الأعراض النفسانية، كالرحمة والغضب والحياء والاستهزاء والمكر، والفرح، والسرور والضحك، ونحو ذلك، فقالوا بإثباتها على حقيقتها بلا كيف، قالوا: وإيماننا بالصفات على هذا الوصف لا يقدح في إيماننا، قال الخطابي: فإن قيل كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علما بحقيقته، أو كيف نتعاطى وصفا بشيء لا درك له في عقولنا؟ قيل له: إن إيماننا صحيح بحق ما كلفناه منها، وعلمنا يحيط بالأمر الذي ألزمناه فيها، وإن لم نعرف لماهيتها حقيقة وكيفية، وقد أمرنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة ونعيمها والنار وأليم عذابها وعقابها،ومعلوم أنا لا نحيط بكل شيء منها على التفصيل وإنما كلفنا الإيمان بها جملة، ألا ترى أنا نعلم عدد أسماء الأنبياء وكثير من الملائكة ولا نحيط بصفاتهم، ولا نعلم خواص معانيهم، ولم يكن ذلك قادحا في إيماننا بما أمرنا أن نؤمن به من أمرهم وقد حجب عنا علم الروح، ومعرفة كيفيته، مع علمنا بأنه آلة التمييز، وبه تدرك المعارف، وهذه كلها مخلوقة لله، فما ظنك بصفات رب العالمين سبحانه[1].

وخلاصة موقف هذا الفريق من التأويل نلخصه في النقاط التالية:

1-أنهم يرفضون التأويل رفضا تاما من حيث المبدأ خصوصا تأويل الأسماء والصفات وقد بنوا موقفهم هذا على أساس أن الأصل في الكلام الحقيقة والظاهر لا المجاز والباطن.

2- أن الظاهر عندهم هو ما كان محفوفا بالقرائن، وقد رأينا ذلك في موقفهم من آيات المعية حيث فسروها كما فسرها أهل التأويل تماما بيد أنهم رفضوا أن يكون ذلك تأويلا، وقالوا إنه الظاهر.

3- أنهم يثبتون كل الصفات الواردة في القرآن والسنة على حقيقتها، ولكن بلا كيف، فيقولون إن لله وجها ويدين وقدما وجنبا، وحبا ورحمة ومكرا وانتقاما... ولكن كل ذلك لا يشبه شيئا مما هو عند المخلوقين، قالوا: وإثباتنا كل هذه الصفات التي وردت بها النصوص لا ينطوي عن أي تشبيه، فيمكن أن نفهم التشبيه لو قال مثلا يدا كيد أو سمعا كسمع، وغير ذلك من أدوات التشبيه، أما ولم يذكر ذلك فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[2]، وقد رد ابن جهبل الحلبي وتابعه أستاذنا الدكتور طه دسوقي

---

[1] أقاويل الثقات، للحنبلي -المرجع السابق- ص140-141.

[2] الشورى : 09.

على كلامهم هذا، وقالوا بأن قولهم: له يد حقيقية ولكن بلا كيف، فيه غموض، لأن اليد مثلا لها عدة معان، فإذا قلنا أنها بالمعنى الأول، فمعناها اليد التي يعرفها الناس، وذلك ضرب من التشبيه، قالوا: والبلكفة[1] التي جاؤوا بها إنما كان الهدف منها تخفيف وقع هذا الكلام على نفوس المسلمين.

- الفريق الثاني : وهم يرون أنه ما من نص من هذه النصوص أو كلمة من هذه الكلمات إلا وهي تطلق بالاشتراك على أكثر من معنى، وهذه المعاني بعضها يستعمل بالحقيقة، وبعضها بالمجاز ويقولون نختار المعنى المناسب بالنسبة لله عز وجل بحيث لا يترتب عليه محال، ومنه فإنهم يؤولون ويحملون اللفظ الذي استحال ظاهره من هذه المتشابهات على معنى يسوغ لغة، ويليق بالله عقلا وشرعا، ويستدلون على جواز التأويل بقولهم بأن المطلوب هو صرف اللفظ عن مقام الإهمال الذي يوجب الحيرة بسبب ترك اللفظ لا مفهوم له، وما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم، فالنظر قاض بوجوبه انتفاعا بما ورد عن الحكيم العليم، وتنزيها له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم[2]، وهذا مذهب عامة متكلمي أهل السنة من شافعية ومالكية كالجويني والغزالي، وابن العربي وغيرهم.

وإذا كان الفريق الأول قد لجأ إلى الإثبات فرارا من التعطيل، فإن هذا الفريق قد لجأ إلى التأويل فرارا من التشبيه، وهم يؤولون كل ما يوهم ظاهره بالتشبيه في حق الله عز وجل، بما يناسب تنزيه الله سبحانه، ومنه فإنهم يؤولون اليد بالنعمة أو القدرة، والعين بالكلاءة والحفظ والصون، والوجه يؤولونه مرة بصفة ذات كقوله: "إلا برداء الكبرياء على وجهه"، وفي بعضها الآخر من أجل كقوله تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله)[3]، وفي بعضها بمعنى الرضا كقوله تعالى: (يريدون وجه الله)[4] وقوله: (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى)[5]،[6]، وأما الاستواء على العرش فيؤولونه بالاستيلاء والقهر، وقد جاء تخصيص العرش بالاستيلاء لكونه أعظم المخلوقات، والاستيلاء عليه يتضمن الاستيلاء على غيره.

---

[1] قولهم بلا كيف.

[2] مناهل العرفان، للزرقاني -المرجع السابق- ج2 ص185

[3] الدهر : 09.

[4] الروم : 38.

[5] الليل : 20.

[6] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، -المرجع السابق- ج10 ص382، 383.

وأما الأعراض النفسانية كالرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء ونحو ذلك فيؤولونها بغاياتها لا ببداياتها، فلفظ الغضب مثلا في حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب بل غايته وغرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك لا يحمل الحياء على أوله وهو انكسار القلب بل على غايته وهو ترك الفعل[1]، وكذلك المحبة في قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه)[2] فيؤولون محبة الله للعبد على إرادة اللطف به والإحسان إليه، لا على ميل القلب إلى ما يلائم الطبع كما هو الحال في المخلوقين لأن الله منزه عن ذلك، وأما محبة العبد لله فهي محبة طاعته في أوامره ونواهيه، والاعتناء بتحصيل مراضيه، فمعنى يحب الله يحب طاعته وخدمته أو يحب ثوابه وإحسانه[3]، وقد أنكر الطوفي[4]، هذا وقال: والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وجميع مشايخ الطريق أن الله تعالى يحب ويُحب لذاته، وأما حب ثوابه فدرجة نازلة، وذكر أن أول من أنكر المحبة في الإسلام الجعد بن درهم[5] أستاذ الجهم بن صفوان، فضحى به خالد بن عبد الله القسري[6]، وذكر أن هؤلاء الذين ينكرون حقيقة محبة الرب ينكرون التلذذ بالنظر إليه[7].

نماذج من تأويلاتهم :

1- قال رسول الله-صلى الله عليه و سلم- :"خلق الله عز وجل آدم على صورتهوطوله ستون ذراعا...الحديث[8]. قال النووي: هذه الرواية ظاهرة في أن الضمير في صورته عائد

---

[1] أقاويل الثقات -المرجع السابق- ص74، 75.

[2]- المائدة : 54.

[3]- أقاويل الثقات -المرجع السابق- ص77.

[4] هو نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري ثم البغدادي الحنبلي، ولد بقرية طوفا، ودخل بغداد سنة احدى وتسعين وسبعمائة، حفظ الفقه وقرأ العربية والأصول وشيئا من المنطق، ورحل إلى دمشق، ولقي ابن تيمية والمزي والبرزالي، وسافر إلى مصر وجاور بالحرمين، كان شيعيا منحرف الاعتقاد، واشتهر بالرفض من آثاره الأكسير في قواعد التفسير، توفي سنة ست عشرة وسبعمائة.

- شذرات الذهب -المرجع السابق- ج6 ص39-40.

[5]- أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك، فأخذه هشام وأرسله إلى أمير العراق خالد القسري، وأمره بقتله، وضحى به خالد بعد صلاة عيد الأضحى، وكان الجعد يقول: ما كلم الله موسى ولا اتخذ ابراهيم خليلا.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير -المرجع السابق- ج4 ص255.

[6]- هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، أمير الحجاز ثم الكوفة، قتل سنة ست وعشرين.

- تقريب التهذيب، لابن حجر -المرجع السابق- ج1 ص260.

[7]- أقاويل الثقات -المرجع السابق- ص77-78.

[8]- الجامع الصحيح للإمام مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وصفة أهلها - باب جهنم أعاذنا الله منها.

إلى آدم وأن المراد أنه خلق في اول نشأته وتوفي عليها وهي طوله ستون ذراعا، ولم ينتقل أطوارا كذريته، وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير[1].

2- قال رسول الله-صلى الله عليه و سلم-: "فأما النار فلا تمتلىء، فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتليء وينزوي بعضها إلى بعض[2]، وفي رواية أخرى عن ابي هريرة حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط...فقال جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها، فقيل المراد بالقدم هنا المتقدم وهو شائع في اللغة ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب، قال المازري والقاضي الباقلاني: هذا تأويل النضر بن شميل[3] ونحوه عن ابن الأعرابي[4] وقيل إن المراد قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم، وقيل أيضا: يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية، قال القاضي: أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها، قالوا: ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى[5].

3- قوله (ولتصنع على عيني)[6] قال عبد الرحمان بن زيد بن أسلم[7] يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم، وفي قوله (تجري بأعيننا)[8] قال القسطلاني: أي المكان المحفوظ بالكلاءة والحفظ والرعاية[9].

4- قوله تعالى (لما خلقت بيدي)[10] قال مجاهد: اليد هاهنا بمعنى التأكد والصلة، مجازه

---

[1]- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص295.

[2]- الجامع الصحيح للإمام مسلم -المرجع السابق- كتاب الجنة وصفة نعيمها وصفة أهلها - باب جهنم أعاذنا الله منها.

[3]- هو النضر بن شميل المازني، أبو الحسن النحوي، نزيل مرو، ثقة ثبت، مات سنة أربع ومائتين، وله إثنتان وثمانون.
- تقريب التهذيب، -المرجع السابق- ج2 ص245.

[4]- هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة، وهو من موالي بني هاشم، كان أحول راوية لأشعار القبائل ناسبا عنه أخذ ثعلب وابن السكيت وغيرهم، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يحسنان شيئا من تصانيفه "النوادر" وكتاب الأنواء، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين عن إحدى وثمانين سنة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج4 ص306.

[5]- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص300.

[6]- طه : 39.

[7]- هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي العمري، روى عن أبيه، وجماعة، وهو ضعيف، كثير الحديث توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، -المرجع السابق- ج1 ص297.

[8]- القمر : 14.

[9]- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص383.

[10]- ص : 75.

لما خلقت أنا كقوله (ويبقى وجه ربك)[1] اي يبقى ربك، وقال القرطبي[2]: وقيل لمـــا خلقـــت بيدي لما خلقت بغير واسطة[3].

5- قوله تعالى (لأخذنا منه باليمين)[4]، قال الفراء[5]، والمبرد[6]: اليمين القوة والقـــدرة و أنشدا:

إذا مـــا رايـــة رفعـــت لمجـــد *** تلقـــاهـــا عرابـــة باليميـــن[7].

6- قال ابن العربي: وأما الضحك والفرح فحديث صحيح، ولكن أجمعت الأمة على أنها ليست بصفات وإنما الضحك عبارة عما يكون من فضله ويفيض من عطائه، كما يقال ضحكت الأرض إذا أبرزت زينتها. والفرح عبارة عما يظهر عنده من الجود والسخاء والبشر والقبول، وإلا فيقال لهم علام تقولون: إنه يمشي ويفرح ويهرول، ويأتي وينزل؟ فهل يجوع ويعطـــش ويمرض ويحتاج ويعرى؟ فإن قالوا: لا، قلنا: فقد قال: عبدي مرضت فلم تعدني، جعت فلـــم تطعمني، عطشت فلم تسقني، وفي رواية (استكسيتك فلم تكسني)، فيقول: فكيف يكـــون ذلـــك وأنت رب العالمين؟ يقول: كان ذلك بعبدي فلان، ولو فعلت به ذلك لوجدتني عنده[8]، ثم قال: فإن قالوا هناك فرق، فهذه صفات وهذه آفات، قلنا: لا بل هذه جوارح وأدوات وهي كلها نقص وآفات، فإن هذه الجوارح إنما وضعت للعبد جبلة لنقصه يتوصل ويتوسل بها إلى قصده، ومن له الحول والقوة، وإنما هو إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون، بلا آلة لـــه ولا جارحـــة، فلمـــا

---

[1]- الرحمن : 27.

[2]- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي صاحب كتاب التذكرة بأمور الآخرة والتفسير الجامع لأحكام القرآن الحاكي مذاهب السلف كلها، كان إماما حسن التصنيف جيد النقل، توفي بمصر سنة إحدى وسبعين وستمائة.
- شذرات الذهب، -المرجع السابق- ج5 ص335.

[3]- القرطبي الجامع لأحكام القرآن -دار الكتاب العربي - بيروت، ج17 ص228.

[4]- الحاقة : 45.

[5]- هو أبو زكريا يحي بن زياد، المعروف بالفراء، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، قال ثعلب لولا الفراء لما كانت عربية من تصانيفه كتاب "المعاني"، قال: أموت وفي نفسي شيء من "حتى" لأنها تخفض وترفع وتنصب. توفي سنة تسع ومائتين وعمره ثلاث وستون سنة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج6 ص176.

[6]- هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرد النحوي، كان إماما في النحو واللغة، من تصانيفه كتاب "الكامل" في أربعة أجزاء، وكتاب "الروضة" كان معاصرا لثعلب، وختم بهما تاريخ الأدباء، ولد سنة عشر ومائتين، وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج6 ص313.

[7]- الجامع لأحكام القرآن -المرجع السابق- ج17 ص278.

[8]- ورد الحديث في صحيح مسلم عم أبي هريرة بلفـــظ "يـــا بـــن آدم مرضـــت فلـــم تعدنـــي..." - كتـــاب الـــبر والصلـــة والآداب - صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي -الطبعة الثانية 1972 ج4 ص1990 حديث رقم 2569.

أضاف هذه الألفاظ الجوارحية عندنا إلى نفسه كذلك أضاف البيت والدار إليه، فهل بيته الذي هو الكعبة على قدره أو أكبر منه، وهل يدخله أم لا؟[1].

كما أول ابن العربي أيضا النزول في حديث ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا بأنه نزول إحسان وبركة لا نزول حركة[2].

- ومن الأحاديث التي اختلف الفريقان في تأويلها ما رواه عبد الله بن مسعود أن يهوديا جاء إلى النبي -صلى الله عليه و سلم- فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات على اصبع والأرضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول أنا الملك، فضحك رسول الله-صلى الله عليه و سلم- حتى بدت نواجذه ثم قرأ[3] (وما قدروا الله حق قدره)[4]، وزاد فيه فضيل بن عياض[5] عن منصور[6] عن ابراهيم بن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود تعجبا وتصديقا له، قال القرطبي: في المفهم ضحكه -صلى الله عليه و سلم- إنما هو للتعجب من جهل اليهودي، ولهذا قرأ عند ذلك (وما قدروا الله حق قدره) فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة، وأما من زاد (وتصديقا له) فليست بشيء فإنها من قول الراوي، وهي باطلة، لأنه -صلى الله عليه و سلم- لا يصدق المحال، وهذه الأوصاف في حق الله تعالى محال إذ لو كان ذا يد أو أصابع وجوارح لكان كواحد منا، ولو كان كذلك لاستحال أن يكون إلها، فقول اليهودي محال وكذب، ولذلك أنزل الله في الرد عليه (وما قدروا الله حق قدره)[7] وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار، فقال بعد أن أورد هذا الحديث في صحيحه في كتاب التوحيد بطرقه: قد أجل الله تعالى نبيه-صلى الله عليه و سلم- أن يوصف ربه بحضرته بما هو ليس من صفاته

---

[1]- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية للطالبي -المرجع السابق- ج2 ص303، 293/304.

[2]- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية للطالبي -المرجع نفسه- ج2 ص303، 293/304.

[3]- أي الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

[4]- الزمر : 67.

[5]- هو أبو علي الفضيل بن عياض، الزاهد المشهور، كان في أول أمره يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ثم تاب،قال له الرشيد يوما ما أزهدك! فقال الفضيل: أنت أزهد مني، قال وكيف ذلك؟ قال: لأني أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية والآخرة باقية، مات سنة تسع وثمانين ومائة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج4 ص47.

[6]- هو منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي، أبو عتاب، ثقة ثبت، وكان لا يدلس من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.
- تقريب التهذيب -المرجع السابق- ج2 ص215.

[7]- الزمر : 67.

فيجعل بدل الإنكار والغضب على الوصف ضحكا بل لا يصف النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الوصف من يؤمن بنبوته[1].

وخلاصة مذهب هذا الفريق في التأويل نلخصه فيمايلي: 1- تأويل كل ما استحال ظاهره من النصوص، وحمل اللفظ أو الألفاظ على المعاني التي يقبلها العقل ولا تخالف الشرع، قال ابن العربي: فإذا جاء ما ينفي العقل ظاهره فلا بد أيضا من تأويله، لأن حمله على ظاهره محال فيكون غير مفهوم، والشرع لا يأتي به فلا بد من تأويله[2].

2- يحمل اللفظ عند استحالة المعنى الظاهر على أقوى المعاني المحتملة له، ويتم ذلك بالنظر والاعتماد على القرائن المرجحة لهذا المعنى دون غيره.

3- اعتبر هذا الفريق أن بعض صفات الخالق -سبحانه- غير مرادة الظاهر، ومنه فإنهم قالوا بتأويلها، لكن اشترطوا في ذلك عدم الجمع بين ما تفرق منها، قال ابن العربي: إن الشرع جاء باليدين وباليد والكف والأصابع، وقل الساعد والذراع مفردات فلا تصلوها وتجعلوها عضوا، وتضيفوها وتركبوها بعضها إلى بعض، فإنكم تخرجون عن الظاهر إلى باطن التشبيه والتمثيل الذي نفاه عن نفسه، فما فرق لا يجمع، وما جمع من صفاته العلية لا يفرق[3].

وبين هذين الفريقين من الخلف نجد فريقا ثالثا توسط بينهما، ويمثله ابن دقيق العيد حيث قال: إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر، وإن كان بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرها مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف، كما في قوله: (يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله)[4] فحمله على حق الله وما يجب له[5].

تطبيق وتمثيل:

وللتمييز الواضح بين فرق أهل السنة، نطبق مواقفها على قوله تعالى: (الرحمن على العرش

1- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص388.

2- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية -المرجع السابق- ج2 ص311.

3- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية -المرجع السابق- ج2 ص299.

4- الزمر : 56.

5- مناهل العرفان، للزرقاني -المرجع السابق- ص185-186.

استوى)[1]، فكل أهل السنة متفقون على وقوع الاستواء على العرش، وأن الله تعالى منزه عن مشابهة جميع الخلائق، ثم افترقوا بعد هذا الاتفاق، فالسلف من الصحابة والتابعين لم يزيدوا على أن قالوا الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ولم يخوضوا بعد ذلك في معانيه لا بالنسبة لله، ولا بالنسبة لغيره، وأما الخلف، فاختلفوا فيه فذهب الفريق الأول منهم، إلى أن المقصود هنا هو الاستيلاء، واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ودم مهراق.

أي أن الله تعالى قد استوى على العرش، ولم يقف الأمر عند مجرد الاختلاف، فقام كل فريق ينتقد الآخر، فالفريق الثاني يرى بأن الفريق الأول القائل بالاستواء الحقيقي الذي هو الاستقرار يؤدي قوله إلى التشبيه، والبلكفة[2] التي ذكروها بعد ذلك لا تعني شيئا، بل هي تناقض بداية القول لأن قولنا بأن اللفظ يحمل على ظاهره وحقيقته فيه تحديد الكيفية، فما جدوى نفيها بعد ذلك، كما أن الفريق الأول يتهم الفرق الثاني بتعطيل صفة الاستواء، قالوا ولا يمكن حمل الاستواء على الاستيلاء، لأن الله تعالى، قد استوى على كل العالم، فما فائدة تخصيص العرش بالذكر، ويرد الفريق الثاني، لأن العرش أعظم مخلوق، واستيلاء الله عليه يتضمن استيلاءه على جميع الخلق، وهذه الاختلافات بين الفريقين واقعة في جميع الصفات التي يوهم ظاهرها بالتشبيه وليست في الاستواء فحسب، وكل فريق من هذين الفريقين يعبر عن مذهبه بمذهب السلف، لكن السلف كما أسلفنا شيء آخر.

---

[1]- طه : 05.

[2]- قولهم بلا كيف.

المبحث الثاني : التأويل عند الخوارج

تمهيد : الخوارج أول الفرق الإسلامية خروجا عن مذهب السلف، وأهل السنة، ويقال لهم المحكمة، والشراة والخوارج، وقد سموا محكمة لأنهم رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية وقالوا لا حكم ولا تحكيم إلا لله، وكفروا من رضي بالتحكيم، وأما تسميتهم بالشراة فلأنهم زعموا شراءهم مرضاة الله بأنفسهم، كما في قوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله)[1]، وانطلاقا من هذه الآية فهم يقتلون من يرون كفره حتى ولو تأكدوا أن القاتل منهم سيقتل، واختلفوا في أول من تشرى منهم، فقيل عروة بن حدير وقيل رجل من ربيعة من بني يسكر كان مع علي بصفين، فلما رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى على فرسه، وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلا، وحمل على أصحاب علي وقتل منهم رجلا، ثم نادى بأعلى صوته الا إني قد خلعت عليا ومعاوية، وبرئت من حكمهما، ثم قاتل أصحاب علي حتى قتله قوم من همدان[2].

وأما تسميتهم بالخوارج فلأنهم خرجوا عن طاعة علي بعدما كانوا منضوين تحت لوائه، وكذلك خرجوا عن المجتمع الإسلامي ككل حين حصروا أنفسهم بحروراء، وقاتلوا كل من وجدوه من المسلمين.

المطلب الأول : نشأة الخوارج ومبادئهم

يعود أصل الخوارج إلى رجل اسمه عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي الذي طعن في عدل وعدالة الرسول-صلى الله عليه و سلم- إذ بينما كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقسم ذهبا أرسله علي بن أبي طالب من اليمن، وقد خص به أربعة من الناس، جاء هذا الرجل فقال اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل، قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه قال: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه[3]، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر

---

[1]- البقرة : 207.

[2]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص74-75.

[3]- أي في ريش السهم ليعرف هل أصاب أو أخطأ.
إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص87.

في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه[1]، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه[2] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه، أو قال ثديه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدردر[3] يخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد الخدري-راوي هذا الحديث- أشهد سمعت من الرسول-صلى الله عليه و سلم- وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي-صلى الله عليه و سلم- قال: فنزلت فيه: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن اعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)[4].[5]. وذو الخويصرة هو حرقوص بن زهير، أصل الخوارج. وورد في حديث آخر قوله-صلى الله عليه و سلم- سيخرج قوم في آخر الزمان حداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة [6].

هكذا قال النبي-صلى الله عليه و سلم- في وصفهم، فلما كان زمن الفتنة وأراد علي أن يبعث أبا موسى، للحكومة أتاه رجلان من الخوارج أحدهما حرقوص بن زهير السعدي -وقد تقدم- فقالا له: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، قال حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، واعتبر حرقوص هدنة علي مع معاوية ذنبا يجب التوبة منه، وتوالت كلمات الخوارج كلما خطب علي، وقالوا لا حكم إلا لله، فقال علي: الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل، ثم إن الخوارج لقي بعضهم بعضا واجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم فزهدهم في الدنيا وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة، فقال له حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها إلى المقام بها... [7]. ولما

---

[1]- أي عقبة، أساس البلاغة للزمخشري -المرجع السابق- ص165.

[2]- أي صدره، أساس البلاغة -المرجع نفسه- ص461.

[3]- أصله تتدردر فحذفت احدى التاءين، أي تتحرك وتجيء وتذهب.
- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص88.

[4]- التوبة : 58.

[5]- صحيح البخاري - كتاب استتابة المرتدين - باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه.
- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص87-88.

[6]- صحيح البخاري - كتاب استتابة المرتدين - باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه.
- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج10 ص85.

[7]- الكامل لابن الأثير -المرجع السابق- ج3 ص169.

خرجت الخوارج صادفوا عبد الله بن خباب[1] ومعه امرأته، وكانت حاملا فقتلوهما لأنه أثنى على معاوية وعلي-رضي الله عنهما- ثم نزلوا تحت نخل فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه، فقال آخر: أخذتها بغير حلها، وبغير ثمن فألقاها، ثم مر بهم خنزير لأهل الذمة فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه[2].

هذه هي النواة الأولى لنشأة الخوارج، وهذه هي أفعالهم مع المسلمين، ومع غيرهم، وكانوا كما ورد في الحديث يكثرون من قراءة القرآن، فيسمع لهم أزيز كأزيز النحل، وكانت الخوارج في بداية أمرها فرقة واحدة، وبمرور الزمن افترقوا عشرين فرقة[3] أشهرها الأزارقة [4]، والنجدات[5]، والإباضية[6]، والصفرية[7]، ويجمع الخوارج كلها، تكفير علي ومعاوية، وعثمان وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم[8]، وزاد نجدة[9]، على مذهبهم أنه من لم يخرج لمحاربة المسلمين فهو كافر، وأبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال الحيض، ومنهم من أنكر الصلوات الخمس، وقال: الواجب صلاة بالغداة، وصلاة بالعشي، ومنهم من جوز نكاح بنت الإبن والأخت، ومنهم من أنكر سورة يوسف من القرآن[10].

1- هو عبد الله بن خباب بن الأرث، أصابه سباء في الجاهلية، ثم أعتق، سأله الخوارج حديثا سمعه عن أبيه فحدثهم بحديث الفتنة التي فيها القاعد خير من القائم فقتلوه بسببه قاتلهم علي.
- الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج3 ص189-190.

2- الكامل لابن الأثير -المرجع السابق- ج3 ص172-173.

3- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص74-75.

4- نسبة إلى نافع بن الأزرق.

5- أتباع نجدة بن عامر الحروري.

6- أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن أباض، وأن مخالفيهم من هذه الأمة ليسوا مؤمنين ولا مشركين، ولكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها في العلانية. والإباضية أربع فرق.
- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص103-104.

7- الصفرية أتباع زياد بن الأصفر، ويقولون كالأزارقة بأن أصحاب الذنوب مشركون إلا أنهم لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم.
- الفرق بين الفرق -المرجع نفسه- ص90-91.

8- الفرق بين الفرق -المرجع نفسه- ص74.

9- هو نجدة بن عامر الحنفي من اليمامة بايعه مخالفوا نافع بسبب تكفيره للقعدة وكفروا من قال بإمامة نافع.
- الفرق بين الفرق -المرجع نفسه- ص87.

10- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، -المرجع السابق- ج10 ص84.

المطلب الثاني : التأويل عند الخوارج

اعتبر ابن رشد أن الخوارج هي أول الفرق تأويلا للنصوص ثم تبعتهم بعد ذلك المعتزلة[1]. وأما الدكتور عمار الطالبي فهو يرى أن الخوارج قد سبقوا إلى التأويل بجماعة من أهل الردة الذين أولوا آية الزكاة، وكذلك فإن صبيغ بن عسل القعشبي التميمي كان يطرح على الناس الغوامض من الأسئلة ويسأل عن المتشابه من آيات القرآن، فطلبه عمر وضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه، وقال: حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، وقرر عمر نفيه إلى البصرة، واعتبره من الزائغين، ولذلك استحل ضربه وحبسه، وأمر بعدم مخالطة الناس إياه حتى تاب[2].

ولا شك أن التأويل الذي سبق إليه الخوارج-على رأي ابن رشد- هو التأويل الفاسد للنصوص، لأن التأويل الصحيح كان موجودا في حياة النبي-صلى الله عليه و سلم- وعند الصحابة بعده، فعندما نزل قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)[3]، قال عدي بن حاتم[4] يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما الخيطان قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا بل هو سواد الليل وبياض النهار[5]، كما أول بعض الصحابة قوله-صلى الله عليه و سلم- "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"[6] إلى الميت الذي أوصى قبل موته بالبكاء عليه أو الذي كان يبكي على موت غيره، أو لا ينهى عن البكاء، وهذا حتى يتفق مضمون الحديث مع الآية في قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[7].

---

[1]- من أهم الفرق الكلامية، وسنتطرق إليها في موضوع مستقل بعد هذا.

[2]- آراء الخوارج الكلامية -المرجع السابق- ج2 ص108-109.

[3]- البقرة : 187.

[4]- هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن المشرج الطائي، أبو طريف، صحابي شهير وكان ممن ثبت في الردة، وحضر فتوح العراق وحروب علي، ومات سنة ثمان وستين، ابن مائة وعشرين وقيل ثمانين.
- تقريب التهذيب -المرجع السابق- ص668.

[5]- كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (كلوا واشربوا ... الفجر).
- إرشاد الساري -المرجع السابق- ج7 ص27.

[6]- صحيح البخاري - كتاب الجنائز، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه.
- إرشاد الساري، للقسطلاني -المرجع السابق- ج2 ص402.

[7]- فاطر : 18.

ولعل اعتبار الخوارج البداية الحقيقية للتأويل الفاسد راجع إلى أن تأويلاتهم قد نأت بهم في أحيان كثيرة عن المعاني الحقيقية للنصوص وعن روح الدين الإسلامي ككل، فتأويلاتهم لم تبق حبيسة الأفكار، وإنما ترجموها إلى أفعال، فهم قد كفّروا بتأويلاتهم عموم المسلمين بمن فيهم بعض المبشرين بالجنة من الصحابة، وقاتلوهم وقتلوا عليا-رضي الله عنه- وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، إذ لما قتل ابن ملجم[1] عليا امتدحه أحد شيوخ الخوارج وزهادهم وهو عمران بن حطان[2] حيث قال:

يا ضربة من تقي ما أراد بها *** إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبه *** أوفى البرية عند الله ميزانا[3]

وتكفير الخوارج للمسلمين عموما، ولعلي بن أبي طالب خصوصا مرتبط بمسألة التحكيم، فهم يرون أن الحكم لله، فلا ينبغي أن يترك إلى قول الرجال ، وقد رد علي عليهم بأن الحكم لله حقا، ولكن كلام الله لا ينطق، وإنما يحتاج إلى رجال يعبرون عنه، ثم إن الله تعالى قد جعل التحكيم في مسائل أقل أهمية من مسألة الدماء، حيث أباح التحكيم بين الزوجين فقال: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)[4]، وقال في موضوع آخر (يحكم به ذوا عدل منكم)[5]، ومنه فإن جواز التحكيم في الدماء يكون من باب أولى، ثم إن الخوارج هم الذين دفعوا عليا إلى التحكيم في بداية الأمر. لكن الخوارج تمسكوا بمقولتهم النابعة من قوله تعالى (إن الحكم إلا لله)[6]، وقوله (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)[7]، ومن هنا أصبحت نظرتهم للنصوص قائمة على الحكم على عقائد الناس بالإيمان أو الكفر، فأولوا قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد

---

[1]- هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، جاء ليبايع عليا فرده مرتين ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها لتخضبن هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه.
- الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج6 ص24.

[2]- هو عمران بن حطان السدوسي صدوق إلا أنه كان على مذهب الخوارج، ويقال رجع عن ذلك مات سنة أربع وثمانين.
- تقريب التهذيب، لابن حجر -المرجع السابق- ص751.

[3]- مقالات الاسلاميين للأشعري -المرجع السابق- ص57.

[4]- النساء : 35.

[5]- المائدة : 97.

[6]- الأنعام : 57.

[7]- الشورى : 10.

فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)[1] قالوا: نزلت في علي وفي وصفه، وأولوا قوله تعالى بعد ذلك (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد)[2]، قالوا نزلت في عبد الرحمان بن ملجم قاتل علي-رضي الله عنه- تصويبا لعمله وتبريرا له[3]، والحقيقة أن هذه الآية بشقيها قد نزلت في المنافقين كلهم وفي المؤمنين كلهم، كما قال قتادة ومجاهد والربيع بن أنس[4]، وقال ابن كثير أنه هو الصحيح [5]، وكيف تنزل هذه الآية في علي وفي ابن ملجم، وهي قد نزلت قبل هذه الفتنة بأكثر من عشرين سنة. كما أولوا قوله تعالى: (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ايتنا)[6]، قالوا: نزلت في علي، والأصحاب هم أهل النهروان[7].

وتعميما للتكفير على سائر المسلمين أولت الخوارج النصوص المتعلقة بالذنوب والكبائر فكفرت أصحابها، فقالت الأزارقة أن كل مرتكب للذنب صغيرا أو كبيرا مشرك بالله، وزعموا أن أطفال المشركين مشركون، ولذلك استحلوا قتل أطفال مخالفيهم، وقتل نسائهم سواء كانوا من أمة الإسلام أو من غيرهم، وكانت الصفرية يقولون في مرتكبي الذنوب بأنهم كفرة مشركون دون أطفالهم، وأما النجدات فكفروا مرتكب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه، وأما ما اختلفت فيه فحكمه على حسب اجتهاد أهل الفقه فيه، وعذروا مرتكب ما لا يعلم بجهالة تحريمه حتى تقوم عليه الحجة، وكانت الإباضية يقولون: إن مرتكب ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة، وليس بكافر كفر شرك[8]. وقال فريق من الإباضية: إن النفاق براءة من الشرك والإيمان جميعا، واحتجوا بقوله عز وجل (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) [9]،[10].

1- البقرة : 202-203.

2- البقرة : 205.

3- آراء الخوارج الكلامية، -المرجع السابق- ج1 ص118.

4- هو الربيع بن أنس بن زياد البكري، سكن مرو، سمع أنس بن مالك، وكان راوية لأبي العالية وفي أخباره بعض المناكير.
- كتاب مشاهير علماء الأمصار -المرجع السابق- ص126.

5- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، -المرجع السابق- ج1 ص246.

6- الأنعام : 71.

7- آراء الخوارج الكلامية، -المرجع السابق- ج1 ص118.

8- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص118.

9- النساء : 143.

10- الفرق بين الفرق المرجع نفسه- ص106.

وتنكر الخوارج إلى جانب المعتزلة والجهمية الصفات التي يوهم ظاهرها بالتشبيه، وترى بأن من أقربها فهو مشبه، وقد أباحت الإباضية من الخوارج قتل المشبهة، وسلب أموالهم، وسبي ذراريهم ونسائهم لأنهم في حكم المرتدين[1].

وختاما لهذا المبحث نقول إن الخوارج هم النواة الحقيقية للتأويل الفاسد، وهم السبب الأول لكثير من البلاوي الفكرية، والفتن المضلة التي ألمت بالأمة، واتسعت رقعتها مع مرور الزمن، ولولا الخوارج، ولولا نبوغ القدر الذي نجم به معبد الجهني، لما تكلمت الصحابة في رد هذا ولا إبطال هذا وإنما انتشر التأويل والكلام بعد بدعة الخوارج، وقد اعتمدت الخوارج على تأويل النصوص وفق مبادئها وما اتفقت عليه لنصرة مذهبها، ولم تلجأ إلى الوضع في الحديث، لأنه كذب، والكذب كبيرة، ومرتكب الكبيرة كافر، بينما لجأت فرق أخرى إلى جانب التأويل إلى اختلاق الحديث لنصرة مذهبها.

[1] - آراء الخوارج الكلامية ج1 ص158.

المبحث الثالث: التأويل عند المعتزلة

ترجع بداية نشأة المعتزلة إلى زمان فتنة الأزارقة، حيث اختلفت الفرق الإسلامية التي كانت موجودة آنذاك في حكم أصحاب الذنوب، فذهبت الأزارقة من الخوارج إلى أن كل مرتكب للذنب صغيرا أو كبيرا مشرك بالله، وقالوا بأن أطفال المشركين مشركون واستحلوا قتل الجميع، وذهبت الصفرية من الخوارج أيضا إلى نفس قول الأزارقة بيد أنهم خالفوهم في الأطفال، وأما النجدات فذهبوا إلى تكفير صاحب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه، وأما الذنب الذي اختلفوا فيه، فحكم صاحبه حكم اجتهاد أهل الفقه فيه، وعذروا مرتكب ما لا يعلم بجهالة تحريمه إلا أن تقوم الحجة عليه، وذهبت الإباضية إلى أن مرتكب ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عزّ وجل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة، وليس كفر شرك، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون: إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من الله تعالى، ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق، ولكنه فاسق بكبيرته، وفسقه لا ينفي عنه إسم الإسلام والإيمان، وزعم قوم من أهل ذلك العصر أن صاحب الكبيرة منافق والمنافق شر من الكافر المظهر كفره، فلما اختلف الناس في أصحاب الذنوب على هذه الوجوه خرج واصل بن عطاء[1] عن قول جميع الفرق المتقدمة، وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه التي خالف فيها أقوال الفرق قبله طرده من مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة، وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب[2]، فقال الناس يومئذ فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة[3].

وإذا كانت فرقة المعتزلة قد بدأت برجلين فإنها سرعان ما توسعت، وانضوى تحت لوائها رجال كبار في الدولة العباسية، بسبب أن كثيرا من زعماء الأعتزال كان لهم البراعة

---

[1]- هو أبو حذيفة واصل بن عطاء، ولد سنة ثمانين للهجرة، وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة، أخذ العلم عن محمد بن الحنفية، وكان يلازم مجلس الحسن، ويظنون به الخرس لطول صمته، وهو الذي قال بالمنزلة بين المنزلتين، وأن مرتكب الكبائر ليس بكافر ولا مؤمن فاسق.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -أبو القاسم البلخي- القاضي عبد الجبار - الحاكم الجشمي - تحقيق فؤاد سيد - الدار التونسية للنشر - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1986 ص234-235.

[2]- هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، قال فيه سفيان بن عيينة لم تر عيني مثل عمرو بن عبيد، له حكاياته مع المنصور، جعله القاضي في الطبقة الرابعة توفي سنة أربع وأربعين ومائة
- فضل الاعتزال -المرجع السابق- ص242.

[3]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص118.

في البيان، والوجاهة عند رجال الدولة، فواصل بن عطاء كان ألثغ لا يحسن نطق حرف الراء، ومع ذلك كان يلقي الخطب الطوال، وليس فيها راء واحدة، ولا يؤثر ذلك على كلامه ولا يكاد يتفطن أحد لذلك، وكان عمرو بن عبيد رفيع المنزلة عند المنصور، وكان المجلس الذي يعقده البرامكة لأصحاب المقالات ينتظم من أبي الهذيل[1] العلاف، وابراهيم النظام[2] وبشر بن المعتمر[3]، وجعفر بن حرب[4]، وثمامة بن أشرس[5]، وجعفر بن بشر[6] وكلهم من زعماء الاعتزال، وكان أحمد بن أبي داؤود[7] وجيها لدى المأمون، وتولى قاضي القضاة في خلافة المعتصم، ومما ساهم أيضا في نشر مذهب الاعتزال أن بعض زعمائه تصدوا للرد على الخارجين عن الملة، كما رد واصل بن عطاء الغزال على المانوية، ورد أبو هاشم بن أبي علي الجبائي[8] على القائلين بالطبائع، ورد أبو الحسين ابن أبي عمر الخياط[9] على ابن

---

[1]- هو محمد بن الهذيل العبدي، كان عالم عصره لايتقدمه غيره، وكان يلقب بالعلاف لأن داره في العلافين، وكان ابراهيم النظام من أصحابه، جعله القاضي عبد الجبار في الطبقة السادسة، توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع السابق- ص254.

[2]- هو أبو إسحاق ابراهيم بن سيار النظام، كان من أصحاب أبي الهذيل، وذكر أنه كان لا يكتب ولا يقرأ، وقد حفظ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وتفسيرها مع كثرة حفظه للأخبار والأشعار واختلاف الناس في الفتيا، قال الجاحظ: الأوائل يقولون: إنه يكون في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق النظام، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين.
- فضل الاعتزال -المرجع نفسه- ص264.

[3]- هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي، وهو زعيم البغداديين من المعتزلة له قصيدة طويلة يقال أنها أربعون ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين، اتهم بالرفض، وكان زاهدا عابدا داعية إلى الله، كان يقص ويعظ في الجامع، توفي سنة عشر ومائتين، وهو من الطبقة السادسة.
فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع نفسه- ص265.

[4]- هو جعفر بن حرب الهمداني، كان واحد عصره في العلم والصدق والطهارة والزهد، والدعاء إلى الله تعالى، ونصيحته العامة والخاصة، بنية صادقة، كان أبوه من أصحاب السلطان فزهد في جميع تركة أبيه، من آثاره كتاب الإيضاح، ونصيحة العامة والأصول، وهو من الطبقة السابعة، توفي سنة ست وستين ومائة.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع نفسه- ص281-282.

[5]- هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري، كان عظيم القدر في الفصاحة والبلاغة وحسن الإفهام، اتصل بالرشيد وبالمأمون، جعله القاضي عبد الجبار أول الطبقة السابعة، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع نفسه- ص272-274.

[6]- هو جعفر بن مبشر بن أحمد، كان من الكلام والفقه والقرآن والزهد والنسك في محل، وكان فقيرا يرضى بالقليل من زكاة إخوانه، ويرفض أعطيات السلاطين، وهو من الطبقة السابعة، توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع نفسه- ص283.

[7]- هو أبو عبد الله أحمد بن أبي داود القاضي، كان معروفا بالمروءة والعصبية، كان من أصحاب واصل بن عطاء، فصار إلى الاعتزال، اتصل بالمأمون والمعتصم الذي جعله قاضي القضاة، وهو الذي امتحن الإمام أحمد بن حنبل والزمه القول بخلق القرآن كما اتصل بالواثق والمتوكل، توفي سنة أربعين ومائتين.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص81 وما بعدها.

[8]- هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين، كان كثير الأسئلة لأبي علي حتى يتأذى منه، وقيل إنه بلغ من العلم ما لم يبلغه رؤساء العلم بالكلام، وهو أول الطبقة التاسعة، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع السابق- ص304.

[9]- هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد المعروف بالخياط، كان عالما فاضلا من أصحاب جعفر له كتب كثيرة في النقوض على ابن الراوندي وغيره وهو أستاذ أبي القاسم البلخي، وهو من أحفظ الناس باختلاف المعتزلة في الكلام، وأعرفهم بأقاويلهم، وهو من الطبقة الثامنة.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع نفسه- ص296-297.

الراوندي[1] في كتاب الانتصار، وكانوا يدرسون الفلسفة ويتناولون آراء رجالها بالنقض، فلأبي هاشم هذا كتاب النقض على أرسطاليس في الكون والفساد[2].

ورجال المعتزلة الكبار ومتكلموهم لم يكونوا في زمن واحد، ولا في طبقة واحدة وإنما هم ثلاث طبقات تبدأ بواصل بن عطاء، وليس صحيحا ما ذكره بعض الباحثين[3] من أن الطبقة الأولى من طبقات المعتزلة تضم الخلفاء الراشدين، ثم عبد الله ابن العباس، وعبد الله ابن مسعود وغيرهم، كعبد الله ابن عمرو وأبي الدرداء وأبي ذر وعبادة بن الصامت[4] فهؤلاء كلهم من الصحابة ومن خيرة السلف، وقد سبق لنا أن بينا مذهب السلف، فوجه الشبه بين هؤلاء وأولئك غير قائم، وقد قسم رجال المعتزلة إلى الطبقات التالية:

الطبقة الأولى: وقد كان على رأسها واصل بن عطاء الغزال، وصاحبه عمرو بن عبيد بن باب.

الطبقة الثانية: ومن زعمائها ابراهيم بن سيار النظام (ت221 هـ)، ومحمد بن الهذيل العلاف (ت235 هـ) وأحمد بن أبي داوود (ت240)، وبشر المريسي (ت218)، والجاحظ (ت250)[5].

الطبقة الثالثة: وفيها أبو علي محمد الجبائي (ت303)[6] وهو أستاذ الأشعري، وأبو القاسم عبد الله الكعبي (ت317)[7]، وأبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي (ت321) والكعبي وأبو هاشم كانا معاصرين لأبي الحسن الأشعري[8].

---

[1]- هو أبو الحسين أحمد بن يحي بن إسحاق الراوندي، كان من الفضلاء في عصره، من آثاره التي جاوزت المائة كتاب "فضيحة المعتزلة" وكتاب "التاج"، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين عن أربعين عاما.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص94. وقد انتقد ابن خلكان لعدم تجريحه له.

[2]- الإبانة لأبي الحسن الأشعري -المرجع السابق- ص09.

[3]- كابن المرتضى في المنية والأمل.

[4]- مذاهب الاسلاميين لبدوي -المرجع السابق- ص40 نقلا عن المنية والأمل ص02.

[5]- هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني، جمع إلى علم الكلام والفصاحة العلم بالأخبار والأشعار والفقه وتأويل الكلام، وهو متقدم في الجد والهزل، وله كتب في التوحيد وإثبات النبوة، ونظم القرآن وفي فضائل المعتزلة، هو من الطبقة السابعة - توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع السابق- ص275.

[6]- هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، كان من علمه حسن التواضع يجيب على السؤال بكلمة واحدة فلا يكون إلا السكوت، جعله القاضي عبد الجبار أول الطبقة الثامنة، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع السابق- ص287.

[7]- هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لها الكعبية، كان من كبار المتكلمين، توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص45.

[8]- الإبانة للأشعري، -المرجع السابق- ص918.

المطلب الأول : أصول مذهب المعتزلة

بنى المعتزلة مذهبهم على خمسة أصول هي: 1- التوحيد 2- العدل 3- الوعد والوعيد 4-المنزلة بين المنزلتين 5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال القاضي عبد الجبار[1]: ألا ترى أن خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبهة قد دخل في التوحيد وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل، وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد وخلاف الخوارج دخل تحت المنزلة بين المنزلتين، وخلاف الإمامية داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرى القاضي أن المخالف في هذه الأصول الخمسة إما كافر أو فاسق أو مخطئ[2].

هذه هي أصول مذهب الاعتزال المتفق عليها، ثم اتفقوا على فروع متعلقة بهذه الأصول نجملها فيما يلي:

1- اتفقوا على القول بأن الله قديم، والقدم أخص وصف ذاته، وقالوا بأنه لا يصح أن يكون هناك قديم آخر مع الله، ومن هنا نفوا الصفات القديمة كالسمع والبصر وغير ذلك من الصفات الذاتية، وقالوا هو عالم بذاته، حي بذاته، لا بعلم وحياة، وقد منعوا مشاركة هذه الصفات لله تعالى في أخص خصائصه، وقالوا: لو شاركته في القدم لشاركته في الإلهية.

2- اتفقوا على أن كلامه-تعالى- محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت، وقد انتشرت بدعتهم هذه، وبسببها سجن الإمام أحمد، وانتصر لها المأمون، وقضي عليها في عهد المعتصم، ولقد أثبتت المعتزلة صفة الكلام ولم تنفها كما نفت القدرة والسمع والبصر والعلم، لكون الكلام وارد في النص، فنفيه لا يستقيم لهم، وللسير على قاعدتهم في اختصاص وتفرد الله تعالى بالقدم ادعوا أن كلام الله محدث مخلوق في محل، وهم عندما يفسرون كلام الله لموسى يقولون بأن الله خلق الكلام في الشجرة.

3- اتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في الأخرة اعتمادا على قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) وقالوا بأن (لا) تفيد النفي على التأبيد. وخالفهم جمهور أهل السنة في ذلك.

---

[1]- هو القاضي عبد الجبار، قاضي القضاة عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد أول الطبقة الحادية عشر وهو يعد من معتزلة البصرة، من آثاره كتاب فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة، توفي سنة خمس أو ست عشرة وأربعمائة.
- شرح العيون لأبي السعد المحسن بن محمد -المرجع السابق-ص365.

[2]- مذاهب الإسلاميين -المرجع السابق- ص56، 57.

4- اتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله، خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب سبحانه وتعالى منزه عن أن ينسب إليه شر أو ظلم أو فعل كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا، وبهذا القول اعتبر البغدادي المعتزلة قدرية على رأي معبد الجهني.

5- واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأما الإصلاح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم، وسموا هذا النمط عدلا.

6- واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكافر، وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا.

7- واتفقوا على أن الحسن ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل، واعتناق الحسن وترك القبيح واجب وإن لم يرد به السمع.

8- واتفقوا على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام، فهو لا كافر ولا مؤمن وإنما في منزلة بين المنزلتين، واختلفوا في الإمامة[1].

وإذا تأملنا في هذه الأصول وما اتفقت عليه المعتزلة فإننا نستخلص أن هذه الفرقة قدرية ومعطلة، وتابعة للخوارج في بعض المبادئ، فأما كون المعتزلة قدرية فلأنهم قالوا بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا شيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم، وأنه ليس لله عزّ وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير[2]. والقدرية يبالغون في إثبات القدرة للإنسان، وينكرون إضافة الخير والشر إلى القدر، وأول من تكلم بهذا عبد الله الجهني الذي خرج مع ابن الأشعث، ووقع في يد الحجاج فقتله سنة 80 هـ[3] وقول المعتزلة في قدرة الإنسان على خلق أفعاله إنما راجع إلى أصلهم في العدل، وذلك أن الله سبحانه وتعالى عادل، وعدله يقتضي ألا يعاقب من فعل ما لا يقدر عليه، فإذا كان للقدر دخل في توجيه أفعال الناس، فليس من العدل أن يعاقبوا على

---

[1]- مذاهب الإسلاميين -المرجع السابق- ص47، 48 نقلا عن الملل والنحل للشهرستاني.

[2]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص114، 115.

[3]- الإبانة، للأشعري -المرجع السابق- ص7، 8.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هو الله، ونفى عن الله جهلا، ودل على معلوم كان أو يكون، وإذا قال إن البارئ قادر، فقد ثبت قدرة هي الله، ونفى عن الله عجزا، ودل على مقدور يكون أو لا يكون[1].

وأما صفات الأفعال، والصفات الخبرية، فقد أنكروها تماما، فانكروا اليد والعين وتاولوا اليد بمعنى النعمة، وأولوا الأعين في قوله تعالى (تجري باعيننا)[2]، اي بعلمنا، واولوا الجنب بمعنى الأمر، وقالوا نفس البارئ هي هو.. وأما الوجه، فعندهم فيه قولان:

فقال أبو الهذيل وجه الله هو الله، وقال غيره: معنى قوله (ويبقى وجه ربك)[3] ويبقى ربك من غير أن يكون يثبت وجها يقال إنه هو الله، ولا يقال ذلك فيه[4].

ويرجع الأشعري الذي تربى في مدرسة الاعتزال نفي المعتزلة لبعض الصفات إلى قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ولا قديم، ثم قال: غير أن هؤلاء الذين قصصنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره فاظهروا معناه بنفيهم أن يكون للبارئ علم وقدرة وحياة وسمع وبصر، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلسفة تظهره من ذلك، ولأفصحوا به، غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الأيادي، كان ينتحل قولهم فزعم أن البارئ سبحانه عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة، ومنهم رجل يعرف بعباد بن سليمان يزعم أن البارئ عالم قادر سميع بصير حكيم جليل في حقيقة القياس[5].

مما سبق بيانه اتضح لنا أن المعتزلة قد دخلوا بتأويلاتهم الفاسدة دائرة التعطيل إلى جانب بعض الفلاسفة، وما حكيناه من أقوال عن بعضهم لا يدل على انحصار التعطيل فيهم بل التعطيل وإنكار الصفات ظاهرة عامة عند جميع المعتزلة، وعلى الرغم من الأصول الخمسة التي تبدو صارمة عند المعتزلة خصوصا في أصحاب الذنوب، والتقبيح والتحسين العقليين فإن بعض شيوخ الاعتزال يفعلون عكس ما يقولون، فقد كان أبو هاشم بن أبي علي الجبائي مع

1- مذاهب الإسلاميين -المرجع السابق- ج2 ص157.

2- القمر : 14.

3- الرحمن : 27.

4- مذاهب الإسلاميين -المرجع السابق- ج1 ص266.

5- مذاهب الإسلاميين -المرجع نفسه- ج2 ص156-157.

إفراطه في الوعيد أفسق أهل زمانه، وكان مصرا على شرب الخمر، وقيل إنه مات في سكره حتى قال فيه بعض المرجئة:

يعيب السقول بالإرجاء حتى *** يرى بعض الرجاء من الجرائر

وأعظم من ذوي الإرجاء جرما *** وعيديٌّ أصر على الكبائر[1]

وكان النظام أفسق خلق الله عز وجل، وأجرأهم على الذنوب العظام وعلى إدمان شرب وقد ذكر عبد الله بن مسلم بن قتيبة[2] -رحمه الله- في كتابه "مختلف الحديث" أن النظام كان يغدو على مسكر، ويروح على مسكر، وأنشد قوله في الخمر:

ما زلت آخذ الزق في لطف *** وأستبيح دما من غير مذبوح

حتى انتشيت ولي روحان في بدن *** والزق مطرح جسم بلا روح[3]

هذه هي أفكار المعتزلة، وهذه هي أفعالهم، وسوف نتطرق إلى المزيد من تأويلاتهم في الصفحات اللاحقة.

وأما كون المعتزلة خوارج فلأنهم أخذوا بعض مبادئهم من الخوارج، ومن ذلك قولهم من لا يعرف العقيدة بأدلتها فهو كافر، وكذلك القول بالتحسين والتقبيح العقليين، ولما وافق واصل بن عطاء وصاحبه عمرو الخوارج في تأبيد عقاب صاحب الكبيرة في النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر قيل للمعتزلة إنهم مخانيث الخوارج، لأن الخوارج كفروا أهل الذنوب الخالدين في النار وقاتلوهم، بخلاف المعتزلة ما كفروهم وما حاربوهم، ولهذا نسب اسحاق بن سويد القروي[4] واصلا وعمرا إلى الخوارج، فقال:

برئت من الخوارج لست منهم *** من الغزّال منهم وابن باب

---

[1]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص191.

[2]- هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي، اللغوي، صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب، كان فاضلا ثقة، سكن بغداد وحدث بها، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي سنة ست وسبعين ومائتين، وكانت وفاته فجأة، صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمي عليه ومات.
- وفيات الأعيان -المرجع السابق- ج1 ص42، 43.

[3]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص150.

[4]- هو اسحاق بن سويد العدوي عم عمرو بن سويد، من المتقنين، مات في الطاعون سنة احدى وثلاثين ومائة، هكذا ذكر اسمه ابن حبان - كتاب مشاهير علماء الأمصار -المرجع السابق- ص152.

ومن قوم إذا ذكـــروا عليـــا *** يردون السلام على السحـــاب[1]

المطلب الثاني : التأويل عند المعتزلة

تختلف مواقف الفرق الإسلامية من التأويل تبعا لاختلاف مواقفها من الموازنـــة بيـــن العقل والنقل، وكلاهما ضروري في فهم مقاصد الدين ومتعلقات الشريعة، ولا شك أن الـــذي ينفي العقل عندما يقرأ الدين يخطئ الفهم، فكذلك فإن الذي يقرأه معتمدا على العقل وحده دون اطلاع على النقل يخطئ كذلك، وقد وقع الذين ألغوا العقل في التجسيم والتشبيه كما وقع الذين ألغوا النقل والسمع في التعطيل، والمعتزلة فرقة مجدت العقل كثيرا، وأعطته ســلطة واســعة على حساب السمع، وتبعا لمواقفهم من هذه الموازنة جاءت تأويلاتهم.

لقد تتبعنا مختلف أقوال المعتزلة وتأويلاتهم، واتضح لنا من خلال القـــراءات المتعـــددة لتأويلاتهم خصوصا لنصوص الصفات، أن المعتزلة عندما وضعوا تلـــك الأصـــول الخمســـة لمذهبهم إنما بنوها على أساس عقلي قائم على صفة الله في ذاته، وهي أنه واحد، ومن هنـــا جاء الأصل الأول وهو التوحيد، ثم صفة الخالق تجاه خلقه، وهـــي العـــدل، ثـــم إن الخـــالق المتصف بهاتين الصفتين، يقتضي أن يرغب في طاعته ويرهب من معصيتـــه، وعليـــه قـــام الأصل الثالث وهو الوعد والوعيد، ثم بعد ذلك جاء موقف الناس من تلك التكاليف ولما اتضح سبيل المؤمنين وسبيل الكافرين لم يبق إلا سبيل المؤمنين العصاة، وعندهم أنه ليس من العدل حشرهم مع إحدى الطائفتين السابقتين فاستحقوا منزلة بين المنزلتين، وهو الأصـــل الرابـــع، وأخيرا موقف وواجب المؤمنين تجاه غيرهم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما وضع المعتزلة هذه الأصول الخمسة حرصوا على أن تتفق جميع النصـــوص مـــع هذه الأصول القائمة على العقل، وكل نص ورد في القرآن أو في السنة حرصـــوا علـــى أن يؤولوه بما يتماشى مع هذه الأصول أو مع ما تقتضيه عقولهم، وبناءً على هذا أنكروا بعـــض صفات الذات، وكذلك بعض الصفات الخبرية، وصفات الأفعال، وأولوها عن مقتضاها الظاهر إلى ما يتفق مع أصولهم فكان النظام مثلا ينفي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر، وصفات الذات، ويقول: إن الله لم يزل عالما حيا قادرا سميعا بصيرا قديما بنفسه، لا بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وقِدَم، وكذلك قوله في سائر صفات الذات، وكان يقول: إذا أثبتت البارئ عالمـــا

[1] - الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص119.

قادرا حيا سميعا بصيرا قديما أثبتت ذاته، وأنفي عنه الجهل والموت والصمم والعمى...وكان إذا قيل له: تقول إن لله علما؟ قال: نقول ذلك توسعا، وأرجع إلى تثبيته عالما، وكذلك أقول لله قدرة وأرجع إلى إثباته قادرا، وكان لا يقول له حياة وسمع وبصر، لأن الله سبحانه أطلق العلم فقال: (أنزله بعلمه)[1]، وأطلق القوة، فقال (أشد منهم قوة)[2]، ولم يطلق الحياة والسمع والبصر[3]، فالنظام هنا أطلق العلم توسعا وكذلك القوة أو القدرة لوجود النص الصريح فيهما، وهو لا يثبت لله صفة العلم ولا القدرة، ومن المعتزلة من يقول لله علم بمعنى معلوم كما قال: (ولا يحيطون بشيء من علمه)[4] أي من معلومه، وله قدرة بمعنى مقدور، كما يقول المسلمون إذا رأوا المطر: هذه قدرة الله بمعنى مقدوره [5]. وقال النظّام أيضا: إن الصفات للذات إنما اختلفت لاختلاف ما ينفى عنه من العجز والموت وسائر المتضادات من العمى والصمم وغير ذلك لا لاختلاف ذلك في نفسه وقال غيره من المعتزلة: إنما اختلفت الأسماء والصفات لاختلاف المعلوم والمقدور لا لاختلاف فيه[6]. وذلك أن المعتزلة يقولون بأن الله عالم بذاته لا بعلم، وقادر بذاته لا بقدرة وحي بذاته لا بحياة، وهكذا في جميع صفات الذات، وذلك معنى قولهم عالم بعلم هو هو، وقادر بقدرة هي هو، وكان أبو الهذيل العلاف إذا قيل له: حدثنا عن علم الله سبحانه الذي هو الله، أتزعم أنه قدرته؟ أبى ذلك، فإذا قيل له: فهو غير قدرته؟ أنكر ذلك[7]، وعلى العموم فإن المعتزلة جميعا ينكرون صفات الذات، ويستثنون من ذلك الإرادة والكلام فقالوا إن الله مريد بإرادة يخلقها لا في محل، وهو يتكلم بكلام يخلقه في جسم جماد، ويكون الله هو المتكلم به[8]، وأما صفات العلم والقدرة، فقد أثبتوها توسعا لورود السمع بها، وأولوا العلم بالمعلوم، والقدرة بالمقدور.

إن نفي المعتزلة لهذه الصفات متعلق بأصلهم في التوحيد، فإذا كان القِدَم هو أخص وصف لله، فلا ينبغي أن يشاركه في ذلك شيء، وإثبات هذه الصفات بقدمها يهدم أصل التوحيد، ويؤدي في نظرهم إلى تعدد الآلهة، وبناءًا على هذا أولوا الآيات الواردة صراحة في

---

[1] - النساء : 164.

[2] - غافر : 20.

[3] - مقالات الاسلاميين للأشعري -المرجع السابق- ج2 ص159.

[4] - البقرة : 254.

[5] - مقالات الاسلاميين للأشعري -المرجع السابق- ج2 ص173

[6] - مقالات الاسلاميين للأشعري -المرجع نفسه- ج1 ص227-228.

[7] - مقالات الاسلاميين للأشعري -المرجع نفسه- ج2 ص257.

[8] - الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص302.

بعض صفات الذات كالعلم والقوة (القدرة)، وأما الصفات التي لا يمكن تاويلها لوجود النص الصريح فيها، ولوجودها الظاهر كالكلام والإرادة، فقد نفوا عنها صفة القدم حتى لا تشارك الله في أخص أوصافه، فقالوا إن الله متكلم لكن بكلام محدث يخلق في جماد وقد اختاروا الجماد حتى لا يلتبس كلام الله مع كلام غيره لو كان متكلما، ونفس الشيء فعلوه مع الإرادة.

وانطلاقا من هذه الصفات السبعة التي اتفق أهل السنة على إثباتها، فقد نفوا أن يكون لله نفس ووجه وأيد، وكل ما يوهم بالتشبيه، وأوّلوا كل الآيات الواردة في ذلك، ومن الآيات التي أولتها المعتزلة نذكر ما يلي:

1- (ولتصنع على عيني)[1]، قال القاضي عبد الجبار أن المراد به، لتقع الصفة على علمي إذ العين تورد بمعنى العلم، فيقال: جرى هذا بعيني، أي جرى بعلمي.

2- قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)[2]، قال: المراد كل شيء هالك إلا ذاته، أي نفسه، والوجه بمعنى الذات مشهور في اللغة، يقال وجه هذا الثوب جيد، أي ذاته جيدة.

3- قوله تعالى: (لما خلقت بيدي استكبرت)[3] اليدان هنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال: ما لي على هذا الأمر يد، أي قوة، وهذا مستعمل في اللغة، قال الشاعر:

فقالا شفاك الله! والله ما بنا *** لما حملت منك الضلوع يدان.

4- قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان)[4] اليد ها هنا بمعنى النعمة، وهو ظاهر كثيرا في اللغة.

5- قوله تعالى (ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله)[5] قال: الجنب معناه هنا الطاعة، وذلك مشهور في اللغة، يقال اكتسبت هذا الحال في جنب فلان، أي في طاعته وخدمته.

6- قوله تعالى (والسماوات مطويات بيمينه)[6]، قالوا: اليمين هنا بمعنى القوة، وهذا ظاهر في اللغة، قال الشاعر[7]:

---

[1]- طه : 39.

[2]- القصص : 88.

[3]- ص : 75.

[4]- المائدة : 64.

[5]- الزمر : 56.

[6]- الزمر : 67.

[7]- هو الأعشى ميمون.

رأيت عرابة الأوسي يسمو *** إلى العلياء منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد *** تلقاها عرابة باليمين

7- قوله تعالى (وجاء ربك)[1] قال: الله ذكر نفسه وأراد غيره جريا على عادتهم في حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، كما قال تعالى (واسأل القرية)[2]، يعني أهل القرية[3].

8- كما أولت المعتزلة نفس الله وذاته، كما في قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)[4]، قالوا هي هو وكذلك ذاته هي هو، وتأويل قوله تعالى (الصمد)[5] على وجهين: أحدهما أنه السيد، والآخر أنه المقصود إليه في الحوائج[6].

9- وتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)[7]، قالوا منتظرة، وأجمعوا على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار، وقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة: نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا، وأنكر هشام الفوطي[8]، وعباد بن سليمان ذلك[9].

والخلاصة أن المعتزلة قد اعتمدوا على العقل كثيرا في تأويلاتهم للنصوص، فنفوا صفات الذات من أجل إفراد الله بالتوحيد والقدم، كما تأثروا بالفلسفة اليونانية في قولهم بأن تلك الصفات هي الله ذاته، فقول أبي الهذيل عن علم الله أنه هو هو، وقدرته هي هو إنما هو قول أخذه عن أرسطاطاليس، وذلك أن أرسطاطاليس قال في بعض كتبه: إن البارئ علم كله قدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسن اللفظ عن نفسه، وقال علمه هو هو، وقدرته هي هو[10].

1- الفجر : 22.

2- يوسف : 82.

3- مذاهب الإسلاميين -المرجع السابق- ج1 ص415، 416.

4) الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص106.

5) الإخلاص : 02.

6) مقالات الاسلاميين -المرجع السابق- ج1 ص266.

7) القيامة : 22.

8) هو هشام بن عمر الفوطي، كان عظيم القدر عند العامة والخاصة، حكي عن يحي بن أكثم أنه كان إذا دخل المأمون، يتحرك له حتى يكاد يقوم، جعله القاضي عبد الجبار آخر الطبقة السادسة.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -المرجع السابق- ج1 ص218.

9) مقالات الإسلاميين -المرجع السابق- ج1 ص218.

10) مقالات الإسلاميين -المرجع نفسه- ج2 ص258.

المبحث الرابع: التأويل عند الجهمية

لقد تناولنا التأويل عند الجهمية مباشرة بعد المعتزلة، لأن الجهمية، يتفقون مع المعتزلة في نفي صفات الذات، ويخالفونهم تماما في موضوع القدر، ذلك أن المعتزلة يقولون بقدرة الإنسان على خلق أفعاله، وأما الجهمية، فيقولون بالجبر، فكل فعل للإنسان، فهو في الحقيقة ليس فعله، وعلى الرغم من أن الجهمية تأسست على يد رجل واحد هو الجهم بن صفوان، فإنه كان لها تأثير كبير، وأتباع بعد ذلك كثيرون، وذلك ما يترجمه كثرة ردود العلماء على الجهمية، فقد ألف الإمام أحمد كتابا في الرد على الجهمية والزنادقة، وللبخاري (ت206) كتاب الرد على الجهمية، وكتاب خلق أفعال العباد، ولعثمان بن سعيد الدارمي[1] كتاب الرد على الجهمية، وألف ابن منده[2] كتابا آخر في الرد على الجهمية، ومن المتأخرين كتب ابن القيم كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ولا شك أن فرقة تعرضت إلى مثل هذه الردود لدليل على خطورتها وشدة تأثيرها، ومن هنا فإننا نبحث في نشأة هذه الفرقة وأهم مبادئها، ثم نبحث بعد ذلك في التأويل عندها.

المطلب الأول : نشأة الجهمية

نقل ابن القيم عن كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد الذي رواه عنه الخلال عن طريق ابنه عبد الله قوله: بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي ناسا من الكفار يقال لهم السمنية[3] فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، وكان فيما كلموا جهما، قالوا له: ألست تزعم أن لك إلها؟ قال الجهم: نعم، قالوا له: فهل رأت عينك إلهك؟ قال: لا، قالوا: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدت له حسا؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدت له مجلسا؟

---

[1]- ورد في الكامل لابن الأثير عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الداري الفقيه الشافعي أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي، والأدب عن ابن الأعرابي، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير -المرجع السابق- ج6 ص81.

[2]- هو أبو عبد الله ابن الشيخ أبي يعقوب اسحاق ابن الحافظ أبي عبد الله محمد بن زكريا يحي بن مندة، ولد سنة عشر وثلاثمائة، سمع خلقا يبلغون ألفا وسبعمائة قال السيوطي: "ولم يبلغنا أن أحدا من هذه الأمة سمع ما سمع ولا جمع ما جمع" توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.
- طبقات الحفاظ للسيوطي -المرجع السابق- ص408-409.

[3]- السمنية فرقة كانت قبل الإسلام، وهي من القائلين بالتناسخ، وبقدم العالم، وبإبطال النظر والاستدلال، وزعموا ألا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكروا المعاد والبعث بعد الموت، وأجازوا أن ينقل روح إنسان إلى كلب والعكس.
- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص270.

قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم، فلم يدر أربعين يوما، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة زنادقة النصارى-لعنهم الله- وذلك أن زنادقة النصارى-لعنهم الله تعالى- يزعمون أن الروح التي في عيسى ابن مريم روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسانه، فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائب عن الأبصار. فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحا؟ قال: نعم، قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا، قال: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قال: فهل وجدت له مجلسا أو حسا؟ قال: لا، قال: فكذلك الله لا يرى له وجه: ولا يسمع له صوت، ولا يشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان، ووجد ثلاث آيات من القرآن من المتشابه قوله تعالى: (ليس كمثله شيء)[1]، وقوله: (وهو الله في السماوات وفي الأرض)[2]، وقوله: (لا تدركه الأبصار)[3]، فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث النبي-صلى الله عليه و سلم- فزعم أن من وصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عن النبي-صلى الله عليه و سلم- كان كافرا، أو كان من المشبهة، فأضل بشرا كثيرا، وتبعه إلى قوله، رجال من أصحاب عمرو بن عبيد، وأصحاب فلان، ووضع دين الجهمية[4].

هكذا نشأت الجهمية، وقد بدأت معالمها ومبادؤها تتضح في الله وصفاته، وكذلك في النبوة، وسنعرف التفاصيل في الصفحات اللاحقة، كما سنعرف درجة إيمان الجهم بالله وبرسوله، وبالقرآن وسنكتشف سبب اهتمام العلماء بالرد عليه، فجهم في الحقيقة لا يقيم للقرآن وزنا، فكيف يمكن أن يكون له إيمان، فقد ذكر صاحب لجهم قال: بينما هو يقرأ (طه)، والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية (الرحمان على العرش استوى)[5]، فقال: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت، فاحتملت هذه، ثم أنه بينما هو يقرأ آية إذ

---

[1]- الشورى : 110.

[2]- الأنعام : 03.

[3]- الأنعام : 103.

[4]- اجتماع الجيوش الاسلامية في الرد على المعطلة والجهمية -المرجع السابق- ص158، 159.

[5]- طه : 05.

قال: ما أظرف محمدا حين قالها، ثم بينما هو يقرأ (طسم) القصص، والمصحف في حجره إذ مر بذكر موسى عليه السلام، فدفع المصحف بيديه ورجليه، وقال: أي شيء هذا؟[1].

المطلب الثاني : مبادئ الجهمية

1- القول بالجبر، والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الله تعالى، والقائلون بالجبر أصناف، فهناك جبرية خالصة، وهي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، وإلى هذا الصنف تنتمي الجهمية، وجبرية متوسطة، وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وقد احتجت الجبرية على ما ذهبت إليه فقالوا: لما كان الله تعالى فعالا وكان لا يشبهه شيء من خلقه، وجب الا يكون لأحد فعل غيره[2]. وإذا كانت مخاطر القدرية تكمن في تعطيل بعض الشرائع اعتمادا على قدرة الإنسان فإن مخاطر الجبرية تكمن في رفع المسؤولية عند التحلل من الشرائع، ونسبة الظلم إلى الله تعالى، فإذا لم يكن للإنسان أي فعل في الحقيقة، وكل ما يفعله ليس له خيار في تركه، فمعناه أنه لا يحاسب على ما أجبر عليه، وهذا يدفع الكثير من الناس إلى الحرام وترك الواجبات، كما تنسب الجبرية بناء على هذا، الظلم إلى الله سبحانه عندما يعاقب أحدا على ذنب ارتكبه، وبالإضافة إلى كون الجهمية جبرية، فقد اعتبرهم الأشعري إحدى فرق المرجئة[3].

2- إذا أتى الإنسان بالمعرفة ثم جحد بلسانه فإنه لا يكفر بجحده، وأن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وأن الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح[4]، والجهمية بهذا يخالفون كثيرا من النصوص التي تقرن الإيمان بالعمل، مثل قوله تعالى (إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات)[5]، وقولهم هذا يتفق مع قول المرجئة لا يضر مع الإيمان معصية. ويخالف ما ذهب إليه أهل السنة من أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وانه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالأركان، وقد ورد التعبير عن زيادة الإيمان في ثمان آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا)[6].

1- اجتماع الجيوش الاسلامية -المرجع السابق- ص170.
2- مذاهب الاسلاميين، -المرجع السابق- ص102.
3- مقالات الاسلاميين، -المرجع السابق- ج1 ص197.
4- مقالات الاسلاميين، -المرجع نفسه- ج1 ص198.
5- العصر : 03.
6- الأنفال : 02.

3- القول بفناء الجنة والنار، وفناء من فيهما[1]، وهذا القول يخالف نصوصا كثيرة صريحة في خلود أهل الجنة في الجنة، وخلود أهل النار في النار، والجهم قد أخذ تأويله هذا عن معنى "الآخر" في وصف الله تعالى، فقال: إنه لا يزال كائنا موجودا ولا شيء سواه، ولا موجود غيره، وأن الجنة والنار تفنيان، ويبيد من فيهما ويفنى[2].

والظاهر من كلام الجهمية، ومخالفتهم للنصوص الصريحة، أنهم لا يؤمنون حقيقة، لا بالقرآن ولا بالله، قال عاصم بن علي[3] -شيخ البخاري وغيره-: ناظرت جهميا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن في السماء ربا[4]، وقال ابن تيمية: كان الجهمية يدورون على هذا، ولم يكونوا يصرحون به لوفور السلف والأئمة، وكثرة أهل السنة، فلما بعد العهد، وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان أولئك يشيرون إليه و يدورون حوله[5].

وقال خارجة بن مصعب[6]: الجهمية كفار، أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم، لا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنائزهم، ثم تلا طه إلى قوله (الرحمان على العرش استوى)[7]، [8].

وتذهب بعض المصادر إلى أن الجهم بن صفوان قد أخذ مقالته في نفي صفات الله تعالى عن الجعد بن درهم، والجعد قد أخذ التعطيل عن أبان بن سمعان، وأخذ أبان عن طالوت، وأخذ طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي -صلى الله عليه وسلم-[9].

1- مقالات الاسلاميين، -المرجع السابق- ج1 ص199.

2- مقالات الاسلاميين، -المرجع نفسه- ج2 ص199.

3- هو عاصم بن علي بن عاصم، كان ثقة وليس بالمعروف بالحديث، ويكثر الخطأ فيما حدث به، توفي بواسط سنة إحدى وعشرين ومائتين.
- الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج7 ص229.

4- اجتماع الجيوش الاسلامية -المرجع السابق- ص166.

5- اجتماع الجيوش الاسلامية -المرجع نفسه- ص166.

6- هو خارجة بن مصعب السرخسي، اتقى الناس حديثه فتركوه.
- الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج7 ص262.

7- طه : 11.

8- اجتماع الجيوش الاسلامية -المرجع السابق- ص175.

9- الرد على الجهمية، لابن مندة -المرجع السابق- ص05.

المطلب الثالث : التأويل عند الجهمية

تنصب أغلب تأويلات الجهمية على صفات الله سبحانه وتعالى، وتنطوي مجمل تأويلاتهم على التعطيل والحلول، فهم نفوا أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، وقالوا إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر[1]، وامتنعوا عن وصف الله تعالى بأنه شيء أو حي أو عالم أو مريد، وقال الجهم: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي، وعالم، ومريد، ونحو ذلك، ووصفه بأنه قادر وموجد وفاعل، وخالق، ومحي، ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده، وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية، ولم يسم الله متكلما به[2]، و الجهمية تتفق بتأويلاتهم هذه التي أفضت بهم إلى التعطيل مع المعتزلة، ومع من أثبت الصانع من الفلاسفة، ومع بعض الباطنية الذين زعموا أن القديم لا يوصف بالوجود ولكن يقال أنه ليس بمعدوم، و كذلك لا يوصف بكونه حيا عالما قادرا بل يقال ليس بميت ولا عاجز، ولا جاهل، وطردوا ذلك في جملة صفات الإثبات التي تثبت للمحدثات أسماؤها، وقالوا: لو وصفنا الرب بشيء منها مع اتصاف الحوادث كلها اقتضى تشبيها، فهؤلاء أدتهم طويتهم في نفي التشبيه إلى التعطيل[3] وهم بذلك لا يقيمون لظواهر النصوص وصريحها وزنا، لأن هناك نصوصا كثيرة وصفت الخالق-سبحانه- بما نفوه عنه.

وأما الحلول فإن الجهمية يقولون بأن الله تعالى في كل مكان، ولا يخلو منه مكان، وهم يقولون بأنه فاعل كل شيء، ولا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، كما يقال: زالت الشمس، ودارت الرحى، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعتين لما وصفتا به[4]، ومقتضى هذا الكلام أن الله سبحانه هو الفاعل الحقيقي لجميع الشرور والآثام والقبائح التي يأبى المخلوق أن يوصف بها، وإذا فعلها فاعل وصف بالنقص والفساد أو الحمق- ولعل هذه الإطلاقات التي أطلقها الجهمية على الخالق سبحانه هي سبب

---

[1]- الإبانة، للأشعري -المرجع السابق- ص60.

[2]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص212.

[3]- مذاهب الاسلاميين، -المرجع السابق- ص72.

[4]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص212.

تكفيرهم من طرف العلماء، وكثرة الردود عليهم، حتى قال عبد الله بن المبارك[1]: إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[2]. وذلك أن اليهود والنصارى شبهوا الله بالإنسان الكامل، فوصفوه بالولد والعمل والراحة، والانتصار على مقاتليه، وتحمل العذاب من أجل راحة البشرية، وهي صفات يفرح الإنسان إذا وصف بها، وأما الجهمية فقد وصفوا الخالق سبحانه بصفات النقص عند الإنسان، فهم على أصلهم في الجبر، يصفون الله بأنه سارق، وبأنه كاذب وبأنه..مما لا نستطيع أن نذكره-تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وفي أخر هذا المبحث نحب أن نذكر نماذج لتأويلات الجهمية حتى تتضح الفكرة أكثر حول تأويلاتهم وأهدافها:

1- قوله تعالى: (ليس كمثله شيء)[3] قالت الجهمية: ليس كمثله شيء من الأشياء هو تحت الأرض السابعة، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا هو في مكان دون مكان، ولا يتكلم ولا يكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا ولا الأخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا يعقل، ولا له معقل، ولا له غاية، ولا منتهى ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، لا يوصف بوصفين مختلفين وليس بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر بقلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه[4]. وبتأويلهم لهذه الآية فقد خالفوا نصوصا كثيرة صريحة، وهم صوروا الخالق بشيء لا يمكن أن تدركه العقول وما كان لا يدرك شيء منه فكيف يمكن الإيمان به ثم عبادته، والجهمية بهذا التأويل يهدفون إلى أمرين، فالأول هو تشويه الصورة التي عرفها المسلمون عن ربهم، وانطبعت في تصوراتهم، وهو أنه واحد، قادر، عالم، مريد، سميع بصير، متكلم، خالق رازق، رؤوف رحيم، شديد العقاب..وإذا شوهت هذه الصورة تزعزعت عقيدتهم في الله واضطرب إيمانهم. والثاني هو إبطال العبادات، فليس من المعقول أن يعبد ما لا يدرك، ومن وراء ذلك إبطال شرائع وشعائر الإسلام ولعل هذه الأهداف الخبيثة هي التي جعلت العلماء يمطرونهم بوابل من الردود، وتعليمات الجهمية لو تركت لأمكن لها الانتشار خصوصا بين الدهماء، وذوي الطوايا

---

[1]- هو عبد الله بن المبارك من أهل مرو، أبو عبد الرحمن كان مولده سنة ثمان عشرة ومائة، وكان أحد الأئمة فقها وعلما وورعا، وفضلا، وشجاعة وغادة فمن رحل وجمع وصنف، وحدث وحفظ وذاكر ولزم الورع الخفي، والصلابة في الدين مع حسن العشرة والأدب إلى أن مات سنة إحدى وثمانين ومائة.

- كتاب مشاهير علماء الأمصار، -المرجع السابق- ص195.

[2]- المختار من الإبانة لابن بطة، -المرجع السابق- ج2 ص139.

[3]- الشورى : 11.

[4]- اجتماع الجيوش الاسلامية -المرجع السابق- ص159.

الخبيثة لأنها تتماشى مع هوى النفس في تحريرها من ضوابط الشريعة، ولأن لها شبه سند في النص كقوله: (ليس كمثله شيء)، فما أسرع أن يتحلل بعض الناس من التكاليف اعتمادا على أمثال هذه النصوص وإن بقيت في بواطنهم ولم يصرحوا بشيء منها.

2- قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم)[1] ذهبت الجهمية إلى أن المعية في هذه الآية وفي غيرها من آيات المعية هي معية ذات، ومنه فإن الله تعالى في كل مكان، فكما هو فوق السماء السابعة، فهو تحت الأرض السابعة، قالوا: ولا نقول إنه على العرش لأنه أعظم من العرش، ولأنه إذا كان على العرش، فإنه يخلو منه أماكن كثيرة[2]، ونشير هنا إلى أن آيات المعية، من الآيات التي لم يختلف أهل السنة في تأويلها، فحتى الفريق الذي تشدد في الأخذ بظواهر النصوص حتى في الصفات، فإنه أول المعية في هذه الآية إلى معية العلم لا الذات، أي أن الله معنا بعلمه، فهو مستو على العرش وعلمه محيط بجميع الخلائق، ومعية الذات التي تحدث عنها الجهمية هي التي أفضت بهم إلى القول بالحلول، وهذا التأويل هو الذي كان مثار رد فعل العلماء عليهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل: وإذا أردت أن تعرف أن الجهمي كاذب على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء، فيقول: نعم، فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا عن نفسه، يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل: إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الإنس والجن والشياطين وإبليس في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسه، ثم دخل فيهم، كفر أيضا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر، وإن قال خلقهم خارجا عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة[3]. وقال الباقلاني: ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفي فمه وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، تعالى الله عن ذلك، ولو كان في كل مكان لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان واضحا وأن يرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله،

---

[1]- الحديد : 04.

[2]- المختار من الإبانة لابن بطة، -المرجع السابق- ج2 ص137.

[3]- اجتماع الجيوش الاسلامية -المرجع السابق- ص156-157.

ثم قال في قوله تعالى: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)[1] المراد أنه إله عند أهل السماء، وإله عند أهل الأرض، وقوله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[2]، قال يعني بالحفظ والنصر والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم، تعالى وقوله تعالى (إنني معكما أسمع وأرى)[3] محمول على هذا التاويل، وقوله تعالى: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)[4]، يعني أنه عالم بهم، وبما خفي من سرهم و نجواهم[5].

3- ذهبت الجهمية إلى القول بخلق القرآن اعتمادا على تأويل بعض الآيات، وهي قوله تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديرا)[6]، قالوا: إن قلتم أن القرآن لاشيء كفرتم، وإن قلتم القرآن شيء، فهو داخل في الآية. كما استدلوا بقوله تعالى أيضا (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)[7]، قالوا: فانتم قلتم بقول النصارى لأن المسيح كلمة الله، وهو خلق، فقلتم إن كلام الله ليس بمخلوق، وعيسى من كلام الله، كما استدلوا بقوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث..) [8]، قالوا: قلتم ليس بمحدث[9].

قال أبو عبيدة: أما قوله (وخلق كل شيء) فهو كما قال، وقال في آية أخرى (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)[10]، فأخبر أن أول خلق خلقه بقوله، وأول خلق هو من الشيء الذي يُقال: (وخلق كل شيء)، فأخبر أن كلامه قبل الخلق، وأما تحريفهم (إنما المسيح عيسى بن مريم) فلو كان كما قالوا لكان ينبغي أن يكون بين الدفتين: وكلمته ألقاها إلى مريم لأن عيسى مذكر، والكلمة مؤنثة لاختلاف بين العرب في ذلك، وإنما خلق عيسى بالكلمة لا أنه الكلمة، ألا تسمع إلى قوله (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)، يعني جبريل عليه السلام، كما قال في آية أخرى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)[11]، وقال: (إن مثل

1- الزخرف : 84.
2- النحل : 128.
3- طه : 46.
4- المجادلة : 07.
5- اجتماع الجيوش الاسلامية، لابن القيم -المرجع السابق- ص224-225.
6- الفرقان : 02.
7- النساء : 171.
8- الأنبياء : 02.
9- خلق أفعال العباد، للبخاري -المرجع السابق- ص29.
10- النحل : 40.
11- مريم : 17.

عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)[1]، فخلق عيسى وآدم بقوله (كن)، وليس بين هاتين الآيتين خلاف.

وأما تحريفهم (من ذكر من ربهم محدث) فإنما حدث عن النبي-صلى الله عليه و سلم- وأصحابه لما علمه الله ما لم يكن يعلم.

وقال ابن عيينة[2]: قد بيّن الله الخلق من الأمر بقوله (له الخلق والأمر)[3]، فالخلق بأمره كقوله (لله الأمر من قبل ومن بعد)[4]، وكقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[5]،[6].

هذه نماذج من تأويلات الجهمية وردود العلماء عليهم، والردود في حقيقة أمرها كثيرة ولا أدل على ذلك كثرة الكتب الواردة في الرد عليهم، وقد أشرنا إلى بعضها، ولسنا الآن في مجال الرد على الجهمية ولا على غيرهم، ولذلك اكتفينا بهذه النماذج من الردود.

والخلاصة أن تأويلات الجهمية لا تختلف في أهدافها، وما تؤدي إليه عن تاويلات الفرق المنحرفة الأخرى، فهي كلها تهدف إلى التحلل من الشرائع، بتعطيل الصفات، وحمل النصوص على غير محاملها، وهم في تأويلاتهم لم يلتزموا بضوابط التأويل التي ذكرناها من قبل، ومنها الجمع بين النصوص المختلفة، فهم يؤولون مع مراعاة عقولهم الفاسدة وأهوائهم لا مع مراعاة بقية النصوص الواردة في القرآن والسنة.

1- آل عمران : 59.

2- هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أبو محمد، ولد سنة سبع ومائة، انتقل إلى مكة، وجالس الزهري، وهو ابن ست عشرة سنة، مات بمكة سنة ثمان وتسعين ومائة، وحج نيفا وسبعين حجة، كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين عني بعلم السنن إلى أن مات.
- كتاب مشاهير علماء الأمصار، -المرجع السابق- ص150.

3- الأعراف : 54.

4- الروم : 04.

5- يس : 82.

6- خلق أفعال العباد، للبخاري -المرجع السابق- ص30.

المبحث الخامس: التأويل عند الباطنية

تمهيد :

الباطنية فرق كثيرة، وهي من الشيعة، منها القرامطة[1]، والحشاشون، والاسماعيلية[2]، وهي وثيقة الصلة بالفاطميين، وسميت هذه الفرقة بالباطنية لأنها تزعم أن لكل نص من القرآن ظاهر وباطن، ولا يوجد في فرق المسلمين فرقة أكثر تأويلا للقرآن من الباطنية، وتأويلاتهم للقرآن لا تمت إلى حقيقة الدين ولا إلى روحه بصلة، وكلها تصب في التحلل من العبادات، وهدم أركان الدين، كما أن هؤلاء الباطنية تمكنوا من إقامة دولة لهم في اليمن هي الدولة الصليحية، وزرعوا الرعب بين المسلمين، وعاثوا في الأرض فسادا لمدة طويلة، وقد ذكرنا جزءا يسيرا من مفاسدهم في الباب الأول، وهذه الخصائص التي ميزت الباطنية جعلت البغدادي يجعل ضررهم على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية، وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان[3]، بل إن البغدادي نفى أن تكون هذه الفرقة من فرق المسلمين بل هي من فرق المجوس[4] فلم تتمكن من إظهار عبادة النيران، فأوحت للمسلمين أن يجمروا المساجد كلها، وأن يكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها اليد والعود في كل حال، وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود أبدا، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النيران في الكعبة، وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قضاء الرشيد عليهم[5]، وللباطنية امتداد اليوم فيما يعرف بفرقة البابية أو البهائية.

---

[1] - نسبة إلى حمدان قرمط، وسمي قرمطا لأنه كان يقرمط في سيره أي يقارب في مشيه.
- فضائح الباطنية -المرجع السابق- ص34، 35.

[2] - هذه الفرقة ساقت الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه اسماعيل وانقسموا إلى فرقتين إحداهما مازالت منتظرة لاسماعيل ومع أنه مات في حياة أبيه والأخرى قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن اسماعيل بن جعفر.
- مقالات الاسلاميين، -المرجع السابق- ص62-63.

[3] - الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص282.

[4] - الفرق بين الفرق -المرجع نفسه- ص22.

[5] - الفرق بين الفرق - المرجع نفسه- ص285.

المطلب الأول : نشأة الباطنية ومبادؤها

نشأت الباطنية على أيدي جماعة من أولاد المجوس، كانوا مائلين، إلى دين أسلافهم ولم يتمكنوا من إظهاره خوفا من سيوف المسلمين، وذلك في عهد المأمون، ومن مؤسسي هذه الفرقة ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وهو والد الفاطميين، وهو أول من بث الأتباع لنشر أفكاره، فأرسلهم إلى اليمن حيث قامت لهم دولة، وهي الدولة الصليحية، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، ومنهم محمد بن الحسين الملقب بدندان، ومنهم حمدان قرمط البقار، وقد اجتمع هؤلاء وغيرهم مع ميمون القداح في سجن والي العراق، وهناك أسسوا مذاهب الباطنية ثم ظهرت دعوتهم بعد خروجهم من السجن من جهة المعروف بدندان[1].

واعتمدت الباطنية في نشر دعوتها على أسس منها الدعاء إلى الله وإلى رسوله، ويحتجون بالكتاب ومعرفة مثله وممثوله[2]، والاختصاص لعلي بن أبي طالب-رضي الله عنه- بالتقديم والإمامة، والطعن في جميع الصحابة[3]، وهم يرون أن القرآن له ظاهر وباطن، وهم يقولون لمن يتوسمون فيه قبول دعوتهم: اكشف عن السرائر، ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله واعرف معاني الصلاة والطهارة، وما روي عن النبي-صلى الله عليه و سلم- بالرموز والإشارة دون التصريح في ذلك بالعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه[4]. هكذا تكونت فرق الباطنية على أيدي جماعة من الزنادقة، ظاهرهم مع الإسلام، وباطنهم مع أديان آبائهم وأجدادهم، فقد ذكر الخشت أن القداح كان يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية[5]، وإذا كانوا كذلك فليس من الغريب أن تأتي مبادؤهم لتضرب الإسلام في الصميم، حيث انصبت على فعل

---

[1]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص282.

[2]- قال الأستاذ محمد عثمان الخشت -محقق كتاب فضائح الباطنية- وأخبار القرامطة: تتم معرفة المثل والممثول في القرآن عندهم حسب قانون المماثلة الذي يعتبر الميزان لمعرفة الحق من الباطل عندهم، على غرار المنطق الذي هو ميزان الفلاسفة، وغرار النحو ميزان أهل اللغة، وتتم المماثلة في عقيدتهم بين معان وآراء جاهزة لديهم تشكل قوام مذهبهم، ومن المعنى الظاهر الذي تعطيه النصوص القرآنية، ولتوضيح هذه العملية نعطي النموذج التالي من تفسيراتهم للقرآن، فعند قوله تعالى: (مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)الرحمن قالوا: إن المقصود بالبحرين علي وفاطمة، وبالبرزخ محمد -صلى الله عليه وسلم- وباللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين، ففي هذا النموذج التفسيري عملية مماثلة بين مثل وممثولات، يتكون المثل من البحرين والبرزخ واللؤلؤ والمرجان والعلاقة التي تكون بينهما، وتتكون الممثولات من علي وفاطمة ومحمد -صلى الله عليه وسلم- والحسن والحسين وعلاقة القرابة بينهم (ص23).

[3]- فضائح الباطنية وأخبار القرامطة -المرجع السابق- ص34.

[4]- فضائح الباطنية وأخبار القرامطة -المرجع نفسه- ص23-32.

[5]- فضائح الباطنية وأخبار القرامطة -المرجع السابق- ص33.

المحرمات، وترك الواجبات وسنرى كيف احتالوا لذلك مع الدهماء من خلال تأويلاتهم للنصوص.

المطلب الثاني : التأويل عند الباطنية

مشى الباطنية في تأويلهم للنصوص على أصلهم في الظاهر والباطن، فلم تتوقف تأويلاتهم عند النصوص المتشابهة، كما هو الحال عند بقية الفرق، وإنما مست تأويلاتهم كل ما ورد في القرآن وكل ما ورد إليهم من سنة، فقد جعلوا لكل آية من كتاب الله تفسيرا، ولكل حديث عن رسول الله-صلى الله عليه و سلم- تأويلا، وأولوا كل ركن من أركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا، ولم يكونوا بحاجة إلى نصر مذهبهم بأحاديث موضوعة جديدة كما فعلت بعض الفرق، لأن تأويل الكتاب والسنة وفق آرائهم الفاسدة، كان كافيا لنصرة مذهبهم.

والباطنية من خلال تأويلاتهم أشد الفرق خطرا على الإسلام والمسلمين لأن تأويلاتهم لا توجه إلى جميع الناس حتى ينظر فيها أهل العلم والرأي، وإنما تعطى بطريقة سرية لمن يتوسمون فيه الأخذ بها، ثم إنها تأتي الناس من الباب الذي يحبونه، وهو الإباحية المتمثل في ترك الواجبات وفعل المحرمات أي إزالة الالتزامات، وبالإضافة إلى هذا فهم يعتمدون في ذلك كله على نصوص قرآنية، وسنرى كل ذلك من خلال نماذج لتأويلاتهم نذكرها فيما يلي:

1- أبطلوا الصلاة والزكاة على الوجه الذي يعرفه المسلمون، وقالوا المقصود الحقيقي بالصلاة والزكاة هو موالاة محمد وعلي، وقالوا في قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)[1]، الزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة، من صلاها مرة في السنة، فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضا فالصلاة والزكاة لهما باطن، لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان والحج حجان، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن، يدل على ذلك (وذروا ظاهر الإثم وباطنه)[2]، وقوله تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن)[3] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس، وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، ومن ذلك

---

[1]- البقرة : 42.

[2]- الأنعام : 120.

[3]- الأعراف : 33.

قوله (وما آمن معه إلا قليل)[1]، وقوله (وقليل ما هم)[2]، وقوله (وقليل من عبادي الشكور)[3] فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم، والصلاة والزكاة سبعة أحرف دليل على محمد وعلي- صلى الله عليهما- لأنهما سبعة أحرف فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة [4].

2- تأويلهم للصوم، قالوا: الصوم هو الكتمان، ويتلون قوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)[5]، قالوا: يريد كتمان الأئمة وقت استتارهم خوفا من الظالمين، ويستدلون بقوله: (إني نذرت للرحمان صوما فلن أكلم اليوم إنسيا)[6]، فلو كان عني بالصوم ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئا، فدل على أن الصيام الصمت[7].

3- تأويلهم للطهارة، قالوا في قوله تعالى: (وإن كنتم جنبا فاطهروا)[8] معناه: فإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا، واعرفوا العلم الذي هو حياة الأرواح، كالماء الذي هو حياة الأبدان، قال الله تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)[9]، وقوله (فلينظر الإنسان مما خلق، خلق من ماء دافق)[10] فلما سمّه الله بهذا دل على طهارته، وهم يقولون أيضا أن معنى الطهارة طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجنابة هي موالاة الأضداد، أضداد الأنبياء والأئمة، فأما المني فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء والأولياء وأهل طاعته، وكيف يكون نجسا وهو مبدأ خلق الإنسان، وعليه يكون أساس البنيان، فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغسل من الغائط والبول أوجب لأنهما نجسان[11].

1- هود : 40.
2- ص : 22.
3- سبأ : 13.
4- فضائح الباطنية وأخبار القرامطة، -المرجع السابق- ص24.
5- البقرة : 158.
6- مريم : 25.
7- فضائح الباطنية وأخبار القرامطة، -المرجع السابق- ص26.
8- المائدة : 07.
9- الأنبياء : 30.
10- الطارق : 06.
11- فضائح الباطنية وأخبار القرامطة، -المرجع السابق- ص27.

وبهذه التأويلات الفاسدة يكون الباطنية قد ألغوا وتحللوا من أهم الفرائض، وهي العبادات وإذا اقتنع الناس بعدم وجوبها على الوجه الذي يعرفه المسلمون، هان عليهم بعد ذلك التحلل من غيرها، فالعبادات يقوم بها الناس جميعا بصفة جماعية وفردية والنصوص على وجوبها متواترة بينما غيرها من الواجبات كالجهاد والصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست في مرتبة الواجبات من العبادات في شهرتها وعمومها، وتوافر أدلتها، فصرف الناس عن العبادات المذكورة كفيل بأن يصرفهم عما دونها، والباطنية قد عمدوا إلى الأظهر فإذا أبطلوه هان عليهم غيره واستعانوا بالتحايل على الدهماء لإبطال العبادات بتأويل قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[1]، فقد حملوا اليقين على معرفة التأويل، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها[2]، وقد ظهر في زماننا هذا مشعوذون من أصحاب الطرق الصوفية-كما يزعمون- يحملون هذه الآية على هذا المعنى، فالإنسان عندهم مكلف بعبادة الله حتى يأتيه اليقين، فإذا أتاه له أن يترك العبادة، وفات على هؤلاء النوكى أن معنى اليقين في الآية هو الموت، فالمرء مكلف بالعبادة طول حياته إلى حين وفاته، وإلا فإنهم رموا الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالجهل وضعف الإيمان لأنهم لم يتوقفوا عن العبادة لحظة، وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- قد أوصى بالصلاة وهو على فراش الموت.

بهذه التأويلات الفاسدة أبطلت الباطنية الواجبات، فلم يبق لها إلا تحليل المحرمات وقد وجدت ذلك في تأويل قوله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)[3]، وقد استنتجوا من هذه الآية إباحة الزنا، وشرب الخمر، فقالوا: الزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك، وذلك لقوله (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن)[4]، والزينة مستورة غير مشهورة، ومنه فيبيحون الزنا والفواحش، وأيضا فهم يحلون الخمر لأنها تعمل من العنب والزبيب، والحنطة وغير ذلك، وهي مما أنبتت الأرض، كما ورد في الآية[5].

1- الحجر : 95.

2- الفرق بين الفرق - المرجع السابق- ص296.

3- الأعراف : 32.

4- النور : 31.

5- فضائح الباطنية وأحبار القرامطة، -المرجع السابق- ص25، 26، 28.

وكانت بين الباطنية إباحية مطلقة حكاها عنهم صاحب كتاب كشف فضـــائح الباطنيـة وأخبار القرامطة، وقد عاين بعض هذه التأويلات الفاسدة عندهم باليمن، وهو يرى أن أصلهـا ميمون القداح، ولم تكتف الباطنية بالتحلل من عبادات الإسلام وشعائره بـــل اســتحلت دمـاء المسلمين فقد زرعوا الرعب في بغداد وما حولها من المدائن، وأصبح من تخلف عن داره عد قتيلا لهم، وكانت لهم شوكة ومنعة، وأشرنا إلى أنهم أقاموا دولة لهم قائمـــة علـــى اســتباحة المحرمات وترك العبادات وإبطال الشرائع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس: تأويلات شيعية ضالة

على الرغم من أننا تناولنا تأويلات الباطنية وهم من الشيعة، فإننا نحب أن نختم بتأويلات أخرى ظاهرة الفساد، والفرق بين هذه التأويلات، وتأويلات الباطنية، أن تأويلات الباطنية كما رأينا كان هدفها استباحة المحرمات وترك العبادات وإبطال الشرائع، وتغيير معالم الدين كلها، أما هذه التأويلات التي سنذكرها بعد قليل، فإن غرضها هو نصرة المذهب، ونصرة بعض الأشخاص، ومن هذه التأويلات نذكر ما يلي:

1- ادعى "بيان بن سمعان التميمي"[1] أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[2]، ثم انتقلت إليه منه-يعني نفسه- فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية، وزعم أنه هو المذكور في قوله تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)[3]، وقال: أنا البيان وأنا الهدى والموعظة، وكان يزعم أنه يعرف الإسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر، وأنه يدعو بالزهرة فتجيبه، ثم إنه زعم أن الإله الأزلي رجل من نور، وأنه يفنى كله غير وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك..) [4]. وقد رد عليهم البغدادي بقوله: إذا جاز فناء بعض الإله فما المانع من فناء وجهه، فأما قوله (كل شيء هالك إلا وجهه)[5] فمعناه راجع إلى بطلان كل عمل لم يقصد به وجه الله عز وجل، وقوله (ويبقى) معناه ويبقى ربك لأنه قال بعده (ذو الجلال والإكرام) بالرفع على البدل من الوجه، ولو كان الوجه مضافا إلى الرب لقال ذي الجلال بخفض ذي، لأن نعت المخفوض يكون مخفوضا، وهذا واضح في نفسه والحمد لله[6].

---

[1]- إليه تنسب البيانية التي زعمت أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي، ثم دارت إلى محمد بن الحنفية، ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم، ثم حلت بعده في بيان بن سمعان وادعوا بذلك إلهيته.
الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص255.

[2]- هو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب، وأمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس، سمي باسم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتكنى بكنيته بإذن منه -صلى الله عليه وسلم- توفي سنة إحدى وثمانين وهو ابن ثلاث وستين من أبنائه الحسن بن محمد وهو أول من تكلم في الإرجاء.
الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج5 ص67 وما بعدها.

[3]- آل عمران : 138.

[4]- الرحمن : 26.

[5]- القصص : 88.

[6]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص237، 238.

2- أول المغيرة بن سعيد العجلي[1] الأمانة في قوله تعالى: (إن عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)[2] أولها بمنع علي من ظالميه، حيث عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين ذلك فعرض ذلك على الناس فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة علي ومنعه من أعدائه، وأن يغدر به في الدنيا، وضمن له أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل له الخلافة بعده، فقبل أبو بكر ذلك، وزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر، وتأول في عمر قوله تعالى: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر، فلما كفر قال إني بريء منك)[3]، والشيطان عنده عمر[4].

3- وزعم أبو منصور العجلي[5] أنه عرج به إلى السماء بعد خلافته للباقر[6] وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه، وقال له: يا بني بلغ عني، ثم أنزله إلى الأرض، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور في قوله تعالى: (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرقوم)[7]،[8].

---

[1]- كان يظهر في بدء أمره موالاة الإمامية، وزعم أنه هو المهدي المنتظر، واستدل على ذلك بالخبر الذي ذكر أن اسم المهدي يوافق اسم النبي -صلى الله عليه وسلم- واسم أبيه يوافق اسم، أبي النبي -صلى الله عليه وسلم- وتبعته الرافضة على دعوته إياهم إلى انتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، ثم ادعى النبوة، وعلمه بالاسم الأعظم، وأنه يحي به الموتى، وبهزم الجيوش.
- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص238-239.

[2]- الأحزاب : 82.

[3]- الحشر : 16.

[4]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص240.

[5]- زعم أن الإمامة دارت في أولاد علي حتى انتهت إلى الباقر، وادعى خلافته للباقر، وزعم أنه عرج به إلى السماء، وصلبه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج والي العراق، وهذه الفرقة ليست معدودة في فرق الاسلام.
- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص243-244-245.

[6]- هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، باقر العلم، كان معظما لأبي بكر وعمر خلافا لبعض الشيعة: توفي سنة أربع عشرة ومائة، وقيل في غيرها.
- المنتظم لابن الجوزي -المرجع السابق- ج7 ص161.

[7]- الطور : 44.

[8]- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص244.

4- ومن تأويله لقوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت)[1] استدل المختار الثقفي[2] على البَدَاء الذي قالت به الكيسانية[3]، وذلك أن المختار الثقفي أخرج ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره إلى قتال مصعب[4] وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم، وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار، وقتل أميرهم أحمد بن شميط، وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم إلى المختار، وقالوا له: لِمَا تعدنا بالنصر على عدونا؟ فقال: إن الله تعالى كان قد وعدني ذلك لكنه بدا له[5].

من خلال ما تقدم نستنتج أن الفرق الإسلامية قد استعملت كل ما أوتيت من قوة لنصرة مذاهبها، وأفكارها، حيث استعانت بالأحاديث الموضوعة للاحتجاج بالسنة، ولما لم يستطيعوا إضافة آية ولا كلمة واحدة في القرآن لجأوا إلى تأويله، وإن كان التأويل لا يمت إلى معنى النصوص التي أولوها بأدنى صلة، كما رأينا ذلك في تأويلات الباطنية، وبعض تأويلات الشيعة.

---

[1] - الرعد: 39.

[2] - هو المختار بن أبي عبيد، ويكنى أبا اسحاق، وهو أخو صفية زوجة عبد الله بن عمر بن الخطاب، خرج مطالبا بدم الحسين، وادعى أمورا كقوله: قام الآن عن هذه الوسادة جبريل، وعن الأخرى ميكائيل، ودخل عليه رجل فقال له: لولا أن أخي جبريل قام عن هذه الوسادة لألفيتها إليك، قتل سنة سبع وستين وهو ابن سبع وسبعين.
- المنتظم -المرجع السابق- ج6 ص67-68.

[3] - الكيسانية فرق كثيرة، أهمها فرقتان: إحداهما تزعم أن محمد ابن الحنفية حي لم يمت، وهم على انتظاره، ويزعمون أنه المهدي المنتظر، والفرقة الثانية منهم يقرون بإمامته في وقته وبموته، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره، ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه، وهم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان يقال له كيسان، وقيل أخذ مقالته عن مولى لعلي كان اسمه كيسان.
- الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص23، 38.

[4] - هو أبو عبد الله مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، كان من فرسان قريش، وعقلاء أهل الحجاز، قتله عبد الملك بن مروان سنة إحدى وسبعين، وله تسع وثلاثون سنة.
- كتاب مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان البستي -المرجع السابق- ص67.

[5] - الفرق بين الفرق -المرجع السابق- ص51، 52.

الـــــباب الـــــثالـــــث

التـــــــأويـــــــــل عـــــنـــــــد الـــــغـــــزالـــــــي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رأينا في الباب الثاني من هذه الدراسة أن العلماء قد اختلفوا في محكم القرآن ومتشابهه وفي حقيقته ومجازه، كما اختلفوا في تحريم تأويله وجوازه، ورأينا أن لكل فريق أدلته وحججه التي بنى عليها آراءه، وفي هذا الباب، وقبل أن نتحدث عن تأويلات الغزالي، لا بد أن نحدد موقفه وآراءه في هذه المسائل، فنبين موقفه من المحكم والمتشابه والتأويل، ثم نحدد موقفه من تأويلات سابقيه، وفي الأخير نفصل القول في تأويلاته للنصوص، ومنهجه في التأويل، حتى يكون الموضوع الذي نتحدث عنه قد وضع في إطاره المناسب، ومن هنا فإن هذا الباب يتضمن ثلاثة فصول رئيسية، فالفصل الأول يتضمن موقف الغزالي من المحكم والمتشابه والتأويل، وفيه نعالج موقف الغزالي من الحقيقة والمجاز في النصوص، كما نبين حكم التأويل وشروطه وضوابطه من وجهة نظره. أما الفصل الثاني فسوف نخصصه لموقف الغزالي من تأويلات سابقيه، وفيه نحدد موقفه من الكفر والتكفير، كما نحدد موقفه من تأويلات سابقيه، من أهل السنة والجماعة، سلفهم وخلفهم، وكذا من تأويلات الفرق الأخرى، والفلاسفة. وأما الفصل الثالث فسوف نخصصه لتأويلات الغزالي، وفيه نبين منهجه في التأويل، كما نبرز بعض تأويلاته للنصوص، فنبين موقفه من صفاته -تعالى- وكذا موقفه من بعض المسائل التي وقع خلاف كبير بشأنها بين الفرق المتقدمة عليه كالاستواء على العرش، وبعض صفات الذات، ورؤية الله يوم القيامة.

الفصل الأول

موقف الغزالي من المتشابه والتأويل

وسندرس هذا الفصل في مبحثين، نبين في الأول موقف الغزالي من المتشابه، وفيه نشرح المتشابه في نظر الغزالي وأنواعه، وماذا يجب فيه، وأما المبحث الثاني فسوف نخصصه لبيان موقف الغزالي من التأويل ، من حيث تعريفه وحكمه، وشروطه وضوابطه.

المبحث الأول : موقف الغزالي من المتشابه

المطلب الأول : المتشابه عند الغزالي

يتفق رأي الغزالي مع رأي جمهور العلماء القائلين بأن القرآن يشتمل على المحكم وعلى المتشابه، والمتشابه في نظر الغزالي هو ما أحال العقل ظاهره، وحينئذ فيحتاج بيانه إلى تأويل حيث قال: كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزا له، وجب التصديق بـــه قطعـــا إن كانت الأدلة السمعية قاطعة...وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول [1] ...وقال في المستصفى: في القرآن محكم ومتشابه كما قال تعالى: (منه ايات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات)[2]. ويرفض الغـــزالي أن تكون الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشـــابه، وبعـــد أن أورد بيانـــات سابقيه للمحكم والمتشابه ردها وقال بل الصحيح أن المحكم يرجع إلى معنيين: أحدهما المكشوف المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، والمتشابه ما تعارض فيه الاحتمـــال. الثـــاني أن المحكم ما انتظم وترتب ترتيبا مفيدا ما على ظاهر أو على تأويل... وأما المتشابه فيجـــوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركة كالقرء وكقولـــه تعالى: (الذي بيده عقدة النكاح)[3] فإنـــه مـــردد بين الزوج والولي، وكاللمس المردد بين المـــس والوطء، وقد يطلق على ما ورد في صفـــات الله مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله[4].

والذي يتتبع تأويلات الغزالي، وتفسيراته للنصوص يكتشف أن المتشابه في نظره كثـــير، وذلك ما يفسره كثرة تأويلاته، وإخفاؤه لبعض العلوم والمعاني، حتى ألف كتبا مضنونـــا بهـــا كالمضنون به على أهله، والمضنون الصغير وغيرهما، وقد صرح الغزالي في أكثر من مناسبة أن له بعض التصانيف التي لم يظهرها لأن أكثر الأفهام تستضر بها، وهو يرى أن في القـــرآن معان خاصة بطبقة معينة من أهل الحفظ والفهم، قال: (وهذه العلوم الأربعة أعني علـــم الـــذات والصفات والأفعال، وعلم المعاد أودعنا من أوائله ومجامعه القدر الذي رزقنا منه مـــع قصـــر العمر، وكثرة الشواغل، والآفات وقلة الأعوان والرفقاء بعض التصانيف لكنا لم نظهره فإنه يكل

---

[1] - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي -المرجع السابق- ص132-133.

[2] - آل عمران : 07.

[3] - البقرة : 235.

[4] - المستصفى في علم الأصول، للغزالي -المرجع السابق- ج1 ص106.

عنه أكثر الأفهام، ويستضر به الضعفاء، وهم أكثر المتوسمين بالعلم بل لا يصلح إظهـــاره إلا على من أتقن علم الظاهر، وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس وطرق المجاهدة حتـــى ارتاضت نفسه واستقامت على سواء السبيل، فلم يبق له حظ في الدنيا، ولم يبق لـــه طلـــب إلا الحق، ورزق مع ذلك فطنة وقادة وقريحة منقادة، وذكاء بليغا وفهما صافيا، وحرام على من يقع ذلك الكتاب بيده أن يظهره إلا على من استجمع هذه الصفات، فهذه هي مجـــامع العلـــم التـــي تتشعب من القرآن ومراتبها [1] ، ومن هذا الكلام يتبين لنا أن المتشابه عند الغزالي هـــو تلـــك المعاني المتعلقة بذات ربنا عز وجل وصفاته، وأفعاله، وعلم الآخرة وما فيه، والتشابه في نظره إنما جاء بسبب الاشتراك في الألفاظ، بين هذه المعاني، والمعاني التـــي نعرفهـــا فـــي أنفســـنا وعالمنا، وهذا التشابه والتشبيه ضروري في معرفة أوصاف خالقنا وأفعاله، فعندما نقول بـــأن الله قادر، فإننا نفهم أنه مستطيع على الجملة ولكن عندما نقرأ قوله (ليس كمثله شيئ) [2] فـــإن هذا يقطع التشبيه بين قدرتنا وقدرته، فقدرته لا تشبه قدرتنا البتة، ولكن تشاركـــها في الإســـم، فإذا عرفنا بأن الله تعالى حي وقادر، فلم نعرفه أولا إلا قياسا على أنفسنا، والإنســـان لا يفهـــم شيئا من صفات الله تعالى إلا إذا كان فيه ما يناسبه، وهو يفهم هذه الصفات قياسا على نفسه[3]، وهو يرى أن الإثبات مع إيهام التشبيه أهون من النفي مع إيهام التعطيل.

وهذا النوع من المتشابه –أعني المتعلق بالله وصفاته واليوم الآخر– هو الذي ضـــن بـــه الغزالي على غيره، بخلاف المتشابه الآخر المتعلق بغير هذه النصوص، فهو يتحدث عنه فـــي كتبه ويشرحه ويقيم الأدلة المختلفة على رأيه، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة أولهـــا الغزالـــي وخرج بها عن ظاهرهـــا المعروف، مما يوحي أنها من المتشابه في نظره، ومن ذلـــك قولـــه تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل..) [4] .

قال الغزالي: مثّل العلم بالماء، والقلوب بالأودية والينابيع، والضلال بالزبد، ثم نبهك على آخرها فقال: (كذلك يضرب الله الأمثال)، ويكفيك هذا القدر من هذا الفن فلا تطيق أكثر منـــه، وبالجملة فاعلم أن كل ما يحتمله فهمك، فإن القرآن يلقيه إليك على الوجه الذي لو كنـــت فـــي

---

[1] – جواهر القرآن –المرجع السابق– ص25.

[2] – الرعد: 19.

[3] – المقصد الأسنى –المرجع السابق– ص31.

[4] – الرعد: 17.

النوم مطالعا بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج إلى التعبير، واعلم أن التأويل يجري مجرى التعبير فلذلك قلنا يدور المفسر على القشر إذ ليس من يترجم معنى الخاتم والفروج والأفواه كمن يدرك أنه آذان قبل الصبح [1] ، وهو هنا يشير إلى قوله قبل هذا: ورأى بعضهم أنه كان في يده خاتم يختم به فروج النساء وأفواه الرجال، فقال له ابن سيرين[2]: أنت رجل تؤذن في رمضان قبل الصبح، قال: نعم [3] .

وهناك نوع آخر من المتشابه عند الغزالي، وإن كان له علاقة بالاشتراك اللفظي، فإنه غير متعلق بصفات وأسماء خالقنا عز وجل، واليوم الآخر، وإنما هو مرتبط بتفكير الغزالي أكثر مما هو مرتبط باللفظ الذي يدل عليه، ولذلك أول الغزالي نصوصا كثيرة، وخرج بها عن ظاهرها المعروف، تماشيا مع مذهبه في الكشف، وتفسيره بالذوق، ومن ذلك تأويله للميزان الوارد في عدة آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (والسماء رفعها ووضع الميزان) [4] ، وقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) [5] . قال الغزالي: واعلم يقينا أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله، وملكه وملكوته، لتتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه، كما تعلموا هم من ملائكته، فالله تعالى هو المعلم الأول، والثاني جبريل، والثالث الرسول، والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما لهم طريق إلى المعرفة سواه [6] . وبناء على هذه المعاني التي رآها الغزالي للميزان ألف كتابه القسطاس المستقيم.

وقد قسم الغزالي العلم إلى قسمين: علم مكاشفة وعلم معاملة، وعلم المكاشفة هو علم الباطن، وقد عرفه الغزالي بقوله: هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على

---

[1]- جواهر القرآن -المرجع السابق- ص30-31.

[2]- هو محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، كان أبوه سيرين مكاتبا لأنس بن مالك، كان من أورع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبادهم، وكان يعبر الرؤيا، رأى ثلاثين من أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومات بالبصرة سنة عشر ومائة. كتاب مشاهير علماء الأمصار -المرجع السابق- ص88 .

[3]- جواهر القرآن -المرجع السابق- ص29.

[4]- الرحمان: 07.

[5]- الشعراء: 182.

[6]- القسطاس المستقيم -المرجع السابق- ص43.

الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السماوات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب، ومعنى قوله تعالى (إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) [1]، ومعنى قوله تعالى: (إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)،[2]

ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى القرب منه والنزول في جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملإ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنات حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدّري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله [3]. وقال في موضع آخر: فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه [4].

وانطلاقا من هذه النظرة إلى العلم بنوعه الأول فإننا نجد الغزالي يفسر نصوصا كثيرة بغير ظاهرها المعروف لدى عامة الناس، ومنه نستنتج أن المتشابه في نظر الغزالي كثير ومعرفته وإدراك معناه الحقيقي ليس في متناول جميع الناس، فبعضه مقصور على أهل الفهم والعلم، من الذين لديهم اطلاع واسع على النصوص ومراميها، وعندهم علم باللغة العربية ومعاني ألفاظها، ويعرفون ما يستعمل في الحقيقة وما يستعمل في المجاز، وهذه الفئة يكفيها أن تصرف المتشابه عن ظاهره إلى معنى آخر على العموم، كصرف اليد في حقه تعالى وما شابهه عن معنى الجارحة إلى معنى آخر يليق بتنزيه الله سبحانه وتعالى، ولا يدل على التعطيل، كما أول بعضهم اليد بالقوة حينا، وبالنعمة حينا آخر،وكما أول البعض الآخر العين في حقه تعالى بالكلاءة والحفظ، وتأويل الرضا بإرادة الثواب، والغضب بإرادة العقاب. وأما البعض الآخر من المتشابه فهو أبعد من الأول من حيث إدراك معناه الحقيقي، بل إن ما يعتبر محكما عند الفئة الأولى يعتبر متشابها عند هذه الفئة، وما وصلت إليه الفئة الأولى من معان بعد التأويل يحتاج إلى تأويل آخر عند هذه الفئة، وهذه الفئة هي التي توفرت على شروط الفئة

---

[1]- الإسراء: 14.

[2]- العنكبوت: 64.

[3]- إحياء علوم الدين -المرجع السابق- ج1 ص31.

[4]- إحياء علوم الدين -المرجع نفسه- ج1 ص31.

الأولى من حيث العلم والفهم والفطنة والذكاء وزادت عليهم، والغزالي وصفهم بأنهم أتقنوا علم الظاهر، وسلكوا في قمع الصفات المذمومة، من النفس وطرق المجاهدة حتى ارتاضت نفوسهم واستقامت على سواء السبيل، فلم يبق لهم حظ في الدنيا، ولم يبق لهم طلب إلا الحق، ورزقوا مع ذلك فطنة وقادة، وقريحة منقادة، وذكاء بليغا وفهما صافيا. وبتعبير آخر فهذه الفئة لا بد أن يتوفر فيها شرطان، أولهما: العلم، بمعناه الواسع، وثانيهما: الإيمان القوي المرتبط بما يدل عليه من عمل ومجاهدة في قمع صفات النفس المذمومة ومن أمثلة هذا المتشابه الذي لا يمكن الإحاطة بمعناه لغير هذه الفئة، معنى الميزان الذي ذكره الغزالي، وهو الوارد في قوله تعالى: (والسماء رفعها ووضع الميزان) [1] ، وفي قوله: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) [2] ، فكلمة الميزان قد يحملها البعض على معناها الحسي المعروف، ولا ضرر في ذلك، إذ ليس هناك ما يحيل ذلك، لكن الغزالي رأى أن لها معنى خارج إطار الحس وهو ميزان معرفة الحق، وقد ذهب أستاذنا العلامة محمد الغزالي إلى ما يشبه هذا الفهم، قال: قد يرى الإنسان أن كلمة "ميزان" تعني -فيما تعني- تنزيل الأمر على واقع الناس...فالكتاب هو القيم والمبادئ الموحى بها، والميزان هو التجسيد العملي، أو الواقع التنفيذي البرامجي لهذه القيم والمبادئ.. نعم..لأن الميزان لا يمكن أن يكون معنى حسيا فقط.. [3] .

ومن الأمثلة كذلك معاني أحوال الآخرة، ومايتردد على ألسنة الناس دون فهم لحقيقة معناه، ومثال الأول معنى النار التي يعذب الله بها في الآخرة، فالشائع عند عموم المسلمين أنها لا تشبه نار الدنيا إلا في المعنى العام للإحراق، وفي الإسم، لكن هذه الفئة التي ذكرها الغزالي يمكن أن تصل إلى معرفة معناها الحقيقي كأنها تراها رأي العين، وكأنها ذاقت وعاشت ما يترتب عنها، ونفس الشيء يقال عن الجنة، وعن عذاب القبر وغير ذلك، ومثال الثاني معنى الملائكة والشياطين إذ لها في نفوس المسلمين معاني عامة تدل على أن الملائكة مثلا أجسام نورانية لها وظائف متعلقة بالحفظ، وتسجيل حسنات وسيئات الإنسان، وبعضها ينقل الوحي، وبعضها الآخر مكلف بالعقاب، وبعضها مكلف بالثواب، بخلاف الشيطان فمهمته إغواء الناس، وصرفهم عن جادة الصواب، وهذه المعاني لا تعتبر من المتشابه عند كثير من العلماء، لكن الغزالي يرى أن هذه الفئة يمكن أن تعرف لهذه المسميات معان غير تلك المعاني المنقدحة في

---

[1] - الرحمان: 07.

[2] - الحديد: 25.

[3] - كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي -دار الانتفاضة للنشر والتوزيع- الجزائر- ص103.

نفوس الناس وأذهانهم، وقل ذلك عن صفات وذات ربنا سبحانه، والغزالي يستدل على إمكانية حصول هذه الحالة من النصوص، لأن معاني القرآن ليست مقصورة على السماع فقط والترجمة المنقولة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا [1] .. وقال علي كرم الله وجهه: "لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب." فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار [2] وقال أيضا:..إلا أن يؤتي الله عبدافهما في القرآن [3].

ومما تقدم نعرف أن المتشابه في نظر الغزالي ضربان، فالضرب الأول هو المتشابه الناشئ بسبب الاشتراك اللفظي بين معاني قائمة، ومعاني أخرى غائبة عن الحس، وذلك مثل أوصاف الخالق سبحانه التي تشترك في ألفاظها مع أوصاف المخلوقين، وفي هذه الحالة تصرف معاني هذه الألفاظ في حق الله -سبحانه- لأنها لا تليق -على ظاهرها- بوصفه، وكذلك يمنع من إرادة معناها، كما هي نصوص أخرى، وحينئذ فيطلب لها معان أخرى تدل عليها وتليق بوصف الخالق، وهنا يشترك الغزالي مع جمهور الخلف في التأويل، وصرف هذه الألفاظ إلى ما يناسبها، نحو قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) [4] فلفظ الاستواء بمعنى الاستقرار الذي يتطلب الملامسة والجسمية غير ممكن في حقه تعالى، بمعناه المعروف في المخلوقين، وقوله -صلى الله عليه وسلم- : الحجر الأسود يمين الله في الأرض [5]، فاليمين هنا لا يستقيم أن تدل على اليد، ولا على القوة، ولذلك وجب تأويلها وقد ذكر الغزالي أن الإمام أحمد، وهو أبعد الناس عن التأويل قد أول ثلاثة نصوص، وهذا الحديث أحدها [6]. وإلى جانب هذا المتشابه المتعلق بأوصاف الله تعالى، هناك متشابه آخر ناشئ عن الاشتراك أيضا، وهو متعلق بأوصاف القيامة، وببعض المعاني العامة الواردة في النصوص من نحو قوله تعالى عن يونس -عليه السلام- (فظن أن لن نقدر عليه) [7]، وقد تقدم، فالفعل نقدر لا يستقيم مع اعتقاد

1- إتحاف السادة المتقين -المرجع السابق- ج4 ص527 .

2- إحياء علوم الدين -المرجع السابق- ج1 ص341.

3- إحياء علوم الدين -المرجع نفسه- ج1 ص341.

4- الرعد: 02.

5- تاريخ بغداد -المرجع السابق- ج6 ص328 عن جابر بن عبد الله. قال ابن تيمية عن هذا الحديث: روي عن النبي-صلى الله عليه وسلم- بإسناد لا يثبت، والمشهور أنما هو عن ابن عباس وفيه: الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه.
- مجموع الفتاوي لابن تيمية -المرجع السابق- ج6 ص397.

6- فيصل التفرقة -المرجع السابق -ص184.

7- الأنبياء: 87.

الأنبياء إذا كان من القدرة، ومنه وجب صرفه إلى معنى التقدير [1] ، وهو جائز في حق الأنبياء، ويدل عليه اللفظ.

والضرب الثاني من المتشابه لا يتعلق بالاشتراك اللفظي، وإنما هو يتعلق بما يشبه المثل والممثول عند الباطنية، وليس له قاعدة ثابتة مثل الأول، وإنما هناك عبارات واردة في القرآن أو السنة لها معان ظاهرة غير مرادة، ويقصد بها معان أخرى، ولا تدل الألفاظ الظاهرة على المعاني الغائبة بأصل وضعها، وإنما تدرك هذه المعاني بالذوق وبالكشف -وقد تقدم- وبضرب الغزالي مثالا لها بما يراه النائم فهو يرى أشياء لها معان قائمة معروفة وممكنة لكن تأويلها يعطي معاني أخرى بعيدة عن المعنى الذي رآه، ويستدل الغزالي على وجود هذا النوع من المتشابه بقوله تعالى (كذلك يضرب الله الأمثال) [2] . وقوله-صلى الله عليه وسلم- : إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا [3] . وإليه أشار الحديث في دعائه -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل [4]. وقد ذكر الغزالي كثيرا من هذه المتشابهات وأولها في جواهر القرآن.

وبسبب هذا التأويل الذي ذهب إليه الغزالي معتمدا على الكشف والذوق تعرض لانتقادات شديدة، واتهم بمحاكاة الباطنية الذين رد عليهم، حتى قال فيه صاحب تلبيس ابليس: وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه، وقال: "إن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رأهن ابراهيم-صلوات الله عليه- أنوارا هي حجب الله عز وجل، ولم يرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال بأن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق [5] . وورد في موضع آخر من الكتاب: وقد قال أبو حامد في كتاب الإحياء: مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك

---

[1]- قال الفراء: يريد أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرنا.
- معاني القرآن تأليف أبي زكريا يحي بن زياد الفراء المتوفى سنة 207هـ تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار -الدار المصرية للتأليف والترجمة ج2 ص209.

[2]- الرعد: 19.

[3]- سبق تخريجه.

[4]- مسند الامام أحمد -المرجع السابق- ج5 ص15 حديث رقم 3033.

[5]- تلبيس ابليس لابن الجوزي -المرجع السابق- ص166.

إلا بخلوة في مكان مظلم..فإن لم يكن مكان مظلم فليلف رأسه في جبته، او يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية [1].

وأما الحكمة من إيراد الشرع لبعض النصوص المتشابهة، فإن الغزالي لم يستقر في بيانها على نسق واحد، ففي إلجام العوام يذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما كان يقصد أن يغلط الخلق ويسوقهم إلى اعتقاد الباطل في ذات الله تعالى وصفاته، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء شارحا لا مبهما ملبسا ملغزا، ويذكر أن النصوص التي يوهم ظاهرها التشبيه لم يجمعها دفعة واحدة، وإنما نطق بها متفرقة في جميع عمره في أوقات متباعدة، والمتواتر والصحيح منها قليل جدا، ويرى أن جمعها هو الذي يوهم ويلبس بخلاف إيرادها كما وردت متفرقة، ثم إن أغلب ما ورد فيها روايات ضعيفة وما صح منها ذكر مع قرائن وإشارات يزول معها إيهام التشبيه [2]. ومفيد كلام الغزالي هنا أن الشرع لم يقصد إيراد المتشابه، وبناء على ذلك فلا طائل من البحث عن الحكمة في ذلك.

وأما في كتاب الإملاء على إشكالات الإحياء فإن الغزالي يقول كلاما آخر يفيد أن الشارع قد قصد إلى إخفاء بعض المعاني على بعض الناس باستعمال المتشابه من الألفاظ والعبارات، فهو يقول : وأما لأي شيئ ذكرت هذه العلوم بالإشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات، وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات، وإن كان قد سبق هذا من الشارع فيما له أن يمتحن به من كلف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون، فما بال من لم يجعل شارعا ولم يبعث لغير أن يسلك ذلك، ثم قال: والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي -صلى الله عليه وسلم- وإنما ورث العلم ليتجمل بعمله ويحل فيه كمحله، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى 4 علمه شديد القوى 5 ذو مرة فاستوى) [3]. وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فيما ورث عنه، فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله وما لم يصل إليه فيه شيئ كان له اجتهاده فإن أخطأ كان له أجر، وإن أصاب كان له أجران، ثم إن الوارث رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- يصرح بعلوم المعاملات وأشار مما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصيص، كما قال عز وجل: (وما

---

[1]- تلبيس ابليس لابن الجوزي -المرجع السابق- ص288.

[2]- إلجام العوام -المرجع السابق- ص97-98.

[3]- النجم: 4-6.

يعقلها إلا العالمون) [1]. فلم يكن للوارث تعد عن حكم الموروث، كما حكي عن أبـــي هريـــرة -رضي الله عنه- قال: إني رويت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعاءين أحدهما هو الذي بثثه فيكم، وأما الثاني فلو بثثه لحززتم السكين عن هذا البلعوم وأشار إلى حلقه [2]، ونشير هنا أن كلام الغزالي في الإلجام جاء لبيان أسباب وجود المتشابه في الصفات، بينما كلامه فـــي الإملاء أورده لتبرير كتمانه لبعض العلوم.

ونذكر في آخر هذا المطلب أن الغزالي قد منع بعض تأويلاته إلا على فئة محدودة مـــن أهل الفهم، ونهى غيره أن يعطيهـــا لغـــير أهلهـــا، وســـنرى ذلـــك فـــي المطلـــب الثـــاني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - العنكبوت: 43.

[2] - الإملاء على إشكالات الإحياء -المرجع السابق- ص48.

المطلب الثاني : الواجب في المتشابه

شرحنا في المطلب الأول ماهية المتشابه عند الغزالي، ورأينا أن للمتشابه عنده أنواع، وقد استدل على وجود تلك الأنواع بالنصوص والأمثلة، لكن ما موقف الغزالي من هذه النصـــوص المتشابهة هل يجوز أو يمنع الخوض فيها؟ وإذا جاز ذلك، فهل ذلك الجواز عام لكل النـــاس أو لفئة مخصوصة من أهل الفهم؟ فالغزالي في موقفه من هذه المتشابهات يتنوع بالنظر إلى أنواع المتشابه، وإلى أنواع الناس الذين يريدون أن يعرفوا هذا المتشابه، وهو يجتهد قدر الإمكـــان أن يحافظ على سلامة العقيدة وقوة الإيمان في النفوس، وعلى العموم فهو يرى أن المتشابه المتعلق بأسماء الله وصفاته غير الواجب في المتشابهات الأخرى، وهو يرى أن الواجب في المتشـــابه مع عموم الناس غير الواجب في المتشابه مع خواصهم، فالواجب في المتشابه المتعلق بأســـماء الله وصفاته يرى الغزالي أنه يجب على كل الناس، فيه سبعة أمور ووظائف [1] نوجزها فيمـــا يلي:

1-الوظيفة الأولى : التقديس وهي تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها..ومعنـــاه إذا سمع اليد والأصابع، وقوله - صلى الله عليه وسلم- إن الله خمَّر طينة آدم بيـــده [2] ، وأن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمان [3] ، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين، أحدهما هو الموضع الأصلي، وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب.. وقد يستعار هذا اللفظ لمعنى أخر غير الأول كما يقال البلدة في يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كـــان الأمـــير مقطوع اليد مثلا، فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعا ويقينا أن الرسول عليه الســـلام لم يرد بذلك جسما، وهو عضو مركب من لحم ودم وعظم وأن ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس، ويضرب الغزالي أمثلة أخرى بالصورة والنزول، والفوق، ويثبت أن كلهـــا لاتحمل على ظاهرها المعروف لاستحالة ذلك في حق الله تعالى، ولذلك يجب تقديـــس اللـــه تعالى عنها لأنها من قبيل الجسمية التي لا يعبد صاحبها.

---

[1]- إلجام العوام عن علم الكلام -المرجع السابق- ص45.

[2]- لم نجده بهذا اللفظ، والوارد في الطبقات الكبرى لابن سعد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن الله خلق آدم بيده -الطبقات الكبرى-المرجع السابق- ج1 ص24.

[3]- ورد الحديث في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بلفظ "إن قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمان عز وجل كقلب واحد، يصرف كيف يشاء، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك ج10 ص76 حديث رقم 6569.

2- الوظيفة الثانية: التصديق، وهو الإيمان بما قال - صلى الله عليه وسلم - وأن ماذكره حق وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذي قاله وأراده ..: وليقل آمنا وصدقنا وأن ماوصف الله تعالى به نفسه مجملا دون الخوض في التفاصيل، ويجعل هذا التصديق مبدأ له في كل ما ثبت من نصوص.

3-الوظيفة الثالثة : الاعتراف بالعجز، وهو أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته .. ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به أن يقر بالعجز، فإن التصديق واجب، وهو عن دركه عاجز، فإن ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول مالك: الكيفية مجهولة، يعني تفصيل المراد به غير معلوم.

4-الوظيفة الرابعة : السكوت عن السؤال، أي ألا يسأل عن معناه ولايخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة وأنه في خوضه فيه مخاطر بدينه وأنه يوشك أن يكفر لو خاض من حيث لا يشعر..وذلك واجب على العوام لأنه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه، وخائض فيما ليس أهلا له،فإن سأل جاهلا زاده جوابه جهلا، وربما ورطه في الكفر من حيث لا يشعر. وإن سأل عارفا عجز العارف عن تفهيمه، بل عجز عن تفهيم ولده مصلحته في خروجه إلى المكتب، بل عجز الصائغ عن تفهيم النجار دقائق صناعته ثم قال بعد ذلك بأن العوام إذا طلبوا بالسؤال هذه المعاني يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر-رضي الله عنه- بكل من سأل عن الآيات المتشابهات، وكما فعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الإنكار على قوم رآهم في مسألة القدر وسألوا عنه فقال-عليه السلام: أفبهذا أمرتم. وقال: إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال [1] ، وقال الغزالي بعد هذا: ولهذا أقول يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه المسألة بالخوض في التأويل والتفصيل، بل الواجب عليهم الاقتصار على ما ذكرناه وذكره السلف وهو المبالغة في التقديس ونفي التشبيه، وأنه تعالى منزه عن الجسمية وعوارضها، وله المبالغة في هذا بما أراد.

[1]- ورد الحديث في صحيح سنن الترمذي -المرجع السابق- بلفظ (اتركوني ما تركتكم، فإذا حدثتكم فحدثوا عني فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم) حديث رقم 2158 ج2 ص342.

5-الوظيفة الخامسة: الإمساك عن التصرف في ألفاظ هذه الأخبار، ويجب الجمود على ألفاظها، ومنع التصرف فيها يكون من ستة أوجه هي:

أ- التفسير: وهو تبديل اللفظ بلغة أخرى يقوم مقامها في العربية أو معناها بالفارسية أو التركية، بل لا يجوز النطق إلا باللفظ الوارد، لأن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها مثل لفظ الاستواء، أو أن ما يستعمل استعارة في العربية لا يستعمل كذلك في الفارسية مثلا.

ب-التأويل: وهو بيان معناه بعد إزالة ظاهره، ويمنع على العامي مع نفسه، وعلى العالم مع العامي ويجوز للعارف مع نفسه إذا كان مقطوعا به، وكذلك يجوز مع من هو مثله في الاستبصار.

ج-التصريف: ومعناه أنه إذا ورد قوله تعالى (استوى على العرش) فلا ينبغي أن يقال مستوي ويستوي لأن المعنى يجوز أن يختلف لأن دلالة قوله هو مستوي على العرش على الاستقرار أظهر من قوله (رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) [1] بل هو كقوله (خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء) [2] ، فإن هذا يدل على استواء قد انقضى من إقبال على خلقه أو على تدبير المملكة بواسطته، ففي تغيير التصاريف ما يوقع في تغيير الدلالات والاحتمالات، فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة، فإن تحت التصريف الزيادة والنقصان.

د-القياس والتفريع: مثل أن يرد لفظ اليد فلا يجوز إثبات الساعد والعضد والكف مصيرا إلى أن هذه من لوازم اليد، فإذا أثبتت صفة، فلا تثبت لوازمها حالة كونها جارحة.

ه-لا يجمع بين متفرق: أي أن هذه النصوص المتشابهة وردت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في أوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم السامعين معاني صحيحة، فإذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الإنسان، صار جمع تلك المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وإيهام التشبيه، ومعنى هذا فلا ينبغي جمعها فنقول باب في الوجه، وباب في اليد وباب في الساق وغير ذلك فلما وردت متفرقة في مناسباتها ينبغي أن تبقى كذلك.

---

[1] - الرعد: 02.

[2] - البقرة: 29.

و-التفريق بين المجتمعات: وهو عكس السابق لأن كل كلمة سابقة على كلمة أولا حقه لها مؤثرة في تفهيم معناها مطلقا ومرجحة الاحتمال الضعيف فيه فإذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها، فقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) [1] ، لا يجوز أن نقول وهو القاهر فوق غيره، بل ينبغي أن يقول فوق عباده لأن ذكر العبودية في وصفه يؤكد احتمال فوقية السيادة....

6- الوظيفة السادسة: وهي الكف أي أن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه، وينبغي لتحقيق ذلك أن يشغل نفسه بالعبادة وقراءة القرآن، فإن لم يستطع فبأي حرفة أو صناعة، بل لو اشتغل العامي بالمعاصي البدنية ربما كان أسلم له [2] .

7- الوظيفة السابعة: التسليم لأهل المعرفة وذلك بأن لا يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه قد خفي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء، فلا ينبغي أن يقيس نفسه بغيره، فلا تقاس الملائكة بالحدادين. قال الغزالي: فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام، لا ينبغي أن يظن بالسلف الخلاف في شيئ منها.. [3] .

وأما الواجب في المتشابه غير المتعلق بالذات والصفات، فيمكن البحث فيه، ولا مانع من ذلك ما دام ذلك اجتهاد لا يؤثر في الإيمان وتشويش العقيدة، ويستدل الغزالي على إباحة النظر فيه بحديث"إقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه" [4] وبالآيات التي تدعوإلى التدبر، ولا يعتبر ذلك ضربا من التفسير بالرأي المنهي عنه، وسنتعرض لهذه المسألة بتفصيل أكثر عندما نتطرق لتأويل الغزالي حديث "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" [5] في آخر الفصل الأخير.

---

[1] - الأنعام: 18، 16.

[2] - إلجام العوام -المرجع السابق- ص77.

[3] - إلجام العوام -المرجع نفسه- ص84.

[4] - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار تأليف الحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة المتوفى سنة 235هـ الدار السلفية- بومباي-الهند- حققه وصححه الأستاذ عامر العمري الأعظمي بلفظ أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه -كتاب فضائل القرآن- باب ما جاء في إعراب القرآن ج10 ص456. وقال فيه الألباني بأنه ضعيف جدا.

-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني -مكتبة المعارف- الرياض ,الطبعة الأولى 1988 مجلد 3 ص522.

[5] - ورد الحديث عند الديلمي عن أبي هريرة بلفظ (من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى سنة 975هـ -مؤسسة الرسالة- بيروت 1993، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا حديث رقم 2871 ج1 ص621.

المبحث الثاني : موقف الغزالي من التأويل

المطلب الأول : تعريف التأويل وحكمه

لا يختلف معنى التأويل عند الغزالي عن معناه العام لدى أغلب العلماء، وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر لقرينة مانعة من إرادة المعنى الأول، وقد تقدم تعريف التأويل وبيان معانيه، والأساس في هذا المطلب هو بيان حكم التأويل عند الغزالي، والغزالي عندما تعرض لبيان حكم التأويل لم يأت بحكم عام كما فعل غيره، بل إن حكم التأويل عنده يختلف باختلاف ما قد ينجر عنه ومنه فإن لتأويل العامي حكمٌ، ولتأويل العالم مع نفسه أو مع من هو مثله حكم آخر، ولتأويل العالم مع العامي حكم كذلك، وسوف نتطرق إلى هذه الأحوال بالتفصيل:

أولا: تأويل العامي: يرى الغزالي أن تأويل العامي على سبيل الاشتغال بنفسه حرام يشبه خوض البحر المغرق ممن لا يحسن السباحة، قال: ولا شك في تحريم ذلك، وبحر معرفة الله أبعد غورا وأكثرمعاطب ومهالك من بحر الماء... [1] وإذا كان تأويل العامي حراما مع نفسه، فتأويله مع غيره أشد حرمة، لأن تأويلات العامي توقعه في الاعتقاد بما لا يجوز في حق الله سبحانه، فتتشوش عقيدته وتضطرب، وقد منع من التأويل صونا لها، وحفاظا عليها، وتأويله مع غيره له ضرر أكبر وخطر أوسع لأنه يؤدي إلى اضطراب عقائد كثير من الناس، والعامي غير مطالب بالتأويل، ولا فهم كل ما ورد في النصوص، قال الغزالي: ومن هذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع واعتقد الظاهر، وحسن حاله في السيرة، فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده، وينبه على تأويلات الظاهر، فإن ذلك يؤدي إلى أن ينحل عنه قيد الشرع [2] ويرى الغزالي أن أقل ما يجب اعتقاده على المكلف "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وأن يصدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في صفات الله تعالى فإنه حي، قادر، عالم...وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات وليس عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون، ولم يكلف الرسول -صلى الله عليه وسلم- أكثر من ذلك، وعلى هذا

---

[1] - إلجام العوام عن علم الكلام -المرجع السابق- ص69.

[2] - ميزان العمل -المرجع السابق- ص369.

الاعتقاد المجمل استمرت الأعراب وعوام الخلق، وأما من كان في بلدة قرع سمعه فيها هذه المسائل وتعلقت بقلبه، فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف، فيعتقد في القرآن المقدم..كما قال السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، ويعتقد أن الاستواء حق، والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة، والكيفية فيه مجهولة، فيؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيمانا مجملا..من غير بحث عن الحقيقة والكيفية، فإن لم ينفعه وغلب عليه الإشكال وأمكن دفعه بكلام قريب من الأفهام فعل، ولا حاجة به إلى تحقيق الدليل، ويرى أنه لا ينبغي المسارعة إلى ذكر الشبهة وشرحها ثم الإجابة عنها، لأن الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله..ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام، وإنما زجروا عنه الضعفاء العوام [1] . فهذا هوحكم التأويل عند العوام، وهو الحرمة، وسؤالهم عن المتشابه بدعة كما أنه ليس من مأمورات الشرع.

ثانيا: تأويل العالم مع العامي، يرى الغزالي أنه ممنوع أيضا، ويضرب له مثلا، وهو أن يجُرّ السباح الغواص في البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة، مضطرب القلب والبدن، قال: وذلك حرام لأنه عرضة لخطر الهلاك، فإنه لا يقوى على حفظه في لجة البحر [2] . ومن هذا المنطلق ألف الغزالي كتاب إلجام العوام عن علم الكلام. ويتمثل الغزالي بأبيات من الشعر يعبر بها عن كيفية التعامل مع العوام، كما يبرر سبب كتمانه لبعض العلوم على هذه الفئة من الناس فيقول:

إني لأكتم من علمي جواهره *** كي لا يرى ذاك ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدم في هذا أبو حسن *** إلى الحسين ووصى قبله الحسنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به *** لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولا استحل رجال مسلمون دمي *** يرون أقبح ما يأتونه حسنا [3]

وقد ألف الغزالي في هذا المعنى كتاب المضنون به على غير أهله، وموقف الغزالي من التأويل مع العوام له سببان، فأما السبب الأول فهو أن بعض المعاني التي تدرك بالتأويل لا

---

[1] - رسائل الغزالي (الوعظية) ضبطه وقدم له رياض مصطفى العبد الله -دار الحكمة دمشق -المرجع السابق- بيروت ص46.

[2] - إلجام العوام عن علم الكلام -المرجع السابق- ص69.

[3] - منهاج العابدين -المرجع السابق- ص12.

يرقى إليها تفكير العامي، ولا يحيط بها فهمه لدقتها، فبدل أن تؤدي إلى إزالة لبس عند غيره، فعنده تؤدي إلى أن تشوش عليه اعتقاده، والحال أنه لم يؤمر بفهمها ولا فحصها ولا التفتيش فيها، فيكون الضرر في هذه الحالة خالصا، والنفع منعدما وذلك منهي عنه شرعا.

وأما السبب الثاني وهو الأخطرفإن بعض العوام إذا سمعوا شيئا يخالف ما درجت عليه أفهامهم، وما اعتقدوه بطريق التقليد لا تتشوش عقائدهم فحسب، بل يكفّرون صاحب التأويل ويسعون إلى قتله، وقد رأى الغزالي في عصره الذي كان يموج بالفتن أشكالا وألوانا من هذه الأحوال، فالخلاصة العامة إذن عند الغزالي هو أن العامي كُلّف في الدين بأمور مجملة يؤديها كما سمعها، وإن لم يفهم حقيقتها، وذلك منه مقبول شرعا، فلا ينبغي الخوض معه، في التفاصيل التي لا يترتب على العلم بها عمل يذكر، غير أن العامي الذي وقع له لبس في بعض المعاني التي انقدحت في ذهنه أو سمعها من بعض أهل البدع لا بأس أن يعمل العالم على دفع ذلك اللبس بكلام قريب من الأفهام، وأن يقتصد معه غاية الاقتصاد.

وقد عمل الغزالي بما أشار إليه مع العوام، فكان يقول في بعض كتبه شيئا، ويقول في بعضها الآخر شيئا يخالف الأول تماشيا مع مراعاة مستويات المخاطبين، وهذا ما جعل غيره يرميه بالتناقض وأنه يحل في موضع ما ربطه في موضع آخر، وذهب بعض الباحثين مبررا تناقض الغزالي إلى أن التناقض ظاهرة عامة تعتري كبار الفلاسفة والمفكرين، لكن الغزالي لم يتعامل مع فئتين من الناس فحسب، بل تعامل مع ثلاث فئات، ومنه فقد نجد له في المسألة الواحدة ثلاث آراء، فهو عندما يوجه كلامه إلى العوام فذلك الكلام لا يخاطب به المتكلمون، فهم لهم كلام ومعان خاصة بهم، وليست هي الغاية القصوى التي تتضمن الحقيقة بل ينبغي عليهم أن يدركوا أن فوق الكلام طورا آخر للراسخين في العلم أو لأهل البرهان،

و عليهم أن يجدوا في البحث عنه، فعلم الكلام واف بمقصوده لكنه غير واف بمقصود الباحث عن الحقائق [1] .

ثالثا: تأويل العارف مع نفسه في سر قلبه بينه وبين ربه، يرى الغزالي أن العالم العارف إذا وصل به فكره إلى تأويل نص عن ظاهره فينبغي ان يراعي فيما وصل إليه أمورا، فإذا كان ما وصل إليه قطعيا، حيث دلت الدلائل على صحته، واطمأن إليه قلبه، ففي هذه الحالة له أن يعتقده ويعمل به، وأما إذا كان ما وصل إليه مشكوكا فيه، فالأولى أن يجتنبه،ولا يحكمن على مراد الله تعالى، ومراد رسوله -صلى الله عليه وسلم- من كلامه، باحتمال يعارضه مثله من غير ترجيح، بل الواجب على الشاك التوقف، وأما إذا كان مظنونا فينبغي أن يراعي جواز ما وصل إليه في حق الله تعالى، فإن كان محالا تركه، وإن كان جائزا لكن تردد في مراده فيحتمل أن يكون جائزا بأن يقول أظن كذا، وهو صادق، ويحتمل المنع لأنه قادر على تركه، وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله تعالى أو في مراده من كلامه وفيه خطر[2] والأولى المنع.

رابعا: تأويل العالم مع من هو مثله، قال الغزالي: وأما المشتغلون بدرك الحقائق..فلهم خوض غمرة الإشكال، ومنع الكلام للعوام يجري مجرى منع الصبيان من شاطئ نهر دجلة خوفا من الغرق ورخصة الأقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة، ومع ذلك فإن المهرة إذا أصابهم الغرور قد تزل أقدامهم، ويغرقون في بحر الجهالات حيث لا يشعرون، فالصواب للخلق كلهم إلا الشاذ النادر الذي لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو إثنين سلوك سلك السلف في الإيمان بالرسل والتصديق بالمجمل، بكل ما نزله الله سبحانه وتعالى، وأخبر به الرسول-صلى الله عليه وسلم- من غير بحث وتفتيش عن الأدلة[3].

ويشترط الغزالي على العالم المؤول حتى يحدث بتأويله من هو مثله أن يكون ما وصل إليه قاطعا قال: فإن كان قاطعا فله أن يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله في الاستبصار[4] أو من هو متجرد لطلب المعرفة مستعد له خال عن الميل إلى الدنيا والشهوات، والتعصبات

---

[1] - إلجام العوام عن علم الكلام -المرجع السابق- ص47-48.

[2] - إلجام العوام -المرجع نفسه- ص69-70.

[3] - رسائل الغزالي (الوعظية) -المرجع السابق- ص46.

[4] - نوع من الحاسة السادسة نحصل به على معلومات دون استخدام الحواس العادية ودون الاستعانة بعقل شخص آخر.

- الحاسة السادسة -مكدونلد الشرق الأوسط- سلسلة المرشد العلمي ص89.

للمذاهب، وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام، فمن اتصف بهذه الصفات فلا بأس بالتحدث معه [1] .

ومما تقدم تبين لنا أن حكم التأويل عند الغزالي متردد بين المنع والجواز، وقد قيد الجواز بشروط، وهو بذلك لم يغلق باب التأويل كما فعل بعض علماء الخلف كابن تيمية، لأن إغلاقه يعطل معاني بعض النصوص التي تتحدث عن التأويل، كما أن ذلك يؤدي إلى التشبيه والتجسيم أيضا، واضطراب المعاني في الأذهان،ولما أجازه لم يجزه على إطلاقه بل اشترط فيه شروطا بعضها في الملقي وبعضها في السامع، والحكم العام للتأويل في نظر الغزالي هو منع التأويل إلا لضرورة ومصلحة، وجوازه بشروط دقيقة، وهو بهذا الحكم المزدوج يريد أن يصل إلى عدم الخطإ في فهم وحمل النصوص، فما كان منها متعلقا بأفعال المكلفين يجب فهمه ولو بالتأويل، وما كان لا علاقة له بها لا داعي للبحث والتفتيش فيه بل يكفي الإيمان به على إجماله.

وقد خرج الغزالي بهذا الحكم من دائرة أهل الجمود على ألفاظ النصوص، فسلم به من التشبيه والتجسيم، كما أنه خرج من دائرة أهل الإسراف في التأويل، وسلم بذلك من التعطيل وتحريف النصوص والتصرف فيها بالهوى.

[1] إلجام العوام - المرجع السابق- ص70.

المطلب الثاني : شروط وضوابط التأويل [1]

ذكرنا في المطلب الأول أن الغزالي قد أعطى للتأويل أحكاما مختلفة باختلاف من يوجه إليه الكلام المؤول، فهو ممنوع وحرام في حق العوام، وجائز في حق أهل الاستبصار، والغزالي كغيره من خلف أهل السنة يرى أن التأويل ضروري ولا مفر منه، فكل ما ورد به السمع ينظر، فإن كان العقل مجوزا له، وجب التصديق به قطعا إن كانت الأدلة السمعية قاطعة...وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول...فإن توقف العقل في شيء من ذلك، فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق أيضا لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط استعماله على القضاء لتجويزه [2] . ولتدليل الغزالي على ضرورة التأويل يضرب مثالا بالاستواء، فيقول: إعلم أن من أجرى الاستواء على العرش على ما ينبئ عنه ظاهر اللفظ، وهو الاستقرار على العرش، فقد التزم التجسيم، وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على التجسيم أيضا، وإن قطع باستحالة الاستقرار عل العرش، فقد تأول الظاهر وهو اعتقاد أهل الحق، وكذلك من أجرى النزول على ما ينبئ عنه ظاهر اللفظ وهو الحركة والانتقال فقد التزم التجسيم أيضا، وإن قطع باستحالة الحركة والانتقال فقد تأول الظاهر وهو اعتقاد أهل الحق، ثم قال: واعلم أن الإعراض عن تأويل المتشابه خوفا من الوقوع في محظور من الاعتقاد يجر إلى الشك والإيهام واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين وتعريض بعض آيات كتاب الله العزيز إلى رجم الظنون [3] ..

والغزالي عندما حكم بجواز التأويل لم يحكم به على إطلاقة بمعنى أنه يجوز تأويل جميع النصوص من أي كان وأمام جميع الناس، بل إنه وضع للتأويل شروطا وضوابط، بعضها في النص الذي يحتمل التأويل، وبعضها في المؤول، والبعض الآخر فيمن يؤول له، وغرضه في ذلك كله ألا تبقى بعض النصوص عقيمة لا ينتفع بمعناها وألا يجترئ على النص بالتأويل أصحاب الأهواء والجهالات، وألا تتشوش عقائد العامة إذا تلقت عقولها ما لا تستقل بحمله

---

[1] - الفرق بين الشروط والضوابط هو أن الشروط إذا انعدم واحد منها لا يمكن أن يأتي التأويل صحيحا نافعا وأما الضوابط فإن انعدامها لا يمنع من أن يكون التأويل صحيحا وإنما قد يترك آثارا سيئة ويضر أكثر مما ينفع، واشتراطهما معا يضمن تأويلا صحيحا نافعا.

[2] - الاقتصاد في الاعتقاد -المرجع السابق- ص132-133.

[3] - روضة الطالبين وعمدة السالكين -المرجع السابق- ص99.

وإدراكه.

أولا: شروط التأويل: وضع الغزالي للتأويل شروطا مختلفة بعضها في صاحب التأويل، وبعضها الآخر في المؤول له، وبعضها في النص، وسنتطرق إلى كل شرط على حده.

أ-شروط المؤول: جعل الغزالي التأويل مقصورا على الراسخين في العلم، وهم في نظره الأولياء الغارقون في بحار المعرفة المتجردون من دنيا الشهوات [1] ، ويرى أنه لا يمكن لكل أحد أن ينال مقام التأويل وإلا لما قال -صلى الله عليه وسلم- داعيا لابن عباس-رضي الله عنهما-" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" [2].ولما قال يعقوب ليوسف -على نبينا وعليهما السلام-: (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) [3] قال صاحب الكشاف في تفسيرها: يعني معاني كتب الله، وسنن الأنبياء -عليهم السلام- وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يُفسرها لهم ويَشرحها، ويَدلهم على مودعات حكمها....[4] ويقول في موضع آخر: ومعرفة ما يقبل التأويل، وما لا يقبل التأويل ليس بالهين، بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة، العارف بأصول اللغة، ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها في ضرب الأمثال[5]. ومما تقدم نستنتج أن شروط المؤول هي:

1-العلم باللغة العربية واستعمالاتها في الحقيقة والمجاز، وهذا من شأنه أن يميز به بين المعاني الحقيقية للنصوص والمعاني المجازية، وبهذا العلم يستطيع المؤول أن يحدد ويعين المعنى المقصود بالتأويل أيضا، ومنه فلا يجوز أن يخوض في التأويل العوام، والمسلمون من غير العرب الذين لا معرفة لهم بعلم اللغة العربية التي وردت بها النصوص.

2-الرسوخ في العلم، والعلم عند الغزالي له مدلول واسع جدا، وإذا اشترط الغزالي الرسوخ في العلم على إطلاقه، فمعناه أن التأويل لا يتأتى إلا لفئة نادرة جدا من الناس، ذلك أن العلم عند الغزالي أقسام، فالقسم الأول هو علم الدنيا، وهو العلوم غير الشرعية مثل الحساب

---

[1]- إلجام العوام -المرجع السابق- ص46.

[2]- سبق تخريجه.

[3]- يوسف: 06.

[4]- الأربعين في أصول الدين -المرجع السابق- ص10.
والكشاف للزمخشري دار الكتاب العربي-الطبعة الثالثة- 1987 ج2 ص445.

[5]- فيصل التفرقة -المرجع السابق- ص199.

والطب وغير ذلك، والقسم الثاني علم الدين وهي العلوم الشرعية وهي تشمل العلم بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله عليه السلام، وإجماع الأمة وآثار الصحابة، والفقه، وعلم القرآن، والقسم الآخر هو علم الآخرة، ويقسمه الغزالي إلى علم مكاشفة وهو علم الباطن، وعلم معاملة [1] ، فالإحاطة بجميع هذه العلوم شرط في المؤول، والغزالي نفسه يعرف أنه من الناذر جدا أن يتوفر هذا الشرط على إطلاقه في أحد من الناس، ولذلك فهو يرى أن مقام التأويل عزيز، يعز من يصل إليه، ولو لم يكن كذلك لما دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس بتعلم التأويل.

3-الاستقامة والمجاهدة، وقمع الصفات المذمومة في النفس، وهذه الصفات لازمة لتحصيل علم المكاشفة، وهي أيضا متضمنة في شرط الرسوخ في العلم الذي لا يتأتى إلا من الأولياء الغارقين في بحار المعرفة المتجردين من دنيا الشهوات [2] ، واشتراط الغزالي لهذا الشرط إنما غرضه إبعاد الهوى من التأويل، لأنه رأى أكثر الفرق تستعمل التأويل من أجل نصرة مذاهبها وأفكارها، فهذا الشرط هو الكفيل بسد الباب أمام أهل الأهواء حتى لا يتصرفوا في النصوص بالتأويل.

4-إذا توفرت هذه الشروط في المؤول، وأصبح في ذاته أهلا للتأويل فينبغي عليه أن يترك التأويل إلا للضرورة القصوى، ولا يؤول ما لم يصرح بتأويله الصحابة، وبهذا الشرط نفهم أن التأويل عند الغزالي حالة استثنائية، الأصل فيها المنع، ولكن للضرورة القصوى يمكن التأويل.

5-لا ينبغي للمؤول أن يستعمل غلبة ظنه في تأويل الأصول الاعتقادية بغير برهان قاطع، لأن ذلك قد يؤدي إلى تشويش بعض القلوب ولا ينبغي أن يؤول أمام العوام.

ب- شروط المؤول له: كما اشترط الغزالي في المؤول شروطا فقد اشترط فيمن يؤول له شروطا كذلك، وإن كانت هذه الشروط تختلف باختلاف النصوص المؤولة، والشروط الصارمة عند الغزالي إنما اشترطها في تأويل النصوص المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله، وعلم المعاد، فقال فيما قال: ...لا يصلح إظهاره إلا على من أتقن علم الظاهر وسلك في قمع الصفات المذمومة من النفس وطرق المجاهدة حتى ارتاضت نفسه واستقامت على سواء السبيل فلم يبق

[1] - إحياء علوم الدين -المرجع السابق- ج1 ص27.

[2] - إلجام العوام -المرجع السابق- ص67.

له حظ في الدنيا، ولم يبق له إلا الحق ورزق مع ذلك فطنة وقادة وقريحة منقادة، وذكاء بليغا وفهما صافيا.. [1] وقال في موضع آخر –وقد تقدم– فإن كان قاطعا فله أن يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله في الاستبصار، أو من هو متجرد لطلب المعرفة مستعد له خال عن الدنيا والشهوات، والتعصبات للمذاهب، وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام، فمن اتصف بهذه الصفات فلا بأس بالتحدث معه [2] . ومما تقدم نستنتج الشروط التي اشترطها الغزالي في المؤول له وهي:

1– العلم الذي يمكن المؤول له من فهم ما يلقى إليه، وهو بذلك يختلف عن العامي الذي يخشى أن يتشوش قلبه، وتضطرب عقيدته، فالمؤول له إذن يكون في مرتبة أرقى من مرتبة العامي في الفهم ولا يخشى عليه ما يخشى على العامي.

2– الاستقامة ومجاهدة النفس، وهو الشرط الذي اشترطه الغزالي في المؤول، وذلك بألا يكون صاحب هوى يطلب به الميل إلى الدنيا، أو التعصب لمذهب، وقد احترز الغزالي بهذا الشرط خشية أن يحرف المؤول له ما يلقى إليه من تأويل، ويسوء فهمه له، ولا ينقله بأمانة إلى غيره، فتعم بذلك البلوى، وينتشر الضلال، وتتشوش القلوب وتضطرب العقائد.

3– الاستعداد للتلقي وذلك بأن يكون طالب علم، أو سائلا عن فحوى نص، ومنه فلا يلقى تأويل نص إلا لضرورة، وهذا يتفق مع الشرط المتعلق بالمؤول والذي يخص التأويل بقدر الحاجة.

جـ– شروط النص المؤول:

1– أن يقوم البرهان على استحالة ظاهره، ومعنى هذا الشرط أن النص الذي يقبل التاويل ليس في متناول جميع الناس، وإنما هو مقصور على من قام عنده الدليل على استحالة الظاهر، ولهذا قال الغزالي: ومعرفة ما يقبل التأويل، وما لا يقبل التأويل ليس بالهين بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة... [3] كما أن من شروطه أن يعرف ما يجوز وما لا يجوز على الله تعالى إذا كان النص متعلقا بصفاته، والبرهان الذي به يعرف استحالة الظاهر وضع له الغزالي ميزانا خاصا في كتاب القسطاس المستقيم، وهو يرى أن الأخذ بهذا الميزان كفيل بإقامة البرهان على جواز أو استحالة الظاهر. ومنه فإن الألفاظ الواردة في التشبيه تحتمل التأويل على

1– جواهر القرآن –المرجع السابق– ص25.

2– إلجام العوام –المرجع السابق– ص70 .

3– فيصل التفرقة –المرجع السابق– ص199.

عادة العرب في الاستعارة، وما ورد في وصف الجنة والنار، وتفصيل تلك الأحوال بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل [1] ، وقد احتملت الألفاظ الواردة في التشبيه التأويل لأنه قد قام البرهان على استحالة ظاهرها كقوله تعالى ووصفه نفسه باليد والأيدي والوجه والأعين وغيرها، فالبرهان بقوله تعالى (ليس كمثله شيئ) [2] قام على استحالة معانيها الظاهرة، وهو يرى أن ذات الله ووجوده المميز مانعان من إطلاق اليد على الله بمعنى الجارحة [3] . وأما الألفاظ الواردة في وصف الجنة والنار، وتفصيل أحوالهما فلم تحتمل التأويل لعدم وجود البرهان على استحالتها، فلا نص يمنع من ذلك المعنى، وأما العقل فلا يفهم ذلك إلا بمقدار ما يلقيه إليه الوحي، ولا يمكن أن يحيل ذلك انطلاقا مما أدركه في دنياه لأن النص تضمن أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [4] .

2- أن يكون المعنى الظاهر غير مقبول عند العقل السليم المدرك، قال الغزالي: كل ما ورد السمع به ينظر، فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به قطعا إن كانت الأدلة السمعية قاطعة... وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول...فإن توقف العقل في شيء من ذلك، فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز وجب التصديق أيضا لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط استعماله على القضاء لتجويزه [5] ، وربما تعرض الغزالي لنقد كثير بسبب هذه المرتبة التي منحها للعقل، لكن العقل عند الغزالي هو العقل المدرك العارف بإطلاقات الشرع، ولنا عودة إلى العقل في الفصل الثالث من هذا الباب.

ثانيا: ضوابط التأويل:

لم يكتف الغزالي بالشروط التي اشترطها في التأويل، بل وضع له ضوابط منظمة له، وهذا يعني أن الغزالي لم يفتح باب التأويل على مصراعيه كما يتهمه بعض خصومه، ولكن

---

[1]- مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين -رضا سعادة -المرجع السابق- نقلا عن تهافت الفلاسفة- ص241.

[2]- الرعد: 19.

[3]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي طه دسوقي حبشي-دار الطباعة المصرية القاهرة -الطبعة الأولى 1987 ص101.

[4]- مسلم -الجامع الصحيح- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث 2-إرشاد الساري ج10 ص184.

[5]- الاقتصاد في الاعتقاد -المرجع السابق- ص132-133.

فتحه بشروط، وضوابط تجعل الخطأ في فهم معاني النصوص ناذرا جدا، وهذه الضوابط التي وضعها الغزالي نلخصها فيما يلي [1] :-

1- يجب عزل العامة وغير المتخصصين عزلا تاما عن قضية التأويل، وكذلك الذين يتعلمون العربية حديثا، وهذا الضابط يتفق مع أحد الشروط التي اشترطها الغزالي فيمن يؤول له، والهدف واضح بالنسبة للعوام، وأما غير المتخصصين والذين يتعلمون العربية حديثا، فهم وإن كانوا في درجة أرقى من درجة العوام فإنهم لم يتعودوا التعبير بمثل هذه الألفاظ التي تحتمل التأويل، وانطلاقا من هذا الضابط اشترط الغزالي في المؤول الإلمام باللغة العربية واستعمالاتها في الحقيقة والمجاز، لأن النصوص الشرعية وردت باللسان العربي الواسع الذي يعبر عن المعاني تارة بالحقيقة، وتارة أخرى بالمجاز، والتمييز بين ما يقبل الحقيقة وما يقبل المجاز ليس بالهين، فلا بد له من متخصصين ضالعين في علم اللغة العربية، وملمين بأحكام الدين لا ينفك أحدهما عن الآخر.

2- لم يكلفنا الله بمعرفة حقيقة هذه الأوصاف، ولا يتوقف عليها كفر ولا إيمان، ومن هذا الضابط نفهم أن التأويل عند الغزالي ليس واجبا، بل إن هذا الضابط يتضمن دعوة ضمنية من الغزالي إلى ترك التأويل في النصوص المتعلقة بأوصاف ربنا عز وجل، فحتى وإن فهمها الصحابة وعرفوا حقيقتها، فإن معرفة حقائقها ليس بواجب علينا، كما أنه لا يترتب على معرفتها عمل، ولا يترتب على العلم أو الجهل بها إيمان ولا كفر.

3- لا يمكن الأخذ بمبدإ عدم التأويل في القرآن، وليس هناك من يأخذ به ثم يطرده في كامل آياته، وهذا الضابط يتضمن ضرورة التأويل، ويبرر جوازه، وفيه رد على منكري التأويل جملة، لأن كل واحد مضطر إليه، فلا يمكن إنكار التأويل جملة ثم استعماله في بعض النصوص كما فعل بعض الخلف الذين أنكروا التاويل، وقالوا إن كل ما ورد في النصوص يحمل على الحقيقة لا على المجاز ولكنهم، أولوا آيات المعية،وأنكروا أن يكون ذلك تأويلا، فالقول بأن كل النصوص تحمل على الحقيقة خطأ، كما أن القول بأن كلها يحمل على المجاز خطأ أيضا، والصحيح أن الأصل في النص الحقيقة، لكن إذا تعارضت الحقيقة الظاهرة مع ما عرف

[1]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي-المرجع السابق- ص335 .

شرعا وعقلا مما يخالف ذلك، يلجأإلى التأويل. ولا يمكن إنكار التأويل عموما وتسمية ما دعا به النبي –صلى الله عليه وسلم– لابن عباس تفسيرا.

4– وصف الله تعالى بالاستواء والعلو وإضافة اليد والعين وغيرهما ...ليس من قبيل المتشابه الذي لايمكن معرفة معناه، إلا أنه لا يشبه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وإنما هو مشتمل على ألفاظ حدد الواضع اللغوي معناها، وهذا الضابط يتضمن أن المتشابه من حيث إمكانية العلم به نوعان، نوع لا يمكن معرفة معانيه، وهو الحروف المقطعة في أوائل بعض السور نحو: الم، ألر، كهيعص، وغيرها، فهذه وإن كانت من المتشابه لاحتمالها في المعنى أوجها إلا أنه لا يمكن الإحاطة بمعانيها من محض اللغة، لأن العرب لم ينقل عنهم استعمال هذه الحروف بهذا الشكل في التعبير عن معنى، وهذا يخالف المتشابه الآخر الذي نجد في اللغة نظائر له فيمكننا وهذه الحالة البحث والإحاطة بمعناه، ومنه فليس من السائغ أن نصف الله تعالى بكل ما وصف به نفسه على الحقيقة ثم نقول بلا كيف كما فعل بعض المتأخرين، بل إننا نؤول ما لايستقيم مع الظاهر حتى لا نقع في الخطإ والتجسيم، وذلك ممكن.

5– إذا ورد لفظ مشترك يحمل أكثر من معنى، وكان متعلقا بالله تعالى، فالواجب أن ننسب إلى الله الأليق به، ولا ننسب إلى الله – سبحانه – معنى حتى يكون الشرع قد أذن به على نحو ما أقربه جمهور الأمة، وينبغي تفادي التأويل بغلبات الظنون في هذه المعاني [1] .

إن هذه الضوابط التي وضعها الغزالي للتأويل لتدل دلالة واضحة أنه حاول قدر جهده أن يحصل نقطتين، فالنقطة الأولى، هو ألا تبقى النصوص معطلة لا يفهم لها معنى، ولا ينتفع بها، وذلك يكون بكل طرق التحصيل، ومنها التأويل، فأجاز الغزالي التأويل ونبه إلى ضرورته، وهو يرى أن اللفظ إذا حمل أكثر من معنى، ولم يكن هناك مانع من حمله على أحدهما فعلنا ولاحرج، والنقطة الثانية: أراد من خلالها أن يصل إلى أن التأويل وإن كان جائزا فالواجب فيه الاحتياط حتى لانقع في الخطإ، وهو بهذا أراد أن يصل إلى غاية نبيلة، ولكن الطريق إليها محفوفة بالمخاطر والانزلاقات، والسلامة واجبة وهي تقتضي شروط وضوابط.

وفي آخر هذا الفصل نؤكد أن الغزالي– كغيره من جمهور السلف – يقر أن في النصوص القرآنية والسنية، نصوص محكمة لا تحتمل التأويل، ونصوص متشابهة لا يستغنى

[1]– فيصل التفرقة –المرجع السابق – ص 190.

في فهمها عن التأويل، والمتشابه عند الغزالي كثير، وهو أيضا درجات، فبعضه يدركه علمـــاء الكلام وبعضه الآخر مقصور على العارفين الذين حصلوا علم الظاهر، وسلكوا طرق المجاهدة، وهو يرى أيضا أن التاويل جائز وضروري لكن بشروط وضوابط، وهو يهدف من ذلـك كلـه إلى الأمن من الزلل وتفسير كلام الله بمراده.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

موقف الغزالي من تأويلات سابقيه

بعد أن تناولنا في الباب الثاني التأويل عند الفرق الإسلامية المختلفة، لا بد أن نبين موقف الغزالي من تلك التأويلات والمواقف، قبل أن نخوض في تأويلات الغزالي ذاتها، وذلك حتى نعرف انتماءه في التأويل، خصوصا وأننا أمام عدة فرق لكل منها رأيه وموقفه الخاص من التأويل. وسوف نعالج هذا الموقف من خلال مبحثين، حيث نتحدث في الأول منهما عن موقف الغزالي من ظاهرة التكفير التي انتشرت بين الفرق الإسلامية بسبب التأويل والإختلاف الناجم عنه، وفيه نوضح موقفه من هذه الظاهرة، ونبين شروط وضوابط التكفير، وسنرى أن الغزالي أبعد الناس عن تكفير المخالفين في القضايا المرتبطة بالتأويل، وأما المبحث الثاني فسوف نخصصه لموقف الغزالي من تأويلات الفرق، وفيه نبين انتماءه العام في التأويل، هل هو ينتمي إلى مدرسة السلف، أو الخلف، أو إلى أي فرقة أخرى، كما نوضح موقفه من أفكار الفلاسفة وأقاويلهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : مذهب الغزالي في قضية الكفر والتكفير

لقد عاش الغزالي في بيئة سياسية وفكرية نشطة، فشاهد الكثير من الحروب الداخلية بين المسلمين، ورأى الكثير من الفتن التي وصلت إلى حد القتال بين بعض الفرق والمذاهب الإسلامية، حتى وصل التطاحن والتقاتل إلى داخل المساجد، وكل واحد يدعي الصواب لنفسه، والخطأ لغيره، وكان هذا مقبولا في الأول لأن الخلافات طبيعية بين الناس عموما، ولقد عرف التاريخ الإسلامي بعض الاختلافات التي أدت إلى القتال بين المسلمين، ولكن بعض تلك الخلافات إنما كانت أسبابها الحقيقية مادية بحتة، أما أن يكون سبب الاختلاف متعلق بالتكفير فإن هذا الأمر عظيم، لأنه يهدد الأمة في وحدتها وفي دينها، ولهذا كان لازما على مفكر وعالم كبير مثل الغزالي أن يبين الرأي الفصل في قضية التكفير حتى لا تندرس بعض معالم الدين بالتحريف والتأويل، وحتى نحافظ على الوحدة العقائدية للمسلمين وذلك نبينه في المطلب الأول.

المطلب الأول : موقف الغزالي من التراشق بالتكفير

صور الغزالي هذه الحقيقة المرة التي كانت سائدة بين الفرق والمذاهب الإسلامية، بسبب مواضيع لم تكن مطروحة في عصر الصحابة، ولم تكن مطلوبة في الإيمان، فقال: فالحنبلي يكفر الأشعري، زاعما أنه كذب الرسول-صلى الله عليه وسلم- في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعما أنه كذب الرسول-صلى الله عليه وسلم- في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعما أن إثبات الصفات تكثير للقدماء وتكذيب للرسول-صلى الله عليه وسلم- في التوحيد، ثم

قال: ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف حد التكذيب والتصديق، وحقيقتهما فيه [1]، وتأمل الغزالي الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تكفير الفرق بعضها لبعض فوجد أن من أهم تلك الأسباب التقليد، فأتباع بعض الأئمة، المغالين في تقليدهم يكفرون من خرج على أقوال أئمتهم في بعض المسائل، وقد أنكر الغزالي هذا السبب، ورد على من يكفرون بمخالفة الأشعري أو غيره من الأئمة، وبين أن الإيمان هو تصديق النبي-صلى الله عليه وسلم- في كل ما جاء به والكفر هو مخالفته في شيء مما جاء به، ومنه فإن مخالفة أحد الأئمة ليست مخالفة للنبي-صلى الله عليه وسلم- قال: فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري، أو مذهب المعتزلي، أو مذهب الحنبلي، أو غيرهم فاعلم أنه غر بليد، قد قيده التقليد، فهو أعمى من العميان، فلا تضيع بإصلاحه الزمان، وناهيك حجة في إفحامه، مقابلة دعواه بدعوى خصومه، إذ لا يجد بين نفسه، وبين سائر المقلدين المخالفين له، فرقا وفصلا، ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب إلى الأشعري، ويزعم أن مخالفته في كل ما وردَ وصدَر كفر من الكفر الجلي، فاسأله من أين ثبت له كون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني إذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى، وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائدا على الذات، ولمَ صار الباقلاني أولى بالكفر بمخالفته الأشعري، من الأشعري بمخالفته الباقلاني؟ ولما صار الحق وقفا على أحدهما دون الثاني؟ أكان ذلك لأجل السبق في الزمان؟ فقد سبق الأشعريُّ غيرُه من المعتزلة، فليكن الحق للسابق عليه!! أم لأجل التفاوت في الفضل والعلم؟ فبأي ميزان ومكيل قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده!!! فإن رخص للباقلاني في مخالفته، فلم حجر على غيره؟ وما الفرق بين الباقلاني، والكرابيسي[2] والقلانسي[3] وغيرهم؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة؟[4]..

وبعد أن بين الغزالي أن الحق ليس وقفا على أحد، ومنه فلا ينبغي التكفير بمخالفة إمام، انتقل إلى مهاجمة المقلدين المكفرين، وحذّر من أنهم أقرب إلى الكفر من غيرهم، فقال: ولعلك

---

[1]- فيصل التفرقة -المرجع السابق-ص 175.

[2]- الحسين بن علي بن يزيد أبو علي الكرابيسي، سمع من الشافعي ويزيد بن هارون وجماعة، وصنف في الأصول والفروع...وقال: لفظي بالقرآن مخلوق، فتكلم فيه أحمد ونهى عن كلامه، وقال: هذا مبتدع فحذروه، وأخذ هو يتكلم في أحمد، فقوي إعراض الناس عنه، توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين.
- المنتظم -المرجع السابق- ج12 ص14

[3]- ابراهيم بن عبد الله، المعروف بالقلانسي، الزبيدي (أبو اسحاق)فقيه، عالم بالكلام، من تصانيفه كتاب في الإمامة والرد على الرافضة، توفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.-معجم المؤلفين-المرجع السابق- ج1 ص40.

[4]- فيصل التفرقة-المرجع السابق- ص131-132.

إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه، فهو إلى الكفر والتناقض أقرب، أما الكفر فلأنه نزله منزلة النبي المعصوم من الزلل الذي لا يثبت الإيمان إلا بموافقته، ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته، وأما التناقض، فهو أن كل واحد من النظار يوجب النظـــر، وأن لا ترى في نظرك إلا ما رأيت، وكل ما رأيته حجة، وأي فرق بين من يقول: قلدني في مذهبـــي، وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليلي جميعا، وهل هذا إلا التناقض؟

وبين الغزالي بعد ذلك كيف يكون الكفر الحقيقي، وهو كفر لا يرتبط بالأشخاص والآراء، وإنما يرتبط بالنصوص، فالكفر حقيقة هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء ممـــا جاء به، والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به [1] ، ثم قال: وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي فيدرك، إما بنص، وإما بقياس على منصوص، وقد وردت النصوص في اليهود والنصارى، والتحق بهم بالطريق الأولى البراهمة [2] والثنوية [3] ، والزنادقة والدهرية [4] [5] .

ومما تقدم يتضح الموقف العام للغزالي من قضية التكفير والكفر، فالكفر ليـــس مرتبطـــا بالأشخاص وإنما هو مرتبط بتكذيب النبي-صلى الله عليه وسلم- في شيء مما جاء به، فمـــن كذب النبي-صلى الله عليه وسلم- في شيء مما ثبت عنه فهو كافر بحكم الشرع، وأمـــا مـــن خالف غيره أو كذبه فيما قاله فإن الكفر لا يلزمه بمجرد التكذيب، وإنما يلزمه بعلاقة ما أنكـــره مع ما جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، ومنهُ فمن أنكرَ كلاما واردا عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قد ثبتت صحته عنده، وإنما أنكر ولم يصدق بما فيه فهو كافر، بخلاف من أنكـــر مالم تثبت صحته عنده -إن كان من أهل البحث والنظر- ولو ثبتت الصحة عند غيره، ويلحـــق

---

[1]- فيصل التفرقة -المرجع السابق- ص134.

[2]- البراهمة: طائفة دينية موطنها الهند، وهم طبقة الكهنة والحكماء والفلاسفة أعلى المراتب في الديانة الهندوكية، ويمثلون طبقة اجتماعية وراثية خاصة.
- القاموس الإسلامي- وضع أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة 1963 مجلد1 ص295.

[3]- الثنوية: مذهب ديني فلسفي يقول بأن العالم مركب من أصلين قديمين أزليين هما النور والظلمة يختلفان في الجوهر والطبع والصفات والفعل...وقد شاع خاصة في بلاد فارس قبل المسيحية وبعدها وانتسبت إليه فرق أقدمها الزرادشتية، والديصانية، والمانوية، ثم المزدكية، ويقول بأن هذا العالم نشأ من امتزاج هذين الأصلين.
- القاموس الإسلامي -المرجع نفسه- مجلد 1 ص343.

[4]- الدهرية: مذهب اعتقادي اشتق من الدهر والقول بأزليته وقدَمه وأن الحياة بما في ذلك أفعال البشر تجري نتيجة للقوانين الطبيعية...ويعتقدون أن المادة لا تفنى، وأن الحواس هي أبواب المعرفة دون غيرها..ويعتقد الدهرية أن حياة الإنسان مدارها اللذة والألم، وقد يطلق عليها المادية أو الطبيعية، ومن المصنفات المعاصرة في الرد على الدهرية كتاب "الرد على الدهريين" لمحمد عبده، و"على أطلال المذهب المادي"لمحمد فريد وجدي.
-القاموس الإسلامي- المرجع نفسه مجلد2 ص397

[5]- فيصل التفرقة-المرجع السابق- ص134-135.

بهذا من أنكر أحد المعاني المحتملة للنص إذا كان متشابها، فإنه كذلك لا يكفر لاحتمال أن يكون المعنى الذي أنكره غير مراد، وذلك أن المراد في النصوص المتشابهة غير مقطوع به، ولذلك كثر الخلاف حول هذه النصوص،فمن قال بأن معنى اليد الوارد في النص ليست على الحقيقة، وإنما هي مجاز على النعمة فلا يكفر، ومن قال إنها مجاز عن القوة فلا يكفر، ومن قال بأنها لا تعني لا النعمة ولا القوة، فلا يكفر أيضا، وذلك لأن النص لم يرد بإرادة معنى بعينه والعرب قد استعملت اليد للدلالة على الحقيقة، وعلى المجاز في النعمة والقوة. ومن هنا فإن من توفرت له أدوات الاجتهاد فله أن يجتهد ولا يكفر بما توصل إليه، بخلاف من لم يكن من أهل الاجتهاد فقد يتوصل به بحثه إلى الكفر وهو لا يشعر. وما ورد في تكفير الفرق لبعضها إنما هو من قبيل المتشابه الذي لم نكلف بالبحث فيه، ولا يترتب على معرفته عمل، كما أنه ليس هناك ما يرجح فيه معنى على آخر من معانيه المحتملة، وسوف نفصل القول في بعض هذه الأمثلة التي ذكرها الغزالي، ونرى أقوال الفرق فيها، فقد ذكر الغزالي ابتداء أن الحنبلي يكفر الأشعري في إثبات الفوق لله تعالى، وفي استوائه على العرش، فالحنابلة يقولون بأن الله تعالى فوقنا في السماء، ويحملون كلمة فوق كما وردت في النص، على الحقيقة بينما يرى الأشاعرة بأنها فوقية الرتبة لا فوقية الجهة، وقبل أن نخوض في بيان وجهة نظر كل فريق وأدلته نقول بأن معرفة معنى الفوق بالنسبة لله تعالى غير مطلوبة، ولم نكلف بها، ولم يثبت عن الصحابة -رضوان الله عليهم- خوض فيها.

وصميم الاختلاف بين الفريقين، هل أن الله موجود في جهة فوق، أو أنه منزه عن الجهات أصلا، وما ورد في وصفه بالفوقية، إنما هي فوقية الرتبة لا الجهة؟ يرى الحنابلة القائلون بالجهة أن الله عز وجل في جهة فوق، وجهة فوق هي أشرف الجهات، وهي أولى به لشرفها، ويستدلون على هذا الرأي بدليل عقلي، وأدلة أخرى نقلية:

أما الدليل العقلي فخلاصته أنه لا يمكن تصور موجود لا في جهة من الجهات الست وهي فوق وتحت وأمام ووراء، ويمين، وشمال.واستدلوا بأدلة سمعية منها:

1- رفع الداعين أيديهم إلى السماء، فمشروعية رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء متواترة معنويا، كما أن الطبيعة الإنسانية تقتضي هذا، فمن ألمت به رَغبة أو رهبة رفع يديه إلى السماء، وهذا كله يدل على أن الله في السماء [1] .

2-حديث الجارية الذي أخرجه مسلم بالسند إلى معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، فصككتها صكة، فأتيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فعظم ذلك علي فقلت: أفلا أعتقها؟ قال إئتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة [2]. فهذا هو قول الحنابلة، وهذه أهم أدلتهم، وأما الأشاعرة فانكروا أن يكون الله في جهة من الجهات وأولوا النصوص التي ذكرت أن الله في السماء، وأنه فوقنا إلى فوقية الرتبة، واستدلوا على مذهبهم بما يلي:

1-استدل الغزالي على مذهبهم [3] ، فرأى أنه لا يجوز أن يكون الله عز وجل في جهة من الجهات..ويرى أنه ينبغي أن يفهم النص في إطار سوابقه ولواحقه، كما أنه يجب أن يفهم النص مقيسا إلى المتحدث عنه، وما يجوز في حقه وما لا يجوز، خصوصا إذا كان هذا النص يحتوي على كلمات استعملت في اللغة بأكثر من معنى، فإن الباحث والحالة هذه يجب أن يختار من المعاني المستعملة أكثرها ملاءمة لموضوع بحثه. والجهات الست ليست أمورا مطلقة، وإنما هي أمور نسبية، يتوقف وجودها على وجود غيرها فهي حادثة، والله عز وجل قديم، فأين كان الله قبل أن توجد هذه الجهات، بل أين كان الله قبل أن يوجد هذا المخلوق الذي على أساسه تحددت هذه الجهات؟..إن الجهة والمخلوق الذي تقاس إليه هذه الجهات جميعا من خلق الله، وهل يُعقل أن يكون الله عز وجل قد خلق الخلق وهو يحتاج إليه؟ وهذا هو مفهوم الجهة، وقد تبين من تحديد مفهوم الجهة على هذا النحو أنه لا يجوز لعاقل أن يقول بأن الله في جهة لأن مفهوم الجهة نفسه يدل على أنه لا يجوز نسبته إلى الله عز وجل[4].

---

[1] - الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع السابق- ص112.و-الاقتصاد في الاعتقاد-المرجع السابق- ص29 إلى 35.

[2] - ورد الحديث في مسند الإمام أحمد بلفظ قريب من هذا اللفظ عن أبي هريرة ج15 ص31 حديث رقم 7893.

[3] - الاقتصاد في الاعتقاد -المرجع السابق-ص22...35.

[4] - الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع السابق- ص103-104-105-106.

ومن الأدلة التي استعملها الغزالي في نفي الجهة أن الله عز وجل لو كان مختصا بجهة هي جهة فوق لكان موازيا لجسم العالم، ومتناهيا من جهته، والموازي للشيء إما ان يكون أكبر أو أصغر أو مساوي له، فهذه احتمالات عقلية ثلاثة لا بد من القول لواحد منها في كل أمرين متوازيين، وسواء قلنا بأنه أكبر أو أصغر أو مساوي، فإن اختيارنا سوف يوقعنا في القول بالمستحيل، لأن هذه الأوصاف جميعها لا يوصف بها إلا الحادث، والله قد ثبت قدمه، واستحال عليه الحدوث[1].

وهناك دليل آخر يقيمه الغزالي على نفي اختصاص الله بالجهة، وخلاصته أن الجهة لا يكون فيها إلا أحد شيئين، الشيء الأول: هو الذي يشتغل تلك الجهة، ويملك حيزه، ويمنع غيره من أن يشغل ذلك الحيز الذي ملأه بالامتداد فيه (وهذا هو الجوهر)، والشيء الآخر الذي يشغل الجهة لا يشغلها بالامتداد فيها بذاته، وإنما يشغلها تابعا لغيره باعتبار أن ذلك الغير هو موضوعه المقوم له، (وهذا هو العرض)، فالجهة إذن لا يشغلها إلا الجوهر الذي يحل فيها بنفسه، والعرض الذي يشغلها تابعا لغيره وقد ثبت بأن الله ليس بجوهر ولا عرض[2].

2- رد الغزالي عل الدليل العقلي للقائلين بالجهة، ورأى بأن قولهم لا يمكن تصور موجود لا في جهة من الجهات الست، قال بأن هذا القول حق، لكنه لا ينطبق على كل موجود، وإنما ينطبق على الموجودات التي تختص بالجهات، فمن يقول بأن هناك جوهر أو عرض، ولكنه ليس في جهة، فهذا أمر غير معقول لأن الجواهر والأعراض لا وجود لها إلا في الجهات، أما الموجود الذي لا يختص بجهة فإننا لا نكون متناقضين مع أنفسنا ولا مع الواقع، حينما نعترف بوجوده، وننفي عنه الاختصاص بالجهات، والفكرة تتضح أكثر إذا ضربنا لها الأمثال: إن الحجر موجود، فلو قلنا أنه ليس بعالم ولا جاهل ولا متكلم ولا أبكم إلى غير ذلك لا نكون متناقضين، برغم أننا رفعنا الشيء ونقيضه، أو رفعنا الشيء وضده، والذي جعلنا غير متناقضين في هذه الأحكام هو أن الحجر ليس بحي، والحياة هي شرط الوصف بالعلم أو الجهل، وبالعمى والبصر... وإذا كان الله عز وجل منزه عن الاختصاص بالجهة، ثم وصفته بأنه منزه عن الجهات جميعا، فإن هذا الوصف لا يوقعنا في التناقض [3].

---

[1]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع السابق-ص107.

[2]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع نفسه-ص107.

[3]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع نفسه-ص109-110.

3- كما رد الغزالي على الدليل المتعلق برفع الداعين أيديهم إلى السماء بنظرة شاملة إلى النصوص، فهو يرى بأن الله لم يتعبد بالدعاء وحده، ولكن تعبد بالصلاة، وفيها توجه إلى الكعبة وسجود إلى الأرض، وتعبدنا أيضا بالحج والعمرة، وفيهما طواف حول البيت، وسعي بين الصفا والمروة، واختص الحجيج بالوقوف في الحج في عرفة وغيره من المبيت بالمزدلفة ومنى...والمتأمل فيما ذكرناه وكثير غيره، يجد الشرع الحكيم يربط الإنسان بمكان أو جهة في بعض العبادات، وتختلف الأماكن والجهات باختلاف العبادات، ولا يمكن أن نقول تبعا لذلك أن الله في الكعبة أو في الأرض أو في عرفة أو في مزدلفة، وفي رفع الأيدي في الدعاء إلى السماء نفس الحكم، فالمكلف واحد، ومصدر الشرع لا اختلاف فيه [1].

4- وأما دليل الجارية فقبل أن يرد الغزالي عليه تتبع مختلف روايات الحديث، ووصل إلى أن الجارية كانت خرساء أو عجماء، وأنها من قوم يعبدون أصناما يتوجهون إليها في الأرض، وهو يرى أن الجارية إنما أشارت إلى السماء لتدل على أن معبودها عالي الرتبة، وليس كآلهة قومها، الأصنام الموجودة في الأرض، وربما تكون الجارية قد أخذت فعلها هذا مما رأته من أحوال المسلمين عند الدعاء حيث أنهم يرفعون أيديهم حين يلجأون إلى ربهم. ولما كانت الجارية لا تبين عن مقصودها بالحرف والصوت، ولما كانت قد أشعرت أن معبودها هو نفس معبود المسلمين الذي كلفهم برفع الأيدي عند الدعاء إلى السماء، ولما كانت قد تبرأت من الآلهة التي تعبد في الأرض، قبل النبي-صلى الله عليه وسلم- منها إيمانها، وقال: أعتقها فإنها مؤمنة [2] وممن قال بعدم حصر الله في السماء أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي في كتابه دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، والآبي [3] في شرح مسلم، والنووي في شرح مسلم أيضا، والقاضي عياض [4] .

فهذا هو قول الأشاعرة -والغزالي واحد منهم- في الجهة، وإنما اعتمد الحنابلة الذين كفروهم على النصوص التي ذكرت أن الله في السماء، ومن فوق، نحو قوله تعالى (وهو الله

---

[1]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع السابق-ص115.

[2]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع نفسه-ص119.

[3]- هو محمد بن خلفة الأبي نسبة إلى قرية من تونس، قرأ على ابن عرفه وغيره وكان عالما محققا، وصفه ابن حجر بأنه عالم المغرب بالمعقول، من آثاره شرح مسلم الذي سماه "إكمال المعلم في شرح مسلم" جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة في ثلاث مجلدات، مات سنة سبع وعشرين وثمانمائة
-البدر الطالع-المرجع السابق- ج2 ص169 .

[4]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع السابق- ص120- 121 .

في السموات..) [1]، وقوله: (يخافون ربهم من فوقهم) [2] . والحنابلة لا يقولون بالتأويل، ويحملون النصوص على الحقيقة لا على المجاز، وتأويل الأشاعرة لهذه النصوص بما يفيد أن الله ليس في السماء، إنكار عندهم لهذه النصوص، وذلك يوجب الكفر.

وما قلناه عن الجهة هنا يمكن أن يقال عن الاستواء، وعن سائر الأمور التي وقع التكفير بسببها فالتكفير راجع في مجمله إلى اختلاف في فهم هذه المعاني، فبعض الفرق قد تمسكت بالظاهر وامتنعت عن التأويل، وبعضها الآخر قد أول بتأويلات مختلفة، ومجرد الاجتهاد في فهم هذه النصوص لا يوجب التكفير، فالكفر كما أسلفنا يُقصد فيه تكذيب ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأما المعاني المعينة لهذه النصوص المتشابهة فلم يثبت فيها شيء، ولهذا فإن الغزالي يرفض رفضا باتا تكفير المؤولين والمخالفين ما دام أن ذلك التأويل لا يعارض صريح النصوص، وينطلق الغزالي في تأويله وفي حكمه من مبدإ أن اللفظ يدل على أكثر من معنى، وكل هذه المعاني قد استعمل العرب اللفظ للدلالة عليها وما دام القرآن قد نزل باللغة العربية، فإنه لا ينبغي الحجر على فكر أحد حين يريد أن يفهم من اللفظ المعنى الذي يليق بالله عز وجل [3] . وتفاديا للتعجل بالتكفير فإن الغزالي قد وضع له حدودا وشروطا وضوابط، لأن الكفر مسألة خطيرة لا يليق أن يرجم بها مسلم.

المطلب الثاني : شروط وضوابط التكفير

ينطلق الغزالي في بيانه لحقيقة الكفر من أن هذه الحقيقة لا يمكن أن يلم بها طالبو الجاه والمال ومتبعو أهواء النفوس، فقال: واعلم أن حقيقة الكفر والإيمان، وحدُّهما، والحق والضلال وسرُّهما، لا ينجلي للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال وحبهما [4] ، وبعد هذا يبدأ في بيان حد الكفر الذي يقوم على تكذيب النبي-صلى الله عليه وسلم- في شيء مما جاء به، وهو يفرق بين الأصول والفروع، فمنكر الأصول الثابتة كافر، بينما منكر بعض الجزئيات التي تحتمل النظر والاجتهاد ففيها التخطئة والتبديع، فقال: أصول الإيمان ثلاثة: إيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وما عداه فروع، واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلا، إلا في مسألة واحدة، وهو أن

---

[1]- الأنعام: 04.

[2]- النحل: 50.

[3]- الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي -المرجع السابق- ص100.

[4]- فيصل التفرقة-المرجع السابق- ص128.

ينكر أصلا دينيا، علم من الرسول-صلى الله عليه وسلم- بالتواتر، لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات، وفي بعضها تبديع كالخطإ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة [1] ، فلو قال القائل مثلا: البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي أمر الله تعالى بحجها، فهذا كفر إذ قد ثبت تواترا عن النبي-صلى الله عليه وسلم-خلافه [2] .

والتكذيب الذي يترتب عليه الكفر لا بد أن يراعى فيه جانبان، أولهما: أن يكذب ما ثبتت نسبته إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- ومنه فيكفر من كذب شيئا من القرآن أو من الأحاديث المتواترة، وهذا بخلاف تكذيب أحاديث الآحاد، لأن ثبوتها ليست في درجة اليقين، وقد رد بعض العلماء حديث الآحاد في مسائل كثيرة، وقد استثني التكذيب بحديث الآحاد من التكفير، لأن الكفر حكم شرعي متعلق بالأصول فلا ينسب إلى أحد إلا بيقين، وحديث الآحاد كما أسلفنا لم تصل درجة ثبوته إلى اليقين.

والثاني: أن التكذيب لا يتحقق إلا إذا رفض المكذب المعنى الذي أراده صاحب الخبر من خبره، فإذا لم نقطع بمراد صاحب الخبر من خبره، فإنا لا نقطع بتكذيب المكذب، إلا إذا كذب كل معاني الخبر المحتملة، فإذا أقر بأحدها، فلا يمكن القطع بأنه مكذب لجواز أن يكون صاحب الخبر قد أراد المعنى الذي أراده هو، ومع قيام هذا الاحتمال لا يمكن القطع بالتكذيب، وبدون القطع بالتكذيب لا سبيل إلى الحكم بالتكفير [3] .

ومن هنا فلا يمكن الحكم بالتكفير في مسألة التأويل ما دام المؤول قد أقر بأحد المعاني المحتملة للنص، وقد توسع الغزالي في شرح التصديق والتكذيب حرصا منه على تبرئة كثير من المسلمين من الكفر، وبيان حد التصديق الذي يكون به الإيمان، وحد التكفير الذي يكون به الكفر، فقال: التصديق إنما يتطرق إلى الخبر بل إلى المخبر، وحقيقته الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول-صلى الله عليه وسلم- عن وجوده إلا ان للوجود خمس مراتب، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب، فإن الوجود ذاتي وحسي، وخيالي، وعقلي، وشبهي، فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة

---

[1] - فيصل التفرقة-المرجع السابق-ص195.

[2] - فيصل التفرقة-المرجع نفسه-ص196.

[3] - فيصل التفرقة-المرجع نفسه-مقدمة دنيا ص116-117.

فليس بمكذب على الإطلاق...

1- أما الوجود الذاتي : فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى أخذه إدراكا، وهذا كوجود السماوات والأرض، والحيوان والنبات، وهو ظاهر، بل هو المعروف الذي لا يعرف الأكثرون للوجود معنى سواه، وفي الشرع هو ما يجري على الظاهر ولا يتأول كالعرش والكرسي.

2-وأما الوجود الحسي : فهو ما يتمثل في القوة الباصرة، من العين، مما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهده النائم، بل كما يشاهده المريض المتيقظ، إذ قد تتمثل له صورة، ولا وجود لها خارج حسه، حتى يشاهد كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه، بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صورة، جميلة محاكية لجواهر الملائكة وينتهي إليهم الوحي والإلهام، بواسطتها، فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم، وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى: (فتمثل لها بشرا سويا) [1] ، وكما أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام كثيرا. ولكن ما رأه في صورته إلا مرتين، وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها... [2].وقد علق الدكتور سليمان دنيا على هذا الوجود بقوله: وقد ضرب له الغزالي مثالا لا بأس به عندنا هو ما يشاهده النائم أو المريض، مما لا وجود له خارج حسهما، كما يشاهدان الأشياء الموجودة فعلا خارج حسهما، وفي هذه الحدود يصبح الفرق بين الوجود الذاتي، والوجود الحسي واضحا، ففي الوجود الذاتي هناك موجود له وجود استقلالي وإن لم يوجد مدرك يدركه، وفي الوجود الحسي ليس هناك إلا المدْرك فقط. أما المدرَك فلا وجود له إلا في إدراك المدرِك فقط. فهل ما ذكره الغزالي من أمثلة بعد ذلك يدخل في هذا النطاق؟ أم يخرج عنه؟ تعال ننظر: فهل تَمَثُّلُ جبريل بصور مختلفة كما يظهر الممثِل في صورة الشيخ، أو العكس يُلْغِي وجود جبريل الخارجي حتى يدخل في نطاق الوجود الحسي الذي ليس للموجود فيه وجود خارجي أصلا؟ لا..لست أظن، وهل تمثُّلُ الملك بشرا يلغي وجوده الخارجي نهائيا، حتى يصبح من قبيل الوجود الحسي فقط، وهل الصورة التي ينتهي للأنبياء الوحي بوساطتها معدومة خارجا حتى

---

[1]- مريم: 16.

[2]- فيصل التفرقة -المرجع السابق-ص175-176.

تدخل في نطاق الوجود الحسي؟ يبدو لي أن ذلك سهو وقع فيه الغزالي، فليحذر القارئ التورط فيه[1].

وتعليقا على ما أورده دنيا نقول: إن جبريل في الحقيقة صورة واحدة، ولكنه عندما يأتي الأنبياء يتخذ أشكالا وصورا مختلفة، ولعل الغزالي يقصد أن تلك الصور المختلفة لا وجود لها في الحقيقة وكذلك ما رأته مريم، فالملك الذي رأته بصورة ما موجود، ولكن تلك الصورة بذاتها غير موجودة.

وقد أضاف الغزالي مثالا آخر قال: فإن كنت لا تصدق فصدق عينك، فإنك تأخذ قبسا من نار كأنه نقطة، ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة، فتراه خطا من نار، وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار، والدائرة والخط مشاهدان. وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال [2] .

وأمثلة هذا الوجود في التأويلات كثيرة، واكتفى الغزالي منها بمثالين أحدهما: قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح [3] فيذبح بين الجنة والنار [4] . فإن من قام عنده البرهان على أن الموت عرض أو عدم عرض، وأن قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون أنه الموت، ويكون ذلك موجودا في حسهم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين باليأس من الموت بعد ذلك إذ المذبوح ميئوس منه، ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد أن نفس الموت ينقلب كبشا ويذبح.

والثاني: قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط [5]. فمن قام عنده البرهان على أن الأجسام لا تتداخل وأن الصغير لا يسع الكبير،

---

[1]- فيصل التفرقة -المرجع السابق-الهامش-ص176-177.

[2]- فيصل التفرقة -المرجع نفسه-الهامش-ص176-177.

[3]- الأملح هو الأبلق بسواد وبياض. لسان اللسان-تهذيب لسان العرب لابن منظور- دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1993 ج2 ص570.

[4]- ورد في مسلم عن أبي سعيد الخدري: يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: ثم يقال يا أهل النار: هل تعرفون هذا قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت-مسلم كتاب الجنة- إرشادالساري ج10 ص302.

[5]- أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه بلفظ: عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا. - صحيح مسلم -المرجع السابق- كتاب الفضائل، باب توقيره حديث رقم 2359.

حـــمل ذلك على أن نفس الجنة لم تنتقل إلى الحائط، ولكن تمثل للحس صورتها فـــي الحـــائط حتى كأنه يشاهدها، ولا يمتنع أن يشاهد مثال شيئ كبير في جرم صغير كما تشاهد السماء فـــي مرآة صغيرة، ويكون ذلك إبصارا مفارقا لمجرد تخيل صورة الجنة، إذ تدرك التفرقة بيـــن أن ترى صورة السماء في المرآة، وبين أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة علـــى سبيل التخيل» [1] .

3-وأما الوجود الخيالي: فهو صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك، فإنك تقدرعلى أن تخترع في خيالك صورة فيل أو فرس، وإن كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده، وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج [2] .

ومثاله في التأويل قوله-صلى الله عليه وسلم- :كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال، والله تعالى يقول له: لبيك يا يونس [3] ، والظاهر أن هذا إنباءٌ عن تمثيل الصورة في خياله، إذ كان وجود هذه الحالة سابقا على وجود رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وقد تقدم ذلك، فلم يكن موجودا في الحال، ولا يبعد أن يقال أيضا: تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور، ولكن قوله (كأني أنظر) يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر، بل كالنظر، والغرض التفهم بالمثال لا عين هذه الصورة، وعلى الجملة: فكل ما يتمثل في محل الخيال، فيتصور أن يتمثل في محل الإبصار، فيكون ذلك مشاهدة، وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل [4] .

4-وأما الوجود العقلي: فهو أن يكون للشيئ روح وحقيقة ومعنى، فيتلقى العقـــل مجـــرد معناه دون أن يثبت صورته في خيال أو حس خارج، كاليد مثلا فإن لهـــا صـــورة محسوســـة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها، وهي القدرة على البطش، والقدرة على البطـــش هـــي اليـــد العقلية، وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم، وهذا ما يتلقاه العقل من غير أن يكـــون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية [5] . وأمثلته في التأويل

---

[1]- فيصل التفرقة-المرجع السابق-ص179-180.

[2]- فيصل التفرقة-المرجع نفسه- -ص177.

[3]- ورد الحديث في سنن ابن ماجة عن ابن عباس أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف، وخطام ناقته خلبه مارا بهذا الوادي ملبيا والخلبة: الليف والحبل الصلب الرقيق.
سنن ابن ماجة-كتاب المناسك باب الحج على الرحل-المرجع السابق- ج2 ص965.

[4]- فيصل التفرقة-المرجع السابق-ص180.

[5]- فيصل التفرقة-المرجع نفسه-ص178.

كثيرة، وقد اكتفى الغزالي بضرب مثالين: أحدهما: قوله-صلى الله عليه وسلم-: "من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا" [1] ، فإن ظاهر هذا يشير إلى أنه عشرة أمثالها، الطول والعرض والمساحة، وهو التفاوت الحسي والخيالي، ثم قد يتعجب فيقول: إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الأخبار فكيف تتسع لعشرة أمثال الدنيا، والسماء أيضا من الدنيا؟ وقد يقطع المؤول هذا التعجب فيقول: المراد به تفاوت معنوي عقلي لا حسي ولا خيالي، كما يقال مثلا: هذه الجوهرة أضعاف الفرس، أي في روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل [2] ، وقد علق الدكتور دنيا على هذا المثال السابق حيث قال بأن الجنة ليست من هذه الدنيا بعد أن تتغير بمقتضى وعد الله (كلا إذا دكت الأرض دكا) [3] ...قد يعاد تكوينها لتدخل ضمن العالم الجديد، عالم الآخرة، فالمعقول على هذا أن نظير الدنيا جزء من الآخرة لا أن الآخرة جزء من الدنيا [4] .

والمثال الثاني: قوله-صلى الله عليه وسلم- :"إن الله تعالى خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا" [5] فقد أثبت لله تعالى يدا، ومن قام عنده البرهان على استحالة (يد) لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة، فإنه يثبت لله سبحانه يدا روحانية عقلية، أعني أنه يثبت معنى اليد، وحقيقتها وروحها دون صورتها، إن روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل، ويعطي ويمنع، والله تعالى يعطي، ويمنع بواسطة ملائكته، كما قال عليه الصلاة والسلام: أول ما خلق الله العقل، فقال: بك أعطي وبك أمنع" [6] ، ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرضا كما يعتقده المتكلمون، إذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق، بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الأشياء بجوهره وذاته من غير حاجة إلى

---

[1]- سبق تخريجه بلفظ قريب عن ابن مسعود، في تحفة الأحوذي -المرجع السابق- ج7 ص270-271 رقم 2722.

[2]- فيصل التفرقة -المرجع السابق- ص181.

[3]- الفجر: 21.

[4]- فيصل التفرقة -المرجع نفسه- الهامش ص181.

[5]- ورد الحديث في الطبقات الكبرى لابن سعد عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن الله خلق آدم بيده".
-الطبقات الكبرى لابن سعد -المرجع السابق- ج1 ص24

[6]- أو رد ابن الجوزي هذا الحديث بلفظ: لما خلق الله العقل قال له: أقبِلْ فأقبَلَ، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقا هو أعجب إلي منك، بك آخذ وبك أعطي، ولك الثواب وعليك العقاب. ثم قالَ ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذكر أن رواته مجهولون منكرو الحديث، ولا يتابع أحد منهم على حديثه، ونقل عن الإمام أحمد قوله: هذا الحديث موضوع ليس له أصل، وقال العقيلي: ولا يثبت في هذا المتن شيئ.
- كتاب الموضوعات للإمام أبي الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي-خرج آياته وأحاديثه توفيق حمدان- دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى 1995 ج1 ص122.

تعلم، وربما يسمى قلما باعتبار أنه تنقش به حقائق العلوم في ألواح قلوب الأنبياء، والأولياء، وسائر الملائكة وحيًا وإلهاما، فإنه قد ورد في حديث آخر أن أول ما خلق الله القلم [1] فإن لم يرجع ذلك إلى العقل تناقض الحديثان، ويجوز أن يكون لشيئ واحد أسماء كثيرة باعتبارات مختلفة، فيسمى عقلا باعتبار ذلك، و (ملكا) باعتبار نسبته إلى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق، و(قلما) باعتبار إضافته إلى ما يصدر منه من نقش العلوم بالإلهام والوحي، كما يسمى جبريل روحا باعتبار ذاته، و(أمينا) باعتبار ما أودع من الأسرار، و(ذامرة) باعتبار قدرته، و(شديد القوى) باعتبار كمال قوته، و(مكينا عند العرش) باعتبار قرب منزلته و(مطاعا) باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة، وهذا القائل يكون قد أثبت قلما ويدا عقليا لا حسيا وخياليا، وكذلك من ذهب إلى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما بالقدرة أو غيرها، كما اختلف فيه المتكلمون [2] .

5- وأما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيئ موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس، ولا في الخيال، ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه، وصفة من صفاته [3] ، ومثاله في التأويل الغضب والشوق، والفرح والصبر، وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى، فإن الغضب مثلا حقيقته أنه غليان دم القلب، لإرادة التشفي، وهذا لا ينفك عن نقصان وألم، فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا. نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كإرادة العقاب، والإرادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته، ولكن في صفة من صفاتها، وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الإيلام. فهذه درجات التأويلات [4] فمن اعترف بوجود ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- بوجه من هذه الوجوه الخمسة، فلا يعتبر مكذبا له، ولا ينطلي عليه حكم الكفر، ومنه فإن الغزالي قد التمس كل ما أمكن من أعذار للمؤولين حتى لا يوصموا بالكفر، ومن هنا أيضا يمكننا استخلاص رأي الغزالي في قضية التكفير بسبب التأويل، وهو رأي رافض للتكفير عموما، ويستثنى من ذلك المكذبون لما ورد عن النبي -صلى

---

[1]- ورد في سنن الترمذي عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه وفيه فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد.
- صحيح سنن الترمذي باختصار السند، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج-الطبعة الأولى 1998 ج3 ص123.

[2]- فيصل التفرقة -المرجع السابق- ص183.

[3]- فيصل التفرقة -المرجع نفسه- ص178.

[4]- فيصل التفرقة -المرجع نفسه- ص183.

اللـــه عليه وسلم- لما لا يقبل التأويل كبعض الأصول، وكذلك منكرو كـــل هـذه الوجـودات الخمسة التي ذكرناها آنفا، فمن يصله نص صحيح وأنكر من معناه كل هذه الوجـــودات فهـو كافر، بخلاف من أقر ولو بواحد منها. ونشير في الأخير إلى أن الغزالي قسَّم التكذيـــب علـــى مـــراتب، أولها تكذيب اليهود والنصارى ومن يلحق بهم، وثانيها تكذيـب البراهمـة، والثالثـة تكذيب الفلاسفة، ثم المعتزلة وسائر الفرق الأخرى، وتحدث في المرتبة الخامسة والسادسة على حالات مختلفة من التكذيب، وقال الغزالي بخصوص الفرق الإسلامية: "والذي ينبغي أن يميـــل المحصل إليه الاحتزاز من التكفير ما وجد إليه سبيلا، فإن اســـتباحة الدمـــاء والأمـــوال مـــن المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطإ في سفك محجمة من دم مسلم [1] .

[1]- الاقتصاد في الاعتقاد-المرجع السابق- ص157.

المبحث الثاني: موقف الغزالي من تأويلات سابقيه

وغرضنا من هذا المبحث هو أن نبين رأي وحكم الغزالي على تأويلات سابقيه من الفرق التي درسنا تأويلاتها في الباب الثاني، والتي كان الخلاف بينها شديدا، يصل إلى التكفير في بعض المسائل، حتى نصل إلى غايتين، أولهما معرفة كيفية توفيق الغزالي بين أفكار تلك الفرق، أو كيفية الحكم عليها، وثانيهما معرفة الفرقة التي ينتمي إليها الغزالي، وسنقتصر على أمهات الفرق، وهي أهل السنة، والمعتزلة وبعض الفرق الأخرى، وأخيرا الفلاسفة.

المطلب الأول : موقف الغزالي من تأويلات أهل السنة

سبق لنا أن وضحنا المقصود بأهل السنة، وقلنا بأنهم فريقان سلف وخلف، وقسمنا الخلف إلى فريقين أيضا، فرقة تنكر أن تكون النصوص المتشابهة من قبيل المجاز فتحمل ما ورد منها على الحقيقة وفرقة أخرى تحمل تلك النصوص على المجاز، وتفسرها عن طريق التأويل، والغزالي يصرح منذ البداية أن مذهب السلف هو الحق في المتشابه، وحقيقته ان كل من بلغه حديث أو نص من المتشابه فيجب عليه فيه أمور، قال الغزالي: حقيقة مذهب السلف وهوالحق عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور، التقديس ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الإمساك، ثم الكف، ثم التسليم لأهل المعرفة. قال: أما التقديس فأعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها، وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله-صلى الله عليه وسلم- وأن ما ذكره حق، وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذي قاله وأراده، وأما الاعتراف بالعجز فهو أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته، وأما السكوت فأن لا يسأل عن معناه، ولا يخوض فيه، ويعلم أن سؤاله عنه بدعة، وأنه في خوضه فيه مخاطر بدينه، وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر، وأما الإمساك فأن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى، والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب، والتصريف والصيغة، وأما الكف فأن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه، وأما التسليم لأهله، فأن لا يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد خفي على

رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أو على الأنبياء، وعلى الصديقين والأولياء، فهذه سبعة وظائف [1] .

وقد برر الغزالي اختياره لمذهب السلف لأن التأويل فيه حكم بالظن، والظن يخطيء ويصيب فالأسلم لدين المرء إذن هو عدم الخوض في المتشابه أصلا لأن ذلك غير مطلوب، حيث قال: من أين يتجاسر على الحكم بالظن،وأكثر ما قيل في التأويلات ظنون وتخمينات، ولست أرى أن أحكم بالتخمين، وهذا أصوب وأسلم من كل عاقل، والأقرب إلى الأمن يوم القيامة، إذ لا يبعد أن يسأل يوم القيامة، ويطالب ويقال: لمَ حكمت علينا بالظن؟ ولا يقال له: لِمَ لم تستنبط مرادنا الخفي الغامض؟ [2]

فالغزالي من خلال ما تقدم من كلامه يفضل مذهب السلف، وقد برر سبب ذلك التفضيل، ولكنه أشار إلى أن هذه النصوص المتشابهة يوجد من يدركها وهم الأنبياء والصديقون والأولياء، وما دام إدراكها ممكن، فلا بد من تأويلها عند الضرورة بشروط وضوابط معينة، وهو يرى أن التأويل ضروري جدا، وكل فريق من أهل الإسلام مضطر إليه، وفي هذا الكلام موقف ضمني من بعض الحنابلة في عصره الذين جمدوا على ظاهر اللفظ وأخذوا بحقيقته حتى رماهم غيرهم بالتجسيم، وفي معنى هذا الكلام أيضا إشارة إلى أخذه بمذهب الأشاعرة الذين أولوا، قال الغزالي: وكيف يلزم الكفر بالتأويل، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه، فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازا أو استعارة، وهو الوجود العقلي، والوجود الشبهي، والحنبلي مضطر إليه وقائل به، فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون: إن أحمد بن حنبل- رحمه الله- صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط [3] . أحدها: قوله-صلى الله عليه وسلم- "الحجر الأسود يمين الله في الأرض [4] والثاني: قوله-صلى الله عليه وسلم- "قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان" [5] والثالث: قوله-صلى الله عليه وسلم- "إني لأجد نفس الرحمن

---

[1] - إلجام العوام عن علم الكلام-المرجع السابق- ص53-54.

[2] - قانون التأويل للغزالي-دار الكتب بالعلمية بيروت 1997 ص128.

[3] - فيصل التفرقة-المرجع السابق-ص184.

[4] - سبق تخريجه.

[5] - سبق تخريجه.

من قبل اليمن" [1] فانظر الآن كيف أول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول: اليمين تقبّلُ في العادة تقربا إلى صاحبها، والحجر الأسود يُقبّل أيضا تقربا إلى الله تعالى، فهو مثل اليمين، لا في ذاته ولا في صفات ذاته، ولكن في عارض من عوارضه، فسمي لذلك يمينا، وهذا الوجود هو الذي سميناه الوجود الشبهي، وهو أبعد وجوه التأويل، فانظر كيف اضطر إليه أبعد الناس عن التأويل [2] . ثم قال: "وإنما اقتصر أحمد بن حنبل-رضي الله عنه- على تأويل هذه الأحاديث الثلاثة لأنه لم يظهر عنده الاستحالة إلا في هذا القدر، لأنه لم يكن ممعنا في النظر العقلي، ولو أمعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره، مما لم يتأوله، والأشعري والمعتزلي لزيادة بحثهما تجاوزا إلى تأويل ظواهر كثيرة [3] .

وخلاصة القول في موقف الغزالي أنه يفضل مذهب السلف فيما لم يُسأل عنه، وفيما لم يبد مستحيلا عند الناس، فنمر على هذه النصوص كما وردت دون خوض في حقيقتها ومعناها، وأما إذا شغلت بال الناس وظهر الجدال بشأنها فلا ينبغي القول بأنها وردت على الحقيقة ولكن بلا كيف-كما يقول بعض الحنابلة، بل لا بد من تأويلها بما يتماشى مع ظواهر الشرع، وبما يليق إطلاقه على الله سبحانه، كما فعل الأشاعرة.

المطلب الثاني : موقف الغزالي من تأويلات المعتزلة

يتحدد موقف الغزالي من تأويلات المعتزلة من اختلافه معهم في النظرة إلى العقل والعلم ففي حين يرى المعتزلة أن العقل يعلم كل ما يعلم الشرع، فلنتخذ رأيه في تفهم الشرع دليلا، يرى الغزالي أن العقل محدود عاجز عن معرفة كل ما يعلم الشرع، فليقدم تعليم الله على نظرات الإنسان ونؤول هذا التعليم إن بدا لنا مستحيلا، ونؤمن به في كل ما عدا ذلك [4] .

والمعتزلة -كما بيّنا في الباب الثاني- بنوا أغلب تأويلاتهم على العقل، ولعل الأشعري الذي ينتمي الغزالي إلى مدرسته، قد ترك مذهبهم بسبب ذلك، ومن هنا فإن الغزالي قد رفض الكثير من تأويلات المعتزلة ورد عليهم في عدة مسائل منها:

---

[1]- أورده صاحب كنز العمال نقلا عن الطبراني برواية سلمة بن نفيل بلفظ: "إني أجد نفس الرحمان من هاهنا-وأشار إلى اليمن، ولقد أوحي إليّ أني مقبوض غير ملبث وتتبعوني أفنادا، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها".
-كنز العمال- المرجع السابق - ج12ص50 حديث رقم 33951.

[2]- فيصل التفرقة -المرجع السابق- ص184-185.

[3]- فيصل التفرقة -المرجع نفسه- ص184-185.

[4]- الغزالي لبوحنا قميز-المرجع السابق- ص40.

1- صفات الذات، يقول فيها المعتزلة بأن الله عالم بذاته، حي بذاته، قادر بذاتـــه، فهـم ينكرون هذه الصفات الذاتية اعتمادا على مذهبهم في أن الله قديم لا يشاركه في هـــذه الصفـة شيء آخر، والقول بأنه حي بحياة معناه أن الحياة قديمة، وأما الغزالي فقد قال بأن الله تعـــالى عالم بعلم، حي بحياة، قادر بقدرة، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام، وسميع بسمع، وبصير ببصـــر، وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة. وقول القائل -في إشارة إلى المعتزلة-: عالم بـــلا علم كقوله غني بلا مال، وعلم بلا عالم، وعالم بلا معلوم، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة، كالقتل والمقتول والقاتل، وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل، ولا يتصور قتيل بلا قـاتل ولا قتل، كذلك لا يتصور عالم بلا علم، ولا علم بلا معلوم، ولا معلوم بلا عالم، بل هـــذه الثلاثـة متلازمة في العقلا ينفك بعض منها عن البعض، فمن جوز انفكاك العالم عن العلـــم فليجـوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف [1] .

2-مسألة رؤية الله سبحانه في الدار الآخرة، حيث أنكرها المعتزلة انطلاقا من قوله تعالى لموسى لما سأل رؤيته (لن تراني) [2] ، فأنكروا الرؤية في الدنيا وفي الآخرة، وأمـــا الغزالـــي فبعد أن أثبتها في الدار الآخرة مستدلا بقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها نـــاظرة) [3] رد على المعتزلة بقوله: وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهلـــه موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية [4] مع كونها محالا؟ ولعـــل الجهـل بذوي البدع والأهواء من الجهلة والأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم [5] .

3-فعل الأصلح، يرى المعتزلة أنه يجب على الله-سبحانه وتعالى- فعل الأصلح لما فيـه مصلحة العباد وقد رفض الغزالي هذا القول ورد عليه بقوله بأنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء، فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه شيء، بل لا يعقل فـــي حقـه الوجوب فإنه (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) [6] ، وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قولـه "إن الأصلح واجب عليه" في مسألة نعرضها عليه: وهو أن يفرض مناظرة في الآخـــرة بيـن

1- إحياء علوم الدين-المرجع السابق- ج1 ص131.

2- الأعراف: 143.

3- القيامة: 22، 23.

4- إشارة إلى قوله (أرني أنظر إليك).

5- إحياء علوم الدين -المرجع السابق- ج 1 ص134.

6- الأنبياء: 23.

صبي وبين بالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ، ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ، ويجب عليه ذلك -عند المعتزلي- فلو قال الصبي: يا رب لما رفعته علي؟ فيقول: لأنه بلغ واجتهد في الطاعات، ويقول الصبي: أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد، "فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني، فلم فضلته؟ فيقول الله تعالى: لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا -هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل- وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون: يا رب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فإنا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم؟ فبماذا يجاب عن ذلك، وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال على أن توزن بميزان أهل الاعتزال [1] وقد استدل الغزالي على إبطال قول المعتزلة هذا بأدلة أخرى لم نذكرها.

4-كما رد الغزالي على المعتزلة في قولهم بخلق القرآن اعتمادا على قولهم في تفرد الله بصفة القدم إذ المعتزلة يقرون وجود كلام لله، أي أن الله متكلم بكلام، لكن هذا الكلام يخلقه الله لا في محل، وقد اعترفوا بهذه الصفة لورود النص الصريح فيها، نحو قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله) [2] ، وقوله لموسى عليه السلام (...اصطفيتك برسالتي وبكلامي) [3] ، والغزالي عندما يناقش هذه القضية التي كثر الكلام بشأنها خصوصا بين المعتزلة والحنابلة، يبدأ من السؤال هل الإسم هو المسمى أم لا؟، ويصل إلى أن الإسم غير المسمى، وهو عندما يتحدث عن خلق القرآن، يفرق بين الورق والحبر والأصوات والحروف المخلوقة، وهي في حقيقتها ليست القرآن، وإنما تدل فقط على القرآن الذي هو كلام الله، كقولنا نار، فهذه الكلمة ليست هي حقيقة النار إذ لو كانت كذلك لاحترقت الألسنة بذكرها، وإنما كلمة يعبر بها عن الشيء المحرق، ويصل الغزالي في الأخير إلى أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف، بل لا يشبه كلامه كلام غيره، كما لا يشبه وجوده وجود غيره، والكلام بالحقيقة كلام النفس، وإنما الأصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات، وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال

---

[1] - إحياء علوم الدين-المرجع السابق- ج1 ص134.

[2] - التوبة: 06.

[3] - الأعراف: 144.

قائلهم:

إن الكـــلام لفي الفـــؤاد وإنـــمـــا *** جعل اللســـان على الفـــؤاد دليـــلا

ثم يقول الغزالي بعد ذلك: وينبني على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته، وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه [1] . كما رد الغزالي على بعض مبادئ وتأويلات المعتزلة مثل قولهم بأن معرفة الله وطاعته واجبة بإيجاب العقل [2] اعتمادا على مذهبهم في التحسين والتقبيح العقليين، كما رد عليهم أيضا في مفهوم الإيمان [3] وغير ذلك من المواضيع التي لم نفصل فيها القول لأن ما ذكرناه يفي بالغرض.

المطلب الثالث : موقف الغزالي من تأويلات الباطنية

رد الغزالي على الباطنية في خمسة كتب وهي "المستظهري" الذي ألفه للرد عليهم بطلب من الخليفة وكتاب "حجة الحق"، وهو جواب كلام لهم عرض له ببغداد، وكتاب "مفصل الخلاف" وهو جواب كلام عرض عليه بهمدان، وكتاب "الدرج" المرقوم "بالجداول" وهـــو مـــن ركيـــك كلامهم الذي عرض عليه بطوس، وكتاب "القسطاس المستقيم" وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم، وإظهار الاستغناء عن الإمام المعصوم لمن أحاط به [4] ، كمـــا رد عليهـــم الغـــزالي في كتاب سادس وهو المنقذ من الضلال، وهو يســـميهم تـــارة بالباطنيـــة وأخـــرى بالتعليمية نسبة إلى قولهم بأن العلم لا بد له من معلم معصوم، ويدعون أن تأويلاتهم وتعـــاليمهم تأتيهم منه، وقد ذكر الغزالي بسبب الرد عليهم فقال: وكانت قد نبغت نابغة التعليمية، وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحق، عنّ لي أن أبحث عن مقـــالاتهم لأطلع على ما في كتبهم. ثم اتفق أن ورد علي أمر جـــازم مـــن حضـــرة الخلافـــة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم، فلم يسعني مدافعته، وصار ذلك مستحثا من خـــارج، ضميمة للباعث الأصلي من الباطن، فابتدأت بطلب كتبهم، وجمع مقالاتهم.... [5] .

والكتاب الذي ألفه الغزالي في الرد على الباطنية استجابة لطلب الخليفة هو كتاب فضائح الباطنية، وفي هذا الكتاب عرّف الغزالي بألقاب الباطنية العشرة التي يدعون بها ويبـــن ســـبب

---

[1]- إحياء علوم الدين-المرجع السابق- ج1 ص130-131.

[2]- إحياء علوم الدين-المرجع نفسه- ج1 ص134.

[3]- إحياء علوم الدين-المرجع نفسه- ج1 ص141.

[4]- المنقذ من الضلال --المرجع السابق- ص77.

[5]- المنقذ من الضلال --المرجع نفسه- ص68 -69.

تسميتهم بكل لقب منها، فلقب الباطنية مثلا أطلق عليهم لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر [1] .

ثم بيّن درجات حيلهم، وحصرها في تسع بها يوقعون تابعيهم، ثم ذكر أسباب رواج حيلتهم وانتشار دعوتهم مع ركاكة حجتهم، وفساد طريقتهم، ثم نقل مذهبهم جملة وتفصيلا، فقال بأن ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض [2] .

وبين اعتقادهم في الإلهيات والنبوات، والقيامة والمعاذ، وفي الإمامة وفي التكاليف الشرعية، ثم عرض بعض تاويلاتهم للظواهر، فأولوا الزنى، بإلقاء نطفة العلم الباطن فيمن لم يسبق معه عقد العهد [3]، وأولواقوله تعالى (أنهار من لبن) [4] فقالوا: أي معادن الدين [5] ، ثم ذكر استدلالهم بالأعداد والحروف، فقالوا مثلا: إن الثقوب على رأس الأدمي سبعة، والسماوات سبعة، والأرضون سبعة، والنجوم السيارة سبعة، فهذا يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة [6]. ثم كشف عن تلبيساتهم، ورد على تمسكهم بالنص في إثبات الإمامة والعصمة، ثم ذكر فتوى الشرع في حقهم، فكفر بعضهم وخطأ البعض الآخر، ثم ذكر طرقا للتحلل من عهودهم، وختم بإقامة البرهان على أحقية المستظهر بالله بالخلافة.

وقد رد الغزالي عليهم بنفس سلاحهم، ففي استعماله للمسلك الثاني، وهو معارضة الفاسد بالفاسد، وهو أن يتناول جميع الأخبار على نقيض مذهبهم، فمثلا يقال في قوله "لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة" [7] ، أي لا يدخل العقل دماغا فيه التصديق بالمعصوم..أو يقول القائل: كل نكاح لا يحضره أربعة فهو سفاح، ومعناه أن كل اعتقاد لم يشهد له الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فهو باطل[8] .

فالباطنية أولوا بعض النصوص بغير ضوابط، ولانكاد نجد أدنى علاقة بين النص

---

[1]- فضائح الباطنية-أبو حامد الغزالي- حققه وقدم له عبد الرحمان بدوي -الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة-ص11.

[2]- فضائح الباطنية -المرجع السابق- ص37.

[3]- فضائح الباطنية -المرجع نفسه- ص11.

[4]- محمد: 16.

[5]- فضائح الباطنية -المرجع السابق- ص57.

[6]- فضائح الباطنية -المرجع نفسه- ص67.

[7]- الطبراني في الكبير ج5 ص94، رقم 4691.

[8]- فضائح الباطنية للغزالي -المرجع السابق- ص60.

المؤول ومعناه عندهم، ولذلك رد عليهم بنفس الطريق ليقول لهم ليس تأويلكم بأولى من تـــأويل غيركم. ولحسن حظ الغزالي أن الباطنية لم يدعوا الكشف في تأويلاتهم تلك، ولو فعلـــوا ذلـــك لأوقعوا الغزالي في حرج كبير، لأن ضوابط التأويل التي وضعها الغزالي في إلجام العوام لـــم يف بها في بعض تأويلاته.

وانتهى الغزالي من دراسته لآراء الباطنية وتأويلاتهم إلى نتيجة مفادها أن مذهبهم ضعيف وأدلتهم عليه واهية، ولولا الجهل لما انتشرت بدعتهم، وقد عبر عن ذلك بقوله: والحاصل: أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهـــت تلـــك البدعة-مع ضعفها- إلى هذه الدرجة [1] ، وهو هنا يقصد بدعة التعليم والمعلم المعصوم.

المطلب الرابع : موقفه من تأويلات الفلاسفة

إن للغزالي موقفا مشهورا من كل أفكار الفلاسفة، لا من تأويلاتهم فحسب، وقـــد شـــرح مـــذاهبهم في كتاب هو "مقاصد الفلاسفة"، ورد عليهم في كتاب مستقل هو "تهـــافت الفلاســـفة" الذي نال شهرة عالمية على مر العصور، وطفق الباحثون في الشـــرق والغـــرب يشـــرحونه، ويعلقون عليه، بل ويؤلفون على منواله [2] كما رد عليهم في كتابه الصغير الـــذي ألفـــه فـــي أخريات حياته "المنقذ من الضلال".

ورد الغزالي على الفلاسفة يختلف عن ردود سابقيه من العلماء، حيث رد هؤلاء العلمـــاء على الفلاسفة بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، ولكنهم طفقوا يهزأون من تلـــك العبـــارات، ويطعنون في تلك الدلالات وينسبون قائلها إلى الجهل، ولكن أبا حامد-كما يقول ابن العربـــي- رد عليهم بلغتهم، وكافحهم بسلاحهم، فأجاد فيما أفاد، وأبدع في ذلك كما أراد الله وأراد، وبلـــغ في فضيحتهم المراد، فأفسد قولهم من قولهم، وذبحهم بمـــداهم، فكان من جيد ما أتاه، وأحسن ما رواه ورآه، وأفرد عليهم فيما يختصون به دون مشاركة أهل البدع لهم كتابـــا ســـماه "تهـــافت الفـــلاسفة" ظهرت فيه منته، ووضحت في درج المعارف مرتبته، وأبدع في استخراج الأدلـــة من القرآن، على رسم الترتيب في الوزن الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة في كتاب سماه "القسطاس" ما شاء، وأخذ في "معيار العلم" عليهم طريق المنطـــق فرتبـــه بالأمثلـــة الفقهيـــة،

[1] - المنقذ من الضلال -المرجع السابق- ص70.

[2] - مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين. -الدكتور رضا سعادة -المرجع السابق- ص19.

والكلامية، حتى محافيه رسم الفلاسفة، ولم يترك لهم مثالا، ولا ممثلا، وأخرجه خالصا عن دسائسهم، بيد أنه أدخل فيه أغراضا صوفية، فيها غلو وإفراط، وتدأل على الشّرْ ع وانبساط[1].

ولم يقتصر الإعجاب بردود الغزالي الفلسفية على تلميذه "ابن العربي" ، بل تعداه إلى كثيرين غيره، حتى وصل الإعجاب بتلك الردود وتلك المؤلفات إلى المسيحيين وفي الغرب، وقد عبر عن ذلك "وول ديورانت" بقوله: "ولما توفي سنة 1111م كانت موجة الإلحاد قد ردت على أعقابها، واطمانت جميع قلوب المؤمنين المتمسكين بالدين، بل إن رجال الدين المسيحيين أنفسهم قد أثلج صدورهم ما وجدوه في كتبه بعد أن ترجمت إلى اللغات الأجنبية، من دفاع حار عن الدين، وعرض بليغ لقواعد التقى والصلاح لم يروا له نظيرا بعد أيام أوغسطين، واختفت الفلسفة منذ أيامه [2].

والفلسفة التي انبرى الغزالي للرد عليهاهي تلك التي نقلها "ابن سينا" و"الفارابي" عن فلاسفة اليونان مع ما أضافاه إليها، ولم يرد الغزالي على هؤلاء الفلاسفة في "التهافت" و"المنقذ" بعد ذلك إلا بعد أن بين مقاصدهم في كتاب "مقاصد الفلاسفة".

ويرى الغزالي أن هؤلاء الفلاسفة قد امتازوا بالدقة في علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية، ونحن لا نناقشهم في هذه المسائل فليس فيها ما يتعارض مع الدين، بيد أنهم في علومهم الإلهية قد أخطأوا وجانبوا الدقة والصواب، لأن ما شرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق، وما شرطوه في صورته في كتاب القياس، وما وضعوه من الأوضاع في إيساغوجي، وقاطيغورياس التي هي من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الإلهية [3] .

وقد رأى الغزالي أن بعض المسلمين قد انبهروا بأبحاث الفلاسفة المنطقية والهندسية، وحسبوا أن كل أبحاثهم تتميز بتلك الدقة، فصدقوهم فيما جاءوا به من العلوم الإلهية، فكفروا بذلك، وهم يحسبون أنهم درجة أعلى من عموم الناس، قال: والمقصود من بيان هذه التهافتات

---

[1]- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية-المرجع السابق- ج2 ص106.

[2]- قصة الحضارة -وول ديورانت -المرجع السابق- ج13 ص364-365.

[3]- تهافت الفلاسفة -المرجع السابق- ص44،45.

والاختلافات تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة، وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض، بيان وجود تهافتهم [1] .

وبعد هذا تبين أن خلاف الفلاسفة إنما كان في أصول الدين، كالقول في حدوث العالم، وصفات الصانع، وبيان حشر الأجساد والأبدان، وقد أنكروا جميع ذلك، فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي -كما يقول الغزالي- أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه [2] .

ويرى الفلاسفة أن العقل الإلهي له مجرى واحد لا يتغير، وما يصدر عن المشيئة الإلهية منتظم على نسق واحد...والقول بالانتظام في الأمور الإلهية يستوجب تأويل الآيات التي يدل ظاهرها خلافه، كذلك القول بالمعاذ، فالآيات التي تصف حشر الأجساد كقوله تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) [3] هي كالآيات التي تُجَسِّم الله، يجب تأويلها وحملها على غير ظاهرها [4] .

وتماشيا مع هذه القاعدة في التأويل -أي تأويل كل الظواهر- فقد أنكر الفلاسفة حشر الأجساد وقالوا إن الله لا يعلم الجزئيات كما قالوا بقدم العالم، وهذه المسائل الثلاثة كفرهم فيها الغزالي، من جملة عشرين مسألة خطأهم وبدّعهم فيها. قال الغزالي: وأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة، فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع، كالذي ينكر حشر الأجساد، وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع، فيجب تكفيره قطعا، إذ لا برهان على استحالة رد الأرواح إلى الأجساد وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين، فيجب تكفير كل من تعلق به وهو مذهب أكثر الفلاسفة، وكذلك يجب تكفير من قال منهم إن الله تعالى لا يعلم إلا نفسه، أو لا يعلم إلا الكليات، فأما الأمور الجزئية المتعلقة بالأشخاص فلا يعلمها، لأن ذلك تكذيب للرسول-صلى الله عليه وسلم- قطعا، وليس من قبيل الدرجات التي ذكرناها في التأويل، إذ أدلة القرآن والأخبار على تفهيم حشر الأجساد، وتفهيم تعلق علم الله تعالى بتفصيل كل ما يجري على الأشخاص، مجاوز حدا لا يقبل التأويل، وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل، ولكن قالوا: لما كان صلاح الخلق في أن يعتقدوا حشر

---

[1]- تهافت الفلاسفة -المرجع السابق- ص43.

[2]- تهافت الفلاسفة -المرجع نفسه- ص43.

[3]- النساء: 56.

[4]- مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين-المرجع السابق- ص164-165.

الأجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في أن يعتقدوا أن الله تعالى عالم بما يجري عليهم، ورقيب عليهم، ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول عليه السلام أن يفهمهم ذلك، وليس بكاذب من أصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وإن لم يكن كما قاله.

قال الغزالي: وهذا القول باطل قطعا لأنه تصريح بالتكذيب، ثم طلب عذر في أنه لم يكذب ويجب إجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة، ففي الصدق وإصلاح الخلق مندوحة عن الكذب، وهذه أول درجات الزندقة، وهي رتبة بين الاعتزال، وبين الزندقة المطلقة، فإن المعتزلة يقرب مِنْهَا جُهُم من منهاج الفلاسفة إلا في هذا الأمر الواحد وهو: أن المعتزلي لا يجوز الكذب على الرسول عليه السلام بمثل هذا العذر، بل يؤول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه، والفلسفي لا يقتصر في مجاوزته للظاهر على ما يقبل التأويل، على قرب أو على بعد، وأما الزندقة المطلقة فهي أن تنكر أصل المعاد عقليا وحسيا، وتنكر الصانع للعالم أصلا ورأسا [1] .

ومما تقدم نعرف أن الغزالي قد نجح في رده على الفلاسفة لأنه استعمل نفس المصطلحات والتعبيرات التي استعملوها، ورد عليهم بالقواعد المنطقية التي وضعوها ثم خالفوها في أبحاثهم الإلهية. وكتاب ابن رشد في الرد على الغزالي والدفاع عن الفلاسفة، "تهافت التهافت" لم يرقَ إلى درجة تهافت الغزالي، وكان هدف الغزالي من ردوده على الفلاسفة إنصافهم فيما قالوه، ونصرة الدين أيضا لأن أقوال الفلاسفة انقسم فيها الناس إلى فريقين كلاهما مخطيء: فريق يرد كل ما جاء من الفلاسفة وإن كان صحيحا، وغير متعلق بمخالفة الدين، وهذا الفريق يوهم أن الإسلام دين الجهل إذا أنكروا بعض العلوم الدقيقة التي حررها الفلاسفة، وهنا ينبه الغزالي إلى أن الحق لا يعرف بأهله، وإنما يُعرَف الرجال بالحق، ويستدل بقول علي-رضي الله عنه- "لاتعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله"، قال الغزالي: والعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقا قبله، سواء كان قائله مبطلا أو محقا، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال [2] . والفريق الثاني يقبل كل ما جاء عن الفلاسفة، ويعتقده على نسق واحد في الدقة، فيتبعهم في الإلهيات التي كفروا فيها معتقدا أنها لا تخالف الهندسيات والسياسة في دقتها، قال الغزالي "فإن من نظر في

[1] - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة -المرجع السابق- ص191-192-193.

[2] - المنقذ من الضلال -المرجع السابق- ص63.

كتبهم" كإخوان الصفا" [1] وغيره فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية، والكلمات الصوفية، ربما استحسنها، وقبلها، وحسن اعتقاده فيها، فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به، لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه، وذلك نوع استدراج إلى الباطل ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر [2] .

ونصل في نهاية هذا المبحث إلى أن الغزالي يفضل مذهب السلف في موقفهم من التأويل ولكنه يرى ضرورة التأويل في بعض النصوص، فقد اضطر إليه الإمام أحمد وهو أبعد الناس عن التأويل ويختلف الغزالي مع بعض المتأخرين من أهل السنة، خصوصا بعض الحنابلة الذين يرفضون التأويل، ويحملون كل ما ورد من النصوص على الحقيقة، وأما المعتزلة والفلاسفة، فقد هاجمهم الغزالي ورد عليهم في العديد من كتبه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] - إخوان الصفا وخلان الوفا، لقب جماعة من المفكرين عاشت بالبصرة إبان النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ذات نزعة فلسفية سياسية وقد أطلقوا على جماعتهم اسم إخوان الصفا لأن غايتهم السعي إلى سعادة النفس بما يحقق صفاءها. وكتموا أسماء أشخاصهم حتى اختلف المؤرخون في تحقيقها، وقد ضمنوا آراءهم كتاب عرف باسم "رسائل إخوان الصفا" يشتمل على اثنتين وخمسين رسالة تبحث في شتى العلوم.
- القاموس الإسلامي -المرجع السابق- مجلد4 ص49 .
وذكر الدكتور عبد الأمير شمس الدين أن هذه الجماعة عاشت في القرن الرابع للهجرة، وذكر منهم أبو سليمان محمد البستي المعروف بالمقدسي.
- الفلسفة التربوية عند إخوان الصفاء من خلال رسائلهم -دراسة وتحليل الدكتور عبد الأمير شمس الدين الشركة العالمية للكتاب -دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب العالمي الطبعة الأولى 1988 ص13.

[2] - المنقذ من الضلال -المرجع السابق- ص65-66.

الفصل الثالث

دراسة في تأويلات الغزالي

بعد أن رأينا في الفصلين السابقين موقف الإمام الغزالي من المتشابه، ومـــا يجب فيه، وموقفه من التأويل وشروطه وضوابطه، وكذا موقفه من تأويلات سابقيه، لا بد أن نختـــم هـــذا الباب بدراسة عامة في تأويلات الغزالي، حتى نحكم عليه كما حكم هو على ســـابقيه، وحتـــى نعرف اتجاهه التطبيقي في التأويل، ومدى علاقته بالاتجاه النظري الذي يميل فيه إلى مذهـــب أهل السنة عموما والسلف خصوصا، كما صرح بذلك في أكثر من كتاب.

وسنتناول هذا الفصل في مبحثين وأربعة مطالب، نتناول في المبحث الأول منهما منهج الغزالـــي في التأويل، وفيه نوضح أهدافه من التأويل، وطريقته في تأويل النصوص، وهدفنـــا من هنا المبحث بيان مدى أهمية وضرورة التأويل عنده، ومدى التزامه بضوابط التأويل التـــي وضعها، وأما المبحث الثاني فسوف نـــخصصه لذكر نماذج من تأويلات الغزالي، وفيها نبيـــن فهمه لصفات الذات، كما نبين تأويلاته لنصوص مختلفة، وفيها سنبين وجهة نظرنا فـــي هـــذه التأويلات، وعلاقتها بتأويلات الفرق المختلفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : منهج الغزالي في التأويل

كما أسلفنا قبل قليل نعالج هذا المبحث من خلال مطلبين، في المطلب الأول سنبين أهداف التأويل عند الغزالي، أو هدف الغزالي من التأويل، وفي الثاني سوف نوضح طريقته في تأويل النصوص وسنعتمد في ذلك على الدراسة لبعض تأويلاته.

المطلب الأول : أهداف التأويل عند الغزالي

لقد صرح الغزالي أكثر من مرة أنه يفضل مذهب السلف عموما، في التعامل مع النصوص المتشابهة، خصوصا تلك النصوص التي لا يتعلق بها عمل العبد. إلا أن الغزالي قد أول نصوصا يعمل بها وأخرى لا متعلق لها بأعمال العباد، وكان هدفه من ذلك التأويل هو نفس هدفه من دراسة علم الكلام والخوض فيه، وهو إزالة الشبهات، ودرء تعارض العقل مع النقل، والتوفيق بين النصوص المختلفة، قال الغزالي في معرض حديثه عن حكم تعلم الكلام والخوض فيه ما نصه : وإذا تركنا المداهنة، ومراقبة الجانب، صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام، لكثرة الآفة فيه إلا لأحد شخصين : رجل وقفت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريب وعظي ولا بخبر نقلي عن رسول، فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامي رافعا شبهته، ودواء له في مرضه، فيستعمل معه ذلك، ويحرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض، فإنه يوشك أن يحرك في نفسه إشكالا ويثير له شبهة تمرضه، وتستنزله عن اعتقاده المجزوم به الصحيح.

والثاني : شخص كامل العقل، راسخ في الدين، ثابت الإيمان بأنوار اليقين، يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوي بها مريضا إذا قصد مبتدع إغواءه، فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات، وتعلم قدر ما يزيل به الشك، ويدرأ به الشبهة في حق المشكل فرض عين إذا لم يكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه [1] .

ومما تقدم من كلام الغزالي نفهم شيئا من أهداف التأويل عنده، لأن التأويل من فروع علم الكلام، والأهداف التي نفهمها هي إزالة الشبهات عمن وقعت له، أو تحصين من لم تقع له شبهة بعد ولكن يخشى وقوعها، وكذلك تكوين من يمكنه إزالة الشبهات عن غيره، ونفهم أيضا أن من لم يكن مستعدا لتبصير غيره، فلا ينبغي أن يزول شيء أمامه، وقد شرح الغزالي هذه الأفكار بتوسع في عدة كتب من كتبه، وهي إلجام العوام عن علم الكلام، وفيه دعوة إلى

[1] - فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة للغزالي - المرجع السابق- ص 203- 204.

الالتزام بمذهب السلف في التأويل، حيث قال : حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور، التقديس، ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الإمساك، ثم الكف، ثم التسليم لأهل المعرفة، ثم قال : أما التقديس فأعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها، وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله -صلى الله عليه و سلم- وأن ما ذكره حق، وهو ما فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذي قاله و أراده، وأما الاعتراف بالعجز فهو أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته، و أن ذاك ليس من شأنه و حرفته، وأما السكوت فأن لا يسأل عن معناه، ولا يخوض فيه، ويعلم أن سؤاله عنه بدعة، وأنه في خوضه فيه مخاطر بدينه، وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر، وأما الإمساك فأن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى، والزيادة فيه، والنقصان منه، والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف والصيغة، وأما الكف، فأن يكف باطنه عن البحث عنه، والتفكر فيه، وأما التسليم لأهله، فأن لا يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله – صلى الله عليه و سلم- أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء [1] .

وهذا الكلام الذي ذكره الغزالي يتضمن منع العامة من التأويل، كما يتضمن أن التأويل ممكن لأهله، وفي كتاب "المضنون به على غير أهله" أو المضنون الصغير قدم الغزالي تأويلات، ولكنها ليست موجهة للعوام، وإنما للمتخصصين الذين يمكنهم أن يزيلوا الشبهات العارضة عن غيرهم، وعنوان الكتاب يدل على ذلك، كما تتلوح هذه الأغراض في كتب أخرى مثل فيصل التفرقة، والمقصد الأسنى وغيرهما.

والخلاصة أن الغزالي لا يهدف من وراء تأويله إلى الانتصار إلى مذهب، ولا الاستدلال على هوى، كما فعلت بعض الفرق في نصرة آرائها ومذاهبها، ولكن هدفه من التأويل كما سبق أن أشرنا هو إزالة التعارض الظاهر بين النصوص، والتوفيق بينها، حتى لا يظن ظان أن في الإسلام نصوصا متناقضة و كذلك إزالة الشبهات عن بعض الناس حفظا لدينهم وعقيدتهم. وقد أعاب الغزالي على متأخري الحنابلة الذين تمسكوا بظواهر النصوص وحملوها على الحقيقة مدعين أن ذلك هو مذهب السلف، وذكر أن التأويل ضروري جدا، ولو حملت كل النصوص على ظاهرها وحقيقتها لوقعنا في المحظور من التجسيم والتشبيه و وصف الخالق-سبحانه- بما

[1] - إلجام العوام عن علم الكلام الغزالي – المرجع السابق- ص 53-54.

لا يليق، قال الغزالي: وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه، فأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبل -رحمة الله عليه- وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها، أن تجعل الكلام مجازا أو استعارة، وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي، والحنبلي مضطر إليه و قائل به، فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون : إن أحمد بن حنبل -رحمه الله- صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط : أحدها قوله - صلى الله عليه و سلم (الحجر الأسود يمين الله في الأرض)[1]

والثاني : قوله - صلى الله عليه و سلم - (قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن)[2]

والثالث : قوله - صلى الله عليه و سلم - (إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن) [3] .

ثم قال الغزالي بعد ذلك " وإنما اقتصر أحمد بن حنبل على تأويل هذه الأحاديث الثلاثة لأنه لم تظهر عنده الاستحالة إلا في هذا القدر، لأنه لم يكن ممعنا في النظر العقلي، ولو أمعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله، والأشعري والمعتزلي لزيادة بحثها تجاوزا إلى تأويل ظواهر كثيرة [4] .

وفي الأخير نلخص أهداف التأويل عند الغزالي في ثلاث نقاط، أولها إزالة ما قد يبدو للبعض تعارضا بين النصوص، وتناقضا فيها، وثانيها وصف الله سبحانه بما يليق من الصفات، وتنزيهه عن الجسمية والتشبيه والتعطيل وتوابعها، وثالثها : صيانة عقائد العامة من التشويش والشبهات وكل ما يؤدي إلى سوء فهم الإسلام عموما، والنصوص المتشابهة خصوصا.

المطلب الثاني : طريقة الغزالي في التأويل

من خلال تتبعنا لكثير من تأويلات الغزالي، المبثوثة في كتبه المختلفة، تبين لنا أن الغزالي يستعمل طرقا مختلفة لنصرة التأويل الذي يراه صحيحا، وإبطال التأويل الذي يراه فاسدا، ومن دراستنا لكتابات الغزالي في موضوع التأويل وجدنا أنه يستعمل الطرق التالية :

1- الاستقراء : والاستقراء عند الغزالي هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به [5]، وقد استعمل

---

[1] - سبق تخريجه.

[2] - سبق تخريجه.

[3] - فيصل التفرقة للغزالي - المرجع السابق- ص 184-185.

[4] - فيصل التفرقة للغزالي -المرجع نفسه - ص185.

[5] - معيار العلم للغزالي - المرجع السابق - ص 115.

الغزالي الاستقراء في الكشف عن النصوص التي تقبل من التي لا تقبل، ووصل الغزالي به إلى قانون يميز به النصوص التي تحتاج إلى تأويل وهو قوله «كل ما ورد السمع به ينظر، فإن كان العقل مجوزا له، وجب التصديق به قطعا، إن كانت الأدلة السمعية قاطعة .. وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول ... فإن توقف العقل في شيئ من ذلك، فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز، وجب التصديق أيضا لأدلة السمع، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة، وليس يشترط استعماله على القضاء لتجويزه[1] .

والعقل الذي يقصده الغزالي هو العقل المفكر في إطار الشرع لا العقل المطلق الذي يكون احتمال خطاه كبيرا، ومعنى هذا الكلام أن العقل الذي عرف من أوصاف الله تعالى أن ليس كمثله شيئ ليس كالعقل الذي لم يعرف هذا الوصف، وبناء على هذا فإن العقل الأول عندما يقرأ صفة الاستواء يرى أنها مستحيلة في حق الله تعالى، فيؤول الآية التي تضمنت هذا الوصف، بخلاف العقل الثاني فقد لا يرى في ذلك استحالة، و الآية عنده لا تحتاج إلى تأويل، وأما إذا جوز العقل ذلك المعنى مع قطعية ثبوته فلا يحتاج إلى تأويل ومثاله رؤية الله يوم القيامة حيث وردت فيها نصوص سمعية قاطعة، وليس هناك ما يحيل ذلك من طريق العقل، فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف ما ذهبت إليه المعتزلة، وأما إذا تردد العقل بين الجواز والاستحالة فيجب مجرد التصديق بما ورد دون تأويل، ويستثني الغزالي من هذه القاعدة التي توصل إليها عن طريق الاستقراء النصوص الواردة في وصف الجنة والنار، وتفصيل أحوال القيامة [2] فواجب العقل إزاء هذه النصوص هو مجرد التصديق بما ورد فيها، والعقل لا يستطيع أن يلم بتلك الأحوال إلا بمقدار ما ورد عن الشرع، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولا يرى الغزالي خروجا عن هذا الاستثناء حين تأويله لبعض أحوال الناس الذاتية يوم القيامة، ومن ذلك العمى الذي وصف الله به بعض خلقه في ذلك اليوم، ونحن نعرف أن العمى هو عدم الإبصار المطلق، وأما الغزالي فقال: معناه عميا عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين و عن أيمانهم، ليس العمى الكلي أراد بهم لأنهم لا خلاف أنهم ينظرون السماء تشقق بالغمام، والملائكة تنزل، و الجبال تسير والكواكب تنتثر، وكل

[1] - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي - المرجع السابق- ص 132-133.

[2] - انظر مشكلة الصراع بين الفلسفة و الدين للدكتور رضا سعادة - المرجع السابق - ص 241.

أهوال يوم القيامة، ثم قال بعد ذلك: فمعنى العمى في القيامة الخوض في الظلمة والمنع من النظر الكريم [1]. فهذه الصفات الخاصة بالناس قد أولها الغزالي على خلاف الأهوال والنعيم الموجود في الأخرة كالحشر، واقتراب الشمس من رؤوس الخلائق، وما في الجنة من نعيم، فقد حملها على معانيها الظاهرة دون خوض في حقيقتها و كيفيتها.

2- البحث في علل النصوص :

فمعرفة العلة التي بسببها ورد النص كما هو كفيلة بالمساعدة على اختيار المعنى المراد بالتأويل، وقد استعمل الغزالي في تأويله لبعض النصوص أحد مسالك العلة، وهو السبر والتقسيم، وهو حصر الأوصاف التي يظن المستدل صلاحيتها للعلية فيستبعد منها ما لا تنطبق عليه شروط العلة، ويستبقي ما يصلح منها تبعا لتوفر شروط العلة[2]، و من النصوص التي استعمل الغزالي في تأويلها هذه الطريقة نصوص الاستواء على العرش، فيرى الغزالي أن الله عز وجل لا يجوز أن يستقر على العرش، ولا أن يحتويه هذا الكائن المخلوق فالله منزه على هذا الاحتواء، وهو منزه عن الاستقرار على المواد، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[3]، واستدل على ذلك بما يلي :

أ-لو كان مستقرا على العرش لكان محدودا من جهته، وتكون جهاته متساوية بالنسبة للعرش، فيجوز للعرش أن يحده من جهاته الأخرى، وإذا حده العرش من جميع الجهات فقد احتواه، فيكون العرش بذلك محتو للخالق وهو محال.

ب-لو كان الله على العرش مستقرا عليه لكان إما أكبر أو أصغر أو مساوي للعرش، وهذه الأمور الثلاثة تنسب التقدير إلى الله، والتقدير محال على الله عزوجل، إذ هو من صفات الحادثات.

ج-لو جاز أن يكون الله تعالى على العرش مستقرا عليه فإنه لا يخلو إما أن يستقر بنفسه على العرش فيشغله، و يتمكن فيه من غير واسطة - و هذا هو الجوهر - وإما أن يستقر بواسطة غيره، بحيث يكون هذا الغير جزءا من ما هيته مقوما له- وهذا هو العرض- وقد

---

[1] - الدرة الفاخرة في كشف علوم الأخرة للإمام أبي حامد الغزالي تقديم و تحقيق المستشرق الفرنسي لوسيان غوتييه.- المكتبة الثقافية بيروت، مكتبة السائح طرابلس، لبنان -الطبعة الأولى 1997 ص64.997 ص 64.

[2] - علم أصول الفقه، الدكتور جمعة سحنان لباوي، دار الهدى - عين مليلة الجزائر ص 194.

[3] - الجانب الإلهي في فكر الامام الغزالي - المرجع السابق - ص 127.

ثبت أن الله ليس بجوهر ولا عرض، كما ثبت أيضا أنه لا يشغل المكان على الأجسام إلا ما كان جوهرا أو عرضا، وإذا ما ثبت ذلك و ذاك، استحال أن يكون الله مستقرا على العرش لما يترتب عليه من المحال[1]. وبعد أن أبطل الغزالي هذه الافتراضات جاء إلى المعنى الذي أراده بالتأويل، وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن: (ثم استوى إلى السماء و هي دخان)[2]، وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ❁ من غير سيف و دم مهراق[3]

وبهذا التأويل للاستواء بالقدرة يخرج الغزالي من الإشكالات اللغوية والعقلية التي وقع فيها المخالفون ويبقى له اعتراض واحد، وهو لماذا خص العرش بالقدرة والاستيلاء، والله على كل شيئ قدير؟ ويجيب الغزالي بأن العرش هو أعظم المخلوقات، وهو يضم جميعها، والاستيلاء عليه بالقدرة هو في الحقيقة استيلاء على كل مافيه.

3- الجمع بين النصوص المختلفة :

ويستعمل الغزالي هذه الطريقة في الرد على المخالفين حينما يستدلون ببعض النصوص، ثم يستعمل هذه الطريقة ذاتها بعد ذلك في اختيار ما يراه صحيحا، ومثاله رده على الذين استدلوا على فوقية الله المادية برفع الداعين أيديهم إلى السماء، وقالوا بأن هذا الرفع متواتر معنويا، كما أن الطبيعة الإنسانية تقتضي هذا، وهذا كله يدل على أن الله في السماء، فيرد الغزالي بوجود نصوص أخرى فيها يتوجه العبد في عبادته إلى غير السماء، فهو يرى أن الله لم يتعبدنا بالدعاء فقط، بل تعبدنا بالصلاة وفيها سجود إلى الأرض وتعبدنا بالحج، وفيه اتجاه إلى الكعبة، ولم يقل أحد أن الله في الأرض أو في الكعبة، ونلاحظ أن الغزالي هنا يستعمل مسلكا آخر من مسالك العلة وهو تنقيح المناط أي تمييز العلة عما اقترن بها من الأوصاف التي لا مدخل لها في العلة[4]، حيث أبطل علة رفع الأيدي إلى السماء كما يراها المخالفون، كما أبطل علة رفع الجارية يديها إلى السماء لما سألها النبي -صلى الله عليه و سلم- أين الله ؟، وبهذه النصوص ذاتها أثبت الغزالي أن الله ليس في السماء، وهذا مع استعماله لأدلة أخرى.

---

[1] - الجانب الإلهي في فكر الامام الغزالي - المرجع السابق - ص 127-128.

[2] - فصلت : 11.

[3] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق - جـ 1 ص 128.

[4] - علم أصول الفقه - المرجع السابق- ص 160.

4- فكرة الكمال والأكمل :

استعمل الغزالي أيضا فكرة الكمال والأكمل[1]. وهذه الفكرة استعملها في إثبات بعض صفات الذات لله سبحانه، ومفادها أن ما يعتبر كمالا في المخلوقين كالسمع والبصر والكلام مثلا، فإثباته لله سبحانه، يكون من باب أولى لأنه أكمل ولا يعقل أن يكون ناقصا مثل الإنسان يسمع و يبصر ويتكلم و يقدر ويريد، و لا يفعل ذلك الخالق الكامل، وبهذه الطريقة رد الغزالي على المعتزلة وكل منكري صفات الكمال الواجبة لله سبحانه.

5- التحليل والتمثيل :

يهتم الغزالي أثناء تأويله بالتحليل الدقيق، والإكثار من الأمثلة لنصرة التأويل الذي يختاره ويراه صحيحا، ويثير الشبهات حول أقوال مخالفيه، كما يثيرها حول قوله، باستعمال قوله فإن قيل ... ثم يرد عليها نقطة نقطة، مستعملا المناقشة العقلية التي تعتمد على التسليم، ويؤيدها بالأدلة الشرعية والأمثلة الواقعية، وتجد هذه الأوصاف لتأويلات الغزالي في تأويله للقضاء والقدر، فبعد أن ذكر قول القدرية أورد شبهة على قولهم و هي أنهم نسبوا العجز إلى الله تعالى وهم لا يدرون، ثم ذكر قول الجبرية وأورد عليهم شبهة نسبة الظلم إلى الله تعالى، ثم ذكر قول المعتزلة الذين نسبوا الشر فقط لأنفسهم، وأورد عليهم شبهة نسبة العجز إلى الله تعالى، ثم ختم هذه الأقوال بإيراد قول أهل السنة والجماعة الذين توسطوا بين الفرق السابقة فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكلية، ولم ينفوا القضاء والقدر عن الله تعالى بالكلية، بل قالوا أفعال العباد من الله من وجه، ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في إيجاد أفعاله[2] . وبعد أن ذكر الغزالي الفرق بين القضاء والقدر شرع في شرح قوله وتأويله للقضاء والقدر، شرحا فلسفيا وعقليا معتمدا على آية قرآنية (فقضاهن سبع سماوات في يومين، وأوحى في كل سماء أمرها) [3]، فقال : وذكرنا في كتاب المقصد الأقصى [4] تدبير رب الأرباب، ومسبب الأسباب أصل وضع الأسباب، ليتوجه إلى المسببات حكمه، ونصبه الأسباب الكلية الأصلية الثابتة المستقرة التي لا تزول ولا تحول كالأرض والسموات السبع والكواكب والأفلاك، وحركاتها

---

[1] - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي - المرجع السابق - ص 72 .

[2] - الأربعين في أصول الدين للغزالي - المرجع السابق- ص 11،12 .

[3] - فصلت : 12.

[4] - لعله يقصد كتاب المقصد الأسنى، و لا نعرف كتابا بالاسم الذي ذكره.

المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم إلى أن يبلغ الكتاب أجله وقضاؤه ... وتوجيهه هذه الأسباب بحركاته المناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة إلى مسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة قدره، فالحكم هو التدبير الأول الكلي والأمر الأزلي هو كلمح البصر، والقضاء هو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة، والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص، وكذلك لا يخرج شيئ عن قضائه وقدره، ولا تفهم ذلك إلا بمثال[1].

ثم يشرع الغزالي في ضرب مثال يعتمد على الوصف الدقيق الذي لا يهمل أدنى الجزئيات والتفاصيل الدقيقة حتى كأن القارئ يشاهد أمامه ما يقوله الغزالي، بل يكاد ينسى أنه يقرأ فقط ولا يشاهد، ويرى الغزالي أن أفعال العباد وحركاتهم، بل وحركات كل المخلوقات بصفة عامة تسير وفق الحركة الكلية للكون، وهذه الأسباب كلها ترتبط ببعضها بعضا، والغزالي كثيرا ما يؤول و يبدي وجهة نظره في بعض المسائل وفق هذا التصور. وبعد أن انتهى من مثاله المضروب – الذي لم نورده هنا لطوله قال : " وتفهيم الأمور الإلهية بالأمثلة العرفية عسير ولكن المقصود من الأمثلة التنبيه، فدع المثال، و تنبه للغرض، واحذر من التمثيل والتشبيه[2]. ونشير هنا إلى أنهزما ذكرناه في هذه الطريقة الأخيرة، ولا يوجد في هذا المثال موجود في أمثلة أخرى وبكثرة.

6- الكشف أوعلم المكاشفة :

وهو عند الغزالي عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة [3]، ويؤمن الغزالي بتحصيل العلم بهذا الطريق، وبه كذلك يمكن التأويل، وهذا العلم يحصل للإنسان بتزكية نفسه عن طريق المجاهدة، فإذا زكاها أصبحت كالمرآة المصقولة التي تنتقش فيها العلوم، فيحصل لصاحبها العلم بحقائق الأمور دون تعلمها من أستاذ أو قراءة في كتاب، وهو يرى أن الذنوب والشهوات هي التي تحجب النفوس عن تحصيل هذه العلوم، ومن الآيات التي أولها الغزالي بهذا الطريق قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك

---

[1] – الأربعين في أصول الدين للغزالي – المرجع السابق– ص 12 ، 13.

[2] – الأربعين في أصول الدين – المرجع نفسه– ص 16.

[3] – إحياء علوم الدين – المرجع السابق –ج1 ص 31.

يضرب الله الحق والباطل) [1] قال الغزالي : مثل العلم بالماء والقلوب بالأودية والينابيع، والضلال بالزبد، ثم نبهك على آخرها فقال (كذلك يضرب الله الأمثال) ويكفيك هذا القدر من هذا الفن فلا تطيق أكثر منه، وبالجملة فاعلم أن كل ما يتحمله فهمك، فإن القرآن يلقيه إليك على الوجه الذي لو كنت في النوم مطالعا بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك ذلك بمثال مناسب يحتاج إلى التعبير، واعلم أن التأويل يجري مجرى التعبير، والمثال الذي يضربه الغزالي من تعبير الرؤيا هو أن بعضهم رأى أنه كان في يده خاتم يختم به فروج النساء وأفواه الرجال، فقال له ابن سيرين : أنت رجل تؤذن في رمضان قبل الصبح فقال نعم[2].

والحقيقة أن التأويل بهذا الطريق يورد عليه إشكالان، أحدهما : أن هذا التأويل ليس له ضوابط يسير عليها، وليس هناك علاقة بين الألفاظ والمعاني، والإيمان بهذا الطريق للتأويل لا يمنع أيا كان أن يؤول كما يشاء، وإذا نوقش في ذلك قال هذا تأويل لا يدرك إلا بالكشف، وثانيهما : أن تأويل النصوص بهذه الطريقة لا يكاد يختلف عن تأويلات الباطنية الذين رد عليهم الغزالي، وكثير من العلماء، ثم إن الغزالي بهذا التأويل قد خالف الضوابط والشروط التي نص عليها من قبل، ثم إن وجود هذا النوع من العلم – أي علم المكاشفة – لا يستند إلى دليل شرعي قوي، ولا إلى واقع ملموس، وقد اعتمد الغزالي في إثباته على حديث ضعيف رواه أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث أبي هريرة وفيه " إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى، فلا تحقروا عالما أتاه الله تعالى علما منه، فإن الله عزوجل لم يحقره إذ أتاه إياه" [3].

---

[1] – الرعد 19.

[2] – جواهر القرآن للغزالي – المرجع السابق– ص 29.

[3] – كنز العمال –المرجع السابق– ج10 ص181 حديث رقم 28942. والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ العراقي المطبوع بذيل إحياء علوم الدين جـ 4 ص32 .

المبحث الثاني : تأويلات النصوص عند الغزالي

في هذا المبحث سوف نتطرق لبعض تأويلات الغزالي مقارنة مع تأويلات أخرى لغيره، ولتسهيل الدراسة، قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين، نعالج في الأول منهما تأويلات الغزالي لنصوص الأسماء والصفات، ونبين رأيه في بعض القضايا الخلافية الكبرى، كمسألة القول بخلق القرآن، وصفة القدرة، وموضوع القضاء والقدر، و أما المطلب الثاني فسنعرض فيه جملة مختلفة من تأويلات الغزالي مع التعليق عليها، وبيان اتجاهه الفكري من خلالها.

المطلب الأول : صفات الذات عند الغزالي

إن المراد بصفات الذات هي الصفات الثابتة في الذات بإيجاب الذات إياها من غير توقف إلى أمر أخر، وهي الحياة والقدرة والعلم، والكلام، والسمع والبصر، والإرادة [1] وهناك صفات أخرى هي صفات الفعل كالتخليق والترزيق وغيرها.

ويثبت الغزالي هذه الصفات السبع لله سبحانه، وخلافا للمعتزلة الذين يقولون بأن الله عالم بذاته، حي بذاته، ويثبتون الوصف وينفون الصفة، يرى الغزالي أن الله تعالى عالم بعلم، حي بحياة قادر بقدرة، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام، وسميع بسمع، وبصير ببصر، وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة[2]

أولا : العلم

يرى الغزالي أن علم الله تعالى قديم، فلم يزل عالما بذاته وصفاته، وما يحدثه من مخلوقاته، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها، بل حصلت له مكشوفة بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم به بقدوم زيد عند طلوع الشمس، ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر، ثم قال : فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى[3]. ويرى أن علم الله تعالى شامل لجميع المخلوقات لا فرق بين الكليات والجزئيات، وهو قد كفر الفلاسفة الذين أنكروا علم الله تعالى بالجزئيات، واستدل الغزالي على علم الله تعالى حتى بالجزئيات بقوله تعالى : (لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في

---

[1] - القول الفصل – شرح الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة – المرجع السابق – ص 131.

[2] - إحياء علوم الدين – المرجع السابق– جـ 1 ص 131.

[3] - إحياء علوم الدين – المرجع نفسه– جـ 1 ص 131.

السماوات، ولا في الأرض) [1] وهو عندما أثبت العلم لله سبحانه فقد أشار إلى أن علمه تعالى يخالف علم المخلوقين في الحقيقة والمعنى، وإن شابهه وشاركه في لفظ الصفة كما استدل على العلم أيضا بقوله تعالى: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) [2] وقوله: (وهو بكل شيئ عليم) [3]، وقوله أيضا: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [4]، قال : أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف، والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيئ الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف، فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف [5] ، فعلم الله سبحانه –عند الغزالي– قديم و شامل لكل شيئ (وهو بكل شيئ عليم) [6] ، وهو يتفق فيما ذهب إليه مع مذهب أهل السنة سلفهم وخلفهم، وهذا العلم لا يشاركه علم المخلوقين إلا في الاسم، وإذا كان علم المخلوقين معلولا بالحوادث، فعلم الله تعالى علة لها، أي أن الخلق لا يحصلون العلم إلا بعد حدوث موضوعه، بينما يعلم الله تعالى بالأشياء قبل حدوثها، وعلمه بها هو سبب حدوثها بعد ذلك.

وقد رد الغزالي على الفلاسفة الذين ينكرون علم الله بالجزئيات، وهي من المسائل التي كفرهم فيها، وقد بنى الفلاسفة قولهم هذا على اعتبار أن الجزئيات حادثة وعلم الله قديم وما دام أن هذا العلم هو علة في وجود الحوادث، والعلة والمعلول متلازمان، فوجود أحدهما يؤدي بالضرورة إلى وجود الآخر، فيمكن بناء على ذلك أن نسأل لماذا لم توجد هذه الجزئيات الحادثة قبل الوقت الذي وجدت فيه، أو يقال: لم خصص هذا الوقت بالفعل دون الوقت السابق؟ أو يحال الأمر على فقد آلة ووجودها [7]، أي أن هناك شيء أو حال طرأ على صاحب العلم القديم جعله يكون سببا في وجود الجزئيات في هذا الوقت دون ما سبقه، وحفاظا على أن القديم لا يتغير أنكر الفلاسفة علم الله بالجزئيات.

---

[1] – سبأ : 03.

[2] – يونس: 61.

[3] – البقرة : 29.

[4] – الملك : 14.

[5] – إحياء علوم الدين –المرجع السابق– ج1 ص 129.

[6] – البقرة 29.

[7] – معراج السالكين –أبو حامد الغزالي– دار الكتب العلمية بيروت لبنان –الطبعة الأولى 1994 ص79.

وأما الغزالي فيرد بأنه ليس من شرط العالم إذا كان قادرا أن يلازم المعلوم والمقدور، والبارئ تعالى لا يقال له: لِمَ [1]، ويذكر الغزالي بعد ذلك أن البارئ عالم لا يتغير عما علم في وقت ما لا في الماضي ولا في المستقبل..، ويذكر أدلة حدوث العالم، وينتهي في الأخير إلى القول بأن علم الله ليس ذاته ولا غيرها، وهو بذلك يخالف المعتزلة القائلين بأن ذاته عين علمه أي أن الله عالم بذاته لا بعلم، قال الغزالي: والذي أعتقده أن الله سبحانه عالم وقد قام الدليل على علمه، فهذه مقدمة المقدمة الثانية أن ثبت إن إثبات كون العلم مغايرا للذات محال، وذلك أن نقول: لا يخلو العلم أن يكون نفس الذات وهذا لا نعتقده أو نقول إنه زائد عليها..فإن كان زائدا عليها فلا يخلو أن يستقل دون الذات بأن يكون واجب الوجود أو تكون الذات شرطا فيه، فإن استقل دون الذات وكان قديما قائما بنفسه فهما إلهان الذات والعلم وذلك محال، ثم قال بعد ذلك: فإن قيل: الذات من شرطه؟ قلنا: لا يخلو أن يكون قديما أو محدثا فلا يخلو إما أن يقوم بذات البارئ تعالى أو بغيره، فإن قام به لزم قيام الحوادث بذاته وهذا باطل، وإن كان بغيره فالعلم إذن ليس من صفات ذاته..ثم يقول بعد ذلك بأن الله سبحانه عالم بالكليات والجزئيات ولا يطلق عليه لا علمه ذاته ولا غيرها لأن التحكم بإضافة اسم إلى البارئ تعالى وإطلاقه طريقة الشرع، وليس في حكم الشرع ما يدل على أن العلم زائد، بل ورد ذلك مطلقا، وشهدت أدلة العقول على أن الله تعالى عالم، وأن العلم لا يصح أن يكون موجودا قديما قائما بنفسه مستغنيا عن البارئ تعالى، وبطل أيضا أن يكون قديما يفتقد إلى شرط [2].

ثانيا : القدرة

تقترب القدرة في معناها اللغوي من الاستطاعة، مع اختلاف يسير في التعبير، وأما القوة فهي أعم من القدرة، فهي لا تتوقف على شرط الحياة والعلم والإرادة.

أما اصطلاحا فلها ثلاث معان :

1- الصفة التي تمكن الحي من الفعل أو تركه بالإرادة[3]، وقال الغزالي : القدرة عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيئ متقدرا بتقدير الإرادة والعلم واقعا على وفقهما[4].

---

[1] - معراج السالكين -المرجع السابق- ص79.

[2] - معراج السالكين -المرجع نفسه- ص83-84.

[3] - الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي - المرجع السابق - ص 196 نقلا عن التعريفات للجرجاني.

[4] - المقصد الأسنى -- شرح أسماء الله الحسنى للغزالي - المرجع السابق- ص 196.

والمتأمل في التعريف الذي أورده الغزالي يجد أنه يتحدث عن قدرة مطلقة عامة، واسعة المجال مترتبة على إرادة مطلقة أيضا في مجال إطلاقها، وعلم تام يتأتى به انكشاف تام في الواجبات والجائزات والمستحيلات، بحيث لا تترك وراءه احتمال الجهل. وهذه القدرة المطلقة في مجالها، الواسعة في تطبيقها المبنية على العلم التام والإرادة المطلقة كذلك لا يمكن أن تكون إلا لله[1].

2- عبارة عن أدنى قوة يتمكن بها المأمور من أداء مالزمه بدنيا أو ماليا، وهذه يسميها العلماء القدرة الممكنة، وهي التي يدور عليها تكليف الإنسان بفعل ما يجب عليه، إذ لولا هذه القدرة لكان الإنسان قد كلف بأمر لا يطيقه، وهذا من قبيل المحال العقلي.

3- ما يوجب اليسر على الأداء، وهي زائدة على القدرة الممكنة بدرجة واحدة في القوة إذ بها يثبت الإمكان ثم اليسر بخلاف الأولى[2].

ويثبت الغزالي القدرة المطلقة لله تعالى، مستدلا من القرآن بقوله تعالى: (وهو على كل شيئ قدير)[3] كما يستدل عليها ببعض آيات الله في الكون، وهو خلق الكون بهذه الصناعة المحكمة، و التي لا تدل إلا على كون الصانع قديرا، قال الغزالي مستدلا على صدق قوله تعالى في الآية السابقة : وأنه تعالى في قوله صادق لأن العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته، ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل الغباوة والجهل[4].

ومن خلال كلام الغزالي نفهم أنه أثبت لله- سبحانه- قدرة مطلقة لا حدود لها، لكن السؤال الذي وقع الاختلاف بشأنه، بين الغزالي وغيره، وبين الفرق الإسلامية، هل تشمل هذه القدرة المطلقة الأفعال الاختيارية للمخلوقات أم لا ؟، فالقول بشمولها لهذه الأفعال معناه أن المخلوقات مجبرة على أفعالها، وهذا يناقض أساس التكليف، وإذا قلنا باستثنائها من القدرة

---

[1] - الجانب الالهي في فكر الامام الغزالي - المرجع السابق- ص 196-197.

[2] - كتاب التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (740-816هـ)، تحقيق الدكتور عبد المنعم الحفني، دار الرشاد القاهرة ص196-197.

[3] - الملك : 1.

[4] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق - جـ 1 ص 129.

المطلقة، فقد ناقضنا تعريف القدرة المطلقة ودليلها كما ذكره الغزالي. وقد افترقت الفرق الإسلامية في الإجابة عن هذا السؤال على ثلاثة مواقف :

- **الموقف الأول** : وهو موقف الجبرية، وهؤلاء يقولون بأن قدرة الله المطلقة شاملة لأفعال العباد والناس في الحقيقة لا فعل لهم، وإنما هم و أفعالهم كالريشة التي تحركها الرياح، وكل ما يفعله الإنسان فلا اختيار له فيه، وقد يستدلون على ذلك بقوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) [1]، وقولهم هذا يناقض أساس التكليف، وهو حرية الاختيار بين الفعل والترك، كما أن هذا القول فيه نسبة الظلم وما لا يليق من سفاهة الناس إلى الله سبحانه، وفوق هذا فهو يشجع العامة على المعاصي والمحذورات مع الاعتقاد بأنهم مدفوعون إلى ذلك دفعا، وأنهم لا طاقة لهم لتفادي ذلك، ومن أصحاب هذا الموقف الجهمية أتباع الجهم بن صفوان، ويرى الغزالي أن الرد على هؤلاء يكون بضربهم وتمزيق ثيابهم، وخدش وجوههم، ونتف أشعارهم وشواربهم ولحاهم ويعتذر بما اعتذروا به في ساتر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم[2].

- **الموقف الثاني** : وهو موقف القدرية، وذهبوا إلى أن العبد مستقل بخلق أفعاله الاختيارية وأن قدرة الله عز وجل لا علاقة لها بهذه الأفعال، وأشهر الفرق القائلة بهذا القول المعتزلة، وقولهم هذا مبني على دافعين أولهما : قولهم بأن الحسن والقبح ذاتيان في الأشياء، والشرع إنما يوجهنا فقط وما دام الله منزها عن النقائص كلها فإن الشر والقبح لا يصدر عن قدرة الله، و إن كانت ممكنة لذاتها و الثاني: قالوا بأن القدرة أساس التكليف، فلو لم يكن المكلف قادرا على شيئ معين يستطيع أداءه بيسر وسهولة لكان التكليف به من باب الظلم الذي ينزه عنه الله تعالى [3] .

والحقيقة أن هذا القول لا يختلف كثيرا في خطإه وخطره عن القول الأول، فبالإضافة إلى أن هذا القول يخالف عموم و شمول القدرة الإلهية كما دلت عليها بعض الآيات، كما يخالف ما ينشأ عن الأفعال الغريزية كعمل العنكبوت والنحل، و غير ذلك، فإنه يتضمن إباحية مطلقة في كيفية الحكم، فالمعتزلة الذين كانوا أول القائلين بهذا الموقف تبعتهم فرق أخرى، وكيفت هذا القول لتأييد تصورها لكيفية الحكم، وما زلنا إلى اليوم نرى ونسمع أن الكثير من المسلمين يدعون إلى اختيار نظام الحكم المناسب بناء على هذا الموقف، وإن كان مخالفا في أصوله وفروعه لنظرية الحكم في الإسلام، ومن أمثلة الكتب التي حشيت بهذه الأفكار الضالة

---

[1] - الصافات : 96.

[2] - الأربعين في أصول الدين - المرجع السابق- ص 11.

[3] - الجانب الإلهي في فكر الامام الغزالي - المرجع السابق - ص 214.

كتاب "الإسلام السياسي" للمستشار سيد عشماوي. وكلا الموقفين السابقين يتضمنان دعوة إلى التحلل من التشريع، وإن كان التعبير عن ذلك مختلفا، بل متناقضا فيه إفراط وتفريط.

- **الموقف الثالث** : وهو موقف أهل السنة، وهو مبني على أساس اجتماع القدرتين على مقدور واحد و يشرح أهل السنة هذا الأساس بقولهم : إن قدرة الله تامة مطلقة التأثير، بها الخلق والإيجاد والإبداع، أما قدرة العبد فهي قدرة ناقصة هي بالعجز أشبه، وإذا ما أراد الله عز وجل خلق فعل من أفعال العبد الاختيارية خلقه، وخلق معه قدرة للعبد بها يقع الفعل على نحو ما أراده الله عزوجل، فقدرة العبد واسطة تتعلق بالفعل الذي يريد الله إحداثه، وهذا اللون من التعلق هو الذي يجعلنا نفرق ضرورة بين حركة الرعدة الجبرية فينا، و الحركة الاختيارية التي نمارسها بإرادتنا ... وهذا القدر من تعلق القدرة كاف لكي يكون أساسا للتكليف، وأثر قدرة العبد الناقصة لا تستحق الوصف بالإيجاد أو الخلق أو الإبداع[1] والوصف الذي اختاره أهل السنة للقدرة الناقصة حين تتعلق بالفعل فتحدث فيه أثرا قد استقوه من القرآن الكريم: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)[2].

والغزالي قد أثبت لله قدرة عامة شاملة لجميع المخلوقات، وعن علاقة العبد وأفعاله الاختيارية بقدرة الله التامة أورد الملاحظات التالية :

1- ينبغي العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه، ولا محدث له إلا إياه، خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم، فجميع أفعال عباده مخلوقة له، ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى (الله خالق كل شيئ) [3]، وفي قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) [4]... ثم قال الغزالي : وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة، وتعلق القدرة بها لذاتها، فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها؟ أو كيف يكون

---

[1] - الجانب الالهي في فكر الامام الغزالي - المرجع نفسه - ص 218-221.

[2] - البقرة : 285.

[3] - الزمر : 62.

[4] - الصافات : 96.

الحيوان مستبدا بالاختراع، ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب، فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب و هي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب؟ [1]

2- إن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا، وخلق الاختيار والمختار جميعا، فأما القدرة فوصف للعبد، وخلق الرب سبحانه وليست بكسب له، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له، فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه، و كانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة، فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا و كيف تكون جبرا محضا، وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية ؟ أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها، وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على و جه آخر من التعليق يعبر عنه بالاكتساب[2]

3- أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه، فلا يجري في الملك و الملكوت طرفة عين ولالفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته، ومنه الشر والخير، والنفع والضرر، والإسلام والكفر، والعرفان والنكر، والفوز و الخسران، والغواية والرشد، والطاعة والعصيان، والشرك والإيمان. لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء و يهدي من يشاء[3] .

هذه بعض الملاحظات التي أوردها الغزالي عن علاقة قدرة العبد الناقصة بالقدرة الإلهية التامة المطلقة، والملاحظة الأخيرة المتعلقة بالقضاء والقدر سنعود إلى تفصيلها عند الغزالي في الصفحات اللاحقة، وأما موضوع الكسب الذي تحدث عنه أهل السنة ثم الغزالي، وهو اجتماع القدرتين على مقدور واحد فيمكن توضيحه بمثال أكثر وضوحا، وهو الحاسوب مثلا فقد استطاع بعض العلماء أن يصنعوا حاسوبا يمارس لعبة الشطرنج، ويتفوق فيها، ونحن نعرف أن هذه اللعبة تتطلب القيام بحركات مدروسة وقيام هذا الجهاز بأداء هذه اللعبة لا يمكن أن ننسب

---

[1] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق - ج 1 ص 131-132.

[2] - إحياء علوم الدين - المرجع نفسه - ج 1 ص 131-132.

[3] - إحياء علوم الدين - المرجع نفسه - ج 1 ص 131-132.

إليه كل الفضل في أدائها، فلا شك أن هناك من وضع له برنامجا معينا مزودا بكل الاحتمالات، ولولا ذلك ما فعل شيئا، كما لا يمكن أن ننسب الفعل والفوز إلى صانعه وحده لأن اللاعب المنافس له حرية التفكير والتغيير، وهو يغير النقلات وفقا لمعطيات متغيرة، ومنه فإن فعل الحاسوب مشتركا بينهما، فالذي صنعه زوده بمختلف الوسائل التي تجعله يتحرك لتغيير النقلة، كما زوده بمختلف الاحتمالات وما قد يترتب عنها حين اللعب، فهنا وإن كانت قدرة العالم واختراعه هي الأصل إذ لولاها لما تحرك الحاسوب أصلا فضلا عن أن يلعب ويفوز إلا أن حرية اللعب والتنقل وفقا للمعطيات هي التي مكنت الحاسوب من اللعب والفوز، وليس صحيحا أن نقول بأن الحاسوب هو الذي فاز دون اعتماد على قدرة صانعه الذي مكنه من وضع برنامج للعب وللحركة، كما لا يمكن أن نقول بأن اللعب والفوز إنما قام به الصانع لأنه في الحقيقة لم يشارك في اللعب بطريقة مباشرة، والصحيح أن اللعب كان مشتركا بينهما، فالصانع شارك بقدرته على صنع الحاسوب و تزويده ببرنامج، والحاسوب شارك باختيار تغيير النقلات بناء على معطيات اللعب التي يكون فيها طرف آخر وهو اللاعب المنافس، وقدرة العبد وعلاقتها بقدرة الله التامة لا تختلف عن هذا المثال، فالله تعالى هو الذي صنع العبد وزوده بما يتحرك به، وأعطاه عقلا يختار به مثل البرنامج الذي يلعب به الحاسوب، والعبد عندما يختار سلوكه إنما يختارها وفقا لمتغيرات ومعطيات في الحياة، يتدخل فيها العلم والضمير، والهوى، وأمور أخرى خارجية، وهو يفعل ويعمل وفقا لهذه المعطيات، ومنه فلا نقول بأن العبد مستقل بخلق أفعاله، لأن الله تعالى هو الذي زوده بالحياة والحركة والإرادة وما به يختار بين المعطيات، ولولا القدرة الإلهية لما استطاع أن يتحرك أدنى حركة فضلا على أن يقوم بأعمال، كما لا يمكن أن نقول بأن العبد كان مجبرا على فعله لأن الله تعالى كما خلق له القدرة على الفعل، فقد خلق له الإرادة والقدرة على الاختيار، ومنه فإن فعل العبد له عدة مقومات وأسس وهي الحياة، والأعضاء، والإرادة وهي داخلة تحت القدرة الإلهية، ثم هناك مقوم آخر وهو اختيار الفعل، وهذا داخل تحت قدرة العبد، ولو سلبنا الاختيار عن العبد، فمعنى ذلك أنه لم يفعل شيئا، ولا عبرة بوجوده، ولا عبرة بالابتلاء الذي تحدث عنه الله تعالى: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)[1].

---

[1] - الملك : 02.

- ثالثا : الحياة

ويستدل الغزالي على هذه الصفة بالعلم والقدرة فهو يرى أن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته، ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات، بل في حياة أرباب الحرف والصناعات، وذلك انغماس في غمرة الجهالات والضلالات[1] والله تعالى عند الغزالي حي بحياة لا بذاته كما يقول المعتزلة.

- رابعا : الإرادة

صفة الإرادة عند الغزالي مسألة مشكلة انبنى عليها تعطيل المعطلة، ولذلك اهتم بتفصيلها، وشرع أولا بتعريف الإرادة بصفة عامة حيث قال بأن حقيقتها المفهومة إجماع النفس على الفعل عند انبساط القوة النزوعية ويحركها إليه في القوة الخيالية شيئ يرغب فيه أو يهرب عنه، وهذا الوصف مستحيل في ذات البارئ تعالى، ثم عرف بعد ذلك بالإرادة الإلهية فقال: عبارة عن إيقاعه الفعل مع أنه غير ذاهل عنه، فالقصد إلى إحداث المحدث والعمد إليه سمي إرادة، وحقيقة ذلك تؤول إلى خروج الفعل من القوة إلى الفعل [2].

ويرى الغزالي أن الإرادة صفة قديمة لله تعالى، فهو مريد لأفعاله، ووظيفة الإرادة هي تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه، أو هي منظمة لعمل القدرة، فالقدرة الإلهية التامة الشاملة تناسب الضدين، والوقتين المختلفين، بمعنى أن الله تعالى بقدرته يمكن أن يحي أو يميت للشخص الواحد في نفس الوقت، ولا يمكن أن يجتمع الضدان، فلا بد إذن من شيئ يصرف القدرة إلى أحدهما دون الآخر وهذا الشيئ هو الإرادة، وكذلك فإن القدرة يمكن أن تميت الإنسان في يوم معين أو قبل ذلك اليوم أو بعده والذي يخصص اليوم هو الإرادة، وقد عبر الغزالي عن هذه الفكرة بقوله : وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده ؟ ومالا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده. والقدرة تناسب الضدين، والوقتين مناسبة واحدة، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين، ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال: إنما وجد في الوقت الذي سبق بوجوده لجاز أن يغني عن

---

[1] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 1 ص 130.

[2] - معراج السالكين -المرجع السابق- ص84.

القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه[1].

ويرى الغزالي أن الإرادة مثل القدرة في العموم والشمول، فهي تعم جميع الممكنات، وتشمل جميع الحوادث، وهي صفة قائمة بذاته بخلاف المعتزلة الذين منعوا أن تكون الإرادة قائمة بذاته لأنه لا يريد القبيح مثلا، وهم بهذا خلطوا بين الأمر والإرادة. و يستدل الغزالي على عموم و شمول الإرادة لكل أفعال المخلوقين بما في ذلك المعاصي بقوله تعالى: (... أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) [2]، وبقوله : (لو شئنا لآتينا كل نفس هداها) [3] . كما استدل على ذلك بالعقل، فقال: و يدل على ذلك من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها، وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو ابليس لعنه الله مع أنه عدو الله سبحانه، والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى، فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رئاسة زعيم ضيعة لاستنكف منها، إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ من ولايته، والمعصية هي الغالبة على الخلق، وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى، وهذا غاية الضعف والعجز، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا، ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له[4]. ونلاحظ هنا أن الغزالي قد استعمل في إثبات عموم وشمول الإرادة دليل الكمال والأكمل، فإذا كان كمال الزعامة عند البشر يقتضي أن يقع كل شيئ وفق إرادة الزعيم، فالله تعالى أكمل من كل كامل، وشمول إرادته وعمومها لكل شيئ أولى.

ويفرق الغزالي بين الأمر والإرادة، وهو يرى أن الله تعالى قد يأمر بشيئ وهو يريد غيره، أوقد ينهى عن شيئ وهو يريده، قال الغزالي (فإن قيل : فكيف ينهى عما يريد، ويأمر بما لا يريد؟ قلنا: الأمر غير الإرادة و لذلك إذا ضرب السيد عبده، فعاتبه السلطان عليه، فاعتذر بتمرد عبده عليه، فكذبه السلطان، فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه– فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان، فهو يأمره بما لا يريد امتثاله، ولو لم يكن

---

[1] – إحياء علوم الدين – المرجع السابق– جـ 1 ص 130.

[2] – الرعد : 31.

[3] – السجدة : 13.

[4] – إحياء علوم الدين – المرجع السابق– جـ 1 ص 132 –133.

أمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا، ولو كان مريدا لامتثاله، لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال[1]).

والمثال الذي قدمه الغزالي لبيان شمول وعموم الإرادة مقبول، وكذلك فالتعليل مقبول أيضا، فالله تعالى لم يأمر بالمعاصي قطعا لقوله: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) [2] ولكنه أراد تلك المعاصي لبعض خلقه حتى يعذبهم بها، لعلمه السابق أنهم سيسلكون طريق الشقاوة، لكن المثال الذي ضربه بعد ذلك للتفريق بين الأمر والإرادة، لا ينطبق عن الخالق تعالى في التفريق بين أمره وإرادته، لأن مخالفة الأمر للإرادة في المثال ناتجة عن خوف، واختلاف الأمر عن الإرادة عند البشر له أسباب كثيرة، بل هو ظاهرة عامة، قد يكون بسبب الخوف، أو الإكراه، أو المكر أو غير ذلك، والله تعالى لا يخشى أحدا.

إن الله -سبحانه وتعالى- لم يأمر إلا بالخير وما فيه صلاح الناس وليس في القرآن ما يخالف هذه الحقيقة، لكنه يريد مخالفة بعض الناس لأمره (إنما يريد الله ليعذبهم بها) [3]، ولا ينبغي أن يسأل الله عن ذلك (لا يسأل عما يفعل و هم يسألون)[4].

ويصل الغزالي في الأخير إلى أن إرادة الله قديمة، تعلقت في قدمها بإحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث، ولو حدث في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها [5].

- خامسا : السمع و البصر

يرى الغزالي أن لله تعالى سمعا يخصه، وهو لون من الإدراك يخالف الإدراك بالبصر والعلم، كما أن له بصرا يخصه أيضا، وقد استدل لإثبات السمع والبصر لله تعالى بفكرتي الكمال والأكمل، ومفادها أن السمع والبصر كمال في المخلوقين، وليس بنقص، فالبصير أكمل من الأعور كما أن الأعور أكمل من الأعمى، والسميع أكمل من الأصم، ومادامت الصفتان تدلان على الكمال لدى المخلوقين، فدلالتها على الخالق وهو أكمل تكون من باب أولى.

---

[1] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 1 ص 132 -133.

[2] - النحل : 90.

[3] - التوبة : 55.

[4] - الأنبياء : 23.

[5] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق - جـ 1 ص 131.

ولو لم يكن الله -سبحانه وتعالى- سميعا بصيرا لما كان في قول ابراهيم وإنكاره على قومه حجة، حين قال لأبيه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) [1]، و كان أبوه وقومه حينها يقولون تنكر علينا انعدام السمع والبصر في معبودنا، وهو منعدم أيضا في معبودك، ولكنهم لما علموا أن معبود ابراهيم يسمع ويبصر لم يقولوا شيئا من هذا القبيل بل إن الله تعالى قد اعتبر قول ابراهيم هذا حجة مفحمة، حيث قال تعالى :(وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) [2] قال الغزالي : ... لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء[3] قال هذا وهو يثبت عموم وشمول سمعه وبصره لكل المخلوقات مهما دق حجمها وصوتها، ولبيان مخالفة سمع وبصر الخالق لسمع وبصر المخلوقين قال : وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن إذ لا فرق بينها[4].

والغزالي بهذا الاستدلال من الآية يثبت لله سمعا وبصرا قديمين كما ذهب إلى ذلك جمهور أهل السنة، وخلافا للمعتزلة القائلين بأنه سبحانه سميع بذاته [5] ، وبصير بذاته، والنصوص القرآنية الواردة في وصف الخالق سبحانه بأنه سميع وبصير كثيرة، منها قوله تعالى:(لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) [6] وقوله أيضا:(إنني معكما أسمع وأرى) [7]، وهناك آيات أخرى كثيرة تختتم بوصفه سميع بصير.

- سادسا : الكلام

يرى الغزالي أن الله سبحانه متكلم بكلام قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف، بل لا يشبه كلامه كلام غيره، كما لا يشبه وجوده وجود غيره[8]، وكلام الله تعالى عند الغزالي كلام نفسي

---

[1] - مريم : 42.

[2] - الأنعام : 83.

[3] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 1 ص 130 .

[4] - إحياء علوم الدين - المرجع نفسه- جـ 1 ص 130 .

[5] - ينكر المعتزلة أن يكون لله صفات قديمة كقدم ذاته تماشيا مع أصلهم في التوحيد، وعندهم أن القدم من أخص أوصاف الله، وإثبات قدم هذه الصفات معناه عدم افراد الله بصفة القدم، ومن هنا قالوا بأن الله سميع بذاته لا بصفة خارجة عن الذات هي السمع، وهذا بخلاف أهل السنة الذين قالوا بأن الله سميع بسمع وبصير ببصر، وأثبتوا هذا الصفات لورود النص بها ولكن قالوا ليست هي من الذات، ولا خارجة عنها لعدم ورود النص في ذلك.

[6] - المجادلة : 01.

[7] - طه : 46.

[8] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 1 ص 130.

قديم قائم بذاته، والكلام النفسي هو حقيقة الكلام وأما الأصوات والحروف فهي تدل فقط على هذا الكلام، وليست هي حقيقة الكلام، ويستأنس الغزالي على قوله هذا بقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد و إنما ❁ جعل اللسان على الفؤاد دليلا [1]

و منه فإن حقيقة كلام الله تعالى ليس فيه صوت ولا حرف، وليس له كيفية حادثة، ولا بداية أو نهاية يعرف بها، ولهذا الكلام عند البشر صوت وحرف، وعلامات ومميزات، وبدايات ونهايات وسور وآيات[2]، و حاصل هذا الكلام أن ما كتب في المصحف أو قرئ فليس هو حقيقة كلام الله، وإنما هو ما يدل على كلام الله القديم، فلفظة النار ليست هي النار حقيقة، ولو كانت كذلك لاحترق اللسان أو الورق، وإنما هي ما يدل على ما يحرق فحسب.

وبهذه النظرة إلى كلام الله تعالى يحل الغزالي مشكلة القول بخلق القرآن التي أثارها المعتزلة، والقرآن كما نعرفه يتكون من ورق وحبر وحروف وأصوات تدل على معاني، ولا شك أن الورق والحبر والحروف مخلوقة وكذلك فإن الأصوات التي تقرأ القرآن مخلوقة لأن أصحابها مخلوقين، ولا يمكن أن تكون قديمة، فلم يبق إلا المعاني فهي قديمة، وهي حقيقة كلام الله النفسي، و الحروف والأصوات إنما جعلت للدلالة على كلام الله النفسي القديم الذي لا نعرف له كيفية، ونفهم من كلام الغزالي أن الله تعالى قد أسمع موسى -عليه السلام- كلاما ليس بصوت ولا حرف[3].

---

[1] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 1 ص 130.

[2] -الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي - المرجع السابق- ص 298.

[3] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 1 ص 130.

المطلب الثاني : تأويلات متفرقة للغزالي

إن للغزالي تأويلات كثيرة مبثوثة في مختلف تصانيفه، ولا يمكن مع طبيعة هذا البحث إيرادها جميعا، وإنما نورد منها ما يعطينا مزيدا من الإحاطة بتأويله، وسنعمل على إبراز تأويلاته للنصوص التي كثر الخلاف بشأنها أولا، ثم نتبعها بتأويلات أخرى متفرقة.

1- تأويل الصورة:

وذلك في حديث " إن الله خلق آدم على صورته " فقد ورد هذا الحديث بعدة روايات وهي :

أ-عن أبي هريرة -رضي الله عنه-عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - أنه قال: لا يقولن أحدكم لأحد قبح الله وجهك ووجها أشبه و جهك فإن الله خلق آدم على صورته[1].

ب-وفي رواية أخرى " إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أيضا عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم- قال: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته[3].

د-وعن عمر-رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن[4].

ه- وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه و سلم - قال : " خلق الله آدم على صورته و طوله ستون ذراعا "[5].

وقد اختلف أهل التأويل في الضمير الوارد في الصورة على من يعود، فالقول بأنه يعود على الله يجرنا إلى التشبيه و هو محال، فلم يبق إلا أن تصح عودة الضمير على الوجه المقبح أو المضروب أو المقاتل، قال ابن خزيمة : الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم، أراد -صلى الله عليه و سلم- أن الله خلق آدم

---

[1] - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - المرجع السابق - كتاب الحظر و الإباحة جـ 7 ص 486 حديث رقم 5680.

[2] - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - المرجع نفسه - كتاب الحظر و الإباحة جـ 7 ص 448 حديث رقم 5576.

[3] - صحيح مسلم -المرجع السابق- كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه ج4 ص 2017.

[4] - كتاب التوحيد لابن خزيمة - المرجع السابق- ص 38.

[5] - كتاب التوحيد لابن خزيمة - المرجع نفسه - ص 40 عن أبي هريرة.

على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، و الذي قبح وجهه، فزجر – صلى الله عليه و سلم– أن يقول : ووجه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحا وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه –الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم [1]. وأما الحديث بالرواية الأخرى التي فيها صورة الرحمن فبعد أن شكك إبن خزيمة في صحته قال : .. فمعنى هذا الخبر عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو إضافة الخلق إليه، لأن الخلق يضاف إلى الرحمن إذ الله خلقه، و كذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها، ثم قال بعد ذلك : فمعنى الخبر– إن صح من طريق النقل مسندا – فإن ابن آدم خلق على الصورة التي خلقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح[2]، قال الله عز وجل: (ولقد خلقناكم ثم صورناكم)[3].

وأما الغزالي فلم يشكك في صحة الحديث، بل إنه أول الحديث، ولم يفرق بين رواياته، في كتابين له هما " الفصول " وفيه أول الحديث الذي فيه صورة الرحمن، وكتاب " المضنون الصغير" الذي فيه خلق آدم على صورته، و ليس هناك أي فرق بين الكتابين في تأويله للحديث، والغزالي في تأويله يذهب إلى فهم خاص جدا، و لا أعتقد أن أحدا من العلماء، بل من المسلمين ذهب إليه وهو يحمل الصورة على معناها المعنوي لا الحسي، ويصحح نسبتها إلى الله عزوجل حيث قال : الصورة اسم مشترك .. قد يطلق على ترتيب الأشكال، ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها. وهي الصورة المحسوسة، بل للمعاني ترتيب أيضا، وتركيب مناسب، ويسمى ذلك صورة ... فيقال صورة المسألة كذا و كذا، و صورة الواقعة، و صورة المسألة الحسابية والعقلية كذا و كذا بالتسوية على هذه الصورة.. فالمراد بالصورة ها هنا هو الصورة المعنوية، والإشارة به إلى المضاهاة التى ذكرناها.. و يرجع ذلك إلى الذات و الصفات والأفعال، فحقيقة ذات الروح أنه قائم بنفسه ليس بعرض ولا بجسم، ولا جوهر متحيز.. ولا يحل المكان والجهة، ولا هو متصل بالبدن والعالم.. ولا منفصل، ولا هو داخل في أجسام العالم والبدن ..ولا هو خارج.. وهذا كله في حقيقة ذات الله تعالى .. وأما الصفات فقد خلق حيا

---

[1] – كتاب التوحيد لابن خزيمة – المرجع السابق – ص 37 – 38.

[2] – كتاب التوحيد لابن خزيمة – المرجع نفسه – ص 39.

[3] – الأعراف : 11.

عالما قادرا مريدا سميعا، بصيرا متكلما.. والله سبحانه وتعالى كذلك .. وأما الأفعال فمبدأ فعل الآدمي إرادة يظهر أثرها في القلب أولا.. فيسري منه أثر بواسطة الروح الحيواني الذي هو بخار لطيف في تجويف القلب، فيتصاعد منه إلى الدماغ.. ومن الأعصاب إلى الأوتار، والرباطات، المتعلقة بالعضل فتتجذب الأوتار فتتحرك بها الأصابع ويتحرك بالأصابع القلم .. و بالقلم المداد مثلا، فيحدث منه صورة ما يريد كتبه على وجه المتصور في خزانة التخيل فإنه ما لم يتصور في خياله صورة المكتوب أولا لا يمكن إحداثه على البياض ثانيا.. ومن استقرأ أفعال الله تعالى وكيفية إحداثه النبات والحيوان على الأرض بواسطة تحريك السموات والكواكب.. و ذلك بطاعة الملائكة له في تحريك السموات علم أن تصرف الآدمي في عالمه .. أعني بدنه، يشبه تصرف الخالق في العالم الأكبر.. وهو فعله .. وانكشف له أن نسبة شكل القلب إلى تصرفه نسبة العرش.. و نسبة الدماغ نسبة الكرسي .. والحواس كالملائكة الذين يطيعون الله طبعا .. ولا يستطيعون خلافا..والأعصاب والأعضاء كالسموات.. والقدرة في الأصابع كالطبيعة المسخرة المركوزة في الأجسام .. والقرطاس والقلم والمداد كالعناصر التي هي أمهات المركبات في قبول الجمع والتركيب والتفرقة، ومرآة التخيل كاللوح المحفوظ، فمن اطلع بالحقيقة على هذه الموازنة .. عرف معنى قوله- صلى الله عليه و سلم - إن الله تعالى خلق آدم على صورته[1].

وبنظرة فاحصة إلى هذا الحديث برواياته المختلفة، وبعد النظر في تأويلات العلماء له يجدر بنا أن نذكر ببعض الملاحظات، حتى يكون حكمنا منصفا، وتأويلنا بعد ذلك للحديث صحيحا، وأولى هذه الملاحظات هي وجوب التأكد من صحة روايات الحديث، فالرواية الصحيحة يمكن أن نلتمس لها تأويلات، وأما غير الصحيحة فينبغي إعادة النظر فيها جيدا، والملاحظة الثانية ينبغي أن نؤول الحديث ضمن الإطار الذي ورد فيه، أي المعنى الذي كان يريده النبي- صلى الله عليه و سلم- من الحديث، فالحديث قد يتضمن معاني أخرى صحيحة و لكنها غير مقصودة، والتأويل الصحيح هو الذي يعين المعنى المقصود، والملاحظة الثالثة هي النظر في مدى استقامة المعنى والكلام مع التعبير العربي الصحيح، فإذا راعينا هذه الملاحظات الثلاث مع احترام ضوابط التاويل التي أسلفنا، أمكننا بعد ذلك أن نؤول تأويلا صحيحا.

---

[1] - المضنون الصغير للغزالي ضبطه و قدم له رياض مصطفى العبدالله، دار الحكمة للطباعة و النشر دمشق ص 61، 62، الفصول في الأسئلة وأجوبتها للإمام الغزالي تحقيق و تعليق الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى 1991 القاهرة ص 45،64،47.

فبخصوص الملاحظة الأولى، المتعلقة بدراسة مدى صحة الحديث، فإنه بالرواية التي فيها "صورته" قد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما بلفظ (إذا قاتل أحدكم)، ومنه فإن هذه الرواية صحيحة، وأما الرواية التي فيها " صورة الرحمن " فقد وردت في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي[1]، وقال البيهقي بعد ما أورد هذا الحديث يحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما روينا في حديث أبي هريرة، فأداه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه[2]. وأما ابن خزيمة فبعد إثباته للحديث بالروايات الأولى شكك فيه، في الرواية التى فيها " صورة الرحمن" حيث أورده مسندا عن يوسف بن موسى[3] قال: حدثنا جرير[4]، عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت[5] عن عطاء بن أبي رباح عن عمر، ثم قال : وروى الثوري هذا الخبر مرسلا غير مسند، حدثناه أبو موسى محمد بن المثنى [6] قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي[7] قال : حدثنا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن عطاء ، ثم قال ابن خزيمة بعد

---

[1] - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، و لد سنة أربع و ثمانين و ثلاثمائة لوم الحاكم و تخرج به، كتب الحديث و حفظه منذ صباه، من آثاره السنن الكبرى و الصغرى، و دلائل النبوة، توفي سنة ثمان و خمسين و أربعمائة - طبقات الحفاظ- المرجع السابق- ص 432-433.

[2] - كتاب الأسماء والصفات للبيهقي -المرجع السابق- ص291.

[3] - هو يوسف بن موسى بن راشد بن بلال القطان، أبو يعقوب البغدادي، يروي عن جرير بن عبد الحميد والعراقيين، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

- كتاب الثقات للإمام الحافظ محمد بن حبان بن احمد بن أبي حاتم التميمي البستي، المتوفي سنة 354هـ، مؤسسة الكتب الثقافية -الطبعة الأولى 1983 ج9 ص282.

[4] - هو جرير ابن عبد الحميد بن قرط، كنيته أبو عبد الله، مولده بالكوفة، انتقل إلى الري وسكنها، يروي عن أبي اسحاق والأعمش، كان مولده سنة عشر ومائة في السنة التي مات فيها الحسن وابن سيرين، توفي سنة سبع وثمانين ومائة بالري.

- كتاب الثقات -المرجع السابق- ج6 ص145.

[5] - حبيب ابن أبي ثابت مولى بني أسد، أبو يحي واسم أبي ثابت قيس بن دينار، مات سنة تسع عشرة و مائة، و كان من خيار الكوفيين ومتقنيهم على تدليس فيه.

- كتاب مشاهير علماء الأمصار - المرجع السابق- ص 108.

[6] - هو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس، أبو موسى، من أهل البصرة، كان صاحب كتاب لا يحدث إلا منه، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين عن خمس وثمانين سنة.

- كتاب الثقات -المرجع السابق- ج9 ص111.

[7] - عبد الرحمن بن مهدي و يكنى أبا سعيد، كان ثقة كثير الحديث، و لد سنة خمس و ثلاثين و مائة، و توفي بالبصرة سنة ثمان و تسعين و مائة وهو ابن ثلاث و ستين.

- الطبقات الكبرى لابن سعد- المرجع السابق - جـ 7 ص 218.

إيراده لسند الرواية بأن في الخبر بهذه الرواية عللا ثلاثا، إحداهن أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر، و الثانية أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب ابن أبي ثابت، والثالثة أن حبيب ابن أبي ثابت أيضا مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء فهي ضعيفة للعلل التي ذكرها ابن خزيمة، ويحتمل أن يكون الأمر كما ذكر البيهقي وهو أن بعض الرواة لما رووا الحديث بالرواية الأولى ظنوا أن الهاء في الصورة يعود على الله، وللإيضاح، وتفادي التكرار عوضوا الهاء بالرحمن وبالإضافة إلى هذه المطاعن التي وردت على الرواية الثانية، فإن التعبير بهذه الطريقة يجانب فصاحة اللغة العربية التى عرفت بها الأحاديث والأخبار، ولا يستقيم المعنى إلا أن يكون الرحمن غير الله، و ذلك ليس صحيحا لأن الله هو الرحمن، وهما اسمان لذات واحدة، و قولنا إن الله خلق آدم على صورة الرحمن " هو كقولنا مثلا، إن أحمد قد رسم شكلا على صورة أحمد، فهذا التعبير ضعيف باتفاق، وأما لو قلنا إن أحمد قد رسم شكلا على صورة علي مثلا، فهذا يصح في اللغة لأن عليا غير أحمد، و مادام أن الله هو الرحمن، فالتعبير من جهة اللغة لا يستقيم فلم يبق بعد إلا الرواية الأولى.

وتماشيا مع الملاحظة الثانية التى ذكرناها آنفا، وهي و جوب تأويل الحديث ضمن الإطار الذي ورد فيه نلاحظ أن الحديث برواياته المتعددة كان هدفه واحدا، وهو حفظ الكرامة الإنسانية التي يعبر عنها وجه الإنسان دون سائر أعضائه، فهو يشتمل على الحواس الخمس التى كرم بها، كما أن هناك أحاديث أخرى خارج هذا السياق تنهى -عند الضرب- عن إصابة الوجه، فمنع الزوج أن يضرب وجه زوجته، كما منع الوالد أن يضرب وجه ابنه عند التأديب، ومنه و بناء على هدف الحديث فإن الهاء تعود على المضروب أو المشتوم أو المقاتل، وفيه تنبيه إلى أن هذا المضروب له وجه يشبه وجه آدم الذي كرمه الله تعالى وكرم بنيه (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) [1]، وحفظ الكرامة الواجبة لبني آدم تقتضي احترام رمز هذه الكرامة وهو الوجه و ليس هناك في العربية ما يحيل هذا التعبير، وإذا كان المعروف عودة الضمير على أقرب مذكور، فإن تقدير الحديث يكون : إذا قاتل أحدكم فليجتنب وجه المقاتل فإن الله خلق آدم على صورة وجهه (أي المقاتل) .

[1] - الإسراء : 70.

وأما ما ذهب إليه الإمام الغزالي، فليس مقصودا إليه في الحديث، والملاحظ أن الإمام الغزالي يجنح كثيرا إلى تأويل الحسيات بالمعنويات، ومادام الأصل في الكلام الحقيقة، وحمل الصورة على حقيقتها ممكن بتوجيه الضمير الوارد في الصورة، فليس هناك داع إلى ذلك التأويل، وحتى لو تأملنا العالم ورأينا أن الإنسان في خلقه وأفعاله صورة مصغرة له، فإن ذلك غير مقصود في الحديث، لأن ذلك لا يتماشى مع سياقه، فلا علاقة بين ضرب الوجه، ووجود صورة للإنسان على الصورة الكبرى لخلق وتدبير الكون.

وأما الصورة الواردة في حديث "لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة" [1]، فقد أولها الغزالي تأويلا غريبا حيث قال: فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عبد من دون الله سبحانه، أو ما حوكي به ما هو على مثاله، ويترقى من ذلك المعنى إلى أن القلب الذي هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكرى ومعرفة عبادته وحده دون غيره، فإذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضا، وكان الغزالي قد علل حديث الصورة بكون الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل واستدل بقوله تعالى (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) [2]، ويرى الغزالي أن لا فرق بين صورة وأخرى، قال: تشابهت الصور المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها التصوير لأجله وهو مضارعة ذي الأرواح، وما نحت للعبادة إنما قصد به تشبيه ذي روح، فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة منافرة للملائكة [3].

2- تأويل الأصابع وما في حكمها:

وقد ورد فيها حديث " إن قلوب بني آدم كلها بين أصابع الرحمّن عز وجل كقلب واحد يصرف كيف يشاء"[4] ورد هذا الحديث، ووردت إلى جانبه عدت أحاديث تثبت الأصابع لله تعالى منها ما رواه البخاري ومسلم عن إبن مسعود قال: جاء حبر إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- قال : يا محمد، أو يا أبا القاسم، إن الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع، والأرضين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء والثرى على اصبع، وسائر الخلائق على اصبع، ثم يهزهن فيقول أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

[1]- الطبراني في الكبير -المرجع السابق- رقم 4691 ج5 ص94.

[2]- الصافات: 95-96.

[3]- الإملاء -المرجع السابق- ص287.

[4]- مسند الإمام أحمد - المرجع السابق - حـ 10 ص 76 حديث رقم 6969، وهو مروى عن عبد الله بن عمر.

تعجبا مما قال الحبر تصديقا له[1]، ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) [2] كما وردت روايات أخرى، ونشير هنا إلى أن الخطابي قد شكك في صحة هذه الروايات فقال : و ذكر الأصابع لم يوجد في شيئ من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها، لكن اعترض عليه في ذلك، وأن ذلك ثابت في الصحيح[3]. واختلف العلماء في توجيه هذا الحديث إلى الاستدلال الصحيح، ففي حين يرى منكروا التأويل أن ضحك النبي- صلى الله عليه و سلم- في هذا الحديث دليل على تصديق اليهودي، ومنه يستدل على إثبات حقيقة الأصابع التي تخالف أصابع المخلوقين، وقد عبر عن هذا الاتجاه ابن خزيمة حيث قال: قد أجل الله نبيه – صلى الله عليه و سلم- أن يوصف ربه بحضرته بما هو ليس من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الوصف ضحكا، بل لا يصف النبي- صلى الله عليه و سلم- هذا الوصف من يؤمن بنبوته[4].

وأما أنصار التأويل فأنكروا ورود عبارة " تصديقا له " في الحديث، وحملوا ضحك النبي- صلى الله عليه و سلم- على التعجب من جهل اليهودي، و لهذا قرأ عند ذلك (وما قدروا الله حق قدره)، فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة، وأما من زاد (وتصديقا له)، فليست بشيئ، فإنها من قول الراوي، و هي باطلة، لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- لا يصدق المحال، وهذه الأوصاف في حق الله تعالى محال إذ لو كان ذا أيد أو أصابع وجوارح لكان كواحد منا، و لو كان كذلك لاستحال أن يكون إلها، فقول اليهودي محال وكذب[5] و أما الغزالي فقد أول الأصبع، وجعل تأويله له نموذجا لتأويل وفهم بقية النصوص المماثلة التي فيها اليد و الوجه والقلم.. فقال : .. فإن روح الاصبع القدرة على سرعة التقليب، و إنما قلب المؤمن بين لمة الملك وبين لمة الشيطان، هذا يغويه، وهذا يهديه، والله تعالى بهما يقلب قلوب العباد، كما تقلب الأشياء أنت باصبعيك – فانظر- كيف شارك نسبة الملكين المسخرين إلى الله تعالى اصبعيك في روح اصبعيه، وخالفا في الصورة[6]. ثم قال : " ومتى عرفت معنى الاصبع

---

[1] – صحيح مسلم – كتاب صفات المنافقين وأحكامهم لعنهم الله، باب صفة القيامة والجنة والنار – إرشاد الساري – المرجع السابق – جـ 10 ص246.

[2] – الزمر: 67.

[3] – أقاويل الثقات – المرجع السابق – ص 159.

[4] – إرشاد الساري – المرجع السابق- جـ 10 ص 388.

[5] – إرشاد الساري – المرجع نفسه- جـ 10 ص 388.

[6] –جواهر القرآن – المرجع السابق- ص 29-30.

أمكنك الترقي إلى القلم واليد واليمين، والوجه، والصورة وأخذت جميعها معنى روحانيا لا جسمانيا، فتعلم أن روح القلم وحقيقته التى لا بد من تحقيقها إذا ذكرت حد القلم هو الذي يكتسب به فإن كان في الوجود شيئ يتسطر بواسطته نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم، فإن الله تعالى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وهذا القلم روحاني إذ وجد فيه روح القلم و حقيقته و لم يعوزه إلا قالبه وصورته، وكون القلم من خشب أو قصب ليس من حقيقة القلم، ولذلك لا يوجد في حده الحقيقي، ولكل شيئ حد وحقيقة هي روحه، فإذا اهتديت إلى الأرواح صرت روحانيا، وفتحت لك أبواب الملكوت وأهلت لمرافقة الملإ الأعلى، وحسن أولئك رفيقا[1].

هذا هو تأويل الغزالي للأصبع، وما يشبهه، وقد تعمدنا إضافة نقل كلامه في القلم لتتضح فكرة روح الأشياء التي ينظر إليها الغزالي في التأويل، وهو – كما أسلفنا -يؤول الماديات والحسيات، بالروحانيات والمعنويات، ومعرفة منحاه في تأويل هذا النص مع التعليل والشرح الذي قدمه، قد أغنانا عن تتبع جميع تأويلاته للنصوص المشابهة، إذ كلها تحمل على روحها وحقيقتها لا على حدها الظاهر، وشكلها الخارجي.

ولم يكن الغزالي بدعا في هذا التأويل، بل هو مذهب عامة خلف أهل السنة، قال النووي: .. فمعنى الحديث أنه سبحانه يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء، لا يمتنع عليه منها شيئ، ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين اصبعيه، فخاطب العرب كما يفهمونه، ومثله بالمعاني الحسية تأكيدا له في نفوسهم[2].

وقال القرطبي و غيره : والأصبع قد تكون بمعنى القدرة على الشيئ وسهولة تقليبه، كما يقول من استسهل شيئا واستخفه، مخاطبا لمن استثقله، أنا أحمله على اصبعي، وأرفعه باصبعي، وأمسكه بخنصري فهذا مما يراد به الاستظهار في القدرة على الشيئ، فلما كانت السموات والأرض أعظم الموجودات، وكان إمساكها إلى الله كالشيئ الحقير الذي نجعله بين أصابعنا، ونهزه بأيدينا، ونتصرف فيه كيف شئنا، دل ذلك على قوته القاهرة، و عظمته الباهرة، لا إله إلا هو سبحانه[3].

---

[1] – جواهر القرآن الرجع السابق- ص 29- 30.

[2] – أقاويل الثقات – المرجع السابق – ص 160- 161.

[3] – أقاويل الثقات – المرجع نفسه- ص 160- 161.

وما قاله الغزالي في هذا التأويل مقبول في فهم الحديث، والتوضيح الذي قدمه النـــووي مفيد لفهم معنى الحديث الأول، كما أن التوضيح الذي قدمه القرطبي، مفيد فـــي فهـم حديـث اليهودي، وليس هناك مانع من هذا التأويل.

3- تأويل بعض ما ورد في أحوال القيامة:

وسنتطرق هنا إلى تأويل ثلاثة نصوص:

أ-حديث " المؤمن في قبره في روضة خضراء، قد فرج له قبره، سبعين ذراعا، و يضيئ وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فيما أنزلت (فإن له معيشة ضنكا) [1]، قالوا: الله ورسوله أعلم قال : عذاب الكافر في قبره، يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، هل تـــدرون ما التنين؟! تسع وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس، ينهشونه ويلحسونه، وينفخـــون فـــي جسمه إلى يوم يبعثون[2]. قال الغزالي : فانظر إلى هذا الحديث، واعلم أن هذا حـــق علـــى الوجه الذي شاهده أرباب البصائر، ببصيرة أوضح من البصر الظاهر والجـــاهل ينكـــره إذ يقول : إني أنظر قبره، فلا أرى ذلك أصلا، فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجـــا عـــن ذات الميت، أعني ذات روحه، لا ذات جسده، فإن الروح هي التي تتألم و تنعم، بل كان معه قبل موته متمكنا من باطنه لكنه لم يكن يحس بلذغه لخذر كان فيه، لغلبة الشهوات، فـــأحس بلذغه بعد الموت، و ليتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته، وعدد رؤوسه بقدر عدد أخلاقه الذميمة، وشهواته لمتاع الدنيا، و تتشعب عنه رؤوس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيـــا، مـــن الحسد والحقد والكبر والريـــاء، و الثروة والمكر والخداع، وحب الجاه والمـــال، والعـــداوة والبغضاء[3].

والحقيقة أن هذا التأويل الذي جاء به الغزالي لا يستند إلى دليل لا شرعي ولا عقلـــي، فليس هناك قرينة واحدة تدل على شيئ مما قاله، ثم إن في هذا التأويل تشجيع للعامة على عدم الخوف من عذاب القبر، إذ أن الذي يقرأ هذا التأويل يعتقد أن لا شيئ من الهول والعذاب فـــي القبر، وذلك يدفعه أيضا إلى تأويل نصوص أخرى مماثلة، ثم إن هذا التـــأويل وبهـــذه الكيفيـــة يجعل الناس يعتقدون أن كل ما ورد من النقل عن اليوم الآخر لا وجود له في الحقيقة، وإن هو

---

[1] - طه : 124.

[2] - رواه ابن حبان، وذكره العراقي في المغني عن الأسفار ج4 ص532.

[3] - الأربعين في أصول الدين - المرجع السابق- ص 285.

إلا تعبيرات مجازية على معاني حصلت في الدنيا، وهذا يؤدي لا محالة إلى انهدام هيبة ذلك اليوم في القلوب، ومن وراء ذلك تنفصم عرى الإيمان عروة عروة، ثم إن الغزالي ها هنا قد تناقض أو قارب التناقض حين كفر الفلاسفة بإنكارهم المعاد الجسماني، وهو هنا يكاد يتفق معهم حين يقول بأن الروح هي التي تتألم وتتنعم لا الجسد، وقد اعتبر الدكتور سليمان دنيا أن الغزالي، قد لجأ في تأويل هذا الحديث إلى التأويل المفرط[1]، ثم إني وجدت أن بعض الفلاسفة الذين كفرهم الغزالي بسبب هذه القضية كابن سينا يثبت بعث الأبدان وذلك في قوله : يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو منقول من الشرع، ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة، وتصديق خبر النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث... وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا... حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن[2].

ويمكن القول أخيرا أن هذا الحديث ليس من المتشابه، ولا يحتاج إلى تأويل، فليس في الآخرة من أمور الدنيا إلا الأسماء، والقبر أول مراحل الآخرة ([3])كما ورد في الحديث، وكان على الإمام الغزالي أن يحتاط في هذا التأويل.

ب-قوله تعالى : (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم) [4]، فصل الغزالي عند تأويله لهذه الآية بين المشي وبين أن يكب على وجهه، فقال: السر في ذلك أنه تارة يمشي وتارة يكب على وجهه، لان الله تعالى ذكر الأرجل فقال: (وأرجلهم بما كانوا يعملون) [5] ، ثم قال: فقد رأيت العرب تتمثل بها، وتقول هذا يمشي على وجهه إذا كان يكبو[6] . وقد ذهب الغزالي إلى هذا التأويل للتخلص من شرح الكيفية التي يمشي بها على الوجه، وبهذا التأويل بين أن المشي لا يكون على الوجه، بل على الأرجل إلا أنه يكبو ويسقط على وجهه بين الحين والآخر، إلا أن الأرجل التي تحدث عنها الغزالي، والآية التي أوردها لا وجود لها في سورة الملك أصلا، و خالف الغزالي بهذا دعاة عدم التأويل الذين يقولون بأن الذي قدر على أن يمشيه على رجليه، قادر على أن يمشيه

---

[1] - الحقيقة في نظر الغزالي لسليمان دنيا - دار المعارف - الطبعة الرابعة ص 115.

[2] - الشفاء (الإلهيات) لابن سينا - المرجع السابق- جـ 2 ص 423.

[3] - رواه الإمام أحمد في مسنده عن عثمان بن عفان - المسند- المرجع السابق جـ 1 ص 225 رقم 454.

[4] - الملك : 22.

[5] - [illegible] : 24.

[6] - الدرة الفاخرة - المرجع السابق - ص 63 -64.

على وجهه، وهذه الفكرة المتعلقة بالقدرة الإلهية الشاملة العامة لم تكن غائبة عن فكر الغزالي، فهو يعلم أن الله على كل شيئ قدير، وقدرته متعلقة بجميع الممكنات و لكنه أراد أن يصل إلى المعنى الحقيقي بناء على استعمالات العرب في التعبير، و استدل بألفاظ أخرى واردة في بعض الآيات مثل وصف الله تعالى لبعض خلقه، بأنهم عمي، وبكم، وصم، فتفسيرها غير المقصد الذي أراده، ومعناه أنهم عمي عن النور الذي يشعشع بين أيدي المؤمنين، وعن أيمانهم ليس العمى الكلي أراد بهم، ومعناه أنهم ينظرون السماء تشقق بالغمام، والملائكة تنزل والجبال تسير، والكواكب تنتثر، وكل أهوال يوم القيامة، ثم قال : فمعنى العمى في القيامة الخوض في الظلمة، والمنع من النظر الكريم([1]).

وبرأينا فإن الغزالي قد جاء بتأويل معقول للآية، والمثال الذي ضربه للعمى مناسب لذلك، فالقرآن كثيرا ما يستعمل الألفاظ على إطلاقها، وهو يقصد جزءا من معانيها، كقوله: (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ([2])، فالعمى المقصود في هذه الآية ليس العمى المعروف بفقدان حاسة البصر، بل هو العمى عن الحق، واتباع الضلال، والعرب تستعمل المشي على الوجه للتعبير على الماشي الذي يتعثر بين الحين والآخر، والغزالي قد عبر عن هذا المعنى، فهو الذي يسهل إدراكه، ولا يخالفه نص من الشرع، وهذا مع العلم الذي لا ينتابه أدنى شك أن البارئ سبحانه على كل شيئ قدير، وقادر على أن يمشيه على وجهه وعلى ظهره وكيف شاء، وما دام القرآن قد نزل بلغة العرب واستعمل طريقتهم في التعبير فلا مانع من إيراد هذا التأويل للمشي على الوجه، وللعمى أيضا.

ج-روي عن النبي -صلى الله عليه و سلم- أنه ذكر آخر أهل النار خروجا من النار، فقال (يؤتى مثل الدنيا وعشرة أمثالها، وذلك أقل أهل الجنة منزلة)([3])، فلما سمع قوم هذا عظم ذلك عندهم لوجهين خطأين أحدهما: جهلهم بعموم قدرة الله، و علمه وسعة مخلوقاته قياسا على

---

[1] - الذرة الفاخرة - المرجع السابق - ص 63-64.

[2] - الإسراء : 72.

[3] - ورد الحديث في سنن الترمذي عن ابن مسعود قال : قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم إني لأعرف آخر أهل النار خروجا، رجل يخرج منها زحفا: فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل، قال : فيقال له : انطلق إلى الجنة فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول : يارب قد أخذ الناس المنازل قال : فيقال له : أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول : نعم، فيقال له ممن قال : فيتمنى فيقال له: فإن لك الذي تمنيت و عشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول : أتسخر بي و أنت الملك؟، فلقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه و سلم- ضحك حتى بدت نواجذه.

- تحفة الأحوذي - المرجع السابق- أبواب صفة جهنم جـ 7 ص 270-271 رقم 2722.

أنفسهم، وقصرا لخواطرهم القاصرة عن منتهى العلوم، الثاني: اعتقادهم أن الجنة هي السموات وهي لا تتسع لهذا، وكيف وهي من الدنيا فذلك أبعد.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي : فقال لي أبو حامد الغزالي : إنما يؤتى مثل الدنيا في القيمة والقدر لا في المساحة، وقيد شبر من الجنة خير من الدنيا بغير حصر بمثل، ولا بعشرة أمثالها ولا بأكثر من ذلك كما يقال : هذه الياقوتة خير من ألف مثقال، لا في الوزن ولكن في القيمة والمنفعة لأنها تساوي في التقويم أكثر من ألف([1]).

4- تأويل الأعراض النفسانية:

- وفيها نذكر محبة الله لعباده كما ورد في قوله تعالى: (يحبهم و يحبونه) [2]، وقوله:(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) [3]، وقوله: (إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين) [4]. هذه بعض الآيات التي أوردها الغزالي للاستدلال على محبة الله، وذكر بعد ذلك أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، و قال بأن حب الله للعبد لا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا، وعمم الغزالي فذكر أن كل الأسماء التي تطلق على الله وعلى غيره تختلف حتى أن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق و المخلوق على وجه واحد، فوجود الخلق مستفاد من وجود الخالق ومنه فإن الوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع[5].

إذن فمحبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا، ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه، وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له، فلا جرم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئا يلتذ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى[6].

ويضرب الغزالي -كعادته- مثالا ليشرح محبة الله حيث قال : ولا يفهم هذا إلا بمثال، وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه، ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك

---

[1] - آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - المرجع السابق- ص 333-334.

[2] - المائدة : 54.

[3] - الصف : 04.

[4] - البقرة : 222.

[5] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق- جـ 4 ص 345.

[6] - إحياء علوم الدين - المرجع نفسه -جـ 4 ص 347.

إليه، وإما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته، أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه، فيقال : إن الملك يحبه، ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له. وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به، ولا للاستنجاد به، ولكن يكون العبد في نفسه موصوفا من الأخلاق المرضية و الخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك، وافر الحظ من قربه، مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا، فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال : قد أحبه، وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال : قد توصل وحبب نفسه إلى الملك، فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول، وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب[1].

هذا هو تأويل الغزالي لحب الله تعالى لعباده، ويمكن أن يقاس عليه جميع الأعراض النفسية في البشر، كالمكر والشوق، والغضب وغيرها، فهذه الأعراض لها بدايات وغايات والله سبحانه منزه عن بداياتها التي تستلزم التغير، قال الإمام فخرالدين الرازي:"جميع الأعراض النفسانية، أعنى : الرحمة والفرح والسرور، والغضب والحياء، والمكر و الاستهزاء، ونحو ذلك لها أوائل ولها غايات، مثاله الغضب، فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غايته وغرضه الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء، له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حقه تعالى يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس"[2]! وما قاله الغزالي ليس يختلف عن هذا الكلام، ولا عن تأويل خلف أهل السنة، وغاية الحب إيصال النفع للمحبوب، وتجنيبه كل ما يضره، و ليس أنفع للعبد من أن يتطهر قلبه من كدورات الدنيا، و تدفع عنه الشواغل والمعاصي، وذلك ما ذهب إليه الإمام الغزالي.

ويمثل هذا التأويل أول الخلف صفات الرحمة والغضب والرضا والحياء والاستهزاء والمكر والعجب إذ حملوها على مستلزماتها، فقالوا الرحمة إرادة الخير والإحسان، والاستهزاء أي يعاملهم معاملة المستهزئ، وهو قد ورد بطريق المشاكلة ومثاله المكر،

---

[1] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق - جـ 4 ص 346.

[2] - أقاويل الثقات - المرجع السابق- ص 74-75.

والضحك رضاه – تعالى– بفعل عبده، كما حملوا التعجب على إنكار الشيئ وتعظيمه[1].

5– تأويل النزول:

وذلك في حديث"ينزل ربنا عزوجل إلى السماء الدنيا..."[2]، اختلف العلماء والفرق في نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا، فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبهة، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث، وهم الخوارج و منهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال، منزها لله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف[3]، ويرى الغزالي أن هذا الحديث يمكن فهمه من وجهين أولها أنه على تقدير محذوف في النص، والأصل تنزل ملائكة ربنا، وثانيهما أن نفهم النزول على الحقيقة لا على المجاز، ولكن لا نريد نزول ذات، وإنما لازم هذا النزول من التلطف والإنعام ونحو ذلك، وأما النزول بمعنى الانتقال في المكان من الأعلى إلى الأدنى فغير مراد، و كذلك هبوط الرتبة، والاحتمال الثالث للنزول و هو بمعنى اللطف والرحمة وإيصالها إلى العباد تلطفا بهم وهو المراد[4]،وهذا التأويل الذي ذكره الغزالي للنزول لا يختلف عن أسلوب الغزالي في تأويله للماديات والمحسوسات بالمعنويات والروحانيات، ومنه فإن النزول عنده راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته – تعالى– والنزول المعنوي لغة عربية صحيحة، فنقول نزل البائع في سلعته إذا قربها أو قرب ثمنها مما أراده المشتري، ومن هنا فإن تأويل الغزالي من حيث اللغة سليم، وكذلك من حيث المعنى، فليس هناك ما يخالف النزول بهذا المعنى، وسواء حمل النزول على نزول بعض الملائكة أو على النزول المعنوي فهو صحيح.

---

[1] – أقاويل الثقات – المرجع السابق– ص 71، 72، 73، 74.

[2] – ورد الحديث في سنن الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ينزل الله تبارك و تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حتى يمضي ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يجئ الفجر.

– سنن الترمذي باب في نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة جـ1 ص138 رقم 448.

[3] – أقاويل الثقات –المرجع السابق– ص 199.

[4] –الجانب الالهي من فكر الإمام الغزالي –المرجع السابق– ص 150–151.

6- تأويل النفخ والتسوية:

وذلك في قوله تعالى:(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ([1]) قال الغزالي : إن التسوية فعل في المحل المقابل للروح، وهي الطين في حق آدم -عليه السلام- والنطفة في حق أولاده بالتصفية وتعديل المزاج..فإنه كما لا يقبل النار يابس محض كالتراب والحجر.. ولا رطب محض كالماء، بل لا تتعلق النار إلا بمركب، أي من يابس ورطب.. ولا كل مركب، فإن الطين مركب ولا تشتعل فيه النار، بل لابد بعد تركيب الطين الكثيف من تردد في أطوار الخلقة.. حتى يصير نباتا لطيفا فتثبت فيه النار، وتشتعل فيه.. وكذلك الطين بعد أن ينشئه الله خلقا بعد خلق في أطوار متعاقبة يصير نباتا.. فيأكله الآدمي فيصير دما.. فتنتزع القوة المركبة في كل حيوان صفوة الدم الذي هو أقرب إلى الاعتدال فيصير نطفة.. فيقبلها الرحم.. ويمتزج بها مني المرأة فتزداد عند ذلك اعتدالا.. ثم ينضجها الرحم بحرارته.. فتزداد تناسبا، حتى تنتهي في الصفاء واستواء نسبة الأجزاء إلى الغاية.. فتستعد لقبول الروح.. وإمساكها كالفتيل التي تستعد عند شرب الدهن لقبول النار وإمساكها.. فالنطفة عند تمام الاستواء والصفاء تستحق باستعدادها روحا يدبرها ويتصرف فيها.. فيفيض إليها الروح من وجود الجواد الحق الوهاب لكل مستحق مستحقه.. ولكل مستعد ما يقبله على قدر قبوله واحتماله، من غير منع ولا بخل.. فالتسوية عبارة عن هذه الأفعال المرددة لأصل النطفة في الأطوار السالكة بها إلى صفة الاستواء والاعتدال([2]).

والنفخ عبارة عما أشعل نور الروح في فتيلة النطفة.. وهو يرى أن في الآية مجاز لأن التعبير بالنفخ في حق الله تعالى محال باعتبار صورة النفخ التي هي إخراج الهواء من جوف النافخ إلى جوف المنفخ فيه، وهو هنا إنما عبر عن نتيجة النفخ بالنفخ، ويرى أيضا أن السبب الذي اشتعل به نور الروح في فتيلة النطفة متعلق بصفتين، صفة في الفاعل، وصفة في المحل القابل، أما صفة الفاعل فالجود الإلهي الذي هو ينبوع الوجود على ماله قبول الوجود.. فهو فياض بذاته على كل حقيقة أوجدها.. ويعبر عن تلك الصفة بالقدرة.. ومثالها فيضان نور الشمس على كل قابل للاستنارة عند ارتفاع الحجاب بينهما، فالقابل للاستنارة وهي الملونات دون الهواء الذي لا لون له.. وأما صفة القابل..فالاستواء والاعتدال الحاصل بالتسوية كما قال:

---

[1] - الحجر : 29.

[2] - المضنون الصغير - المرجع السابق- ص 35-36.

سويته.. ومثاله صقالة الحديد.. فإن المرآة التي ستر الصدأ وجهها لا تقبل الصورة وإن كانت محاذية للصورة.. فلو حاذتها الصورة، واشتغل بتصقيلها.. فكلما حصل الصقال حدثت فيه الصورة المحاذية، من ذي الصورة المحاذية.. فكذلك إذا حصل الاستواء في النطفة.. حدث فيها الروح من خالق الروح من غير تغير في الخالق.. بل إنما حدث الروح الآن لا قبله.. لتغير المحل بحصول الاستواء الآن لا قبله.. كما أن الصورة فاضت من ذي الصورة على المرآة في حكم الوهم من غير حدث في الصورة.. و لكن كان لا يحصل من قبل.. لا لأن الصورة ليست مهياة لأن تنطبع في المرآة.. لكن لأن المرآة لم تكن صقلية قابلة للصورة([1]).

هذا هو تأويل الغزالي للتسوية والنفخ، ونلاحظ هنا أن الغزالي قد استعمل ضرب الأمثلة المحسوسة المادية لتأويل هذه الآية، وقد توسع في ذلك، وأراد أن يفسرها بنظريته في الفيض المأخوذة من فيضان الشمس على كل قابل لنورها، وفيضان الصورة على المرآة من ذي الصورة، وكذلك فيضان الجود الإلهي ونوره على كل ماهية قابلة للوجود، وهذا كله يعبر عنه بالفيض، وليس فيها اتصال أو انفصال إلا المشيئة المجردة([2]).

7- تأويلات متعلقة بالخلق:

أ- ومنها تأويله لحديث " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" ([3]) يرى الغزالي أن المقصود بخلقه -صلى الله عليه وسلم- كونه موجودا في التقدير دون الإيجاد، فحين ولدته أمه لم يكن موجودا قبل ذلك، و لكن الغايات و الكمالات سابقة في التقدير.. لاحقة في الوجود، وهو معنى قولهم : أول الفكر آخر العمل، وهو يرى أن أصل النبوة قد تمهد بآدم -عليه السلام- ولم يزل ينمو ويكمل حتى بلغ الكمال بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وكان المقصود كمال النبوة و غايتها([4]). وتأويل الغزالي للحديث مقبول، فلا شك أن البارئ سبحانه قد قدر الخلق قبل إيجاده، فهو قد قدر أنه يخلق مخلوقا اسمه آدم، وقدر أولاده وصفاتهم وعددهم، و ما يتميز به كل واحد منهم، ولا مانع من تقدير وتقريرنبوة محمد-صلى الله عليه وسلم- قبل نفخ

---

[1] - المضنون الصغير - المرجع السابق- ص 37-38.

[2] - المضنون الصغير - المرجع نفسه- ص 39.

[3] - ورد الحديث في سنن الترمذي عن أبي هريرة -رضي- قال : قالوا : يارسول الله، متى وجبت لك النبوة ؟ قال: و آدم بين الروح و الجسد، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

- تحفة الأحوذي -المرجع السابق- أبواب المناقب جـ10 ص 56 رقم 3852 كما أول الغزالي حديث أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا.

[4] - المضنون الصغير للغزالي- المرجع السابق- ص 67-68-69.

الـروح في آدم، وليس يمتنع كذلك أن يكون محمد –صلى الله عليه وسلم– هـو أول الأنبيـاء خلقا في تقدير العزيز العليم، ولا يمكن حمل الحديث على معناه الظاهر والتاريخي، فالتـاريخ ينص بما لا سبيل إلى الشك فيه أن محمدا –صلى الله عليه و سلم–هو آخـر الأنبيـاء خلقـا بالوجود، وذلك ما عبرت عنه الآية: (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ([1])، وقوله –صلى اللـه عليه وسلم– " لا نبي بعدي "([2]). إذن فالمقصود بالخلق هو الخلق بالتقدير لا بالإيجاد وهذا مـا يستقيم مع اللفظ، ومع نصوص أخرى، ومع الوقائع التاريخية.

ب– حديث " خلق الله الأرواح قبل الأجساد "([3]) قال الغزالي : فلعلـه أراد بـالأرواح الملائكة.. وبالأجساد أجساد العالم من العرش والكرسـي، والسـموات والكواكـب، والهـواء والأرض والماء([4]). ونرى أن الغزالي قد بالغ في تأويل هذا الحديث وحمله على غير مـراده، فالحديث يمكن حمله على الحقيقة لا على المجاز، فالله تعالى خلق أرواح الناس قبل خلـق آدم، في تقديره السابق، ثم بعد ذلك خلق الأجسـاد كأوعية لهذه الأرواح، ويؤيـد هـذا أن الأرواح تبقى بعد فناء الجسد، فقبل خلق الجسد كانت الروح عند بارئها، ثم حلت في الجسد فـترة مـن الزمـن ثم عادت إلى بارئها مرة أخرى بعد فناء وموت الجسد، ولاشك أن الروح التـي نفـخ منها في آدم سابقة على وجود آدم –عليه السلام– قال تعالى :(.. إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ([5]) فهذه الأية تدل على أن الله كلم الملائكـة قبل خلق جسد آدم، فقوله " إني خالق " يفهم منه أنه لم يخلق بعد، كقوله تعالى:(وإني مرسـلة إليهم بهدية) ([6])، فالملكة لم ترسل الهدية بعد، فقد كانت تستشير قومها، لكن في الوقت الـذي قال فيه الله تعالى للملائكة هذا الكلام، كانت الروح التي نفخ منها في آدم موجودة، و إنما تأخر عن خلق الجسد التحاق الروح به عن طريق النفخ، والقضية أشبه ما تكـون بشـخص انتظـر وجود دار، فلما وجدت سكنها فوجوده سـابق على وجود هذه الدار، ولولا حاجته إليهـا لمـا بنيت له، و الله أعلم.

---

[1] – الأحزاب : 40.

[2] – ورد الحديث في المعجم الكبير للطبراني بلفظ لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم فاعبدوا ربكم وأقيموا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ولاة أمركم تدخلوا جنة ربكم. جـ 22 ص316 حديث رقم 797.

[3] – حديث موضوع – الموضوعات لابن الجوزي، ج، ص401.

[4] – المضنون الصغير– المرجع السابق– ص 65–66.

[5] –الحجر : 29.

[6] – النمل : 36.

8- تأويل نور الله:

وهو النور الوارد في قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيئ عليم) ([1]) أول الغزالي هذه الآية وهو يتحدث عن مراتب العقل الإلهي حيث قال: فالمشكاة([2]) مثل للعقل الهيولاني، فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل، ثم إذا قويت أدنى قوة، وحصلت لها مبادئ المعقولات فهي زجاجة، فإن بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي الشجرة لأن الشجرة ذات أفنان، فكذلك الفكرة ذات فنون، فإن كانت أقوى وبلغت درجة الملكة، فإن حصل لها المعقولات بالحدس فهي الزيت، فإن كانت أقوى من ذلك فيكاد زيتها يضيئ، فإن حصل له المعقولات كأنه يشاهدها ويطالعها فهو المصباح، ثم إذا حصلت له المعقولات فهو نور على نور، نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري ثم هذه الأنوار مستفادة من سبب هذه الأنوار بالنسبة إليه كالسراج بالنسبة إلى نار عظيمة طبقت الأرض، فتلك النار هي العقل الفعال المفيض لأنوار المعقولات على الأنفس البشرية، وإن جعلت الآية مثالا للعقل النبوي فيجوز لأنه مصباح يوقد من شجرة أمرية مباركة نبوية زيتونة أمية لا شرقية طبيعة، ولا غربية بشرية يكاد زيتها يضيئ، ضوء الفطرة وإن لم تمسسه نار الفكرة، نور من الأمر الربوبي على نور من العقل النبوي يهدي الله لنوره من يشاء([3]).

وقد اختلف العلماء قبل الغزالي في تأويل هذه الآية، كما سنرى بعد قليل، وأولوا كلمة نور ولم يحملوها على ما عرفت به، قال ابن عرفة([4]) : أي منور السموات والأرض، و قال :

---

[1] - النور : 35.

[2] - المشكاة هي الكوة الصغيرة في الجدار غير النافذة.

[3] - معارج القدس في مدارج معرفة النفس أبو حامد الغزالي - شركة الشهاب الجزائر ص 55، 56.

[4] - هو : محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمي نسبة إلى ورغمة قرية من افريقيا التونسي المالكي، عالم المغرب المعروف بابن عرفة ولد سنة ست عشرة وسبعمائة، تفقه ببلاده ومهر بالمعقول والمنقول، قدم الحج سنة ست وتسعين، وأجاز لابن حجر وصنف مجموعا في الفقه سماه المبسوط في سبعة أسفار واختصر الجوفي في الفرائض، مات سنة ثلاث وثمانمائة.

- البدر الطالع -المرجع السابق- جـ 2 ص255-256.

أبي بن كعب والحسن وأبو العالية([1]) : مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين([2])، وقرأها بعض العلماء الله نوّر السماوات والأرض.

و قد تضمنت هذه الآية مثالا صريحا لممثل غير ظاهر، ولذلك لم يختلف العلماء في شرح المثال لذاته فشرحوا المشكاة، والمصباح والزجاجة والعلاقة بينها، كما تحدثوا عن زيت هذا المصباح، والسر في كونه من زيتونة تشرق الشمس وتغرب عليها، وزيتها يكاد يضيئ حتى قبل أن تمسسه النار، فهم لم يكادوا يختلفون في شرح المثال ولكن اختلفوا في شرح الممثل المقصود بهذا المثال، والممثل هو الذي تعود عليه الهاء في كلمة – نوره – فمنهم من حملها على الحقيقة، ومنهم من حملها على المجاز، والذين حملوها على غير الله تعالى اختلفوا فقال كعب الأحبار([3]) وابن جبير : هو عائد على محمد–صلى الله عليه وسلم– أي مثل نور محمد –صلى الله عليه وسلم–، وقال أبي بن كعب والضحاك هو عائد على المؤمنين، وفي قراءة أبي (مثل نور المؤمنين)، وقال الحسن هو عائد على القرآن والإيمان، قال ابن عطية : وهذه الأقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر، وفيها مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل فعلى من قال الممثل له محمد–صلى الله عليه وسلم– فرسول الله –صلى الله عليه وسلم–هو المشكاة أو صدره، والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه، والزجاجة قلبه، والشجرة المباركة هي الوحي والملائكة رسل الله إليه و سببه المتصل به، والزيت هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي. ومن قال الممثل به المؤمن، وهو قول أبي، فالمشكاة صدره والمصباح الإيمان وزيتها هو الحجج و الحكمة التي تضمنها، قال أبي : فهو على أحسن حال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات، ومن قال إن الممثل به هو القرآن والإيمان، فتقدير الكلام مثل نوره الذي هو الإيمان في صدر المؤمن، في قلبه كمشكاة، أي كهذه الجملة([4])، ومنع هؤلاء أن تعود الهاء على الله تعالى لأن الله عز وجل لاحد لنوره.

---

[1] – اسمه رفيع بن مهران، أحد علماء البصرة وأئمتها أسلم في إمرة الصديق ودخل عليه، وصلى خلف عمر وقرأ القرآن على أبي بن كعب وروى عن عمر وعلي وابن مسعود، قال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، اختلف في سنة وفاته فقيل سنة تسعين وقيل في غيرها.

– تاريخ الإسلام للذهبي –المرجع السابق– جـ6 ص 529.

[2] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار الكتاب العربي بيروت جـ 12 ص 275.

[3] – الجامع لأحكام القرآن –المرجع نفسه– جـ 12 ص 259-260.

[4] – الجامع لأحكام القرآن –المرجع نفسه– جـ 12 ص 259-260.

وذهب بعض العلماء إلى أنها تعود على الله، والتقدير الله هادي أهل السموات والأرض، مثل هداه في قلوب المؤمنين كمشكاة، و روي ذلك عن ابن عباس، وكذلك قال زيد بن أسلم([1])، و الحسن، وكان أبي وابن مسعود يقرآنها (مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة).. وقد وافقهما في التأويل أن ذلك نوره في قلب المؤمن، وتصديقه، في آية أخرى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)([2]).

قال ابن عباس : هذا مثل نور الله و هداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضئ قبل أن تمسه النار، فإن مسته النار زاد ضوءه، و كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم زاده هدى على هدى، و نورا على نور، كقول ابراهيم من قبل أن تجيئه المعرفة (هذا ربي) ([3]) من قبل أن يخبره أحد أن له ربا، فلما أخبره الله أنه ربه زاد هدى (قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)([4]).

و بالنظر إلى هذه التأويلات نلاحظ أن الغزالي قد اعتمد تأويلا فلسفيا مرتبطا بنظريته في الفيض و المعلومات التي ذكرها، والمتعلقة بالنفس والعقل، والعلم، صحيحة، وهو حاول أن يربط تفسيره بالفيض و الكشف، لكن المستفاد من الآية غير ذلك، وكذلك فإن إعادة الهاء على محمد – صلى الله و سلم- أو على قلب المؤمن بعيد، والتأويل الأقرب إلى الحقيقة هو تأويل ابن عباس الأخير، فإذا كان حمل الكلام على ظاهره ممكن فلا داعي للتأويل البعيد، فنرى أن الهاء في نوره، تعود على الله تعالى، أي مثل نوره، أي هداه، وقد عبر عن الهدى بالنور في غير هذا الموضع من القرآن و مما يدل أيضا على أن هدى الله هو المقصود قوله تعالى في آخر الآية (يهدي الله لنوره من يشاء)، فالله نور السموات والأرض بكل ما تحمله كلمة النور من معاني، فالنور والضياء الموجود في أقطار السموات والأرض إنما هو من فعل الله سبحانه، فهو الذي يسخر هذه الكواكب المضيئة، كما أن النور المعنوي الموجود في قلوب المؤمنين والعلماء إنما مصدره الله سبحانه، (يهدي لنوره من يشاء)، لكن قوله مثل نوره ثم ضرب أمثلة حسية مادية دلنا على أن المقصود بالنور هو النور المعنوي لا المادي، وهو الذي يحتاج

---

[1] – هو مولى عمر بن الخطاب، أبو أسامة من المتقنين توفي سنة ست وثلاثين ومائة.
– كتاب مشاهير علماء الأمصار –المرجع السابق– ص 80.

[2] – الزمر : 22.

[3] – الأنعام : 77.

[4] البقرة : 130.

بيانه لمثال محسوس كالذي ورد في الآية، و لا يستقيم أن نتحدث عن النور الكبير الظاهر الذي غمر أقطار السموات والأرض، ثم نشبهه بمصباح وزجاجة، مهما كانت إضاءتها، فهذا كله دلنا على أن المقصود بالنور هداه في قلب المؤمن، وهو كما فسره ابن عباس تماما غير أن المثال الذي ضربه ابن عباس -رضي الله عنه- بابراهيم نراه غير مناسب، فابراهيم عندما رأى كوكبا قال هذا ربي، فهو إنما كان في مقام التعليم، وإثبات وتقرير الحجة على قومه، وهو قد علم علم اليقين قبل هذا بوجود ربه وبصفاته والتأويل بهذه الطريقة لا يبتعد بنا كثيرا عن الظاهر – و هو الأصل- ويشرح لنا الآية شرحا يخلو من إشكالات وهو المطلوب.

9- تأويل أحاديث التفسير بالرأي:

ومنها حديث "من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار" ([1]) ينطلق الغزالي في تأويله لهذا الحديث المهم جدا عنده من رفض المعنى المتبادر للذهن، وهو عدم القول في القرآن بشيئ إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فقال : فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده..."([2]) ويستدل الغزالي على جواز الاجتهاد والبحث في معاني القرآن بقوله -صلى الله عليه و سلم- " إن للقرآن ظهرا و بطنا وحدا ومطلعا "([3]) و بحديث " اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه "([4]) وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها([5]) وبعد ذكره لهذه الأدلة، مع أدلة أخرى غيرها قال : فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه([6])، و يرى الغزالي أن الحديث ليس فيه ما يدل على ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :

---

[1] -ورد الحديث في سنن الترمذي عن ابن عباس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار – تحفة الأحوذي – المرجع السابق- أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه جـ 8 ص 223 حديث رقم 3122.

[2] – إحياء علوم الدين – المرجع السابق- جـ 1 ص 341.

[3] – سبق تخريجه.

[4] – ورد الحديث عند ابن أبي شيبة عن أبي هريرة بلفظ أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه – كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في إعراب القرآن جـ 10 ص 456.

[5] – إحياء علوم الدين -المرجع السابق- جـ 1 ص 341 -342.

[6] - إحياء علوم الدين -المرجع نفسه- جـ 1 ص 341 -342.

1- يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله-صلى الله عليه و سلم- ومسندا إليه، وذلك نادر في القرآن، وما قاله ابن عباس وابن مسعود والصحابة هو من قبيل الرأي، وبناء على هذا فينبغي الا يقبل.

2- اختلف الصحابة في تفسير بعض الآيات، وقالوا فيها أقاويل لا يمكن الجمع بينها، ولو سمع أحد منهم شيئا عن رسول الله-صلى الله عليه و سلم- لرفع الاختلاف، وفيه دليل على أنهم قالوا في المعنى كل بما ظهر له من استنباطه.

3- دعا النبي- صلى الله عليه و سلم- لابن عباس بتعليم التأويل، فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل و محفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك.

4- أنه قال - عزوجل - (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ([1])، فأثبت لأهل العلم استنباطا، ومعلوم أنه وراء السماع . ثم قال : وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله، وأما النهي فإنه ينزل على أحد و جهين :

أحدهما : أن يكون له في الشيئ رأي وإليه ميل من طبعه و هواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى... وهنا يكون المراد بالرأي، الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح، والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي .

ثانيا : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم بظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي[2].

ونفهم من كلام الغزالي أن الذي يريد تفسير القرآن لا بد أولاأن يطلع على التفاسير السابقة، وما نقل من الآثار والأخبار في تفسيره، زيادة على إلمامه باللغة، فمن فعل ذلك كله، ثم أبدى رأيه في آية قرآنية لا يدخل تفسيره ضمن القول بالرأي، بخلاف من بادر إلى التفسير لمجرد معرفته بالعربية، فهذا تفسيره يدخل تحت التفسير بالرأي، وبرأي الغزالي فإن التفاسير

[1] - النساء : 83.

[2] - إحياء علوم الدين - المرجع السابق -ص1 ص342 - 343.

المعروفة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إنما كانت حافلة بالآراء المبنية على الإطلاع على التفاسير والأقوال السابقة لهم، وفيها الجديد الذي لم يسبقوا إليه، وذلك كله ليس منهيا عنه، ويمكن للمفسر المتأخر أن يصيب برأيه، و يأتي بشيئ لم يتفطن إليه الأوائل، والأدلة التي قدمها الغزالي مناسبة للحجة التي أراد تقريرها، ونرى أن تأويله للحديث في محله، فهو وإن جوّز القول في القرآن بالرأي، فإنه قيده بقيود، منها أن لا يكون القائل صاحب هوى، وأن يكون قد اطلع على التفاسير السابقة والآثار والأخبار الواردة، و حمل الرأي في الحديث على الرأي غير المؤسس.

وقد اخترنا أن نختم هذه النماذج من تأويلات الغزالي بهذا الحديث، بعد أن أوردنا نماذج لتأويله لصفات الله الفعلية والخبرية، ولما هو في المخلوقين أعراض نفسية، ولأحوال القيامة، حتى نأخذ صورة واضحة عن تأويلاته، واخترنا أن نختم بهذا الحديث لأن الغزالي كانت له آراء كثيرة في بعض النصوص مخالفة لما درج عليه سابقوه من أهل التفسير، و قد ذكرها واثقا من نفسه، غير مبال بما ورد في هذا الحديث من ظاهر، لأن الرأي إذا سبقه اطلاع واسع على ما سبق، وكان صاحبه مجردا عن الهوى فليس هو من قبيل الرأي المذموم، بل هو من قبيل الاجتهاد الذي يؤجر عليه أصاب أم أخطأ .

10- تأويل أفعال الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

كما اختلف الباحثون في اقوال النبي- صلى الله عليه وسلم- فأولوها بتاويلات مختلفة، اختلفوا كذلك في تأويل أفعاله، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقوم بأفعال تتداخل بين كونه نبيا، أو حاكما، أو بشرا عاديا، ومن هنا يقع الاختلاف في تأويل تلك الأفعال، و الغزالي قد بحث هذه المسألة وخلص إلى القول : إذا نقل فعل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن اقترنت به قرينة الوجوب كقوله : "صلوا كما رأيتموني أصلي"[1] فهو للوجوب، وإن لم يقترن به نظر فإن وقع من جملة الأفعال المعتادة من أكل وشرب، وقيام، وقعود، واتكاء واضطجاع فلا حكم له أصلا، وإن تردد بين الوجوب والندب فإن اقترنت به قرينة القربة فهو محمول على الندب، لأنه الأقل والوجوب متوقف فيه، و إن تردد بين القربة والإباحة فيتلقى منه رفع الحرج، وليس هذا متلقى من صيغة الفعل، إذ الفعل لا صيغة له، ومستنده مسلك الصحابة، فإنا نعلم أن الممنوع من فعل فيما بينهم، لو نقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فعله

[1] - رواه البخاري في كتاب الآذان من صحيحه باب الآذان للمسافرين إذا كانوا جماعة.

لفهموا منه رفع الحرج، وأما الإباحة فلا نتلقاه، فإنه حكم يقتضي التخيير مع تساوي الطرفين، وهو يناقض الندب، والفعل متردد بينه وبين رفع الحرج، فأقل الدرجات رفع الحرج، و قد حمل الغزالي قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[1]، وقوله:(فليحذر الذين يخالفون عن أمره)[2]، وقوله أيضا: (فاتبعوني يحببكم الله) [3] حمل كل ذلك على الأمر وهو الذي أتانا به دون الفعل[4]. ويكون المعنى بهذا وما أتاكم الرسول من أوامر فخذوه، واتبعوني في أوامري، وفي الأفعال المقترنة بالوجوب وقد تقدم.

– ومن النصوص التي تكلم فيها الفقهاء لا المتكلمون، وبحثها الغزالي باعتباره فقيها وأصوليا في المستصفى قوله – صلى الله عليه وسلم – لغيلان[5] حين أسلم على عشر نسوة : أمسك أربعا وفارق سائرهن[6]، وقوله عليه السلام لفيروز الديلمي[7] حين أسلم على أختين " أمسك إحداهما وفارق الأخرى "[8]، فهذه النصوص أولها أبو حنيفة – كما ذكر ذلك الغزالي– على ابتداء النكاح أي أن التي يمسكها لا بد أن يعقد عليها من جديد فالجمع بينهما أبطل النكاح جملة، وإذا أراد أن يتزوج فعليه أن يعقد على إحداهما ابتداء من جديد وأما الغزالي فذهب إلى أن ظاهرها يدل على دوام النكاح فالتي يمسكها لا حاجة له إلى عقد جديد ومنه فإنه استدل على إرادة الظاهر، وحمل النص عليه بعدة قرائن عضدت الظاهر وجعلته أقوى في النفس من التأويل :

---

[1] . الحشر : 7.

[2] – النور : 63.

[3] – آل عمران : 31.

[4] – المنخول من تعليقات الأصول للغزالي – دار الفكر – الطبعة الثانية 1980 ص 225، 226، 227.

[5] – هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو، أسلم يوم الفتح وتحته عشر نسوة فأمره النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يختار منهن أربعا، مات في آخر ولاية عمر.

– كتاب الثقات لابن حبان –المرجع السابق– ج 3 ص 328.

[6] – ورد الحديث في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة – الدار السلفية بالهند حققه وصححه الأستاذ عامر العمري الأعظمي، كتاب النكاح باب ما قالوا فيه إذا أسلم وتحته عشر نسوة عن ابن عمر.

[7] – هو فيروز الديلمي، ويقال ابن الديلمي أبو عبد الله، هو قاتل الأسود العنسي الكذاب.. وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن فنفوا الحبشة عنها وغلبوا عليها، مات في زمان عثمان بن عفان وقيل في إمارة معاوية سنة 53 هـ.

–تهذيب الكمال –المرجع السابق– ج 23 ص 322–324.

[8] – رواه أبو داوود في تفريع أبواب الطلاق –باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع– بلفظ طلق أيتهما شئت ج1 ص350.

1- أنا نعلم أن الحاضرين من الصحابة لم يسبق إلى أفهامهم من هذه الكلمة إلا الاستدامة في النكاح، وهو السابق إلى أفهامنا.

2- أنه قابل لفظ الإمساك بلفظ المفارقة، وفوضه إلى اختياره، فليكن الإمساك والمفارقة إليه وعندهم [1] الفراق واقع والنكاح لا يصح إلا برضا المرأة.

3- أنه لوأراد ابتداء النكاح لذكر شرائطه، فإنه كان لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، وما أحوج جديد العهد بالإسلام إلى أن يعرف شروط النكاح.

4- أنه لا يتوقع في اطراد العادة انسلاكهن في ربقة الرضا على حسب مراده، بل ربما كان يمتنع جميعهن فكيف أطلق الأمر مع هذا الإمكان ؟.

5- أن قوله " أمسك " أمر، وظاهره الإيجاب فكيف أوجب عليه مالم يجب، ولعله أراد أن لا ينكح أصلا.

6- أنه ربما أراد أن لا ينكحهن بعد أن قضى منهن وطرا، فكيف حصره فيهن، بل كان ينبغي أن يقول أنكح أربعا ممن شئت من نساء العالم من الأجنبيات فإنهن عندكم كسائر نساء العالم، فهذا وأمثاله من القرائن ينبغي أن يلتفت إليها في تقرير التأويل ورده، وآحادها لايبطل الاحتمال لكن المجموع يشكك في صحة القياس المخالف للظاهر، ويصير اتباع الظاهر بسببها أقوى في النفس من اتباع القياس [2]، وللغزالي تأويلات عديدة لبعض النصوص الفرعية، ناقش فيها سابقيه مثل الحنفية، وبعضها موجود في كتاب المستصفى، وبعضها الآخر في المنخول، وفي كتب أخرى له، ولم نتوسع في إيراد هذه التأويلات لأن النصوص الفرعية كثيرة، والآراء فيها متعددة، وأخطارها قليلة بالنظر إلى نصوص الأصول التي بسطنا القول فيها، إذ أنها متعلقة بالعقائد، وهي أقل بكثير من النصوص الفرعية.

---

[1] - يقصد الحنفية.

[2] - المستصفى من علم الأصول -المرجع السابق- جـ 1 ص 391 392.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد هذه الرحلة الطويلة من البحث في عصر الغزالي وتاريخه، و في أحكام التأويل وشروطه وضوابطه، وفي تأويلات الغزالي، عنّت لي أمور، واستخلصت نتائج لم أكن لأصل إليها لولا هذه الدراسة المتواضعة التي أزاحت أفكارا وأحلت محلها أفكارا أخرى، ذلك أن الأفكار القديمة كانت مبنية على قراءات قلقة لبعض الكتب الحديثة التي تحدثت عن التأويل وركزت على جوانبه السلبية، مثل كتاب علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، وفيه ركز المؤلف على أن مذهب السلف هو إثبات صفات الله لا تفويضها إلىالله تعالى وهناك كتب أخرى جعلتني قراءتها السريعة غير المدققة، أعتقد حرمة التأويل، وأخرى قدست الغزالي ووضعته في مصاف الأنبياء والمعصومين، وأخرى حطت من مكانته، واعتبرت دراساته خروجا عن الإسلام ويكفي دليلا على ذلك إحراق كتبه بعامة والإحياء بصفة خاصة، ولم أكن أميز قبل هذا بين مذهب السلف و مذهب بعض الحنابلة كابن تيمية، فكان ابن تيمية في تفكيري هو السلف إلى جانب الصحابة والتابعين، ولم أكن أعرف عن الفرق الإسلامية إلا أنها فرق كانت ثم اندثرت ولا وجود لها في دنيا الناس اليوم، هذه الأمور كلها كانت هي ملء تفكيري القديم، بيد أن هذه الدراسة غيرت الأمور وأوصلتني إلى القناعات الآتية :

1- لا يمكن الاستغناء عن التأويل لأن المعاني أكثر بكثير من الألفاظ المستعملة في التعبير عنها، ولا يمكن أن نخصص لكل معنى لفظا خاصا به، فالمعاني غير متناهية، بينما الألفاظ متناهية، ومن هنا فمن وجهة النظر العقلية الصرفة نعرف ضرورة التأويل بمعناه العام، وهو صرف اللفظ أو التعبير إلى المعنى المقصود، كما أن واقع النصوص الشرعية التي وصلتنا سواء في الكتاب أو السنة يثبت ضرورة التأويل ولايمكن أبدا أن نفهم مقاصد الوحي دون تأويل بعض الألفاظ والعبارات والنصوص. والناس الذين أنكروا التأويل على مر العصور أولوا كما أوّل غيرهم بيد أن نفورهم من لفظة التأويل لا من معناها جعلهم يرفضون أن يكون ذلك تأويلا، و قد تقدم هذا من قبل ونحن نتحدث عن المعية، فهم حملوها كما حملها أهل التأويل على معية العلم والنصرة لا معية الذات، التي هي الأصل في الوضع اللغوي، ولم يعتبروا ذلك تأويلا، وذلك هو صميم التأويل الذي نبحث فيه، وحتى لواستطاعوا أن يحملوا بعض النصوص التي أولها أهل التأويل على حقيقتها وأثبتوا عدم تأويلها فإنها لا تكون قاعدة لهم في جميع النصوص، ولو حملنا كل النصوص على حقيقتها وعلى ظاهرها لوصفنا الخالق – سبحانه- بما لا يليق، ولتوهمنا أن هناك تناقضا بين النصوص الشرعية المختلفة، ولو حملنا كل النصوص على

حقيقتها، فكيف نفعل مع قوله تعالى(ولا تزر وازرة وزر أخرى)[1] وقوله- صلى الله عليه وسلم-" إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" [2] وكيف نفهم قوله تعالى ووصفه لنفسه بالمكر (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) [3]، وغير ذلك من الصفات التي يأباها الناس في أنفسهم، وما جاء به بعض المتأخرين الذين حملوا ألفاظ الوحي على حقيقتها ثم أضافوا إليها عبارة بلا كيف، فيقولون مثلا إن لله يدا حقيقية ولكن بلا كيف، فهذا الكلام كما أسلفنا ينطوي على تناقض لأن الحقيقة كيفية، فعندما نقول لله يد حقيقية ثم نقول بعد ذلك بلا كيف، ففيه تناقض لأن التكييف قد وقع.

بيد أن هناك أمرا يجب ألا نغفله ونحن نتحدث عن ضرورة التأويل، وهو ينبغي أن نتفادى التأويل الذي لا طائل من ورائه، أو أن نفعه أقل من ضرره، فالتأويل إنما جعل لفهم المقاصد الحقيقية للكلام، ونصوص الوحي تنقسم باعتبار العمل بها إلى قسمين: قسم يعمل به فينبغي تأويله حتى يمكن العمل به، وقسم لا يترتب على علمه عمل فهنا ينبغي التحرز عند تأويله، وإذا كان تأويله يجرنا إلى خطإ في فهمه، أو وصف الخالق-سبحانه- بما لا يليق، أو بالظن فتركه أولى. وينبغي العمل عند التأويل بالشروط والضوابط التي أوردناها من قبل.

2- سوء استغلال التأويل، حيث وصلنا بالدراسة المتأنية للتاريخ منذ فجر الإسلام إلى دنيا الناس اليوم أن التأويل قد استغل استغلالا بشعا لأغراض سياسية محضة، ولأهواء جامحة، فعندما خرج الخوارج عن الجماعة الإسلامية إنما خرجوا بتأويل التحكيم، وعندما قتلوا المسلمين إنما قتلوهم بتأويل التكفير، وكل فرقة إسلامية ظهرت إنما كانت تستند على تأويل بعض النصوص، وقد رأينا في موقف الفرق الإسلامية من التأويل نماذج لتأويلات تلك الفرق، والتي كانت تهدف في مجملها إلى التماشي مع مبادئ الفرقة، فهم لم يطوعوا المبادئ والأهداف لنصوص ومقاصد الوحي، بل على العكس من ذلك طوعوا النصوص لمبادئهم وأهدافهم، وألقوا عليها صبغة شرعية حتى يقبلها الناس، ويستغل التأويل اليوم على نطاق واسع في العالم الإسلامي، و الهدف من ذلك تهميش سلطان الدين على حياة الشعوب والدول الإسلامية، وكتاب "الإسلام السياسي" للمستشار سيد علي عشماوي طافح بتلك التأويلات التي تهدف في مجملها إلى

---

[1] - فاطر : 18

[2] - صحيح البخاري المرجع السابق - كتاب الجنائز، باب قول النبي -صلى الله عليه و سلم- يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه . وانظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني -المرجع السابق- حـ2 ص 402.

اعتبار الحكم بأحكام الشريعة في الحياة قد مضى وقته ولا رجعة فذلك كان في عصر ونحن الآن في عصر آخر، وقد أول كل النصوص من أجل استخراج شهادة وفاة الإسلام من جانبه التشريعي العملي، وهذه جملة من أقوال هذا المؤلف وتأويلاته نوردها بالفاظها ثم نعلق عليها قال " فرسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- ليست كرسالة موسى رسالة تشريع إنما هي رسالة رحمة ورسالة أخلاق أساسا، بحيث يعد التشريع صفة تالية ثانوية غير أساسية"[1]، وهو قد جاء بهذا الكلام ابتداء ليدلل من رد فعل القارئ على كلامه فيما بعد وقد صور رسالة الإسلام كالمسيحية، و نفى شبهها برسالة موسى وكأنه يقول بأن الذين يدعون التشريع فيها إنما تأثروا باليهود، وهو يعرف علاقة المسلمين باليهود اليوم وعلى مر التاريخ، ولم يصرح أنها كالمسيحية مخافة من رد فعل عليه، ولكن مفيد كلامه يدل على أنها كذلك لأن المسيحية هي التي عرفت بالرحمة والأخلاق، و عدم التشريع على خلاف اليهودية، لأن المسيحية في حقيقتها إنما هي تكميل لليهودية، و دل على ذلك قول عيسى -عليه السلام-:"ما جئت لأنقض بل لأتمم"[2] أما الإسلام فجمع بين التشريع والأخلاق، والمؤلف عندما ذكر هذا الكلام إنما اعتمد على نصوص من السنة من نحو " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[3] ، ولكنه عندما يلغي التشريع ينسى السنة تماما، ويذكر أن ليس في القرآن ما يدل على التفاصيل التشريعية، ولكنه نسي ما في السنة، فهو يتخير من النصوص ما ينصر به كلامه وإن كان ضعيفا، وبعد هذا انتقل إلى الهجوم على الفقهاء، فعندما تكلم على قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهي قاعدة فقهية معروفة لم يعرف لها مخالف، قال : وهذه القاعدة الخاطئة توجد تناقضات شديدة بين أحكام القرآن كما أنها تؤدي إلى نتائج غريبة عن الإسلام لم يقصدها التنزيل[4] ثم قال بعد ذلك " ومن أجل ما سلف بيانه، وغيره، فإن تيار التطرف يبدوا متوافقا مع منطق الفقهاء مسايرا منهجهم"[5]، هكذا ينظر إلى الفقهاء الذين قيدوا الأمة-في نظره- بقيود الأحكام الفقهية التي ابتدعوها، ويبدو المؤلف من خلال كلامه أنه لا يعرف قيمة الفقهاء الذين ينتقدهم، وهو يحسب

---

[1] - الإسلام السياسي -المستشار محمد سعيد العشماوي -سلسلة صاد- موفم للنشر 1990 ص 40.

[2] - إنجيل متى إصحاح : 05.

[3] - ورد الحديث في الموطأ بلفظ بعثت لأتمم حسن الأخلاق.

- الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس (93-179هـ) حققه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، محمود محمد خليل، كتاب الجامع باب ما جاء في حسن الخلق ج 02 ص 75، مؤسسة الرسالة -الطبعة الثانية- 1993.

[4] - الإسلام السياسي- المرجع السابق- ص 52-53.

[5] - الإسلام السياسي -المرجع نفسه- ص52-53.

أنهم من أمثال أهل القانون الذين ينطلقون من عقولهم ومن أهوائهم في سن القوانين، ولو قرأ حياة هؤلاء تفصيلا، وقرأ كتبهم لعرف قيمتهم ولأدرك علو مكانتهم عنه كعلو الشمس، و قد أول أهل الذكر في قوله تعالى(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[1]، قال : فالذكر في الآية هو توراة موسى التي جاءت بعدها المزامير[2]. وقد أراد من هذا الكلام عدم الالتجاء إلى الفقهاء في معرفة الأحكام المختلفة.

وعلى العموم فإن المؤلف كان يقصد من تأليفه لهذا الكتاب أن التشريع المصري كله لا يخالف شيئا من أحكام الإسلام، ولا يتأتى له تحقيق هذا المقصد إلا بهدم كل ما يفهم من الشريعة خلافه، و هو يرى أن التشريع أساسا هو من إنشاء الناس ولا علاقة له بالوحي والدين، قال " والحكومة الإسلامية الحقيقية-بعد حكم النبي-صلى الله عليه و سلم- هي حكومة الناس، حكومة يختارها الناس حقيقة بحرية مطلقة، و يستطيعون المشاركة فيها تبعا لكفاياتهم وقدراتهم، ويراقبون تصرفاتها مراقبة ذات فاعلية ويستطيعون تغييرها-إن أرادوا- دون أن تسيل لهم دماء أو يتهموا بالكفر والإلحاد "[3] و بهذه النظرة للمؤلف فإن كل الحكومات الغربية إسلامية لتوفرها على هذه المواصفات. بخلاف الحكومات العربية فليست إسلامية لأن الناس لا يختارون بحرية مطلقة، بل تعين بالتزوير أو الإقصاء، كما أنهم لا يستطيعون تغييرها إلا بالانقلابات والدماء، ويقول مبررا تأويلاته الفاسدة : إن الآيات و الأحاديث نصوص لا تنطلق بذاتها، وإنما هي محمل للتأويل، والتأويل أو التفسير أمر موضع خلاف[4]، وقد بينا من قبل أن للتأويل شروطا وضوابط متفق عليها، ونشير هنا إلى أن المؤلف قد أول عدة آيات ليصل إلى آرائه التي ذكرنا طرفا منها، ولكننا لم نوردها كلها، وتحتاج إلى رد خاص، و الذي حزّ في نفسي كثيرا أن هذا المؤلف قد انتقل إلى أمريكا وأوربا ليحاضر عن الإسلام وهو ليس مؤهلا لذلك وأمل من علماء الإسلام أن يردوا على أمثال هؤلاء في كل فرصة ومناسبة تتاح، فإن أخطر ما يهدم الإسلام من يتدثر بلباسه، فلا يعرف حقيقته إلا أهل النظر والتحقيق.

3- والنتيجة الثالثة التي أدركتها جيدا أن الفرق الإسلامية بشتى اتجاهاتها لم يندثر منها إلا أسماؤها ورجالها، وأما أفكارها فلا تزال منتشرة اليوم بين المسلمين، وإن لم يعرفوا الفرق التي

---

[1] - النحل : 43.

[2] - الإسلام السياسي- المرجع السابق- ص 68.

[3] - الإسلام السياسي- المرجع نفسه- ص 112.

[4] - الإسلام السياسي- المرجع نفسه- ص 193.

يؤمنون بأفكارها ومبادئها ففي المسلمين اليوم من يعتقد اعتقاد أهل السنة، فيرى جواز التأويل بشروطه وضوابطه، وله مواقف محددة من عدة مسائل خلافية كالقضاء والقدر والآخرة، وغير ذلك، وفيهم من يعتقد حرمة التاويل، وفيهم من يعتقد الجبر نسبة للجبرية، وفيهم القدرية، و فيهم الباطنية، وقد أشرنا من قبل إلى البابية و البهائية، وقد لا يعبر هؤلاء الناس عن اعتقاداتهم لعدم الحاجة إلى ذلك، و لكن لو دخل أحدهم في مناقشة أو سئل في ذلك فسرعان ما يفصح عن رأيه ويتعصب له، ويدافع عنه، ويغضب لأجله.

وسبب تعدد هذا الفهم بين المسلمين اليوم يعود بطبيعة الحال إلى كون هذه المسائل من المتشابه، فاختلفت فيه العقول بأدلة و بغير أدلة، إضافة إلى ذلك فإن الحكومات في البلاد الإسلامية لم تقم بواجبها الكامل في شرح أحكام الدين شرحا مناسبا، وفي هذا المقام، وتقليلا من الفرقة أمل من الخطباء في المساجد والمدرسون، و الكاتبون عن الإسلام أن يعالجوا هذه الأمور بمنتهى الحكمة والتبصر، فلا يقتحموا كل المتشابهات و يؤولوها، وإنما يهتموا بالمتشابهات التي تنطوي على عمل مثل قضية الجبر والقدرة والإرادة وغير ذلك، فكثيرٌ من الناس ينتهكون أحكام الدين و يعتقدون أنهم مجبرون على ذلك، وبعضهم الآخر يتركون أحكامه بالكلية، ويزعمون أن قدرتهم هي أساس التشريع، وقد مر معنا قبل قليل ما يشبه هذا الاتجاه، وإذا حدث هذا فكل إنسان يعرف ماله وما عليه، فيؤدي عمله وواجبه بكل مسؤولية.

4- وأما تأويلات الغزالي للنصوص فقد جاءت مزيجا من تخصصاته واتجاهاته الفكرية، فهو يوصي بالتزام مذهب السلف، ويرى أنه الأصوب، ولكن مع العوام، و ينهج منهج الخلف في التأويل ويشترط شروطا في طرفي التأويل، ويضع له ضوابط، وعندما يؤول الغزالي فإن انشغالاته الفكرية تطغى عليه فهو يؤول تأويلا فلسفيا كما هو الشأن في تأويله لآية (الله نور السموات والأرض) [1] وقد تقدمت، ويذهب بعيدا في التأويلات الصوفية. فتجده يتحدث عن أشياء في تأويله لا علاقة لها بالنص، وقد يسمي الطريق الذي سلك به هذا التأويل بالكشف، كما يؤول تأويلا عاديا شأنه شأن خلف أهل السنة من أهل التأويل فيحمل النص على معنى آخر قريب من الأول، ويستعمل في ذلك النصوص الشرعية، واستعمالات العرب اللغوية كما فعل ذلك في تأويله للاستواء والفوقية وغير ذلك، ويقترب الغزالي من ظاهر طريقة الباطنية في

[1] - النور :35.

تأويلات أخرى له فيحمل النص الظاهر الواضح على معنى خفي باطن، وذلك كتأويله لآية الزمر التي تقدمت و فيها (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها...)[1] الآية.

ولاحظنا في هذه الدراسة أيضا أن أغلب ما وجه إلى الغزالي من انتقادات إنما كان بسبب ما صدر عنه من أغراض صوفية، وإذا كان تصوف الغزالي معتدلا حتى أسقطه بعض مترجمي الصوفية من تراجمه كما فعل الشعراني[2]، فهو لم يشدد النكير على بعض العبارات الصوفية التي تقترب كثيرا أو تدل على فكرة الاتحاد و الحلول، بل بالعكس من ذلك، فهو حاول تأويل تلك الأقوال وحملها على ما يليق تبرئة لقائلها، ومن أمثلة ذلك قول أبي يزيد البسطامي "سبحاني ما أعظم شأني"، فهذه العبارة في حقيقتها لا تليق بغير الله تعالى، فالكلمة الأولى لا نعلم أن أحدا أطلقها على غيره -تعالى-، وكذلك فإن عظم الشأن ففيه حقيقة مطلقة وفي غيره نسبة ضيقة ومن عظم شأنه لا يقول مثل هذا الكلام، وأما الغزالي فقد علق على هذه العبارة بقوله" وقول أبي يزيد إن صح عنه... إما أن يكون ذلك جاريا على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالى كما لو سمع وهو يقول (لا اله إلا أنا فاعبدني) [3] لكان يحمل على الحكاية، وإما أن يكون قد شاهد كمالا لاحظه من صفة القدس على ما ذكرنا في الترقي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات، وبالهمة عن الحظوظ والشهوات فأخبر عن قدس نفسه فقال سبحاني، ورأى عظم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق، فقال : ما أعظم شأني، و هو مع ذلك يعلم أن قدسه و عظم شأنه بالإضافة إلىالخلق، لا نسبة له إلى قدس الرب تعالى، وعظم شانه، ويكون قد جرى هذا اللفظ على لسانه في سكر وغلبة حال، فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال، يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة، وحال السكر ربما لا يحتمل ذلك، فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الاتحاد فذلك محال قطعا، فلا تنظر إلى مناصب الرجال حتى تصدق بالمحال، بل ينبغي أن تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال[4] .

---

[1] - الزمر : 67.

[2] - هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا بن موسى ابن السلطان أحمد التلمساني الفقيه المحدث الشعراني المصري الصوفي، من آثاره الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء، والصوفية، الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية، ومصنفاته كثيرة جدا، ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

-هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف -اسطنبول سنة 1951 مجلد 1 ص 641-642

[3] - الأنبياء : 25.

[4] -المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي الطوسي قدم له فضيلة الشيخ محمود النواوي المفتش بالأزهر مكتبة الكليات الزهرية مكتبة ومطبعة الفجر الجديد ص 112-113.

وقال أبو يزيد في موضع آخر :" إنسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، فنظرت فإذا أنا هو" وقال الغزالي: ويكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله، ولا يكون له هم سوى الله تعالى، فإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقا[1] .

فما أغنى الأمة الإسلامية عن هذا الكلام الجريئ! وما أغنى الغزالي عن الاعتذار! عنه بمثل هذا الاعتذار ونحن نعرف أن لا أبو يزيد ولا غيره من المتصوفة، ولا من غيرهم يمكن أن يصل إلى درجة الصحابة في المعرفة والتقوى، ولم يتفوه أحدهم بمثل هذا الكلام لا من قريب ولا من بعيد ، ولو صدر هذا الكلام في عهد عمر -رضي الله عنه- لكان له مع أبي يزيد شأن آخر، لكن عذر الغزالي هنا أنه تتلمذ بطريق غير مباشر على هذا الرجل و رد عليه، بيد أن مثل هذا الرد الخفيف لا يناسب من لقب بحجة الإسلام.

وفي ختام هذه الرسالة نقول إن الغزالي جامعة متنوعة المعاهد، فيها معهد أصول الدين و العقيدة وفيها معهد الشريعة والأصول، وفيها معهد الفلسفة، ومعهد علم الاجتماع، ومعهد علم النفس والتربية، وفيها معهد العلوم الطبيعية والتشريح، فينبغي العناية بجميع هذه المعاهد وإعادة الدراسة فيها كل مرة، والغزالي قد وظف كل هذه المعاهد في تأويلاته، فرفع فتنة التكفير بين المسلمين ببيانه لحد الكفر، و أزال بتأويله ما يبدو تعارضا بين بعض النصوص، و نبه إلى حكم وأسرار نصوص أخرى، ولهذا كله ينبغي دراسة الغزالي باستمرار فلا تخلو دراسته مهما تكررت من فائدة.

[1] -المقصد الأسنى -المرجع السابق- ص120.

فـــهـــارس عـــــــامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- فهرس الآيات القرآنية

الآيات	السورة والآية	الصفحات
	الألف	
- أأمنتم من في السماء.....	الملك: 16	198
- ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...	آل عمران: 07	167
- أتعبدون ما تنحتون.....	الصافات: 95-96	329
- آتيناه رحمة من عندنا.....	الكهف:65	129
- أحكمت آياته ثم فصلت.....	هود: 01	138
- إذ يقول لصاحبه لا تحزن..	التوبة:40	197
- أشد منهم قوة.....	غافر: 20	224
- اصطفيتك برسالتي وبكلامي.	الأعراف: 144	293
- أفمن شرح الله صدره للإسلام.	الزمر: 22	343
- أفمن يمشي مكبا على وجهه...	الملك: 22	333
- اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم..	الإسراء: 14	250
- الا ابتغاء وجه ربه الأعلى...	الليل: 20	201
- إلا من أكره وقلبه مطمئن...	النحل: 106	182
- ألا يعلم من خلق وهو.....	الملك: 14	312
- الحمد لله الذي أنزل على عبده.	الكهف: 01	155
- الذي بيده عقدة النكاح.....	البقرة: 235	247
- الذي خلق الموت والحياة...	الملك: 02	318
- الذين قال لهم الناس.....	آل عمران: 173	192
- الذين يريدون وجه الله....	الروم: 38	199
- الرحمن على العرش استوى.	طه: 04	228,206,198,24 230,
- الصمد.....	الإخلاص: 02	226
- الـــر كتاب أحكمت آياته...	هود: 01	138

- الله أنزل أحسن الحديث...	الزمر: 22	138
- الله خالق كل شيئ.....	الزمر: 62	316
- الله نور السماوات والأرض.	النور: 35	354,341,130
- ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا.	آل عمران: 23	176
- ألم تر أن الله يعلم ما في....	المجادلة: 07	196
- أنا أنبئكم بتأويله.....	يوسف: 45	167
- إنا عرضنا الأمانةعلى.....	الأحزاب: 82	243
- إن الإنسان لفي خسر.....	العصر: 02	192
- إن الحكم إلا لله.....	الأنعام: 57	212
- إن الدار الآخرة لهي الحيوان.	العنكبوت: 64	250
- إن الله بكل شيء عليم....	المجادلة: 07	197
- إن الله عنده علم الساعة.....	لقمان: 34	160
- إن الله مع الذين اتقوا.....	النحل: 128	234
- إن الله يأمر بالعدل.....	النحل: 90	321
- إن الله يحب التوابين.....	البقرة: 222	335
- إن الله يحب الذين يقاتلون...	الصف: 04	335
- أنزل من السماء ماءً.....	الرعد: 19	355,310,309,248
- أنزله بعلمه.....	النساء: 164	224
- إنك لا تهدي من أحببت....	القصص: 56	147
- أن لو يشاء الله لهدى.....	الرعد: 31	320
- إنما المسيح عيسى بن مريم.	النساء: 171	234
- إنما أمره إذا أرادشيئا.....	يس: 82	235
-إنما قولنا لشيء إذا أردناه..	النحل: 40	234
- إنما نطعمكم لوجه الله....	الدهر: 09	201,199
- إنما يريد الله ليعذبهم بها..	التوبة: 55	321
- إن مثل عيسى عند الله...	آل عمران: 59	235,234
- إنني معكما أسمع وأرى..	طه: 46	322

- أنهار من لبن.....	محمد: 16	295
- إن هو إلا وحي يوحى..	النجم: 6,5,4	254
- إني خالق بشرا من طين..	الحجر: 29	340
- إني نذرت للرحمن صوما.	مريم: 25	239,181
	الباء	
- بل كذبوا بما لم يحيطوا...	يونس: 39	167
- بل يداه مبسوطتان.....	المائدة: 64	225,192
- بما قدمت أيديكم.....	الأنفال: 51	193
- بما قدمت يداك.....	الحج: 10	193
- بيده عقدة النكاح.....	البقرة: 235	191
	التاء	
- تجري بأعيننا.....	القمر: 14	221,203,139
	الثاء	
- ثم استوى إلى السماء وهي.	فصلت: 11	307
- ثم استوى على العرش.....	الأعراف: 54	252,198
- ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة.	المجادلة: 7	197
	الحاء	
- حتى يسمع كلام الله.....	التوبة: 06	293
	الخاء	
- خلق لكم ما في الأرض جميعا.	البقرة: 29	258
	الذال	
- ذلك تأويل ما لم تسطع عليه.	الكهف: 81	167,165
- ذلك خير وأحسن تاويلا....	النساء: 59	167
- ذلك فضل الله يؤتيه.....	الجمعة: 04	107

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الراء

- ربنا لا تزغ قلوبنا.....	آل عمران: 08	144
- ربنا وسعت كل شيئ رحمة.	غافر: 07	198
- رفع السماوات بغير عمد...	الرعد: 02	258

السين

- سأنبئك بتأويل ما لم.....	الكهف: 77	167
- سبع بقرات سمان.....	يوسف: 43	165

الشين

- شهر رمضان الذي.....	البقرة: 186,185,184	181

الفاء

- فاتبعوني يحببكم الله.....	آل عمران: 31	347
- فأت ذا القربى حقه.....	الروم: 38	199
- فاحكم بينهم بما أنزل الله..	المائدة: 50	182
- فإذا سويته ونفخت فيه من..	الحجر: 29	338
- فأرسلنا إليها روحنا.....	مريم: 17	234
- فاسألوا أهل الذكر.....	النحل: 43	253
- فإن آنستم منهم رشدا.....	النساء: 06	119
- فإن له معيشة ضنكا.....	طه: 124	332
- فتمثل لها بشرا سويا.....	مريم: 16	283
- فخلف من بعدهم خلف...	مريم: 59	185
- فراغ عليهم ضربا باليمين.	الصافات: 93	153
- فسبح بحمد ربك.....	النصر: 03	163
- فظن أن لن نقدرعليه.....	الأنبياء: 87	252
- فقد صغت قلوبكما.....	التحريم: 04	195,192

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فقضاهن سبع سماوات....	فصلت: 12	308
- فكشفنا عنك غطاءك.....	ق: 22	50
- فلما جن عليه الليل.....	الأنعام: 77	44
- فلما رأى الشمس بازغة..	الأنعام: 79	45
- فلما رأى القمر بازغا....	الأنعام: 78	45
- فليحذر الذين يخالفون عن.	النور: 61	347
- فلينظر الإنسان مم خلق...	الطارق: 06	239
- فمن شهد منكم الشهر.....	البقرة: 184	239,181
- فمن يرد الله أن يهديه....	الأنعام: 126	50
	القاف	
- قال له ربه أسلم قال.....	البقرة: 130	343
- قل إنما حرم ربي الفواحش.	الأعراف: 33	238
- قل تعالوا أتل ما حرم.....	الأنعام: 150	139
- قل لو كان البحر مدادًا.....	الكهف: 109	158
- قل من حرم زينة الله.....	الأعراف: 32	240
- قل هو الله أحد.....	الإخلاص: 01	194,136
	الكاف	
- كالذي استهوته الشياطين...	الأنعام: 71	213,174
- كذلك يضرب الله الأمثال..	الرعد: 19	310,253
- كلا إذا دكت الأرض....	الفجر: 21	286
- كل شيء هالك إلا وجهه.	القصص: 38	242,225
- كلما نضجت جلودهم.....	النساء: 56	298
- كل من عليها فان.....	الرحمن: 26	242
- كمثل الشيطان إذ قال....	الحشر: 16	243
	اللام	
- لا إله إلا أنا فاعبدني....	الأنبياء: 25	355

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– لا تدركه الأبصار.....	الأنعام: 103	228,218
– لأخذنا منه باليمين.....	الحاقة: 45	204
– لا يأتيكما طعام.....	يوسف: 37	167
– لا يسأل عما يفعل.....	الأنبياء: 23	321,292
– لا يعزب عن علمه.....	سبأ: 03	311,52
– لتعلموا أن الله على كل..	الطلاق: 12	198
– لعلمه الذين يستنبطونه....	النساء: 83	345
– لقد أرسلنا رسلنا بالبينات..	الحديد: 25	251
– لقد سمع الله قول التي....	المجادلة: 01	322
لقد سمع الله قول الذين....	آل عمران: 181	192
– لله الأمر من قبل ومن بعد.	الروم: 04	235
– لما خلقت بيدي.....	ص: 75	203,195,193,192 225,
– لم تعبد ما لا يسمع.....	مريم: 42	322
– لن تراني.....	الأعراف: 143	292
– له الخلق والأمر.....	الأعراف: 54	235
لها ما كسبت وعليها.....	البقرة: 285	316
– ليس كمثله شيئ.....	الشورى: 11	161,160,155,154 269,248,233,232,228,200,196,194,180,179,177,166,

الميم

– ما منعك أن تسجد لما.....	ص: 75	191
– ما يأتيهم من ذكرمن.....	الأنبياء: 02	234
–ما يفتح الله للناس من رحمة.	فاطر: 02	48
– ما يكون من نجوى ثلاثة....	المجادلة: 07	234,196
– مذبذبين بين ذلك.....	النساء: 142	213
– مرج البحرين يلتقيان.....	الرحمن: 17	237

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مما عملت أيدينا أنعاما.....	يس: 71	195,193
- من ذكر من ربهم محدث...	الأنبياء: 02	234
- منه آيات محكمات.....	آل عمران: 07	247

النون

- ناقة الله.....	الشمس: 13	194
- نبئنا بتأويله.....	يوسف: 36	167
- نساؤكم حرث لكم.....	البقرة: 221	179

الهاء

- هذا الذي رزقنا من قبل.....	البقرة: 25	136
- هذا بيان للناس وهدى.....	آل عمران: 138	242
- هذا تأويل رؤياي من قبل....	يوسف: 100	167
- هذا ربي.....	الأنعام: 77	343
- هل تعلم له سميا.....	مريم: 65	194
- هل ينظرون إلا تأويله.....	الأعراف: 53	166,142
- هن أم الكتاب.....	آل عمران: 07	139
- هو الذي أنزل عليك الكتاب..	آل عمران: 07	143,138,05
- هو الذي في السماء إله..	الزخرف: 84	196

الواو

- وآتاكم من كل ما سألتموه....	إبراهيم: 36	140
- وأتوا به متشابها.....	البقرة: 25	136
- وأخر متشابهات.....	آل عمران: 07	139
- وإذا تليت عليهم آياته.....	الأنفال: 02	229
- وإذ أخذ الله ميثاق الذين.....	آل عمران: 187	119
- واذكر اسم ربك.....	المزمل: 08	128
- وأرجلهم بما كانوا يعملون....	النور: 24	333
- واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.	الحج: 95	240

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- واسأل القرية التي.....	يوسف: 82	226
- والسارق والسارقة.....	المائدة: 39	195
- والسماء رفعها ووضع الميزان.	الرحمن: 07	251,249
- والسموات مطويات بيمينه..	الزمر: 67	225
- وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة.	البقرة: 42	238
- والله خلقكم وما تعملون.....	الصافات: 96	316,315
- والمطلقات يتربصن بأنفسهن.	البقرة: 226	153,137,05
- وأن تجمعوا بين الأختين.....	النساء: 23	185
- وإن جنحوا للسلم فاجنح لها..	الأنفال: 61	122
- وإن خفتم ألا تقسطوا في....	النساء: 03	154
- وإن خفتم شقاق بينهما.....	النساء: 35	212
- وإن كنتم جنبا فاطهروا.....	المائدة: 07	239
- وإن يروا كسفا من السماء...	الطور: 44	243
- وإني مرسلة إليهم بهدية.....	النمل: 36	340
- وبشر الذين آمنوا وعملوا....	البقرة: 25	136
- وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم...	الأنعام: 83	322
- وجاء ربك والملك صفا.....	الفجر: 22	226
- وجعلنا من الماء كل شيئ حي.	الأنبياء: 30	239
- وجوه يومئذ ناضرة.....	القيامة: 22	292,226,145
- وخلق كل شيئ فقدره.....	الفرقان: 02	234
- وذا النون إذ ذهب مغاضبا...	الأنبياء: 87	186
- وذروا ظاهر الإثم وباطنه...	الأنعام: 120	238
- وزنوا بالقسطاس المستقيم...	الشعراء: 182	249
- وعلمتني من تأويل الأحاديث.	يوسف: 101	167
- وفاكهة وأبا.....	عبس: 31	153
- وقالت اليهود يد الله مغلولة..	المائدة: 64	191
- وقد خاب من دساها.....	الشمس: 10	148

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه.	الإسراء: 23	139
- وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض.	البقرة: 36	136
- وقليل ما هم.....	ص: 22	239
- وقليل من عبادي الشكور...	سبأ: 13	239
- وقولوا حطة.....	البقرة: 58	142
- وكذلك يجتبيك ربك.....	يوسف: 06	266,167
- وكلوا واشربوا حتى يتبين....	البقرة: 185;184	211,181
- ولا تزر وازرة وزر أخرى..	فاطر: 18	351,211,186
- ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.	البقرة: 194	170
- ولا تؤتوا السفهاء أموالكم....	النساء: 05	118
- ولا يأتونك بمثل إلا جئناك..	الفرقان: 33	168
- ولا يبدين زينتهن.....	النور: 31	240
- ولا يحيطون بشيء من علمه.	البقرة: 254	224
- ولا يحيطون به علما.....	طه: 107	196
- ولتصنع على عيني.....	طه: 39	225,203
- ولقد خلقناكم ثم صورناكم...	الأعراف: 11	325
- ولقد كرمنا بني آدم.....	الإسراء: 70	328
- ولكن رسول الله وخاتم.....	الأحزاب: 40	340
- ولن تستطيعوا أن تعدلوا....	النساء: 125	166
- ولو أن ما في الأرض من..	لقمان: 27	142
- ولو علم الله فيهم خيرا.....	الأنفال: 23	118
- وليس البر بأن تاتوا البيوت.	البقرة: 189	155
- وما آتاكم الرسول فخذوه...	الحشر: 07	347
- وما آتيتم من ربا.....	الروم: 39	199
- وما اختلفتم فيه من شيء..	الشورى: 10	212
- وما آمن معه إلا قليل....	هود: 40	238
- وما قدروا الله حق قدره..	الزمر: 67	205,195,191

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- وما كان المؤمنون لينفروا.	التوبة: 121	123
- وما كفرسليمان ولكن.....	البقرة: 101	23
- وما لأحد عنده من نعمة...	الليل: 20,19	199
- وما يعزب عن ربك من...	يونس: 61	312
- وما يعقلها إلا العالمون....	العنكبوت: 43	255
- وما يعلم تأويله إلا الله....	آل عمران: 07	146,141,140,139 163,
- وما يعلمهم إلا قليل.....	الكهف: 22	146
- ومن الناس من يشري نفسه.	البقرة: 207	212,208,175
- ومن الناس من يعجبك.....	البقرة: 203	212,174
- ومن كان في هذه أعمى.....	الإسراء: 72	334
- ومن لم يحكم بما أنزل.....	المائدة: 44	182,174
- ومنهم من يلز ك في.....	التوبة: 58	209
- وننشئكم فيما لا تعلمون.....	الواقعة: 64	159
- وهو الذي أنشأ جنات.....	الأنعام: 141	138
- وهو الذي في السماء إله....	الزخرف: 84	234
- وهو القاهر فوق عباده.....	الأنعام: 19	259
- وهو الله في السماوات وفي.	الأنعام: 03	281,228,196
- وهو بكل شيء عليم.....	البقرة: 29	312
- وهو على كل شيء قدير	الملك: 01	314
- وهو معكم أينما كنتم.....	الحديد: 04	233,196
- ويبقى وجه ربك.....	الرحمن: 27	221,204
- ويحذركم الله نفسه.....	آل عمران: 28	226
- ويسألونك عن الروح.....	الإسراء: 85	160
- ويعلمك من تاويل الأحاديث.	يوسف: 06	165
- ويمكرون ويمكر الله.....	فاطر: 18	351

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الياء

– يا أيها الذين..كتب..القصاص.	البقرة: 177	136
– يا حسرتي على ما فرطت..	الزمر: 56	225,206,151
– يجيب المضطر إذا.....	النمل: 62	55
– يحبهم ويحبونه.....	المائدة: 54	202,335
– يحكم به ذوا عدل منكم....	المائدة: 97	212
– يخافون ربهم من فوقهم....	النمل: 50	281,198
– يخرج الحي من الميت....	الروم: 19	170
– يد الله فوق أيديهم.....	الفتح: 10	171,159,156,139
– يريدون وجه الله.....	الروم: 38	201
– يسألونك عن الأهلة.....	البقرة: 189	173
– يقولون آمنا به.....	آل عمران: 07	141
– يمحو الله ما يشاء ويثبت....	الرعد: 39	243
– يوم تبدل الأرض غير.....	ابراهيم: 48	160
– يوم يكشف عن ساق.....	ن: 42	190

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحديث	المصدر	الصفحات
- أثقل ما يوضع في الميزان..	سنن أبي داوود	95
- إذا ضرب أحدكم فليجتنب...	الجامع الصغيرللسيوطي، ابن حبان	324,97
- إذا قاتل أحدكم.....	صحيح مسلم، ابن خزيمة	324,179
- اعتقها فإنها مؤمنة.....	المسند للإمام أحمد	278
- أعددت لعبادي الصالحين...	مسلم	159
- أفبهذا أمرتم.....	الترمذي	257
- اقرأوا القرآن والتمسوا.....	ابن أبي شيبة	344,259
- الحجر الأسود يمين الله...	تاريخ بغداد	290,252
		304,
- الق الله فقيرا.....	تاريخ بغداد	98
- القبر أول مراحل الآخرة...	المسند	333
- اللهم فقهه في الدين.....	المسند	172,147
		266,253,178
- اللهم هذا قسمي فيما أملك...	أبو داوود	166
- المقسطون على منابر من نور.	ابن حبان	195
- المؤمن في قبره في روضة.	ابن حبان	332
- أمسك إحداهما وفارق.....	أبو داوود	347
- أمسك أربعا وفارق.....	ابن أبي شيبة	347
- إن القرآن لم ينزل ليكذب....	المسند	188,144
- إن الله خمر طينة آدم.....	ابن سعد	286,256
- إن الله كتب بيده على نفسه.	البخاري	195
- إن الله يبعث لهذه الأمة....	أبو داوود	106,67
- إن الله يمسك السماوات....	إرشاد الساري(البخاري)	329,205
- إن الميت يعذب ببكاء.....	البخاري	351,211,186,

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- إنا معشر الأنبياء أمرنا.....	الضعفاء للعقيلي	118
- إن بين الرجل والكفر ترك.	البخاري	182
- إن قلوب بني آدم كلها.....	المسند	329,256
- إنك لعريض القفا.....	البخاري	211
- إن للقرآن ظهرا وبطنا.....	إتحاف السادة المتقين	344,353,252
- إنما بعثت لأتمم مكارم.....	الموطأ	352
- إن من العلم كهيئة المكنون.	المغني عن الأسفار	310
- إن من ضعف اليقين.....	حلية الأولياء	99
- إني لأجد نفس الرحمن.....	كنز العمال، الطبراني	304,291,290
- إني لأعرف آخر أهل النار.	الترمذي	334
- أول ما خلق الله العقل.....	ابن الجوزي (الموضوعات)	286
- أول ما خلق الله القلم.....	الترمذي	287
- تفكروا في خلق الله.....	إتحاف السادة المتقين	188,156
- تكون الأرض يوم القيامة..	البخاري	195
- جاهدوا المشركين بأيديكم..	ابن حبان	121
- خلق الله آدم على صورته.	البخاري، ابن خزيمة	202,180,166
		326,324
- خلق الله الأرواح قبل.....	البخاري	340
- خير القرون قرني.....	مسلم	186
- دعه فإن له أصحابا.....	البخاري	208
- سيأتيكم ناس يجادلونكم....	الدارمي	150
- سيخرج قوم في آخر الزمان.	البخاري	209
- صلوا كما رأيتموني أصلي..	البخاري	346
- عرضت علي الجنة في عرض.	مسلم	284
- فإذا رأيت الذين يتبعون....	البخاري	188,143
- فأما النار فلا تمتلئ.....	مسلم	203
- قلب المؤمن بين اصبعين..	المسند	304,290,67

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- كان الكتاب الأول ينزل...	ابن حبان	144
- كان النبي (ص) يكثر أن يقول.	البخاري	163
- كأني أنظر إلى يونس....	ابن ماجة	285
- كلموا الناس بما يعرفون..	إتحاف السادة المتقين	118
- كل مولود يولد على الفطرة.	الترمذي	58,44
- كنت نبيا وآدم بين الماء....	الترمذي	339
- لا أخاف على أمتي إلا.....	كنز العمال	188,144,143
- لا تدخل الملائكة بيتا.....	الطبراني في الكبير	329,295
- لا تقبحوا الوجه.....	ابن خزيمة	324
- لا نبي بعدي.....	الطبراني في الكبير	340
- لا يقولن أحدكم لأحد قبح..	ابن حبان	324
- ليس منا من شق الجيوب..	مسلم	187
- ما أحد يحدث قوما حديثا..	إتحاف السادة المتقين	118
- ما المسؤول عنها بأعلم من.	البخاري	147
- ما من أحد يشهد أن لا.....	البخاري	182
- مرضت فلم تعدني.....	مسلم	204
- من فسر القرآن برأيه.....	كنز العمال، الترمذي	344,259
- من كان يؤمن..فلا يسق....	الترمذي	178
- من كتم علما نافعا.....	ابن ماجة	118
- من يخرج من النار.....	الترمذي	286
- هذه رحمة.....	البخاري	187
- يأخذ الرب عز وجل سماواته.	ابن حبان	195
- يؤتى بالموت على شكل كبش.	مسلم	284
- يؤتى مثل الدنيا وعشرة.....	الترمذي	334
- يكشف ربنا عن ساق.....	البيهقي في الأسماء والصفات	190
- يكون خلف بعد ستين سنة...	كنز العمال	185

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يمين الله ملأى.....	ابن حبان	195
- ينزل ربنا إلى السماء الدنيا..	الترمذي	337

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- فهرس الأشعار

شطر البيت	الصفحات	القائل
- أألفا مؤمن فيما زعمتم	177	نافع بن الأزرق
- أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم	135	جرير
- أحاطت به حتى استراب بنفسه	19	ابن الفضل
- أحيا عيون العاشقين بلحظه	38	محي الدين بن عبد الظاهر
- إذا عاتبته أو عاتبوه	98	الشبلي
- إذا ما راية رفعت لمجد	225,204	الأعشى
- إن الكلام لفي الفؤاد وإنما	323,294	
- إني أحيّ عدوي عند رؤيته	129	هلال بن العلاء الرقي
- إني لأذكره يوما فأحسبه	212	عمران بن حطان
- إني لأكتم من علمي جواهره	261,119,25	زين العابدين
- أيثمر غصن أهل الفضل يوما	91	
- برئت من الخوارج لست منهم	222	إسحاق بن سويد القروي
- بكى على حجة الإسلام حين ثوى	70	الأبيوردي
- تركت هو ليلى وسعدى بمعزل	65	
- تلك الرزية تستهوي قوى جلدي	70	الأبيوردي
- حتى انتشيت ولي روحان في بدن	222	النظام
- خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به	47	
- رأيت عرابة الأوسيّ يسمو	226	الأعشى
- الريح تبكي شجوها	145	

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- طوبى لطيبة بل طوبى لكل فتـــى	38	تقي الدين شبيب الأديب
- على أنهـــا كـــانت تؤول حبهـــا	162	الأعشى
- غزلت لهم غزلا دقيقـــا فلم أجد	65	
- فاحـــــذر عدوك مـــــــرة	129,79	القاضي ابن معروف
- فذكـــرك سيدي أكـــلي وشربـــي	99	الشبلي
- فســـالـم النـــاس تسلم من غوائلهم	130	هلال بن العلاء الرقي
- فقالا شفـــاك اللـــه واللـــه مـــا بنا	225	
- فلحـــده النعمـــان روح شقـــائـــق	38	تقي الدين طبيب الشاعر
- فلربمـــــا انقـــلب الصديـــــق	129,79	القاضي ابن معروف
- فمـــــاله خلـــة في الزهد منكـــرة	70	الأبيوردي
- فمن منح الجهـــال علمـــــا أضاعه	119	
- فيـــــامن دهـــــره غضب وسخط	98	الشبلي
- قد استـــوى بشر عـــلى العـــــراق	307,207	
- قلوب العـــالمين على المعـــــــالي	91	
- كذبتم ليس ذاك كمـــــا زعمتـــــــم	177	نافع بن الأزرق
- لما عفـــوت ولم أحقـــد علـــى أحد	129	هلال بن العلاء الرقي
- ما زلت آخـــذ الزق في لـــطـــــف	222	النظام
- مجدكبـــا الوهـــم عن إدراك غـــايته	38	تقي الدين شبيب الأديب
- مضى وأعظم مفقـــود فجعـــــت به	70	الأبيوردي
- النـــــاس داء، دواء النـــاس تركهم	129	هلال بن العلاء الرقي
- نحن ضربنـــــاكم على تنزيلـــــه	162	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

– نسبـــت اليوم من عشقي صلاتي	98	الشبلي
– هم الفئـــــة القليلـــــة دون شك	177	نافع بن الأزرق
– وأظهـــر البشر للإنسان أكرهه	129	هلال بن العلاء الرقي
– وأعظم من ذوي الإرجاء جرما	222	
– وخالف الناس واصبر ما بليت بهم	129	هلال بن العلاء الرقي
– وقـــد تقدم في هذا أبـــــو حسن	261,119,25	زين العابدين
– وقـــد علـــم المصري أن جنوده	19	ابن الفضل
– ولا استحـــل رجال مسلمون دمي	261,119,25	زين العابدين
– ولست أسلم ممن لست أعرفه	129	هلال بن العلاء الرقي
– ولطرفه الغزال إحياء الهـــوى	38	تقي الدين الطبيب الشاعر
– وما لمن يمتري في الله عبرته	70	الأبيوردي
– ومن قوم إذا ذكروا علـــــــيا	223	اسحاق بن سويد القروي
– ومهفهف قسم الملاحة ربها	38	تقي الدين الطبيب الشاعر
– ونادتنيَ الأشواق مهلا فهذه	65	
– يا رب جوهر علم لو أبوح به	261,119,25	زين العابدين
– يا رب رد راكبي محمدا	191	أبو طالب
– يا ضربة من تقي ما أراد بها	212	عمران بن حطان
– يا من رأى غزلان رامة هل رأى	38	محي الدين بن عبد الظاهر
– يعيب القول بالإرجاء حتى	222	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- فهرس الأعلام

العلـــم	الصفحـــات
- الأبي محمد بن خلف	(280)
- آدم عليه السلام	278,235,203,195,194,191,180,179,159,24 340,339,338,328,325,324,
- آدم أخ أبي يزيد	99
- أبان بن سمعان	230
- إبراهيم عليه السلام	344,343,322,253,202,45,44
- إبراهيم ابن رسول الله	186
- إبراهيم صالح	36
- إبراهيم بن عبيدة السلماني	205
- أبي بن كعب	343,342,(141)
- الأبيوردي	(69)
- الأتابكي	14
- ابن الأثير	227,210,209,187,174,(34),21,16,15,14,13,9
- إحسان عباس	102,38,16
- أحمد بن حنبل	141,131,106,96,95,94,67,57,44,24,23,09 300,291,290,286,278,256,253,252,233,227,218,216,188,187,180, 178,147,144, 333,329,304,
- أحمد رفعت البدراوي	19
- أحمد بن شميط	244
- أحمد فريد الرفاعي	104,34

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أحمد محمد شاكر 57,44
- الأحول عاصم 95
- الأخفش 168
- إخوان الصفا (300),111,110
- أرسطو 226,217
- الأرناؤوط شعيب 110,36
- أسامة بن زيد 95
- أبو اسحاق 327
- إسحاق بن سويد القروي (222)
- الاسفراييني أبو حامد بن أبي طاهر 25
- الاسفراييني أبو القاسم الإسكاف (90)
- الاسفراييني أبو القاسم 85
- اسماعيل بن جعفر 177
- اسماعيل بن محمد الحضرمي اليمني (105)
- الاسماعيلي أبو نصر (89),40,39
- الأسنوي عبد الرحيم 150,135,90,89,82,62,(40)
- الأسود العنسي 347
- أسين بلاثيوس 73
- ابن الأشعث 219
- الأشعري أبو الحسن 229,224,221,217,212,176,111,106,(47),24
291,275,236,

- الأشعري أبو مالك 188,144,(143),
- الأشعري أبو موسى 209,176,173,(150)
- أصبغ 141
الأصفهـــــــاني الراغب 169,165,163,159,158,155,154,148,147,142
171,170,
- الأصفهاني أبو القاسم 197
- الأصم 169
- الأصمعي 203
- ابن الأعرابي 227,(203),168
- الأعسم عبد الأمير 131,130,124,116,107,94,92,56,37,34,10
- الأعشى ميمون 225,(162)
- الأعظمي عامر العمري 347,259
- الأعمش 328,327,205
- الأفضل وزير المستعلي 17
- الإقسيس 16,(15)
- ألب أرسلان 24,21,16,(15)
- الألباني ناصر الدين 287,259,178
- ابن الأنباري أبو بكر 168
- أنس بن مالك 249,213
- أنيس منصور 107
- أوغسطين (107),30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الأيابادي أبو بكر 106
- ابن الأيادي 221
- الباجي 187
- البارودي عبد الله عمر 14
- الباقر (243)
- الباقلاني أبو بكر 275,233,(106)
- بايزيد خان 33
- البخاري 180,179,174, 166,163,147,144,131,95,68
351,346,329,327,235,234,230,227,211,210,209,201,195,186,182,
- بدر الجمالي (17)
- بدوي عبد الرحمن 295,217,176,107,75,74,73
- البراء (155)
- ابن عبد البر (189)
- البرزالي 202,38
- بركياروق 122,67,(21),16
- ابن برهان 151,(103),101
- البرهان فوري 259,144
- البساسيري 20,15,(14)
- البسطامي أبو يزيد 356,355,127,126,120,100,(99),92,54
- بشار عواد معروف 352,95
- بشر بن غياث (194)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بشر المريسي 217
- بشر بن المعتمر (216)
- ابن بشكوال 131,76
- ابن بطة 233,232,187,150
- بطرس الناسك 114
- البغـــدادي اســـــماعيل باشـــــا 355
- البغدادي أبو عاصم 122
- البغدادي عبد القاهر 242,236,218,177,(27),25,13
- البغدادي محمد بن علي القصاب (96)
- البغدادي محمد المعتصم بالله 73
- البقار قرمط 237,236
- البقري الدكتور 115
- البقري عبد الدائم أبو العطا 34
- بكر حياني 144,259
- أبو بكر الصديق 342,295,243,176,153,141,105
- أبو بكر ابن أبي داود 342
- أبو بكر عبد الرازق 115,35
- البكري الأندلسي 175
- البكري الشريف أبو القاسم 23
- بكير بن أحمد الحداد الصوفي (97)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بلال بن رباح 98
- البلخي أبو القاسم 216,215
- البلقيني سراج الدين 135
- بويج موريس 74,73,35
- البويطي 227
- بيان بن سمعان التميمي (242)
- البيهقي 328,(327),190,90
- الترمذي 344,339,337,334,287,257,178,44
- التستري سهل 92
- تقي الدين الطبيب الشاعر (38)
- التقي السبكي 33
- التلمساني أحمد بن المقري 102
- ابن تومرت 69,(28)
- ابن تيمية 189,187,186,185,164,146,116,(113),102
350,264,252,230,202,195,191,190,
204,203,(168),163
- ثعلب
- ثمامة بن أشرس (216)
- أبو ثور 96
- الثوري 328,327,(197),146,97,95,92
- جابر بن عبد الله 252
- الجاحظ (217),216,163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الجامي (33)
- الجبائي أبو علي محمد (217)
- الجبائي أبو هاشم بن علي 221,217,(216)
- ابن جبير 342
- الجرجاني اسماعيل بن مسعد 170,89,40
- الجرجاني عبد القاهر 314,313
- ابن جريج 95
- جرير الشاعر 135
- جرير بن عبد الحميد (327)
- الجريري 95
- الجعد بن درهم 230,(202)
- جعفر 236,177
- جعفر بن بشر (216)
- جعفر بن حرب (216)
- جعفر الهمداني 38
- جعفر بن محمد الصادق 237
- ابن جماعة 33
- جميل صليبا 57,56
- الجندي فريد عبد العزيز 26
- الجنيد بن محمد 124,98,97,(96),92,54
- ابن جهبل الحلبي 200,189

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- جهم بن صفوان 315,231,230,228,227,202,194,95
- الجهني عبد الله 219
- الجهني معبد 220,218,214,(187)
- جورج حوراني 73
- ابن الجوزي 109,108,95,93,76,69,40,(31),23,19,13,9
286,280,254,243,194,190,189,177,170,167,141,127,124,
- الجوهري اسماعيل بن حماد (162)
- الجويني إمام الحرمين 85,75,67,64,60,59,56,42,41,40,31,27,24
201,111,94,92,91,90,(89),
- ابن الحاجب (145),32
- حاجي خليفة 93
- الحارث بن سريج 194
- الحاكم الجشمي 215
- الحاكم النيسابوري 327,144,(143)
- ابن حامد 190
- ابن حبان 244,222,195,174,153,150,144,135,121,97
347,332,327,324,
- ابن حبيب النيسابوري (169)
- حبيب بن أبي ثابت 328,(327)
- الحجاج 243,219,187,153,79

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ابن حجر 153,150,149,148,145,143,141,135,95,33
341,280,212,202,
- حذيفة فاتح نهاوند 96
- ابن حرزهم أبو الحسن 106,(105)
- حسن ابراهيم حسن 27
- الحسن البصري 343,342,327,215,187,163,153,150,(126)
- الحسن بن الصباح 66,(28)
- الحسن بن عرفة (97)
- الحسن بن علي 237,102,28
- الحسن بن محمد بن الحنفية 242
- الحسين بن علي 243,237,76,13
- الحسين بن عيسى 99
- الحفني عبد المؤمن 314
- الحلاج 94,(92)
- حلمي محمد فودة 30
- عبد الحليم محمود 77,31
- حمدان توفيق 286
- ابن حمديس (112)
- حمزة بن عبد المطلب 187
- الحموي ياقوت 162,72,40,37,(32),26
- الحنبلي ابن العماد 203,189,168,101,66,64,63,62,37,(34),32,9

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الحنبلي زين الدين بن مرعي 200,199,180,165,158,151,150,148,147
- الحنبلي عبد المغيث (76)
- أبوحنيفة 347,311,84
- أبو حيان 197,169,(168)
- خارجة بن مصعب (230)
- خالد بن عبد الله القسري (202)
- ابن خزيمة 330,328,327,325,324,205,199,189,180,179
- الخشت محمد عثمان 237
- الخضر عليه السلام 168
- الخطابي 330,200,(179),147
- الخلال 227
- ابن خلدون 102
- ابن خلكان 217,145,66,63,62,40,37,(32),16,9
- الخليل بن أحمد 162
- الخواجة زادة (77)
- الخوافي (42)
- خولة بنت جعفر بن قيس 242
- الخولي أمين 169
- الخياط أبو الحسين ابن أبي عمر (216)
- خير النساج 98
- خيرة أم الحسن البصري 126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الدارقطني 27

- الدارمي عثمان بن سعيد 227,189,173,150,(149),9

- الدالي محمد 4

- الدامغاني أبو عبد الله (23)

- الداودي شمس الدين 32

- داوود بن أبي هند 95

- أبو داوود 347,166,95,67

- ابن أبي داوود أحمد 217,(216)

- الداية محمد رضوان 170

- أبو الدرداء 344,217,95

- أم الدرداء (95)

- الدقاق أبو علي 111,24

- ابن دقيق العيد 206,189,(151)

- دندان محمد بن الحسين 237

- ديصان بن سعيد 13

- الديلمي فيروز 347,(259)

- أبو ذر الغفاري 128,124,94

- الذهبي شمس الدين 342,110,104,97,37,36,(32)

- الذهبي محمد حسين 171,170,169,168,165,164

- الرازكاني أحمد بن محمد (89),40,39

- الرازي 336,158,149,137,136,(135),15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الراسبي عبد الله بن وهب 209
- الراضي محمد عبد الكريم كاظم 167
- الرافعي 188
- ابن راهويه 144
- ابن الراوندي (217),216
- الربيع بن أنس 213
- ربيعة بن أبي عبد الرحمن (187)
- الملك الرحيم 20
- ابن رشد 99,211,175,113,102,(76)
- الرضى علي بن موسى 72,69,36
- الرفاعي فريد 131
- أبو ريدة عبد الهادي 34
- ابن الزاغوني 190,189
- الزبيدي 188,163,162,156,121,104,(34)
- الزبير بن بكار 168
- زرزور نعيم 13
- الزرقاني محمد عبد العظيم 206,201,188,155,137,136,135
- الزركشي 170,148,146,145,142,139,138,137,136,(135)
- الزركلي خير الدين 34,33
- الزعبي محمد عفيف 129
- زكريا بشير إمام 121,94,91,74,34,10

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

زكي مبارك 121,115,114,113,94,93,34,10
- الزمخشري 266,209,185,164,112
- الزهري 235,(187),119,95
- زياد بن الأصفر 210
- زيد بن أسلم (343),95
- زيد بن ثابت 126
- زيد بن الخطاب 194
- زين العابدين 187,(119),25
- زينب ربيبة الرسول (ص) 144
- سارية 128
- سالم ابن أبي الجعد 95
- بن سالم حميش 117
- السايح أحمد عبد الرحيم 326
- سبط ابن الجوزي (32)
- ابن سبعين (102)
- السبكي تاج الدين 92,86,66,65,64,63,62,59,44,40,37,36,(32),9
135,122,113,112,111,110,104,
- سحنون 141
- السراج البلقيني 33
- سرور طه عبد الباقي 125
- سروشان جد أبي يزيد 99

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- سري السقطي (96)
- سعادة رضا 305,296,269,77
- أبو السعد المحسن 218
- ابن سعد 327,286,256,242,230,212,210,187,175
- سعيد بن جبير (153),95
- سعيد بن المسيب 187,118
- أبو سعيد الخذري 284,209,195,190,185,118,99,(97)
- سفيان 327
- سفيان بن عيينة (235),215
- السقا صفوة 259,144
- السقا مصطفى 175
- السقاف علي بن أبي بكر 82
- ابن السكيت 203
- سلمان 95
- أم سلمة 198,187,150,149,126
- سلمة بن نفيل 291
- السلمي أبو عبد الرحمن 310,94
- السلمي معاوية بن الحكم 278
- سليمان عليه السلام 125
- سليمان دنيا 286,284,283,120,116,114,104,46,34,26,10,6

333,

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- سليمان بن يسار 189,173,(149)
- السمعاني 92,(36),23,14
- ابن السمعاني (141)
- سميح عاطف الزين 121,115,114,35
- سنجر 67,(16)
- السهروردي 124
- سوسن 220
- ابن سيد الناس 38
- ابن سيرين 327,310,(249)
- ابن سينا 333,297,135,131,(111),27
- السيوطي جلال الدين 149,144,143,141,138,137,136,135,113,32
179,170,169,151,150,
- الشاذلي أبو الحسن (106)
- الشاشي أبو بكر 151,103,101,82,(27)
- الشاطبي أبو اسحاق (102)
- الشافعي محمد بن ادريس 129,118,111,106,105,90,84,80,25,24,
275,198,194,187,151,148,
- الشبلي (98),92,54
- شربية نور الدين 94
- الشريف الرضي 118,(13)
- شعبة بن الحجاج (95)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الشعبي (187)
- الشعراني أبو بكر (355),125
- الشهاب محمود بن سيد الناس 33
- الشوكاني 77,33,32
- الشيال 110
- ابن أبي شيبة 347,344,259
- الشيرازي أبو اسحاق 64,(27)
- الشيرازي أبو محمد عبد الوهاب (43)
- صبيغ 211,189,187,173,149,144,102,5
- الصغير عبد المجيد 102
- الصفدي (33)
- صفية زوجة عبد الله بن عمر 243
- ابن الصلاح 116,113,(112),37,36
- الصلافي عز الدين موسك 145
- ابن الصيرفي علاء الدين 65
- الضحاك 342,153,(145)
- الضرير أبو ابراهيم 42
- طاشكبري زاده (33)
- أبو طالب 191
- الطالبي عمار 211,205,175,174,24
- طالوت 230

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الطباع أبو نصر 20
- الطبراني 340,329,291,188,144,(143),9
- الطبري ابن جرير 164
- الطبري أبو عبد الله (43)
- الطرطوشي أبو بكر 121,(110),102,101
- طغرلبك 24,21,20,(14)
- ابن طفيل (116)
- طه الدسوقي 269,200,189,35
- طه عبد الباقي سرور 34
- الطوسي علاء الدين (77)
- الطوفي (202)
- طيفور بن عيسى أخ أبي يزيد 99
عائشة أم المؤمنين 188,166,163,144,143,(141)
عاصم بن علي (230)
- أبو العالية (342),213
- عباد بن سليمان 226,221
- عبادة بن الصامت 217
- العبادي أحمد مختار 17,14
- العباسيون (الخلفاء) 71
- ابـــن عبـــــاس 147,146,145,143,142,(141),135,97
345,344,343,285,271,267,266,253,252,217,190,186,178,174,172,153,151,148,

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو العباس الخليفة 26
- عبد الأميرز شمس الدين 300
- ابن عبد البر (189)
- عبد الجبار القاضي 226,225,218,217,216,215
- عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (203)
- عبد الرحمن صالح عبد الله 30
- عبد الرحمن بن ملجم 213,212,175
- عبد الرحمن بن مهدي (327),146
- عبد الرحيم محمود 112
- عبد الرزاق بن همام (143)
- عبد السلام محمد هارون 135
- عبد القادر أحمد عطا 95
- عبد القادر عطا مصطفى 135,13
- عبد القادر عطا محمد 13
- عبد القادر محمود 115
- عبد الله بن أباض 210
- عبد الله بن أحمد بن حنبل 227
- عبد الله بن اسماعيل 38
- عبد الله بن خباب 210,(176)
- عبد الله بن ذي الخويصرة 209,208
- عبد الله بن الزبير 141

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عبد الله بن عامر بن كريز 72
- عبد الله بن عمر 347,329,328,195,187,155
- عبد الله بن عمرو 256,217,195,67
- عبد الله بن المبارك (232)
- عبد الملك بن مروان 244,187
- عبد المؤمن بن علي 102
- أبو عبيدة معمر بن المثنى 234,203,169,(163)
- العتبي (141)
- عثمان بن عفان 347,333,295,249,210,174,105,72
- العثمان عبد الكريم 34
- العجلي أبو منصور (243)
- عدي بن حاتم (211)
- عرابي محمد غازي 124
- العراقي الحافظ 332,(82)
- ابن عربي محي الدين (131),104
- ابن العربي أبو بكر 105,102,(101),77,69,64,50,31,27,26,25,24
335,297,296,206,205,204,201,108,
- ابن عرفة (341),280
- عروة بن حذير 208
- ابن عساكر 106,104,83,66,63,62,42,(31),24
- العشماوي محمد سعيد 352,351,316,7

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عطاء بن أبي رباح 328,327,155,(153),97
- العطار 124
- عطية بن سعد العوفي (97)
- عطية الله أحمد 276
- ابن عطية 342
- العفيفي أبو العلاء 104
- العقيلي 286,118
- عكرمة مولى ابن عباس 137,(135),97
- علي بن أبي طالب 187,176,175,174,124,118,82,32,13,
342,299,295,252,243,242,239,238,237,213,212,211,210,209,208,
- علي بن يوسف بن تاشفين (112)
- علي أخ أبي يزيد 99
- علي محمد عمر 82,32
- عمار بن ياسر (174)
- عمران بن حطان 212
- عمر بن الخطاب 153,150,149,128,126,124,105,99,19,5
356,347,343,342,327,324,295,256,208,187,176,173,
- عمر بن عبد العزيز 243,211,187,106
- عمرو بن دينار 95
- عمرو بن شعيب 188,(144)
- عمرو بن عبيد 228,222,217,216,(215)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- العمري ناصر بن الحسين 43
- عميد الملك (24)
- عياض القاضي (280)
- عيتاني محمد خليل 169
- العيدروسي 106,105,82,(33)
- عيسى عليه السلام 352,235,228
- عيسى المغربي 33
- العيني (33)
- غزالة بنت كعب الأحبار 36
- الغزالي أحمد 69,63,43,39
- الغزالي أبو حامد 36,35,34,31,30,28,27,26,25,23,13,10,9,8,7,6
63,62,61,60,59,58,57,56,55,54,53,52,51,50,49,48,47,46,45,44,43,42,41,40,39,38,37,
101,100,97,96,94,93,92,89,87,86,85,84,79,78,77,76,75,74,73,72,69,68,67,66,665,64
120,119,118,117,116,115,114,113,112,111,110,109,108,107,106,105,104,103,102,
176,175,157,151,145,135,134,132,131,130,129,128,127,126,125,124,123,122,121,
260,259,257,256,255,254,253,252,251,250,249,248,247,246,201,187,185,184,177,
279,,278,277,276,275,274,273,272,271,270,269,268,267,266,265,264,263,262,261,
299,298,297,296,295,294,293,292,291,290,289,288,287,285,284,283,282,281,280,
320,318,317,316,315,314,313,312,311,310,309,308,307,306,305,304,302,301,300,
341,340,339,338,337,336,335,334,333,332,331,330,329,326,325,324,323,322,321,
356,355,354,350,348,347,346,345,344,343,341,340,339,338,337,336,335,343,
- الغزالي الأكبر 38,37
- الغزالي محمد 251

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عبد الغفار الفارسي 104,92,90,63,62,(31)
- غيلان بن سلمة (347)
- غيلان الدمشقي 220
- الفاتح محمد بن براد (77)
- الفارابي أبو اسحاق 297,162,131
- ابن فارس 135
- الفارمدي 94,(92),38,27
- فاطمة 237
- الفاطميون (الخلفاء) 71
- أبو الفتح أحمد بن سلامة 80
- أبو الفتح عامر بن لخام الساوي 85
- فخر الملك (67)
- الفراء أبو زكرياء يحي بن زياد 253,(204)
- الفراء أبو يعلى 189,27,24,(23)
- فرقد السبخي (126)
- فروخ عمر 121,116,115,114,57,56
- فريد جبر 40,34
- ابن الفضل الشاعر (19)
- أبو الفضل محمد ابراهيم 135
- فضيل بن عياض (205)
- فؤاد سيد 215

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ابن فورك (145)
- الفوطي هشام (226)
- الفيروزأبادي 168,162
- الفيومي محمد ابراهيم 57,56,40,36,35
- القائم 20,19,17,15,(14)
- القادر بالله 14,(13)
- القاسم بن أبي بزة (95)
- أبو القاسم ابن الجويني 91
- أبو القاسم عبد الله بن محمد الدمشقي (98)
- القاسمي جمال الدين 93
- ابن قاضي شهبة (33)
- قتادة 213,137,(135)
- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (222),162,4
- القداح ميمون 241,237,13
- قرة بن خالد (150)
- القرطبي 332,331,280,205,(204)
- قريش بن بدران 20,(14)
- القسطلاني 351,211,203,174,166,163
- القشيري 111,91,31,(24)
- ابن القطان 112
- القلانسي (275)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- قلعجي عبد المعطي أمين 118
- ابن قيم الجوزية 234,227,196,189,(113)
- الكازروني أبو محمد (82)
- الكتبي محمد بن شاكر 38
- ابن كثير 213,186,185,155,153,139,138,(32),14
- كحالة عمر رضا 170
- الكرابيسي (275)
- الكرخي معروف 96
- كسرى 347
- كعب الأحبار 342
- الكعبي عبد الله ابو القاسم (217)
- كمال يوسف الحوت 121
- ابن الكمال (170)
- الكيا الهراسي 151,103,(42)
- الكيخاراني عطاء (95)
- كيسان 244
- لباوي جمعة سمحان 306
- لبيد بن الأعصم 230
- اللالكائي (150)
- الليث بن المظفر (162)
- لوسيان غوتييه 306

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- لويس ماسينيون 73
- الماتريدي 170
- ابن ماجة 285,118,76
- المازري 280,203,115,112,(111),110
- ماكدونالد 41
- مالك بن انس 2,256,198,187,151,150,145,141,111,98,17
- المامون 237,226,218,216
- مايكل هارث 107
- المباركفوري 44
- المبرد (204)
- المتوكل 216
- متى صاحب الإنجيل 352
- مجاهد 213,203,164,153,146,(145),95
- المحاسبي الحارث 97,96,95,(94),92,53
- محمد -صلى الله عليه وسلم- 238,237,229,205,199,170,167,106,105,84,4
352,343,342,340,339,329,239,
- محمد بن الحنفية 244,242,215,141
- محمد الخامس 107
- محمد صالح 105
- محمد عبد الشافعي 125
- محمد عبده 276,118

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد بن عبد الله الحافظ (96)
- محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي 243
- محمد بن عبد الله بن نمير 149
- محمد فؤاد عبد الباقي 204
- محمد بن كثير الكوفي (97)
- محمد بن كرام 25
- محمد بن المثنى ابو موسى (327)
- محمد بن محمد والد الغزالي 39
- محمد بن محمد مخلوف 105
- محمد محي الدين عبد الحميد 176
- محمد بن ملكشاه 21,(16)
- محمود محمد خليل 352
- محي الدين بن عبد الظاهر 38
- المختار الثقفي 244,243
- المراغي 130
- المراق عبد الكريم 45
- ابن المرتضى 220n217
- المرتضى علي بن الحسين (13)
- مرحبا محمد عبد الرحمن 120
- ابن مردويه (144)
- المرسي أبو العباس 106

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- المرصفي علي 125
- مريم أم عيسى 284,181
- المزي جمال الدين أبو الحجاج 202,95
- المستظهر بالله 295,66
- المستعلي 17
- المستنصر (الحاكم) 28,18,17,15,14,(13)
- مسعر 95
- ابن مسعود عبد الله 345,343,342,334,329,286,217,205,144,(141)
- مسلم بن الحجاج 202,187,186,182,180,159,131,118,82,68,
330,329,327,324,284,280,278,269,204,203,
- مصطفى العبد الله 326,261
- مصعب بن الزبير (244),155
- المصيصي نصر 64
- معاوية بن أبي سفيان 347,210,208,174
- المعتصم 218,216
- ابن معروف 129
- المعز بن باديس (17)
- معطي رضا بن نعسان 196
- المعموري الطاهر 112,110,35
- المغيرة بن سعيد العجلي (243)
- مقاتل بن سليمان (148)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- المقتد 92,14
- المقتدي (15)
- المقدسي محمد البستي 300
- المقدسي نصر بن ابراهيم 101,82,64,(27)
- أبو المكارم الوزير 18
- مكحول 95
- المكي أبو طالب 111,(93),92,53
- الملائي عمر بن قيس (97)
- ابن الملقن 104,(33)
- ملكشاه 62,27,(21),16,15
- المناوي 170,150,(33)
- ابن منده 230,227,(189)
- المنذري أبو الفضل 163
- أبو منصور بن الأزهر (163)
- المنصور أبو جعفر 216,215
- منصور بن المعتمر (205)
- ابن منظور 284,168,163,127,136,36
- المهدي بن تومرت 103,(102),101,69,28
- موسى عليه السلام 353,352,323,292,229,218,202,158,106
- الميهني أسعد (40)
- ميمونة 149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ناصر الدولة ابن حمدان 17,16,(15)
- نافع بن الأزرق 210,(177)
- نافع مولى ابن عمر 173
- ابن نباتة 33
- النجار عبد المجيد 103
- النجار محمد علي 253
- ابن النجار 188
- النسائي 95
- نصر بن سيار 194
- النضر بن شميل (203),149
- نظام الملك 91,85,75,62,43,42,25
- النظام ابراهيم 224,223,222,217,(216)
- النعمان بن مقرن 96
- نعيم بن مقرن 99
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني 99
- النواوي محمود 355,127
- النووي 332,331,280,202,145,118,104,82,(32)
- هارون الرشيد 236,216,205,72,69,36
- ابو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (240)
- أبو الهذيل العلاف 226,224,221,220,217,(216)
- الهروي أبو سعد (122)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو هريرة 278,259,255,204,195,188,179,141,97,67,44
344,339,337,327,324,310,
- هشام بن عبد الملك 202
- هلال بن العلاء الرقي 129
- هنري كوربان 117
- الواسطي محمد بن الحسن 107,106,104,(32)
- واصل بن عطاء 222,217,216,(215)
- واط مونتغمري 117,74,73,35
- الواقدي 95
- وجدي محمد فريد 276,109
- ابن الوردي 19
- الوليد بن عبادة بن الصامت 287
- الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر 150
- وول ديورانت 297,107,30
- اليافعي 105,104,66,(32)
- يحي 141
- يحي بن أكثم 226
- يحي بن معين 144,95
- يزيد بن معاوية 76
- يزيد بن هارون 275,149,(95)
- يسري علي 162

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يعقوب عليه السلام 266
- اليمني يحي بن أبي بكر العامري 141
- يوحنا قمير 291,126,48,47,45,37,36,35,27,10
- يوسف عليه السلام 266,18
- يوسف بن تاشفين 103,101,(66)
- يوسف بن عمر الثقفي 243
- يوسف بن موسى (327)
- يونس عليه السلام 285,252

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

الألف

2-إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين -تصنيف العلامة محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، الشهير بمرتضى.

3-الإتقان في علوم القرآن تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي المتوفي سنة 900 هـ، وباسفله إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني-دار المعرفة- بيروت لبنان.

4- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية -تحقيق بشير محمد عيون- مكتبة دار البيان- دمشق - الطبعة الثانية 1996.

5- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان -ترتيب الأمير علاء الدين بلبان علي الفارسي المتوفي سنة 739 هـ -قدم له وضبط نصه- كمال يوسف الحوت - دار الفكر بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1987 هـ.

6- أحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المتوفي سنة 204هـ دار الكتب العلمية بيروت -لبنان 1980.

7- إحياء علوم الدين تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة 505هـ وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحمان بن الحسين العراقي المتوفي سنة 806هـ-الدار المصرية اللبنانية.

8- الأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك دار الفكر 1982 .

9- أدب الكاتب تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (213 - 276هـ) حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي -مؤسسة الرسالة- الطبعة الثانية 1985هـ.

10- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية. الجزء الثاني -العواصم من القواصم- عمار الطالبي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر 1981.

11- الأربعين في أصول الدين -أبو حامد الغزالي- دار الجيل بيروت 1988.

12- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري -تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود -دار المعرفة بيروت- لبنان.

13-الاسلام السياسي -المستشار محمد سعيد العشماوي سلسلة صاد موفم للنشر 1990.

14-الأسماء والصفات أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفي سنة 458هـ دار إحياء التراث العربي بيروت.

15-أصول الفقه سمحان جمعة لياوي دار الهدى عين مليلة الجزائر.

16-الاعتقادات لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني تحقيق الدكتور شمران العجلي -مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر- بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1988.

17- الأعلام خير الدين الزركلي -دار العلم للملايين، بيروت لبنان الطبعة الخامسة 1980.

18- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات تأليف الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي المتوفي سنة 1033 هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط -مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى 1985 .

19- الاقتصاد في الاعتقاد أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1983.

20- إلجام العوام من علم الكلام - أبو حامد الغزالي، تصحيح وتعليق وتقديم محمد المعتصم بالله البغدادي - دار الكتاب العربي بيروت - الطبعة الأولى 1985 .

21- الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل - محمد ابراهيم الفيومي - الشركة العالمية للكتاب - دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة 1988 .

22- الإملاء على إشكالات الإحياء - أبو حامد الغزالي، طبع ملحقا بكتاب إحياء علوم الدين المتقدم.

23- انجيل متى .

24- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المتوفى سنة 562 هـ -مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان الطبعة الأولى 1988 بيروت.

25- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية تأليف الإمام العلامة عبد الوهاب الشعراني تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد الشافعي - مكتبة المعارف بيروت 1985.

الباء

26- البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ إبن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

27- بداية الهداية تأليف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، مكتبة الجندي 1964 وهو مطبوع مع كتاب منهاج العابدين، والكشف والتبيين .

28- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة 1256 هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر بالقاهرة، الطبعة الأولى 1348 هـ.

29- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق أبو الفضل محمد ابراهيم -دار المعرفة- بيروت لبنان - الطبعة الثانية.

التاء

30- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي يسري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان 1994.

31- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي -الدكتور حسن ابراهيم حسن- دار الجيل بيروت - مكتبة النهضة المصرية القاهرة - الطبعة الثالثة عشرة 1991.

32- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة 748 هـ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري -دار الكتاب العربي- الطبعة الثانية 1993.

33- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت -لبنان.

34- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون -الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة 1983.

35- التاريخ الكبير، أبو عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعمي البخاري المتوفي سنة 256 هـ، مجلدة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

36- تاريخ ابن الوردي لزين الدين عمر بن الوردي إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي - دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1970.

37- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي -دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1984.

38- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمان ابن عبد الرحيم المباركفوري (1283 - 1353هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1990.

39- التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني المتوفي سنة 810هـ، تحقيق دكتور عبد المنعم الحفني، دار الرشاد القاهرة.

40- تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر بن شيخ عبد الله العيدروس، وهو مطبوع ملحقا بكتاب إحياء علوم الدين.

41- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفي 754 دار الفكر -الطبعة الثانية 1983.

42- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة 774هـ -دار المعرفة بيروت لبنان 1984.

43- التفسير والمفسرون -الدكتور محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية 1976.

44- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني -دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطاء- دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1993.

45- تلبيس ابليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي البغدادي، دار الرائد العربي -بيروت لبنان.

46- تهافت الفلاسفة أبو حامد محمد الغزالي، دار المشرق بيروت، الطبعة الثالثة 1986.

47- تهافت الفلاسفة، علاء الدين الطوسي -تحقيق الدكتور رضا سعادة، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت- لبنان الطبعة الثانية 1983.

48- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار صادر بيروت 1968.

49- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت -الطبعة الأولى 1992.

50- التوبة للحارث بن أسد المحاسبي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس.

51- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل تأليف الحافظ الكبير محمد بن اسحاق بن خزيمة - راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس- دار الكتب العلمية بيروت 1978.

52- التوقيف على مهمات التعاريف تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفي سنة 1031هـ -تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، الطبعة الأولى 1990.

الثاء

53- الثقات للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي المتوفي سنة 354 هـ -مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1983.

الجيم

54- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير -الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي.

55- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي بيروت.

56-الجانب الإلهي في فكر الإمام الغزالي، طه دسوقي حبشي، دار الطباعة المصرية القاهرة، الطبعة الأولى 1987.

57- جواهر القرآن أبو حامد الغزالي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الرابعة 1979.

الحاء

58-الحاسة السادسة -مكدونالد سلسلة المرشد العلمي-.

59- أبو حامد الغزالي -دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 09، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس 1988.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

60- الحقيقة في نظر الغزالي، الدكتور سليمان دنيا -دار المعارف- الطبعة الرابعة.

61- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفي سنة 430هـ، مطبعة السعادة.

الخاء

62-الخالدون مائة مايكل هارث، تعريب أنيس منصور -الزهراء للإعلام العربي- الطبعة السابعة 1986.

63- خلاصة التصانيف في التصوف للغزالي دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

64- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل -الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، شركة الشهاب الجزائر.

الدال

65- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة بيروت -لبنان الطبعة الثالثة.

66- ديوان الشافعي، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي.

الذال

67-الذرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة للإمام أبي حامد محمد الغزالي المتوفي عام 505 هـ - تقديم وتحقيق المستشرق الفرنسي لوسيان غوتييه- المكتبة الثقافية بيروت - مكتبة السائح طرابلس -لبنان- الطبعة الأولى 1997.

الراء

68- الرسالة التدمرية أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية، مكتبة التراث الاسلامي شركة الشهاب -الجزائر.

69- الرسالة اللدنية للإمام حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان.

70-الرسالة الوعظية، أبو حامد الغزالي، طبعت مع رسالتين أخريين، ضبطه وقدم له، رياض مصطفى العبد الله، دار الحكمة، دمشق بيروت.

71- روضة الطالبين وعمدة السالكين، أبو حامد الغزالي، دار النهضة الحديثة، بيروت لبنان تصحيح العلامة الشيخ محمد بخيت.

72- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة للإمام يحي بن أبي بكر العامري اليمني -مكتبة المعارف بيروت الطبعة الثالثة 1983 .

السين

73- سر العالمين وكشف ما في الدارين للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي -دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1418هـ - 1997.

74- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة -محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف -الرياض، الطبعة الأولى 1988.

75- سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن مهرام الدارمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

76- سنن ابن ماجة، دار الفكر للطباعة والنشر.

77- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة تحقيق وتعليق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى 1984.

الشين

78- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف الشيخ محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

79-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي -دار إحياء التراث العالمي بيروت - لبنان.

80- شرح العيون لأبي السعد المحسن بن محمد، طبع مع كتاب فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة. تحقيق فؤاد سيد -الدار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

81- الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة -دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الثانية 1986.

82- الشفاء طبع مع كتاب النفس البشرية عند ابن سينا -تقديم وتعليق الدكتور ألبير نصري نادر -دار المشرق بيروت- 1986.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصاد

83- صحيح سنن الترمذي باختصار السند تأليف محمد ناصر الدين الألباني مكتب التربية العربي لدول الخليج -الرياض، الطبعة الأولى 1988.

84- صحيح سنن المصطفى، أبو داوود السجستاني، دار الكتاب العربي بيروت.

85- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية 1972.

الضاد

86- الضعفاء الكبير تصنيف الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي تحقيق وتوثيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.

الطاء

87-طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تحقيق علي محمد عمر -مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثانية 1994.

88- طبقات الشافعية تأليف عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين) المتوفي سنة 772هـ.

- دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1987.

89- طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الاسلام تاج الدين ابن تقي الدين السبكي، دار المعرفة للطباعة والنشر -بيروت- لبنان - الطبعة الثانية.

90- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي المتوفي سنة 412هـ، تحقيق نور الدين شريبة، مطبعة دار التأليف، 8 شارع يعقوب بالمالية بمصر، الطبعة الثانية 1969.

91-الطبقات العا ية في مناقب الشافعية -محمد بن الحسن الواسطي، مخطوطة رقم 127 في كلية الآداب جامعة بغداد، عن كتاب الفيلسوف الغزالي 194.

92- الطبقات الكبرى محمد بن سعد منيع الهاشمي البصري، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1990.

93- طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الأولى 1972.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العين

94- عارضة الأحوذي أبو بكر بن العربي.

95- علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، تأليف الدكتور رضا بن نعسان معطي، الطبعة الخامسة.

96- عوارف المعارف للإمام السهروردي، طبع ملحقا بكتاب إحياء علوم الدين المتقدم.

الغين

97-الغزالي -يوحنا قمير، ضمن سلسلة فلاسفة العرب -دار المشرق بيروت 1983.

98- الغزالي وعلماء المغرب -الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر 1990.

الفاء

99- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت 1993.

100- فضائح الباطنية -أبو حامد الغزالي، حققه وقدم له عبد الرحمان بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر-القاهرة.

101- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة -أبو القاسم البلخي- القاضي عبد الجبار - الحاكم الجشمي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية، للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ويتضمن ثلاثة كتب هي: 1 - باب ذكر المعتزلة (من مقلات الإسلاميين) من مقالات الإسلاميين للبلخي، وكتاب فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار، والطبقتان 11 و12 من كتاب شرح العيون لأبي السعد المحسن بن محمد وقد تقدم.

102-الفلسفة التربوية عند إخوان الصفاء من خلال رسائلهم، دراسة وتحليل الدكتور عبد الأمير شمس الدين.الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب العالمي، الطبعة الأولى.

103- الفلسفة الصوفية في الإسلام، الدكتور عبد القادر محمود، دار الفكر العربي عمارة التأمين، القاهرة 1967.

104- الفلسفة النورانية القرآنية عند الغزالي، الدكتور زكريا بشير إمام مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى 1989.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

105-فوات الوفيات والذيل عليها تأليف محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة-بيروت.

106- في التاريخ العباسي والفاطمي، الدكتور أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت 1971.

107- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة -أبو حامد الغزالي، تحقيق الدكتور سليمان دنيا الطبعة الأولى 1381هـ - 1961م، دار إحياء الكتب العربية.

108- الفيلسوف الغزالي، الدكتور عبد الأمير الأعسم، دار الأندلس بيروت، الطبعة الثانية 1981.

القاف

109-القاموس الإسلامي، وضع أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1963.

110- القاموس المحيط للفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث، في مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة 1996.

111- قانون التأويل أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت 1997.

112-القسطاس المستقيم -الإمام أبو حامد الغزالي، قدم له وذيله وأعاد تحقيقه فيكتور شلحت، المطبعة الكاثوليكية -بيروت 1959.

113- قصة الحضارة -وول ديورانت، دار الجيل بيروت.

114- القول الفصل -شرح الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبو حنيفة، شرحه محي الدين محمد بن بهاء الدين المتوفي سنة 956هـ، يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح 57 استانبول تركيا 1990.

الكاف

115- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة 1985.

116- كتاب مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

117-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف الحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة المتوفي سنة 235هـ -الدار السلفية -بومباي- الهند، حققه وصححه الأستاذ عامر العمري الأعظمي.

118- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفي سنة 467، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1977.

119- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم للشيخ محمد بن مالك ابن أبي الفضائل الحمادي اليماني المتوفي نحو 470هـ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، دار الهدى عين مليلة الجزائر.

120- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون -العلامة المولى مصطفى ابن عبد الله القسطنطني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الحلبي، والمعروف بحاجي خليفة دار الفكر-1982.

121- الكشف والتبيين أبو حامد الغزالي، طبع مع بداية الهداية وقد تقدم.

122- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفي سنة 975 - مؤسسة الرسالة بيروت 1993، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا.

123- كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي، دار الانتفاضة للنشر والتوزيع -الجزائر.

124- كيمياء السعادة -الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1997.

اللام

124- لسان العرب العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف، - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - دار صادر بيروت الطبعة الأولى 1990، الطبعة الثانية 1992، الطبعة الثالثة 1994.

125-لسان اللسان -تهذيب لسان العرب لابن منظور- دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1993.

الميم

126- مجموع فتاوي شيخ الاسلام أحمد بن تيمية، مطابع الرياض -الطبعة الأولى 1381هـ.

127-مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر، الطبعة الرابعة 1990.

128- المختار من شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة -دار الراية للنشر والتوزيع الرياض -الطبعة الأولى 1418هـ تحقيق الوليد بن محمد نكيه بن سيف النصر.

129-مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر -الإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور عني بتحقيقه ابراهيم صالح، دار الفكر الطبعة الأولى 1988.

130- مذاهب الاسلاميين تأليف الدكتور عبد الرحمان بدوي الجزء الأول المعتزلة والخوارج، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1971.

131-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان تأليف الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي المتوفي سنة 768هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة الطبعة الأولى 1337هـ بحيدر آباد الهند، الطبعة الثانية 1413هـ، 1993م القاهرة.

132- المرشد في كتابة الأبحاث، تأليف الدكتور حلمي محمد فوده والدكتور عبد الرحمان صالح عبد الله، دار الشروق، الطبعة الرابعة 1983.

133-المستصفى في علم الصول تأليف الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1993.

134- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

135- مشكاة الأنوار للإمام حجة الإسلام للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي-دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

136- مشكلة الصراع بين الفلسفة والدين -الدكتور رضا سعادة- الدار العلمية، للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان -الطبعة الأولى.

137- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، أبو حامد الغزالي -شركة الشهاب الجزائر.

138- معاني القرآن تأليف أبي زكريا يحي بن زياد الفراء المتوفي سنة 207هـ، تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار-الدار المصرية للتأليف والترجمة.

139- معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة الأولى 1991.

140- معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1990.

141-المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفي سنة 360هـ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي 1983.

142-معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، حققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة 1983.

143- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت.

144- معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1993.

145- معراج السالكين للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة الأولى 1994.

146- مع الغزالي في منقذه من الضلال، تأليف أبي بكر عبد الرازق -الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة الطبعة الثانية.

147- معيار العلم في فن المنطق -الغزالي، دار الأندلس بيروت لبنان الطبعة الرابعة 1983.

148-مفتاح كنوز السنة الدكتور أبي فنسنك نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي -دار إحياء التراث التراث العربي بيروت 1403هـ - 1983م.

149- مقالات الإسلاميين لابي الحسن الشعري، بتحقيق محمد بن محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية 1985 دار الهداية؟

150- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، تأليف حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي الطوسي -قدم له فضيلة الشيخ محمود النواوي المفتش بالأزهر -مكتبة الكليات الأزهرية- مكتبة ومطبعة الفجر الجديد.

151- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني- دار إحياء الكتب العربية.

152- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا -مصطفى عبد القادر عطا راجعه وحققه نعيم زرزور - دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

153- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق بيروت -الطبعة الحادية والعشرون.

154- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية عبد الرحمان مرحبا، منشورات عويدات بيروت. الطبعة الثانية 1981.

155- المنقذ من الضلال للغزالي تحقيق عبد الكريم المراق -الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية 1986.

156- منهاج العابدين -أبو حامد الغزالي طبع مع كتاب بداية الهداية والكشف والتبيين المتقدمين.

157-المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي الدكتور عبد المجيد النجار -دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1983.

158- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عالم التراث للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1989. وكلاء التوزيع دار الفكر، دار الكتب العلمية بيروت.

159- مؤلفات الغزالي الدكتور عبد الرحمان بدوي -وكالة المطبوعات الكويت 1977.

160- الموضوعات الامام أبو الفرج عبد الرحمان بن علي ابن الجوزي، خرج آياته وأحاديثه توفيق حمدان -دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1995.

161-الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس المتوفي سنة 242هـ، حققه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف -محمود محمد خليل- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثانية 1993.

162-ميزان العمل الإمام الغزالي حققه وقدم له الدكتور سليمان دنيا دار المعارف بمصر 1964.

النون

163- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي المتوفي سنة 874هـ -تحقيق الدكتور ابراهيم علي المرخان -الثقافة والإرشاد القومي -المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

164- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق محمد بن عبد الكريم كاظم الراضي -مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة 1987.

165- النصوص في مصطلحات التصوف، محمد غازي عرابي -دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع 1985.

166-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن المقري التلمساني تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت 1988.

167- نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، جمعه ونسق أبوابه الشريف الرضي شرحه وضبط نصوصه الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف بيروت.

الهاء

168- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة، استانبول سنة 1951.

الواو

169- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان المتوفي سنة 681هـ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت -لبنان، ودار صادر بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- فهرس الموضوعات

المقدمة	04
الباب الأول : عصر الغزالي وحياته	12
الفصل الأول: عصر الغزالي	13
المبحث الأول: الحياة السياسية والاجتماعية	13
الدولة الفاطمية	17
الدولة العباسية	20
المبحث الثاني: الحياة الفكرية والثقافية	23
الفصل الثاني: حياة الغزالي	30
المبحث الأول: ببليوغرافيا حياة الغزالي	30
المبحث الثاني: مراحل حياة الغزالي	36
المطلب الأول : من الميلاد إلى التخرج	36
نسبه ومولده	36
المطلب الثاني : في مجالس نظام الملك ونظامية بغداد	42
الشك عند الغزالي	44
المطلب الثالث : من الخلوة حتى الوفاة	60
وفاته	69
قائمة بأسماء الخلفاء العباسيين والفاطميين	71
خريطة	72
المبحث الثالث: مؤلفات الغزالي	73
المطلب الأول : تقسيم وترتيب مؤلفات الغزالي	73
المطلب الثاني : التقسيم الذي نرتضيه لتلك المؤلفات	75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: شيوخ الغزالي وتلاميذه 89

المطلب الأول : شيوخ الغزالي 89

المطلب الثاني : تلاميذ الغزالي 101

المبحث الخامس: الغزالي في الميزان 104

المطلب الأول : المادحون للغزالي 104

المطلب الثاني : الطاعنون في الغزالي 108

تناقض الغزالي 115

المبحث السادس: آراء الغزالي في بعض مسائل عصره 124

المطلب الأول : الغزالي والتصوف 124

المطلب الثاني : موقفه من طرق العلم وبعض الفقهاء 128

المطلب الثالث : رأيه في العقل 130

الباب الثاني : دواعي التأويل وموقف المتقدمين منه 133

الفصل الأول: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم 135

المبحث الأول: تعريفهما وبيان وجودهما في القرآن الكريم 135

المطلب الأول : تعريفهما 135

المطلب الثاني : آراء العلماء في وجودهما في القرآن 138

المبحث الثاني: معرفة معنى المتشابه وحكم الخوض فيه 141

المطلب الأول : معرفة معنى المتشابه 141

المطلب الثاني : حكم الخوض في المتشابه 148

المبحث الثالث: منشأ التشابه وأنواعه وحكمة وروده 153

المطلب الأول : منشأ التشابه وأنواعه 153

المطلب الثاني : حكمة ورود المتشابه 157

الفصل الثاني: التأويل بيانا ونشأة 162

المبحث الأول: التعريف بالتأويل وعلاقته بالتفسير 162

المطلب الأول : تعريف التأويل 162

المطلب الثاني : الفرق بين التأويل والتفسير 168

المبحث الثاني: نشأة التأويل ونتائجه 173

المطلب الأول : نشأة التأويل 173

المطلب الثاني : نتائج نشأة التأويل 176

الفصل الثالث: التأويل عند الفرق الإسلامية 184

المبحث الأول: التأويل عند أهل السنة 184

المطلب الأول : التأويل عند السلف 186

المطلب الثاني : التأويل عند الخلف 189

المبحث الثاني: التأويل عند الخوارج 208

المطلب الأول : نشأة الخوارج ومبادئهم 208

المطلب الثاني : التأويل عند الخوارج 211

المبحث الثالث: التأويل عند المعتزلة 215

المطلب الأول : أصول مذهب المعتزلة 218

المطلب الثاني : التأويل عند المعتزلة 223

المبحث الرابع: التأويل عند الجهمية 227

المطلب الأول : نشأة الجهمية 227

المطلب الثاني : مبادىء الجهمية 229

المطلب الثالث : التأويل عند الجهمية 231

المبحث الخامس: التأويل عند الباطنية 236

المطلب الأول : نشأة الباطنية ومبادئها 237

المطلب الثاني : التأويل عند الباطنية 238

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث السادس: تأويلات شيعية ضالة 242

الباب الثالث : التأويل عند الغزالي 245

الفصل الأول: موقف الغزالي من المتشابه والتأويل 246

المبحث الأول: موقف الغزالي من المتشابه 247

المطلب الأول : المتشابه عند الغزالي 247

المطلب الثاني : الواجب في المتشابه 247

المبحث الثاني: موقف الغزالي من التأويل 260

المطلب الأول : تعريف التأويل وحكمه 260

المطلب الثاني : شروط وضوابط التأويل 265

الفصل الثاني: موقف الغزالي من تأويلات سابقيه 273

المبحث الأول: مذهب الغزالي في قضية الكفر والتكفير 274

المطلب الأول : موقف الغزالي من التراشق بالتكفير 274

المطلب الثاني : شروط وضوابط التكفير 281

المبحث الثاني: موقف الغزالي من تأويلات سابقيه 289

المطلب الأول : موقف الغزالي من من تأويلات أهل السنة 289

المطلب الثاني : موقف الغزالي من تأويلات المعتزلة 291

المطلب الثالث : موقف الغزالي من تأويلات الباطنية 294

المطلب الرابع : موقف الغزالي من تأويلات الفلاسفة . 296

الفصل الثالث: دراسة في تأويلات الغزالي 301

المبحث الأول: منهج الغزالي في التأويل 302

المطلب الأول : أهداف التأويل عند الغزالي 302

المطلب الثاني : طريقة الغزالي في التأويل 304

المبحث الثاني: تأويلات النصوص عند الغزالي 311

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: تأويلات النصوص عند الغزالي 311

المطلب الأول : صفات الذات 311

المطلب الثاني : تأويلات متفرقة للغزالي 324

الخاتمة 349

الفهارس العامة 357

فهرس الآيات القرآنية 358

فهرس الأحاديث والآثار 369

فهرس الأشعار 373

فهرس الأعلام 376

قائمة المصادر والمراجع 407

فهرس الموضوعات 422

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص

التـــأويل عنـــد الغـــزالي

تحتوي الكثير من نصوص الوحي سواء كانت قرآنية أو سنية على بعض العبارات والألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى، وهو أمر طبيعي على اعتبار أن المعاني أكثر بكثير من الألفاظ. وهذا يؤدي إلى اشتراك المعاني المختلفة في اللفظ الواحد، ولتمييز المعنى المراد عن غيره من المعاني لابد من الرجوع إلى القرائن التي تستفاد من النص ذاته، أو من نصوص أخرى، أو من عادة العرب في استعمال هذا اللفظ، وصرف اللفظ إلى أحد معانيه المحتملة بناء على قرينة يسمى تأويلا.

ولم تحدث هذه النصوص المتشابهة أية مشكلة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الفهم الجيد للنصوص من قبل الصحابة، وعدم سؤالهم إلا على ما يتعلق بالأعمال. وهذه النصوص في الغالب لا تتعلق بذلك، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم عن بعض التساؤلات التي كانت تطرح هنا أو هناك.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بدأت الاختلافات تبرز ولكن على نطاق ضيق في بعض النصوص الفرعية التي لها متعلق بالأعمال، أما النصوص الأخرى فكان يزجر عن الخوض فيها كما فعل ذلك عمر بن الخطاب الذي عاقب عبد الله بن صبيغ الذي بدأ يثير التساؤلات حول بعض المعاني. ومن أمثلة تلك النصوص التي اختلف فيها الصحابة قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"، وهذا النص يتعارض ظاهر معناه مع نص آخر في القرآن الكريم يفيد أن لا أحد يعاقب بفعل غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، والجمع بين هذين النصين مع نصوص أخرى أدى إلى تحديد المعنى المراد بدقة لا يكتنفها غموض،وهو أن الميت الذي يعاقب ببكاء غيره عليه هو الذي يوصي قبل موته بالبكاء عليه، أو كان هو يبكي على غيره، أو لم يكن ينهى أهله عن البكاء، كما أن البكاء المراد هو الذي فيه ضرب الخدود وشق الجيوب والدعوى بدعوى الجاهلية.

وبعد انقضاء عصر الراشدين، ظهرت في المجتمع الإسلامي فرق سياسية وفكرية متعددة وفقدت الدولة الإسلامية السيطرة التي كانت لها في عهد الراشدين، ولم يكن بوسعها التحكم في توجيه الناس توجيها فكريا سليما، بالإضافة إلى ضعف اللسان العربي، وضعف الإيمان في قلوب الناس. هذه الأسباب كلها مع أسباب أخرى جعلت الاختلافات في تحديد بعض المعاني تكثر وتكبر حتى امتدت إلى العقائد ولم تسلم حتى النصوص المحكمة من الخوض فيها، ولا شك أن بعض تلك الخلافات كانت بسبب الجهل باللغة.

وبأسباب النزول، بينما كان بعضها الآخر راجعا إلى أهواء جامحة كما هو الحال عند بعض الفرق السياسية التي استعملت بعض النصوص لنصرة تصوراتها ومبادئها وأهدافها.

ولم يكن التوفيق بين تلك الفرق ممكنا لاختلاف منطلقاتها وأهدافها ونظرتها إلى كل من العقل والنقل، بل أصبحت بعض تلك الفرق تسعى إلى تطويع بعض النصوص لمبادئها لا تطويع مبادئها للنصوص، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى اتساع الهوة وانتشار تهم التكفير بين الفرق.

ولما جاء الإمام الغزالي في أواسط القرن الخامس الهجري، كانت هذه الخلافات والفتن قد نزلت إلى العامة في المساجد، وفي الأماكن العمومية وقد فتح الإمام الغزالي عينيه على جو مشحون بالصراعات الفكرية، كان التكفير فيها هو السلاح الأول والأخير للإجهاز على المخالفين.

وقد هيأت الظروف الثقافية والسياسية الإمام الغزالي ليتميز على غيره، فقد تتلمذ على الأستاذ الكبير الإمام الجويني، وشهد طرفا من مناظراته في مجالس الوزير نظام الملك. كما أن الإمام قد بدأ في التدريس والتصنيف، وشارك في المناظرات، وكان نجمها المتألق، وقد قاده هذا البروز لأن يكون أستاذا في المدرسة النظامية ببغداد، أين كان يحضر درسه مئات من أكابر الناس حتى أصبحت هيبته أكبر من هيبة الخليفة ذاته، وفي وسط هذا التألق لم يغفل الغزالي لحظة واحدة عن التفكير في هذه الصراعات وأسبابها وأهدافه، فكلها يدعي ويريد أن يصل إلى الحقيقة، ولكن الخلافات بينها حادة ومن هنا افترض نفسه مستقلا عن كل تلك الفرق، وبدأ بحثه عن الحقيقة من الصفر، واستعمل في ذلك الشك المنهجي، فبدأ أولا بشك في وسائل المعرفة مثل الحواس والعقل، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة مختلف الأفكار دراسة موضوعية متعمقة فدرس الفلسفة وأفكارها، واطلع على آراء الفرق المتعددة. وخرج من دراساته المتعمقة بثروة علمية وفكرية هائلة، ومكنته من أن يدرس التأويل دراسة غير مسبوقة.

فلم يكن التأويل قبل مجيء الغزالي موضوعا مستقلا بل كان يورده بعض المفسرين وبعض شراح السنة، وبعض الباحثين في العقيدة لبيان بعض النصوص، ولكن الإمام الغزالي درسه بطريق آخر فقد وضع له تعريفا وشروط وضوابط، وقبل ذلك بين النصوص التي يحتاج فهمها إلى تأويل من غيرها. وسلك في دراسته للتأويل مسلك الاحتياط فبين أن النصوص التي نبحث في تأويلها هي التي يترتب عليها عمل، ثم وضع شروطا للتأويل، وأخرى للمؤوّل، وثالثة للمؤوّل له وقد حصر التأويل في نطاق ضيق، ولكنه وسع في ذلك قليلا لإبعاد تهمة التكفير التي كانت منتشرة في زمانه، فالذي ينكر شيئا من الدين مثلا يجب أن نلتمس لإنكاره ما أمكن من التأويلات التي تخرجه من دائرة الكفر.

وعلى الرغم من هذه الدراسات المتخصصة للإمام الغزالي في موضوع التأويل والتي أنتجت أكثر من

خمسة كتب، فإننا نرى أنه لم يلتزم كليا بالشروط والضوابط التي وضعها للتأويل، فرأيناه قد أوّل نصوصا لا تحتاج إلى تأويل،واستعمل الكشف والذوق في بعض تأويلاته حتى كاد أن يقع في ما وقع فيه الباطنية وهم من ألد أعدائه فكرا وعملا.

إن دراسة التأويل في عصرنا هذا أصبحت أكثر ضرورة من أي وقت مضى بسبب ما نراه اليوم من فهم غير صحيح لنصوص الشرع الحنيف، وأصبح التأويل يمس النصوص المحكمة إلى جانب المتشابهة. وهو يصب كله في محاولة التنصل من أحكام الشرع بطريقة لبقة تفهم الناس أن هذا الفهم هو من صميم الدين، وتعدى هذا الفهم الخاطئ الأفراد إلى المؤسسات الرسمية.

إن دراستنا الصحيحة للتأويل تجعلنا نضع خطوطا حمراء حول النصوص المحكمة التي لا ينبغي أن تمس بتأويل أو تحريف، ولا شك أن ما وضعه الإمام الغزالي من شروط وضوابط يساعد على معرفة النصوص التي تحتاج في فهمها إلى تأويل كما أنه يساعدنا على التأويل الصحيح الذي يجنب الأمة وأفرادها الوقوع في الضلال والفتن. وإن بعض ما نراه اليوم في بعض البلاد الإسلامية من فتن واضطرابات ما كان ليحدث لو عرف التأويل ومجالاته وأهدافه وقواعده وضوابطه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

THE INTERPRETATION IN EL GHAZALI'S OPINION

Many of the Revelation texts, either Coranic or from the tradition of the prophet Mohammed (peace been upon him), contain some expressions or terms that imply more than one meaning, and this is so natural because different meanings share the same term, We must refer to the context; to distinguish a given meaning from others, or from other texts or the customs or use of a term from the Arabs before the birth of Islam, and attributing a specific meaning, to a term, selected among different possible meanings is done on the basis of same factors or proofs and this called « interpretation ».

Because of the good understanding of the texts from the part of the prophet's close friends (peace been upon him); the texts which might imply more than one meaning at first sight, didn't pose any problem during the prophet's lifetime, and the latter used to give clear answers to all questions which were asked here and there.

Some contradictions and contrasts began to appear but on a restricted scale, after the death of the prophet (peace been upon him) relating to some minor texts linked to actions, on the other hand, it was not tolerated to try to interpret other texts : Omar IBN Khateb punished « Abdu Allah Ben Sobeigh », who started to raise questions about some meanings related to some phrases or sayings, for instance. Between the tradition of the prophet which made a different between his friends, his says: (the dead is penalised because his family weeps over his death). This text seems to contradict another Coranic text which stipulates that no one receives penalty because of the deeds of others, (Nor can a bearer of burdens, Bear an other's burden) the study of these two texts leads to determine the wanted meaning that can be derived from the prophet's citation is that a dead person is subjected to penalty when he recommends during his lifetime, his family to weep his death or is the one who used to weep over others or didn't use to advise his family not to cry and the cry which is referred to the one which doesn't include beating the cheeks and saying mane sense words.

Many political and intellectual groups appeared in the Islamic society, and the Islamic state lost its authority after the era of « Rachidin Khalifs » was over. The Islamic state failed to provide people with a proper intellectual direction, in addition to weakness of faith that gained people's, all these cause together with others created differences and contrasts in determining some meanings and these contrasts began to multiply and reached even faith and texts which do not imply more than one meaning. Those contrasts appeared because of different in language mastery and ignorance of « Revelation » causes, personal and mean

desires were also among other causes, this was the case of some political groups which used religious texts to defend their principals, goals and ideas.

It was not possible to reconcile between those groups and this was due to contrasts associated with their ideas and goals, and how they used to see and conceive Revelation and intellect. Some groups used to adapt texts to their principals and not vice versa, consequently, the gap widened between them.

Those contrasts conflicts and troubles reached common people and spread to public places during « El Ghazali » era in the fifth cycle of the Hegira, and the latter opened his eyes to see an atmosphere full of intellectual, conflicts he thought and reflected on how to get rid of those.

El Ghazali was distinguished because of the cultural and political circumstances that prevailed at that time, he was the pupil of the prominent teacher « El Imam El Djouaïni », « El Ghazali »started teaching and classifying, he participated in contrastive debates, he became a famous person and that fame gave him a chance to became a teacher in the systematic state school in Baghdad where hundreds of prominent persons used to attend his courses. He gained a big respect; he was even more important than the Khalif huiself. His fame couldn't make him forget to think over the intellectual conflicts, their causes and goals.

« El Ghazali » assumed that he had to be independent from all those groups and start seeking for the truth from zero. He used in his research methodological doubt; he started with doubts concerning the means of knowledge such as the senses objective and profound researches. He studied philosophy and its ideas, he got to know the different views of the different groups, and came out from his profound studies with an important intellectual and scientific background those studies allowed him to study « Interpretation » in a way as no one had done before.

Before « El Ghazali », « Interpretation » was not an independent topic, he studied it in a different way; he defined it, set forth conditions and restrictions, and shoved the texts that need the « effort of interpretation » to be understood. He set forth conditions for « Interpretation », the interpreter and the topic to be interpreted. He restricted « Interpretation » in a very restricted scope.

We have noticed that « El Ghazali » didn't fully stick to the conditions he set forth for « Interpretation », in spite of the meticulous and specified studies he did and in spite of the many books he write on topic. We have noticed that he had interpreted texts which didn't need any « Interpretation ».

Truly, the study and research related to the topic of interpretation in our time becomes necessary and indispensable than any other time because of what we see and more hear about false understanding of our sacred Islamic texts. And the

interpretation deals with texts which mustn't be subjected to any effort of interpretation, and doèsn't ignore texts which bear more than one to understanding and meaning. The purpose of all this is not to conform to the religious texts in a smart way to make people understand that this is the true meaning, and this false understanding has gone beyond the level of individuals to official institutions.

Our serious study of interpretation makes us put red lines concerning texts that mustn't be approached by any effort of interpretation. Undoubtedly the conditions and restrictions that been set for by « El Imam El Ghazali », help us know the texts that need interpretation to be understood, and help us also to interpret correctly, a thing which saves the Islamic nation and individuals from straying away and getting away from the right path.

If the goals, the rules the restrictions and scopes of « Interpretation » were know, we would not have seen the troubles and disputes that some Islamic countries are living nowadays.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية